تم إلحاق بالتصويبات التي أمر بها أعضاء لجنة المناقشة
المشرف
عبدالله حامد الحميد

اسم الطالب : صلاح حامد عبدالرحمن
التوقيع :

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

الدراسات العليا التاريخية والحضارية

السياسة البريطانية و مشكلة جنوب السودان

١٢٣٦-١٣٧٦هـ / ١٨٢٠-١٩٥٦م

(دراسة تاريخية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

إعداد الطالب

صلاح حامد عبد الرحمن

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الله حامد الحميد

١٤١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

" ملخص الرسالة "

(السياسة البريطانية ومشكلة جنوب السودان ١٢٣٦-١٣٧٦هـ/١٨٢٠-١٩٥٦م)

جاءت الرسالة في خمس فصول ، حيث تناولت معالم النفوذ البريطاني منذ أن فكر محمد علي باشا في ضم السودان عام ١٢٣٦ - ١٢٩٩هـ / ١٨٢٠ - ١٨٨١م ، ومحاولات استكشاف منابع النيل ،وموضوع تجارة الرقيق في اطاره المحلي والعالمي ،بالاضافة الى النفوذ البريطاني من خلال دور المستكشفين والاداريين البريطانيين ، وتوضيح حجم الوجود الاسلامي بالجنوب في تلك الفترة ، كما تعرضت الى هيمنة الاستعمار البريطاني على السودان والجنوب حتى عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م ، وتمثل في التنافس الدولي في أعالي النيل والسيطرة البريطانية على الجنوب ثم سياستها في القضاء على كل أثر اسلامي عربي بالاضافة الى الابعاد الحقيقية لسياسة بريطانيا في الهيمنة على جنوب السودان ، وكانت السياسة الاستعمارية لبريطانيا ومساعيها لفصل الجنوب قد استمرت حتى عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م حيث ظهرت السياسة المعادية للشماليين في جنوب السودان ،أعقبتها تطورات سياسية في الشمال ضد السياسة البريطانية في الجنوب ،وكان لسياسة بريطانيا في اسلوب الحكم غير المباشر أثر واضح في مستقبل الجنوب السياسي ،أما النشاط التنصيري في جنوب السودان ،فقد كان له أثر واضح حتى عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م وذلك نتيجة لدعم السياسة البريطانية ، وتعدد الارساليات التنصيرية واحتكارها للساحة التعليمية فيه وما ترتب على ذلك من أثر ،وقد ظهرت نتائج تلك السياسة البريطانية في السنوات التي تلت حتى عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م وكانت أهمها مؤتمر جوبا ،والتخلف الاقتصادى والاجتماعي في الجنوب وآثاره و تعثر حركة انتشار الاسلام ، ثم العقبات التي وضعت في طريق الاستقلال .

ويتضح من ذلك أن السياسة البريطانية كانت تعمل في اتجاه واحد منذ عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م وهي معاداة الوجود العربي الاسلامي في تلك المنطقة ،وأن القضايا الاساسية المتعلقة بمشكله الجنوب وهي التمرد على السلطة والنظام ، وفصل الجنوب ، والنشاط التنصيرى بالاضافة الى قضية الرق قد وضعت بذورها منذ تلك الفترة ، وأن نشاط المنصرين قد تمتع بنفوذ واضح في ظل الادارة البريطانية مما أدى لطمس هوية الاهالي ،وأن عدول الادارة البريطانية عن سياستها عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م لم يكن نابعا عن قناعتها بأنها خاطئة فحسب ،وانما لقناعتها بأن تلك السياسة كانت كافية لتعميق الكراهية بين الشمال والجنوب ،بالقدر الذى يسمح بانتشار الاسلام فيه وتقدمه نحو العمق الافريقي .

الطالب	المشرف	عميد كلية الشريعة
صلاح حامد عبد الرحمن	الدكتور/ عبد الله حامد الحييد	والدراسات الاسلامية د/ عابد محمد السفياني

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على البشير النذير المبعوث رحمة للعالمين .
وبعد :

تعد مشكلة جنوب السودان من بين أهم المشكلات التى يعانى منهـا العالم الاسلامى اليوم ، ويأتى الاهتمام بدراستها فى اطار الاهتمام بقضايا الأمة والتحديات التى تواجهها فى التاريخ المعاصر . وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة ، فالقضايا التى ترتبط بها لها أبعادها المحلية والدولية ، كما أن لها تأثيرا على العلاقات العربية الأفريقية . وذلك لأن السودان يعد جسرا ومعبرا للاسلام والعرب الى عمق القارة الافريقية نظرا لموقعه المميز الذى يملى عليه القيام بهذا الدور المهم (1) .

ويقتضى واقع الحال النظر فى الجذور التاريخية لهذه القضية التى يزداد تعقيدها يوما بعد يوم ، حتى بات الصراع الدموى المسلح أخطر الوسائل للتعبير عن الرغبة لفصل الجنوب والذى بات يهدد كيان القطر بين حين وآخر.

ويبدو أن القصور فى الاهتمام بالجذور التاريخية لهذه المشكلة ، (2) جعل معظم الدراسات تعتمد نتائج مقصورة على الفترة التى تحددها لدراسة تاريخ هذه القضية ، على أنها الأسباب الحقيقية لهذه المشكلة ، مثل التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، أو التفاوت الثقافى والحضارى بين الجنوب والشمال . وذلك على الرغم من قناعتهم بسوء السياسة الاستعمارية لبريطانيا ودورها فى تاريخ هذا الصراع الدائر بين الجنوب والشمال .

---

(1) هويدى فهمى ، " جنوب السودان السهم المهدور " العدد ٤٦٩ ص ١٨ – ١٩ ، المجلة ، جدة فبراير ١٩٨٩ م – طاش ،عبد القادر ،" قلبى على السودان " العدد ٣٠٨ السنة السادسة ، المسلمون ١١ جمادى الآخرة ١٤١١ ديسمبر ١٩٩٠م .

(2) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع ، ص ٩ ترجمة أسعد حليم ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، المكان بدون ، ١٩٧١م – عبد الرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٢، الدار السودانية ، الخرطوم ١٩٧٠م ، سعودى ، عبد الغنى ، يونان لبيب رزق ، محمد التابعى ،مشكلة جنوب السودان ، ص ٧٢ ، جامعة عين شمس ، المكان بدون ، التاريخ بدون .

وبامعان النظر في الجذور العميقة لتاريخ المشكلة يتضح أنها في الأساس تتعلق بالوجود العربي الاسلامي في الجنوب ، وأن التخلف الاقتصادى والاجتماعي أو التفاوت الثقافي والحضارى ، مجرد نتائج لسياسة ابعاد ذلك الوجود عن الجنوب .

والواضح ان معظم تلك الدراسات جاء اهتمامها بدراسة تاريخ المشكلة مع بداية الفترة المعروفة في تاريخ السودان بالحكم الثنائي عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م وحتى عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م على اعتبار ان سياسة الاستعمار البريطاني قد أسهمت بدور بارز جدا في تكوين هذه المشكلة واغفلت تلك الدراسات الدور الحقيقي للنفوذ البريطاني وسياسته في وضع الاسس والقواعد لجذور تلك السياسة منذ عام ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م .

ولاشك أن ادراك تاريخ المشكلة ودراسة أهم أسبابها من الامور التي تسهم بقدر كبير في علاجها . وقد تناولت في دراستها بعض النقاط المهمة التي ترتبط بجذور السياسة البريطانية في الجنوب منذ بداية الفترة المعروفة في تاريخ السودان بالتركية السابقة أو الحكم المصرى التركي . مثل قضية فصل الجنوب عن الشمال ، وتجارة الرقيق ، ثم النشاط التنصيرى ، وعلاقة ذلك بالوجود العربي الاسلامي في المنطقة التي تشملها الدراسة ، وأثر ذلك على العلاقة بين الجنوب والشمال الى أن وصل طور المشكلة مرحلة الصراع المسلح عام ٧٥-١٣٧٦هـ / ٥٥-١٩٥٦م والى حرب أهلية قد تعد سببا مباشرا في زعزعة أمن واستقرار البلاد وتنميتها حتى اليوم.

وبما ان الهدف من هذه الدراسة كشف دور السياسة البريطانية ومدى اسهامهـا منذ تلك الفترة في تكوين المشكلة ، فانها لاتنفي وجود عوامل

أخرى ساهمت بقدر ما في هذه القضية ، مثل الظروف الطبيعية والفوارق الاجتماعية التي ترتبط بالحياة القبلية وظروف المعيشة ، وآثر الهجرات السكانية على الجنوب والشمال وغيرها ، الا أن السياسة البريطانية من جهة اخرى قد وظفت معظم هذه العوامل لخدمة مصلحتها الاستعمارية والتي أدت في النهاية الى خلق تلك المشكلة وتفاقمها .

وكنت حريصا ألا أهمل تتبع الحوادث التاريخية البارزة التي تزامنت مع سير الحوادث في المنطقة والتي ألقت بظلالها على سير الوقائع في هذه القضية .

وقد جاءت هذه الدراسة في خمسة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد وتعقبها خاتمة .

أما الفصل الاول فقد تناولت فيه موضوع النفوذ البريطاني في جنوب السودان في الفترة ١٢٣٦-١٢٩٩هـ / ١٨٢٠-١٨٨١م تتبعت فيها معالم النفوذ البريطاني منذ أن فكر محمد علي باشا في ضم السودان ، ثم تعرضت الى محاولات استكشاف منابع النيل على أساس أنها أول اتصال للجنوب بالعالم الخارجي بشكل مباشر ثم توقفت عند موضوع تجارة الرقيق في اطاره المحلي والعالمي لابراز موقف أوربا وبريطانيا من هذه التجارة عبر التاريخ ، واستكملت هذا الفصل بتوضيح النفوذ الاوربي والبريطاني بشكل خاص من خلال دور المستكشفين والاداريين البريطانيين والاوربيين الذين عملوا بالجنوب في تلك الفترة ، وكان من المهم أيضا توضيح حجم الوجود الاسلامي ومدى انتشار الاسلام لتكتمل الصورة للقارىء .

أما الفصل الثاني فقد تابعت فيه موضوع هيمنة الاستعمار البريطاني المباشر على السودان والجنوب للفترة ١٣١٦-١٣٤٠هـ / ١٨٩٨-١٩٢١م ،وقد اشتمل

على التنافس الدولي الذىشاركت فيه بريطانيا فياعالى النيل وانتهى بالسيطرة البريطانية على الجنوب ، وسياستها في القضاء على كل اثر عربي اسلامي ، ثم الأبعاد الحقيقية لسياسة بريطانيا في الهيمنة على جنوب السودان •

وفي الفصل الثالث جاء موضوع السياسة الاستعمارية لبريطانيا ومساعيها لفصل الجنوب عن الشمال للفترة ١٣٤١-١٣٦٦هـ/١٩٢٢-١٩٤٦م وتمثل ذلك في السياسة المعادية لابناء الشمال في جنوب السودان ،مما أدى الىتطورات سياسية في الشمال ضد سياسة بريطانيا في الجنوب ، كماتمثلت مساعي الفصل في سياسة الحكم غير المباشر في الجنوب وآثرها في مستقبل الجنوب السياسي •

أما الفصل الرابع فموضوعه النشاط التنصيرى في جنوب السودان للفترة من ١٢٣٦-١٣٦٥هـ / ١٨٢٠-١٩٤٥م وقد تضمن دعم السياسة البريطانية لنشاط المنصرين وتعدد الارساليات التنصيرية في الجنوب ، واحتكارها للتعليم وأثر ذلك على الأوضاع في الجنوب •

وأشرت في الفصل الخامس لأهم النتائج التي ترتبت على السياسة البريطانية في الجنوب ١٣٦٧-١٣٧٦ هـ / ١٩٤٧-١٩٥٦م والتي تمثلت في مؤتمر جوبا وفي التخلف الاقتصادى والاجتماعي في الجنوب وآثاره ، ثم تعثر حركة انتشار الاسلام فيه ، بالاضافة الى العقبات التى واجهت الاستقلال حتى عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م •

ويتضح في هذه الدراسة العلاقة المباشرة للنفوذ البريطاني بالاستعمار البريطاني الذى وقع عام ١٣٤٠هـ/١٨٩٨م وذلك في اطار السياسة البريطانية التي آدت لخلق هذه المشكلة كسبب رئيسي •

وكانت أهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة تتمثل في مجموعة من الوثائق الأجنبية والمخطوطات العربية .

وكان من بين أهم المصادر المعاصرة التى استخدمتها فى الفصل الأول كتاب السودان بين يدى غردون وكتشنر لمؤلفه ابراهيم فوزى وكان مرافقا لغردون خلال فترة حكمداريته فى خط الاستواء ، حتى قيام الثورة المهدية فى السودان (1) . وكذلك كتاب على تخوم العالم الاسلامى لمؤلف ايطالى مجهول الاسم عاش فى السودان معاصرا للحقبة التى تم فيها ضم السودان على يد محمد على باشا ، كما استفدت أيضا من كتاب مخطوطة كاتب الشونة للشيخ أحمد بن الحاج أبو على ، الذى أرخ لملوك الدولة السنارية (دولة الفونج الاسلامية) وزوالها على يد محمد على باشا ، وتضمنت وضعا تفصيليا لتحركات قواته داخل السودان فى تلك الفترة ، كما رجعت أيضا الى تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى وقد تناول جزء يسيرا من استعدادات محمد على باشا فى التحرك نحو السودان وتوقف الجزء الثالث عند هذا الحد . واستخدمت أيضا بعض المراجع المهمة منها كتابى النيل الأبيض والنيل الأزرق للمؤرخ البريطانى آلان مورهيد وكانت مصادره روايات الرحالة والمستكشفين وقد كانت لمؤلفاته تلك فى هذه الدراسة أهمية خاصة حيث نقلت لنا حقيقة مشاعر الاوربيين وعكست انطباعاتهم حول الاثارة التى أحدثتها مؤلفات المستكشفين وآرائهم ثم أثرها فى المجتمع الأوربى والبريطانى بشكل خاص (2) . كما أفادتنى أيضا الدراسة التى قدمها الدكتور جميل عبيد بعنوان المديرية الاستوائية .

---

(1) ابراهيم فوزى ، السودان بين يدى غردون وكتشنر ، ج 1 ، ص 2 ، نشر جريدة المؤيد القاهرة 1319هـ .

(2) آلان مورهيد ، النيل الأبيض ، ص 69 ، ترجمة محمد بدر الدين خليل ، دار المعارف بمصر ، القاهرة 1965م .

أما الفصل الثانى فقد استخدمت فيه بالاضافة الى الوثائق ، كتاب نعوم شقير ، تاريخ السودان ، وهو يعد من أفضل المصادر التى عالجت فترة الحكم المصرى التركى فى السودان وبداية الحكم الثنائى ، كما استخدمت أيضا موسوعة تاريخ العالم ، لمؤلفها وليم لانقر William Langer بالاضافة الى كتاب مساوىء الانجليز فى السودان لمؤلفه أحمد خير المحامى واعتمدت أيضا على مجموعة من الدراسات القيمة المطبوعة كمراجع منها كتاب الدكتور محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع بين الجنوب والشمال ، وكتاب الدكتور محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان وحدة وادى النيل السياسية بالاضافة لكتاب الدكتور مكى شبيكة ، السودان عبر القرون .

أما الفصل الثالث فقد اعتمدت فيه بجانب الوثائق على أهم المصادر التى أرخت للحركة الوطنية وهى مؤلف الأستاذ أحمد خير المحامى كفاح جيل ، ومؤلف الاستاذ عبد الرحمن على طه ، السودان للسودانيين ، وقد شارك الأول فى تأسيس مؤتمر الخريجين (1) كما عمل الثانى كأول وزير للتعليم فى السودان فى آخر فترة الحكم الثنائى (2) . ثم استخدمت بعض المراجع من أهمها كتاب الدكتور جعفر محمد على بخيت ، الادارة البريطانية

---

(1) المحامى ، أحمد خير ، كفاح جيل ، ص ٨٧ ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط ٣ الخرطوم ، ١٩٩١م .

(2) أحمد ، حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب السودان ، ص ٢١ ، المركز الاسلامى الأفريقى ، الخرطوم ١٩٨٣م .

والحركة الوطنية فى السودان ، وكتاب الدكتور مدثر عبد الرحيم ، الامبريالية والقومية فى السودان ، وغيرها مما ورد فى صفحات البحث .

وفى الفصل الرابع فبالاضافة الى الوثائق البريطانية ووثائق الخرطوم أفادتنى بعض المصادر التى مرّ ذكرها فضلا عن كتابى المنصر البريطانى J.Spencer Trimingham وهى Islam in The Sudan The Christian Approach to Islam in the Sudan وقد سبق له أن عمل فى السودان كسكرتير لجمعية تبشير الكنيسة البريطانية . . ، بالاضافة الى الدراسة القيّمة التى أعدها الدكتور ابراهيم عكاشة بعنوان ، التبشير النصرانى فى جنوب سودان وادى النيل ،وكذلك كتاب الدكتور محمد عمر بشير ، تطور التعليم فى السودان .

أما الفصل الخامس فقد جاءت حصيلته من مجموعة من الوثائق البريطانية المنشورة ، ثم تقرير حكومة السودان فى الاضطرابات عن حوادث الجنوب ، ثم المذكرات الشخصية للرئيس السودانى الراحل اسماعيل الأزهرى والسكرتير الادارى فى الادارة البريطانية بالسودان ، روبرتسون Robertson والتى نشرت فى جريدتى الايام والصحافة السودانيتين ، ثم جمعت فى كتاب واحد بعنوان ، اسماعيل الأزهرى وعصره ، وقد أعده الاستاذ بشير محمد سعيد ، هذا بالاضافة الى الرسائل العلمية والدراسات المتخصصة والمقالات المهمة فى الدوريات المختلفة .

ووفاء منى الى أهل الفضل بفضلهم بعد الله أود أن أشكر القائمين على جامعة أم القرى ممثلة فى القائمين على كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، وقسم التاريخ الاسلامى • لاتاحتهم الفرصة لى واخوانى من الطلاب الوافدين فرصة الدراسة فى هذه الأرض الطيبة مهبط الوحى والبلد الحرام سائلا المولى جل وعلا أن يجزيهم عنا خير الجزاء •

كما أخص بالشكر كل من سعادة الدكتور / صالح بن حميد وسعادة الدكتور سليمان بن واثل التويجرى على تفضلهم بتأجيل دراستى المنهجية عندما شغل كل منهم منصب عميد الكلية فى السابق • كما أشكر الاستاذ الدكتور ابراهيم الزين صغيرون وكان قد أشرف على خطة هذا البحث قبل سفره الى عُمان ، والشكر أيضا الى الاستاذ الدكتور محمد سيد محمد الذى تحولت اليه عملية الاشراف على هذه الرسالة ، فاستفدت من علمه وتوجيهاته ، أسأل الله أن يمده بعونه ويكتب له الشفاء ، كما أخص بالشكر سعادة الاستاذ الدكتور / عبد الله حامد الحميد المشرف الحالى على هذه الرسالة والذى مدنى بتوجيهات سديدة وآراء مفيدة ، بفضل المتابعة الدقيقة والرعاية العلمية المخلصة لهذا العمل • فجزاه الله عنى خير الجزاء سائلا المولى جل وعلا أن يجعله فى ميزان حسناته • والشكر أيضا الى كل من الاستاذ الدكتور عبد الجواد صابر اسماعيل والاستاذ الدكتور يوسف بن على رابع الثقفى واللذين تفضلا بقراءة هذه الرسالة ومناقشتها وتقويمها •

ثم الشكر أيضا الى أساتذتى وزملائى الطلاب الذين أعانونى فى اكمال هذا العمل . كما أشكر الأخ الاستاذ محمد خضر محمد سالم الذى تفضل ومدنى بمسودة الترجمة الخاصة بكتاب Sudan Under Wingate للمؤلف Gebrail Warburg والتى لاتزال تحت الطبع بدار النشر جامعة الخرطوم .

كما أود أن أشكر القائمين حاليا على عمادة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية لما قدموه لى من عون فى اتمام هذا البحث بتوفيق الله .

وأخيرا فان كنت قد أصبت فذلك الفضل من الله وان كان غير ذلك ، أسأل الله أن يوفقنى لما فيه الخير فهو نعم المولى ونعم النصير ،وأن يتقبل منى هذا العمل خالصا لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين .

الاختصارات المستخدمة في الرسالة

Int. Dep.	- Intellegance Department of Sudan .	قسم المخابرات السودانية الخاضعة للادارة البريطانية
G.G.	-Governor General of Sudan	الحاكم العام البريطانى
P.R.O.	- Paplic Recod Offic	الخارجية البريطانية
F.O.	-Forign Office	مكتب الأجانب فى الخارجية البريطانية
N.R.O.	- Natinal Record Offic	دار الوثائق القومية
Cairint.	- Cairo Intelligance	المخابرات المصرية الخاضعة للادارةالبريطانية
G.	-Governor	الحاكم
S.C.R.	- Strictly Confidential Rcord	وثائق فى غاية السرية
South	-Document That Used In Round Table Conferace at Khartoum in 1964 .	وثائق استخدمت فى مؤتمر المائدة المستديرة فى الخرطوم ١٩٦٤م.
C. S.	- Civil Secretary	السكرتير المدنى

تمهيد

يشغل السودان الجنوبي المنطقة التي تقع الى الشمال من بحيرة البرت وأوغندا وحتى خط عرض ١٠° شمال خط الاستواء ، واذا كان السودان يقع في قلب أفريقيا فان الجنوب من ناحية الموقع وأهميته يمثل حلقة الوصل بين الجزء الشمالي المستعرب وبين بقية دول أفريقيا التي تحيط به مثل أثيوبيا وكينيا ، أوغندا ، زائير ، وافريقيا الوسطى . وتبلغ مساحة الجنوب حوالى ٦٥٠٫٠٠٠ كلم مربع ، حيث تعادل ربع مساحة السودان الكلية تقريبا ، وهي ٢٫٥٠٥٫٨١٣ كلم مربع .

ومن أهم الظواهر التضاريسية لجنوب السودان ، أنه عبارة عن حوض سهلي منبسط ينحدر تدريجيا وبشكل غير محسوس يودى الى اختفاء المجارى المائية تلقائيا في ذلك السهل ، حيث تتصل اطرافه الجنوبية بالهضبة الاستوائية التي تتخللها سفوح جبال الاماتونج في شرق النهر بارتفاع يصل الى ٣١٨٧ مترا ، أما في الغرب فان الارتفاع يتراوح مابين ٥٠٠ الى ٦٠٠ متر في شكل هضبة متموجة والتي تمثل خط تقسيم المياه بين نهر النيل ونهر الكونغو ، وبالتالي فان المناطق المنخفضة التي يضمها الحوض تتناثر في المرتفعات المجاورة لها الصخور الرسوبية وتربة خصبة تميل الى الاحمرار في الجهات الجنوبية والغربية بينما تعطي بقية المساحات تربة صلصالية غير مسامية سوداء تقل فيها سرعة جريان الانهار ، وتكثر المستنقعات في مجراها الأدنى(١) .

---

(١) سعودى ، عبد الغنى ، يونان لبيب ، محمد التابعى ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٢٢ – ٢٣ ، جامعة عين شمس ، المكان بدون ، التاريخ بدون .

وكنتيجة لتنوع المناخ في هذه المنطقة فان درجة الحرارة قد تصل الى ٢٨° مئوية في فصل الصيف بينما يتراوح معدل الامطار السنوى بين حوالي ٩٠٠ الى ١٤٠٠ مليمترا ، حيث يقل هذا المعدل كلما اتجهنا شمالا (١). ويتوزع الغطاء النباتي تبعا لذلك فتنتشر نباتات السافنا المتوسطة التي تتخللها أشجار الطلح والسنط في الجزء الشمالي من حوض بحر الجبل وبحر الزراف وبحر الغزال ، أما في الجزء الجنوبي لهذه المنطقة المدارية فنجد الغابات الكثيفة المظلمة حيث تنمو اشجار السافنا العالية بسرعة كبيرة في هذه المنطقة والتي يبلغ ارتفاعها في المتوسط حوالى أربعة أمتار ، ويزداد نموها كثافة في بطون بعض الأودية وعلى جوانبها .

وهكذا يتضح أن الظروف الطبيعية قد ساهمت بشكل أو بآخر في صعوبة الاتصال بين الشمال والجنوب ، وأدت الى مايشبه العزلة بينه وبين بقية أجزاء القطر ، وذلك نتيجة لسقوط الامطار لاكثر من تسعة اشهر في السنة حيث تتحول معظم الاراضي في الجنوب الى أوحال ومستنقعات ،زيادة على ارتفاع درجة الحرارة وكثافة الغابات مما ادى الى صعوبة الاتصال البرى فضلا عن تعثر حركة انسياب الملاحة النهرية نتيجة لنمو نباتات السدود التي تنتشر في مجارى الانهار . ومن انواعها نبات البردى وورد النيل وأم الصوف (٢) . وقد أدت هذه الظروف الى أن تقل المساحات المستغلة في الجنوب حيث اقتصرت على

---

(١) الشامى ، صلاح الدين ، السودان دراسة جغرافية ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ منشأة المعارف ، ط ٢ ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

(٢) الشامى ، صلاح الدين ، السودان دراسة جغرافية ، ص ٢٠٢ - ٢٠٦ منشأة المعارف ، ط ٢ ، الاسكندرية ، ١٩٧٣م .

المناطق المرتفعة نسبيا عن المستوى العام والتي تسهل فيها عمليات الصرف كمراكز للاستقرار الدائم ، والزراعة والرعي [١] .

السكان :

تفيد الدراسات الى أن التركيب القبلي بالنسبة الى السكان في منطقة الجنوب يتميز بتعدد القبائل وكثرتها من الناحية العرقية ، كما يفتقر الى التجانس الذي ساد في منطقة الشمال نتيجة الاختلاط والتمازج مما أدى الى التجانس نتيجة لانتشار الثقافة العربية الاسلامية في معظم أجزاء الشمال .

فالسودان باعتبار موقعه كجسرومعبر بين البلاد العربية والافريقية بالاضافة الى كون وادى نهر النيل الذى يقطع مساحة شاسعة من اراضيه الواسعة يمثل عنصرا من عناصر الجذب التي تستقطب الهجرات من جهات مختلفة [٢] ، من داخل افريقيا وخارجها ،كان مقرا لاصول متعددة من الأجناس ، الأمر الذى أوجد تنوعا في السكان على امتداد القطر من ذوى البشرة السمراء والسوداء .

وتكاد تجمع الدراسات الى أن السكان من ذوى البشرة السمراء ينتمون الى العنصر القوقازى في السلالات الحامية كقبائل البجة في شرق السودان وقبائل

---

(١) سعودى عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٢٥ .

(٢) الشامى ، صلاح الدين ، السودان دراسة جغرافية ، ٢٢٢ .

الماساى في كينيا وتنزانيا على سبيل المثال ، والتي خرجت من آسيا عن طريق باب المندب ، كما ينتمون ايضا الى العنصر العربي في السلالات السامية والتي خرجت من جزيرة العرب في هجرات حديثة ترجع الى القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى [١].

أما ذووا البشرة السوداء فانهم ينتسبون الى العنصر الزنجي الذى وجد في جنوب الجزيرة العربية والهند وغيرها من مناطق العالم ، الذين دخلوا افريقية ولم يتجهوا شمالا لأن مرتفعات الحبشة كانت تعوق تقدمهم ثم اتجهوا نحو جنوب السودان في وقت متأخر بعد آن تم اختلاطهم بدماء أخرى غير زنجية ، لذلك فهي قبائل متزنجة [٢] ، كما هو الحال بالنسبة للقبائل المستعربة في الشمال .

ولما كان من الصعب التوصل الى الاصول التاريخية للسكان في جنوب السودان فقد تم تقسيم القبائل على ضوء التقارب اللغوى والصفات الجسدية الى المجموعات التالية :

(١) المجموعة النيلية : وتتألف من عدة قبائل آهمها الدنيكا ، النوير الشلك ، الانواك [٣]، وتعتبر القبائل النيلية هي أكثر القبائل تاثرا نتيجة لقربها من الشمال المسلم المستعرب [٤] . وقبائل الدنيكا هي أكبر

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٢٢ .

(٢) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٢٨ .

(٣) الشامى ، صلاح الدين ، السودان دراسة جغرافية ، ص ٢٧٠ .

(٤) أحمد ، حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ص٨، المركز الاسلامى الافريقى ، شعبة البحوث والنشر ، الخرطوم ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، .

المجموعات القبلية في الجنوب حيث تقدر بنحو ١٥ قبيلة مستقلة استقلالا تاما عن بعضها ، الامر الذى جعل تلك القبائل تستقر في مناطق متفرقة ، فيما بين خطي عرض ٦° و ١٢° شمالا ،وبالرغم من التقارب الثقافي فيمابينهم فان هنالك تباين الى حد ما في لهجاتهم (١) . وتأتي قبائل النوير من حيث العدد بعد الدينكا ، ويقطنون منطقة اعالي النيل التي تنتشر فيها المستنقعات والسدود على ضفاف بحر الجبل الى الجنوب من خط عرض ٣٠ر٧° وحتى نهر السوباط . ويبدو ان طبيعة بلادهم قد أدت الى عزلتهم وابتعادهم عن بقية القبائل والغرباء(٢). أما قبيلة الشلك فانهم يعيشون على الضفة الغربية من النيل الابيض في اعالي النيل ، وهذه القبيلة هي القبيلة الوحيدة التي تتمتع بنظام مركزى يجمع شملها تحت قيادة ملك يستمد سلطانه من جدهم الاكبر (نيكانج) الذى ينظرون اليه نظرة تقديس مما جعله يتمتع بنفوذ روحي ساعد على تقوية الرابطة فيما بينهم (٣).

(٢) المجموعة النيلية الحامية : ومنها قبائل المورلي والديدينجا والبارى واللاتوكا وتستقر هذه المجموعة في معظمها بالمديرية الاستوائية قرب المناطق الحدودية حيث تعيش مجموعات منها فيكل من كينيا وأوغندا (٤).

(٣) المجموعة السودانية : والزاندى هي القبيلة الرئيسية في هذه المجموعة بجانب قبائل اخرى صغيرة هي المورو والمندارى ،والمادى ، واللوجبارى وغيرها حيث تعيش هذه المجموعات في المنطقة الجنوبية الغربية

---

(١) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٢٢ .

(٢) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٣١ .

(٣) فهمى ، مصطفى ، عبد اللطيف فؤاد ابراهيم ، دراسات اجتماعية نفسية تربوية فى جنوب السودان ، دار مصر للطباعة ، بدون تاريخ ، ص ١٦-٢٠.

(٤) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٢٤ .

من السودان الجنوبي . اما الزاندى فيستقر معظمهم في زائير حيث يبلغ عددهم ٥٢٠ الف نسمة وفي السودان بنحو ٢٣٠ الف نسمة وفي افريقيا الوسطى بنحو ٢٠ ألف نسمة (١) . ويعتبر البعض أن الزاندى هي أكثر القبائل الزنجية نقاء في عنصرها القبلي (٢) .

وهكذا يتضح أن السكان في الجنوب يغلب عليهم الطابع الزنجي الذى يتميز بسواد البشرة بينما يغلب على سكان الشمال الطابع العربي الذى يميل الى السمرة احيانا كثيرة . ويتبين بذلك أن السودان كان ملتقى لهجرات متتالية عبر العصور التاريخية الىحدوده الحالية بما في ذلك مجموعة القبائل النيلية والسودانية .

- اللغة في الجنوب :

وبطبيعة الحال فان تعدد القبائل في الجنوب نتيجة لاختلاف سلالاتها ومنابع هجرتها قد لازمه تعدد في اللغات التي تستخدمها تلك القبائل . وفي عام ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦م تم تقدير اللغات المتداولة في المنطقة بحوالي ١٢ لغة ، يتحدث بكل منها مايقارب الثلاثون آلف فرد (٣) ، في الوقت الذى تسود فيه لهجات اخرى قد تصل الى ٢٥٠ لهجة تقريبا (٤) . وعلى الرغم من أن بعض

---

(١) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٣٣ .

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٢٥ .

(٣) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٤) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٣٧ .

اللغات الرئيسية المتداولة متقاربة فيما بينها ، فان بعضها الآخر معزول وربما كان مجهولا ، أما مجموعة اللغات الرئيسية فهي النيلية وفروعها من اللهجات المحلية ،ومنها لهجة الدينكا والنوير والشلك، الاتشولي ،والبوورون ، ومجموعة من لغات البارى وما يرتبط بها من لهجات ،بالاضافة الى مجموعة اللغات الزاندية السودانية (١) .

وقد أثبتت الدراسات بأن اللغة العربية الدارجة هي لغة التخاطب بين مختلف القبائل ،ويتحدث بها أكثر من نصف الأهالي في الجنوب (٢) .وهو بالتالي دليل على تأثر الجنوبيين بالثقافة العربية الاسلامية بشكل كبير، وذلك نتيجة لاختلاطها ببعض العناصر العربية الاسلامية وهو اختلاط حتمته ظروف المعيشة في الجنوب .

- المعيشة في الجنوب :

يعتمد بعض الجنوبيين في معيشتهم على الماشية ، كما يعتمد بعضهم الآخر على الزراعة البسيطة ، فالقبائل النيلية بالاضافة الى مجموعة من القبائل النيلية الحامية مثل البارى الذين يقطنون حول ضفاف الانهار في الجزء الاقصى من جنوب السودان ضمن المديرية الاستوائية يعتمدون اعتمادا كليا في حياتهم على تربية الأبقار ، بالاضافة الى الأغنام ، بينما توجد مناطق أخرى لبعض القبائل النيلية الحامية مثل المندارى ، واللوكويو،وكذلك

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٢٤ .

(٢) أحمد ، حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، ص ٨ .

منطقة الزاندى في الجزء الجنوبي الغربي من المديرية الاستوائية موبوءة بذبابة التسى تسي التي تصيب الماشية بمرض قاتل ، مما أدى الى حرمانهم من اقتناء قطعان الماشية وتربيتها (١).

وتعتمد تلك القبائل على زراعة الذرة والسمسم والفول السوداني والقطن والبطاطا والبطيخ باساليب بدائية . ويعد صيد السمك واقتناص الحيوان وجمع الفاكهة والنباتات البرية من اشكال النشاط الاقتصادى المكمل للحرفتين الرئيسيتين للاهالي في الجنوب .

وبما أن الجنوبيين لم يمارسوا التجارة في الجنوب الا بشكل محدود جدا فان نسبة كبيرة من التجار كانوا ينتمون الى الشمال مع نسبة قليلة من الأجانب (٢) وعن طريق النشاط التجارى في أسواق المدن الرئيسية وبعض المناطق الريفية حولها ، تم اختلاط التجار وغيرهم من العناصر العربية المسلمة بالأهالى الامر الذى ساعد في انتشار اللغة العربية بين المواطنين الجنوبيين من خلال المعاملات التجارية .

- التدين في الجنوب :

يشكل الوثنيون نسبة عالية جدا من الاهالي في الجنوب حيث يتفق ذلك تماما مع الطبيعة البدائية التي تعم المنطقة فضلا عن عزلة الجنوب وعدم تأثره بالعالم الخارجي نتيجة للظروف الطبيعية التي حالت دون ذلك.

---

(١) الشامى ، صلاح الدين ، السودان دراسة جغرافية ،ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١٩ - ٢١

وقد قدر في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م بأن ٩٠ ٪ من السكان في الجنوب وثنيون ويؤمنون بوجود قوى غيبية تملك زمام الخير والشر وتتحكم فيحياة الانسان (١).

وبالرغم من اتفاق معظم القبائل حول وجود هذه القوى الغيبية ، فنجد انها تختلف من قبيلة لاخرى من حيث وظيفتها وفاعليتها في الأمور الروحية ، والدنيوية في نظرهم ، حيث يعتقد أغلبهم بأن أرواح السلف تحل من جديد في بعض الأفراد من القبيلة خاصة ممن يتمتعون بالرياسة والزعامة الامر الذى جعلهم يضفون على ذلك الزعيم هالة من التقديس . وتختلف مسميات القوى الغيبية من قبيلة الى آخرى عند الاهالى في الجنوب ،فالزاندى يطلقون عليها اسم مبولى Moboli أما النوير فيسمونها كووث Kwoth وعند الدينكا تيالنج Nihilic ثم جوك عند الشلك Jouk (٢) .

والشائع أن الاهالى يتقربون اليها عن طريق الزعيم الروحي في جلب الخير كالامطار ودفع الشر كرد كيد الاعداء . خاصة وأن نفوذ الزعيم الروحي ينحصر فيحدود القبيلة ولايتعداها (٣). الأمر الذى يفسر انشغالها بالصراعات القبلية بشكل شبه دائم ، وعدم مقدرتها على تشكيل وحدات متجانسة وفاعلة .

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٢٦ .

(٢) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٤٠ .

(٣) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٢٦ .

ومن هنا تتضح الفوارق الطبيعية بين الجنوب والشمال حيث كان للظروف الطبيعية دورها في الابقاء على الأحوال في الجنوب دون أن تتأثر بالتغييرات الحضارية التي شهدتها البلاد في الشمال .

وبالرغم من ذلك فان الهجرة الداخلية التي يدفع بها التاريخ المشترك بين الجنوب والشمال وظروف الحياة والمعيشة التي تعتمد على النيل الذى يربط بينهما على امتداد القطر من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال ، هي نفس العوامل التي أدت الى التغييرات التي سادت الشمال وستجعل عامل الزمن كفيلا بنقلها الى الجنوب ، لاسيما وآن الأهالي في الجنوب قد بدأوا يتأثرون بالثقافة العربية الاسلامية القادمة من الشمال تدريجيا .

...

الفصـــل الاوّل

الفصـــل الأول

النفوذ البريطاني فــي جنوب السـودان

(١٢٣٦ -١٣٠٧ هـ) (١٨٢٠ - ١٨٨٩ م)

المبحث الاول

١ - معالم النفوذ البريطاني وضم السودان الى مصر في عهد محمد علي باشا :(١)

(١٢٣٦ - ١٢٥٤ هـ) (١٨٢٠ - ١٨٣٨ م)

لم أقف على نفوذ أو صلة لبريطانيا بجنوب السودان ، حتى منتصـــف القرن الثالث عشر الهجرى ، العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميـــلادى. اذ أن الجنوب بدأت صلته الواسعة بالعالم الخارجي في ذلك الوقت ، حينمـــا بدأ محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية ، الامتداد جنوبا لضـم السودان ، والوصول الى منابع النيل . (٢) مما أنعش المطامع البريطانية ، ان لـم نقل الأوربية ، التي كانت تتطلع الى منطقة أواسط أفريقيا وترقب منطقـــة البحيرات الاستوائية ، حيث توجد منابع النيل ، وكانت ترغب في بسط نفوذهـــا ، على تلك الأصقاع ، ثم السيطرة عليها (٣) .

---

(١) محمد علي - تركي الجنسية ، ولد سنة ١٧٦٩م في بلاد اليونان في (مرفـــأ قوله) له من الأبناء ثلاثة هم : ابراهيم ،طوسون ،واسماعيل ، ظهر محمد على في مصر سنة ١٧٩٩م متطوعا في الجيش التركي ،وكان يتولى قيادة فرقة ألبانية واستغل فرصة الصراع بين الأتراك والمماليك ، وقضى على المماليك في حادثة القلعة الشهيرة ، وأصبح حاكم مصر الأول من قبل الدولة العثمانية

الرافعي ،عبدالرحمن ،عصر اسماعيل،ج ١ ،ص ١٦،دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢
مورهيد، آلان، النيل الأزرق،ترجمة نظمى لوقا،ص ١٨٥،دار المعارف بمصـــر القاهرة ١٩٦٥م .

(٢) الجبرتى ،عبد الرحمن ،تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار،ج ٣ ، ص ٦٢٩ ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٣) الشيخ ،رأفت غنيمى ،مصر والسودان فى العلاقات الدولية، ص ٧٥، عالـــم الكتب ، القاهرة ١٩٧٩م .

وقد أثارت حملات استكشاف منابع النيل ، في عهد محمد علي ، اهتمام الشركات التجارية ، والهيئات العلمية ، بما نشره رجالها ، من خبرات وثروة البلاد الواقعة في أعالي النيل ، كما أثارت أيضا اهتمام الهيئات الدينية التنصيرية في أوربا [1] ، لاسيما وأن هذه الفترة تزامنت مع المحاولات التي كانت تحت اشراف محمد علي باشا ممثل آكبر دولة اسلامية في ذلك الوقت – وهي الدولة العثمانية – في آفريقيا. وهذا يعني بالطبع وصول الاسلام الى حيث تنتهي دولته في آفريقيا ، وهو مالم ترغب فيه بطبيعة الحال القوى الأوربية الصليبية .

ومن خلال تتبعي للأهداف التي من آجلها قام محمد علي باشا بضم السودان ، فقد توصلت الى بعض معالم النفوذ البريطاني من بين الأهداف ذات الصلة بمنطقة جنوب السودان .

وعليه فان قيام محمد علي بالتفكير والسعي الى ضم تلك المنطقة ربما كان لاحساسه باهتمام القوى الأوربية عامة والنفوذ البريطاني على وجه الخصوص التربص بها والتذرع ببعض الحجج بغرض التدخل فيها.

وفيما يلي أستعرض هذه الأهداف بحسب أهميتها في هذا الموضوع لتحديد المواطن التي من خلالها حاول النفوذ البريطاني اظهار اهتمامه بها ليجد الفرصة الملائمة للتدخل في هذه المنطقة المهمة من آعالي النيل والبحيرات الاستوائية .

---

(١) الجمل ، شوقى ، تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٩٥ ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٦٩م .

أولا : أدرك الاستعمار البريطاني آن وادى النيل يعد من أهم المنافذ التي استخدمها العرب والمسلمون في الدخول الى قارة أفريقيا ، وبالتالي فان فكرة محمد علي وسعيه الى اقامة دولة في وادى النيل تمتد الى المنابع في وسط آفريقيا ، تجعل من اليسير تقدم الاسلام الى تلك المناطق ، التي تقع في دائرة اهتمام القوى الأوربية .

وهذا الأمر سيدفع بالافريقيين الى رفض السيطرة الأوربية ثم الى مقاومتها ، وقد أدرك الاستعماريون هذه الحقيقة ووعوها ، مما جعلهم حريصين على محاصرة المد العربي الاسلامي والحيلولة دون انتشاره في هذا الجزء من القارة ، حتى لايكون تأثيره كبيرا على أجزاء أخرى نتيجة لموقعه المتوسط من قارة أفريقيا (١).

وقد اهتم محمد علي بالأمر عندما شعر برغبة بريطانيا وسعيها لمعارضته في ضم تلك المنابع ، فاستشار كثيرا من المهندسين الأوربيين الذين أقروا بأن وقوع منابع النيل في قبضة هذه الدولة أمر لاتحمد مغبته (٢) .

ويبدو آن محمد علي قد عد هذا الاقرار اشارة تحذير للاهتمام بأمر آخر ، وهو تأمين مياه النيل بضم تلك المنابع الى الدولة التي

---

(١) سعودى ،عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٦٦ ـ ٦٨ .

(٢) فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدى غردون وكتشنر ، ج ١ ، ص ٩٥ جريدة المؤيد ، القاهرة ١٣١٩ هـ .

كان يسعى لاقامتها فى المنطقة ، للاطمئنان الى توفير ماتحتاج اليه من مياه النيل ، حتى لاتواجه آية صعوبات فى المستقبل قد تؤدى الى قطع المياه عنها (١) .

---

(١) سلاطين باشا ، السيف والنار فى السودان ص ٤٠٨ ، تعريب جريدة البلاغ ، المكان بدون والتاريخ .

ورد أن حكام الحبشة والنوبة فى الأزمنة القديمة ، قد عمدوا الى تهديد مصر بقطع مياه النيل عنها ، كلما تعكر صفو العلاقات بينهم وبين مصر ، وذلك بالاشارة الى تحويل مجرى النيل ، محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان (وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر) ص ١١ ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٣م .

وقد نادى دعاة الحروب الصليبية طويلا بهذه الفكرة ، وذلك بالعمل على اشراك الاحباش مع الأوربيين ضد دولة المماليك بهدف تجويع مصر والقضاء على من فيها ، بعد تحويل مجرى النيل فى الحبشة ، فى القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، حيث ظلت هذه الفكرة تراود عقول المتحمسين للحروب الصليبية حتى نهاية العصور الوسطى عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١١٥٤ ،ط ٤ ، القاهرة ١٩٨٤م .

وفى مطلع القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميلادى تعرضت مصر للتهديد نفسه ، فقد ذكر الرحالة جيمس بروس أن أحد ملوك الحبشة أرسل خطابا الى الوالى العثمانى فى مصر يهدد فيه بقطع مياه النيل أو التصرف فيها بالكيفية التى يمكن ان تلحق الأذى بالسكان فيها .

Bruce , James , Travels to Discover the Source of the Nile , in Years 1768-1778 , Vol. II, P. 503 second Edition London , 1805 .

وقد استمر ذلك التهديد حتى عهد محمد على باشا ، حيث كان لايزال الخوف من تحويل مجرى النيل باقيا ، وذلك فى خلال القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى ، وذكر أن المستكشف البريطانى صمويل بيكر، S. Baker * ومواطنه شارلس بيك Charles Peeke من أبرز الذين أخذوا بهذا الرأى ، كما تحدث غيرهم من البريطانيين فى أواخر القرن التاسع عشر حول هذا الأمر (١) .

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ١١ .

* ولد صمويل بيكر فى لندن سنة ١٨٢١م وقد زار مورشيوس فى أفريقيا وسيلان فى جنوب آسيا . خدم الاستعمار البريطانى ، شارك فى مد سلسلة من الخطوط الحديدية بجوار الدانوب ، وفى عام ١٨٦١م زار الحبشة متتبعا النيل الازرق وفى عام ١٨٦١م وصل الى الخرطوم مستكشفا لمنابع النيل الابيض حيث تعرض لبعض المتاعب . ونسب اليه استكشاف بحيرة البرت ، ثم عاد بعدها الى انجلترا ، ثم بعد ذلك استدعى لمرافقة ولى عهد بريطانيا الى مصر حيث وقع عليه الاختيار لقيادة البعثة الى المناطق الاستوائية فى جنوب السودان ، توفى عام ١٨٩٣م .

عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٦١ - ٦٢ .

من هنا أدرك محمد على أهمية الخطوة التى سيقوم بها لضم تلك المنابع ، حيث يصبح مطمئنا لقيام دولته فى وادى النيل دون التعرض لأى تهديد لوجودها فى المستقبل • فى الوقت الذى كانت تدرك فيه القوى الأوربية أن تلك الخطوة ستؤدى للاستقرار وبالتالى الى نشر الاسلام فى أواسط القارة ، الأمر الذى قد يكون دافعا للدول الأوربية القوية فى ذلك الوقت ومنها بريطانيا ، أن تتحرك لوقف ذلك الامتداد الخطير فى نظرها •

ثانيا : ظهر نفوذ بريطانيا مرة أخرى فى عامل آخر من العوامل التى دعت محمد على باشا للسعي لضم السودان ، وذلك عندما بدأ محمد على تنفيذ فكرته لتكوين جيش من السود يدعم به دولته فى وادى النيل (١) •

وكان محمد على قد وجه عماله الى السودان للشروع فى جمع السود للجندية ، وأظهر الحرص والاهتمام بهذا الأمر ، حيث كان يطمح الى بناء قوة كبيرة بدلا من جنده الذين تسببو فى اثارة الاضطرابات والعديد من المشكلات فى داخل البلاد ، وبالتالى فان السود الذين بعث فى طلبهم من عماله فى السودان ، انما يشكلون البديل المناسب (٢) •

---

(١) فوزى ، ابراهيم ، السودان ، ص ٥٩ •

(٢) آبو على ، أحمد بن الحاج ، مخطوطة كاتب الشونة ، ص ٨٨ •

والواضح أن سير حملات ضم السودان في ذلك الوقت لم تتمكن من الوصول الى موطن السود في اعالي النيلين الأبيض والأزرق ، الا أن بعض المصادر تفيد بحدوث مناوشات بينها وبين السود ، حيث ذكر الشيخ أحمد كاتب الشونة" بحدوث غزوة الى بلاد الدينكا غير انه لم يفصل (١) .

بينما يفيد المصدر المجهول انه في عهد الحكمدار خورشيد باشا حدثت حملات دورية على بلاد الشلك في النيل الابيض ، نتيجة للغارات التى كانوا يقومون بها ضد جيرانهم فى الشمال وذلك منذ عام ١٢٤٤هـ /١٨٢٦م (٢) .

وبناءاعليه فقد ذهب مكي شبيكة الى أن حملات ضم السودان لم تصل الى مناطق الجنوب (٣) .

وعليه فان مناطق الجنوب فى السودان لم تكن ضمن المناطق التى تم ضمها فى ذلك الوقت ، بينما الحاجة الى الاسرى من السود للجندية كانت لاتزال مستمرة ومحمد على باشا كان يلح في طلبهم .

ولذا فقد تلقى اعتراضا من الحكومة البريطانية ، ومن جمعية أصدقاء الرقيق في بريطانيا ، على هذا المسلك باعتباره وجها من وجوه تجارة الرقيق وطالبوه بالكف عن ذلك (٤) .

---

(١) أبوعلي ، أحمد بن الحاج ، مخطوطة كاتب الشونة ، ص ٨٧ — ٨٨

(٢) مجهول ، علي تخوم العالم الاسلامي ، ص ٤٩ تحقيق :رتشاردهل ترجمة عبدالعظيم هكاشة ، الخرطوم ١٩٨٧م .

(٣) شبيكه ، مكى ، مقاومة السودان ، ص ٢٩ / ٣٤ .

(٤) نصر ، السيد يوسف ، الوثائق التاريخية للسياسة المصرية في افريقيا، ص١٢٩، القاهرة ١٩٨٠، الجمل ، شوقي ، تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٤٠ .

وقد أكتسى اعتراض بريطانيا ، بالصبغة الانسانية ، والذى كان من الكفاية بمكان التنبيه محمد على باشا ، على خطورة نفوذ بريطانيا التي تحاول التدخل ، خاصة وأن تجارة الرقيق قد ظهرت كقضية عالمية في ذلك الوقت بقيادة بريطانيا .

هذا وقد برر محمد على مسلكه ذاك بأن الحكومة ترسل الحملات العسكرية عندما يغير سكان الجبال على جيرانهم ، وذلك لتأديبهم ، ويضم منهم من كان فى سن الجندية للجيوش النظامية ولا يعامل كرقيق ، ويستحق الرتبة العسكرية حسب النظام العسكرى (١) .

وبالرغم من أنه يؤخذ على محمد على الاسلوب والطريقة التى سعى بها الى جمع السود للجندية ، والتى كانت تتنافى مع روح العصر والتحديث الذى يتطلع اليه ويقلد فيه أوروبا ، فانه بهذا العمل يكون قد أتاح للأوربيين أنفسهم استهجانه ، خاصة بريطانيا التى تتلمس الحجج للتدخل ، حيث وجدت الفرصة مواتية لاستخدام نفوذها بتوجيه النقد ثم الاعتراض عليه ذلك المسلك * .

(١) نصر ، السيد يوسف ، الوثائق التاريخية ، ص ١٣٣ وثيقة رقم ١٥ .

* ان تنظيم السود فى جيوش مصر كان معروفا منذ عهد الفراعنة ،ثم أقتفي أثرهم اليونان والرومان ثم العرب عندما ملكوا مصر على التوالي، ومحمد على باشا لم يأت بجديد في ذلك، ويعلم بأن السود أصلح للجندية لما يتميزون به من شجاعة واتقان للفنون العسكرية فى ذلك الوقت من التاريخ، شقير، نعوم، تاريخ السودان، ص٢٤٧، تحقيق محمد ابراهيم أبوسليم ،بيروت ١٩٨١ ابن ميسر ، أبوعبدالله محمد بن على، أخبار مصر ، ص ١٣/١٤، القاهرة ١٩١٩م .

وانصافا لمحمد علي نذكر أنه قد أصدر أوامره المشددة بعد ذلك لعماله وموظفيه في السودان لابطال تلك العادة عندما تبين له خطؤها (١) .

هذا فضلا عن أنه صرف النظر فيما بعد بصورة نهائية عن فكرة بناء جيش من السود لأسباب تتعلق بصعوبة تنفيذ هذه الفكرة ، نتيجة لبعد المسافات التي يقطعها الجنود ، وارتفاع التكلفة ، ثم ذهاب أمانيه في الحصول على الذهب في السودان ، والذى كان يريد أن يدعم به تنفيذ هذه الفكرة ، الى غير ذلك من الأسباب التي ذكرها المؤرخون (٢) .

وعلى كل فان اعتراض بريطانيا لم يكن سوى مقدمة لنفوذها الذى اتخذ من قضية الرق ذريعة نفذ من خلالها الى المنطقة ، بحيث أصبح يملي ارادته على الحكام من الولاة العثمانيين الذين خلفوا محمد على ، على عرش مصر ، مما طور قضية الرق وجعل منها فرصة لاحداث وخلق الفتنة في المنطقة كما سيتضح في الصفحات القادمة .

---

(١) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ١٤٥ دار القلم ، بيروت بدون تاريخ
عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص ١٥١ ،
مجهول ، على تخوم العالم الاسلامى ، حقبة من تاريخ السودان الحديث (١٨٢٢ – ١٨٤١) ، ترجمة عبد العظيم عكاشة ، ص ٧٨ ، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة ، الخرطوم ١٩١٧م .

(٢) غير معروف ، رحلة محمد على باشا للسودان ، تحقيق حسن أحمد ابراهيم ، ص ١٧ ، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم ، المكان بدون ، ١٩٨٠م .

ثالثا: واستخدمت بريطانيا نفوذها لاعاقة تقدم محمد على ومضيه لتحقيق أهدافه من ضم السودان ، وذلك عندما قامت الحكومة البريطانية بممارسة الضغط السياسي على الدولة العثمانية صاحبة السيادة على الساحل الشرقي للسودان ، وأخذت تثير مخاوفها من خطورة توسع واليها محمد على باشا في مصر وتحرضها على استرداد هذه الجهات السودانية ، لاعادتها اداريا الى والي جدة التركي وذلك قبل عام (١٢٦٣هـ/١٨٤٦م) (١).

ويبدو أن هذا التحرك من جانب بريطانيا كان يهدف من جهة أخرى الى عرقلة جهود محمد علي باشا الرامية الى الوصول الى منطقة جبال بني شنقول في جهات فازوغلي المتاخمة للجنوب في شرق السودان بالقرب من الحدود الأثيوبية ، لاستثمار كميات الذهب التي أشيع عن وجودها هناك . وقد كان محمد علي حريصا على تحقيق هذا الهدف بدليل أنه قام بزيارة هذه المناطق بنفسه سنة (١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م) للوقوف على عمليات التنقيب التي كانت تجرى في هذا المكان (٢) .

وكان محمد علي يعلق على هذا الذهب آمالا كبيرة لدعم دولته الحديثة ، وقد خضعت الدولة العثمانية لمطالب بريطانيا ، لما لها من نفوذ واسع له تأثيره في سائر ممتلكات الدولة العثمانية بمنطقة الشرق الأدنى ، ولايستطيع أى سلطان عثماني أن يخالف لها آمرا في ذلك الوقت(٣).

---

(١) العدوى ، ابراهيم ، يقظة السودان ، ص ١٥ - ١٦ ، ط ٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٩م .

(٢) غير معروف ، رحلة محمد على باشا ، ص ١٥ - ١٦ .

(٣) العدوى ، ابراهيم ، يقظة السودان ، ص ١٥ - ١٦ .

رابعـــا : بنـاء على ماسبق يكون محمد علي باشا قد بدأ يشعـــر بأطماع بريطانيا في مصر والسودان (١) ، وذلك من خلال سعيها الى ايجاد الوسائل التي تدفعها الى التدخل في شؤون تلك المناطق لاستعمارهـــا فيما بعد. ولكن محمد علي قام بمبادرة ذكية تمثلت في الشروع بتنفيـذ فكرة انشاء دولة وادى النيل • وقد يكون الهدف من هذه الخطوة هـــو أن تشعر بريطانيا بقوةمحمد علي المتزايدة التي ينبغي أن تخشاها•

من جهة آخرى فان محمد علي باشا كان يسعى الى تأمين الطريـــق التجارى بين شطرى وادىالنيل ، حتى تصل منتجات جنوب الوادى مـــن العاج وغيره الى مصر • وكان المماليك يتحكمون في هذا الطريق بعـــد انسحابهم جنوبا ، الامر الذ ى تسبب في اضطراب الاحوال على حــــدود مصر الجنوبية ، هذا فضلا عن أن المماليك قد بدآوا في الاستعانة بالرجال من السود ، وهو نفس المصدر الذى يعول عليه محمد علي في بناء جيشه الحديث في وادى النيل ، بل وشرعوا في تدريبهم على استخدام الســـلاح النارى (٢)، مما جعل محمد علي يهتم بازالة تلك القوة التي أصبحـــت مصدر ازعاج وخطر له ، في ظل أطماع بريطانيا، الآمر الذى قد يهدد كيان الدولة التي يزمع محمد علي اقامتها في وادى النيل من المنبع الـــى المصـــب •

(١) الجمل ، شوقى ، تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٢٠ •

(٢) الجبرتى ، عبد الرحمن ، عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ •

وربما فكر محمد علي من جهة أخرى في التخلص من القوى المعادية التي يمكن أن تكون في وضع يسمح باستغلالها من جانب القوى الطامعة في البلاد ، مما دفعه الى أن يفعل ذات الشئ مع جنوده من الألبان الذين أصبحوا مصدر خطر وازعاج له في مصر ، حينما عزم على التخلص منهم بارسالهم في حملته الى السودان وهي أفضل طريقة لامتصاص طاقتهم ونشاطهم (١)، وابعادهم من جهة أخرى عن مركز السلطة والقيادة في مصر .

خامسا : مايتعلق بسياسة البحر الأحمر وما دب فيه من نشاط وحيوية من جانب القوى الاوربية والنفوذ البريطاني خاصة ، جعلت الوالي العثمانى في مصر محمد علي باشا ، يبدى اهتماما اكبر بهذا الطريق خاصة بعد الحروب التي خاضتها في الجزيرة العربية ، ثم توليه (ولاية الحبش)(٢) وذلك نيابة عن الدولة العثمانية (٣) .

تلك هي بعض معالم النفوذ البريطاني التي توصلت اليها من خلال الأهداف التي من أجلها ضم محمد علي باشا السودان ، ويتضح مما سبق

---

(١) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ،تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم ، ص ١٩٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١م .

(٢) هى ولاية عثمانية تمتد على ساحل البحر الأحمر بين سواكن ومصوع ، سميت بذلك لأنها تعتبر مخارج بلاد الحبش .
الجمل ، شوقى ، الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر ، ص ٣٠ ، دار المعارف ، المكان بدون ، ١٩٨٠م .

(٣) الجمل ، شوقى ، الوثائق التاريخية ، ص ٣٠ .

اهتمام النفوذ البريطاني بالامور ذات الصلة بمنطقة جنوب السودان منذ أن فكر محمد علي باشا ضم السودان الى مصر في دولة واحدة ، تقوم في منطقة وادى النيل وتشمل المنابع الرئيسية للنيل في منطقة البحيرات الاستوائية. وكما أشرت فان هذه المناطق تقع في دائرة اهتمام الأطماع الأوربية ، خاصة الدول القوية منها في ذلك الوقت وعلى رأسها بريطانيا.

وفيما يلي من صفحات سأوضح الكيفية التي تسلل بها النفوذ البريطاني الى منطقة جنوب السودان ، متذرعا بحجج مفتعلة ومبيتة لخدمة الأهداف الاستعمارية والصليبية ، تحت ستار الكشوف الجغرافية لمنابع النيل الأبيض، ومكافحة تجارة الرقيق ، بهدف رعاية حقوق الانسان في المنطقة ، وما يتبع ذلك من رغبة في توفير غطاء أمني وعسكرى لكل هذه الحجج ، وقد تبين مما سبق أن بريطانيا قد بدأت تظهر الاهتمام بشئون المنطقة تمهيدا للتدخل فيها .

وبناء على ماتم ذكره من أسباب وغيرها مما ذكره المؤرخون (١) شرع محمد علي باشا في ضم السودان عام (١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م) تحت رايته باسم الدولة العثمانية التي تتبع لها ولاية مصر أيضا (٢) .

---

(١) رياض ، زاهر ، السودان المعاصر ، ص ٥٥ ، مكتبة الانجلو المصرية ، المكان بدون ، ١٩٦٦م — شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ١٩٣.

(٢) الجبرتى ، عبد الرحمن ، عجائب الآثار ، ص ٦٢٩ ، شكرى ، محمد فؤاد، مصر والسودان ، ص ٨ .

سيـــر حملات ضم الســـودان :

بقي أن أشير الى أن سير حملات ضم السودان ، قد تمت بعد أن قام محمد علي باشا باعداد حملتين من الأتراك والألبان والمغاربة والأكراد والعربان ، حيث بلغ هذا العدد مايقارب السبعة آلاف وثمانمائة جندى في عام (١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠م) ٠

وضعت الحملة الأولى تحت قيادة اسماعيل الابن الأصغر لمحمد علي باشا، وقد رافقه في هذه الحملة عدد من الشيوخ والعلماء أبرزهم الشيخ أحمد السلاوى المقرى ، الذى صار بعد ذلك المفتى للديار السودانية ، بالاضافة الى أربعة آلاف مقاتل ، وآلف وخمسمائة فارس ، ومن العتاد أربعة وعشرون مدفعا (١).

وكان خط سير الحملة يبدأ صعودا مع النيل حتى أواسط السودان عند منطقة سنار عاصمة السلطنة الزرقاء ، أكبر الممالك الاسلامية في ذلك الوقت بالسودان ٠

وقد تمكنت الحملة من اخضاع منطقة دنقله ، مكان تجمع قوات المماليك ، أعلن بعدها ملك بربر الولاء لاسماعيل ، الذى تقدم حثيثا ، لما تتمتع به قواته من سلاح نارى واعداد منظم الى أن وصل مدينة سنار حيث سلم له ملكها بادى السادس دون مقاومة تذكر (٢) .

---

(١) الجبرتى ، عبد الرحمن ، عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٦٠٩ ، شقير نعوم ، تاريخ السودان ، ص ١٩٥ - ١٩٦ ٠

(٢) شبيكة ، مكى ، مقاومة السودان ، ص ١٦ ٠ أبو على ، أحمد بن الحاج ، مخطوطة كاتب الشوفة ، ص ٨٧ ٠

أما الحملة الثانية فقد وضعت تحت قيادة محمد بك الدفتردار صهر محمد على باشا وذلك بضم منطقة كردفان ، وقد وجدت هذه الحملة مقاومة ضعيفة بالقرب من الأبيض ، وتم استسلامها للجيش الغازى .(١) وقد تدخلت بريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت وأبدت استنكارها للحملات العنيفة التى قام بها الدفتردار انتقاما لمقتل اسماعيل بن محمد على باشا في شمال السودان، في وقت كان فيه محمد على يحرص على اظهار انسانية حكمه للدول الاوروبية ذات النفوذ كبريطانيا بشكل خاص .(٢)

ويتضح مما سبق ان حملات ضم السودان ، لم تصل الى الجزء الجنوبي للبلاد عدا المناوشات التى سبق ذكرها .(٣) والتى لامست الأطرف الشمالية لتلك الجهات ،وكانت بعض الفرق النظامية التى انشأها محمد علي وقت ذاك والتى يقوم بالاشراف على تدريبها اوربيون ، كانت تتضمن اعدادا من الزنوج بين صفوفها ، بينما كان الضباط من الاتراك قبل أن يتم بروز اتجاه جديد في تشكيل تلك القوات ، يرمى الى تطعيمهم بنفر قليل من ضباط الصف المتفوقين ، بعد أن يتم منحهم رتبة ضابط .(٤) وعليه فانه لم يكن

---

(١) مجهول ، على تخوم العالم الاسلامي ، ص ٤٥ ، أبو على ، أحمد بن الحاج، مخطوطة كاتب الشوقة ، ص ٩٢ .

(٢) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٤٦،ط٣، الخرطوم ١٩٧٥ م.

(٣) راجع من هذه الدراسة ص ١٧ .

(٤) مجهول ، على تخوم العالم الاسلامي ، ص ٤٥ .

للسودانيين من العرب أي دور في الجيش النظامي ، وذلك حتى عـــــام (١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧م)(١) .

فمن المحتمل أن يكون انضمام تلك المجموعات من عناصر الزنـــــوج الى قوة المشاة في تلك الفرق النظامية لقوات محمد علي باشا ، قد تـــم في تلك الفترة نتيجة لوصول الحملات الى الاطراف الشمالية لتلك الجهات .

أما أول اتصال رسمي مباشر بمنطقة الجنوب فقد حدث ابان محـــاولات استكشاف منابع النيل في عهد محمد علي في عام (١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩م) وسأبيـن ذلك الامتداد ونتائجه في المبحث القادم .

ومن الجدير ذكره أن امتداد ادارة محمد علي الى السودان قـــد حققت الوحدة للسودان الحديث ، حيث ساد النظام والاستقرار معظم أجزائـــه كما أنه لأول مرة تنتظم تحت حكم واحد كل بلاد النوبة وسنار ودارفـــور وكردفان ، ومناطق البحر الاحمر ، ثم مناطق الجنوب فيمابعد ، يشهـــد بذلك التحسينات التي آدخلت في طرق المواصلات والري واستجلاب أنـــواع جديدة من المحاصيل ، ثم اتساع التجارة نتيجة لما تحقق من حرية التنقـل بين تلك البقاع ، مما مكن السكان من التمازج والاختلاط (٢).

---

(١) مجهول ، على تخوم العالم الاسلامي ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية فـــي السودان ، ترجمة هنرى رياض ، ص ٢١ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٢م .

وقد ساعد ذلك الوضع على ترسيخ نشر الاسلام واللغة العربية في الشمال ، الأمر الذى لم يحدث في الجنوب ، ويبدو أن الاستعمار كان لايرغب أن يحدث فيه ماحدث للشمال من توجه اسلامي وعربي حيث وضعت القوى الاستعمارية يدها عليه فيما بعد عن طريق الاداريين الأوربيين الذين مهدوا الطريق للاستعمار المباشر ، فتم بذلك ابعاد كل المؤثرات الاسلامية والعربية من الوصول اليه عدا القدر اليسير الذى استطاع أن يجتازالعقبات الطبيعية والمفتعلة منها من قبل المستعمرين . وقد ظل الجنوب متاخرا عن الشمال خاصة في فترة الحكم البريطاني ، الذى كان لاهم له سوى السعي الى فصل هذا الجزء منالبلاد معنويا وسياسيا عن الشمال حتى لايتأثر بالمد العربي الاسلامي القادم من هناك . وسيتبين ذلك فيما يأتي من صفحات.

...

المبحث الثاني

- محاولات استكشاف منابع النيل في عهد محمد على باشا ١٢٥٥-١٢٥٨هـ/١٨٣٩-١٨٤٢م

تعتبر محاولات استكشاف منابع النيل الأبيض التى بدأت في عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م ، من بين النتائج المهمة التى ترتبت على ضمة للسودان ، وقد وجدت بعثات الاستكشاف والرحلات الجغرافية تشجيعا ودعما منه ادى الى وصول العديد منهم الى تلك الجهات (١) . وذلك اتماما للجهود السابقة والتى بذلت لارتياد منابع النيل الأبيض (٢) .

---

(١) الجمل ، شوقي ، تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٤١ .

(٢) بدأ الاهتمام بهذا الامر منذ ايام دولة البطالمة بعد ان استولى الاسكندر المقدومي على مصر فقد انتهت جهود التجار الاغريق في الفترة مابين ٣٠٦- ٣٠ قبل الميلاد الى وضع النيل في نقطة التقاء النيل الابيض بالنيل الأزرق . ويبدو ان هذه الجهود قد توقفت بعض الوقت الى ان جاء عهد الامبراطور الروماني تيرون حيث تحركت بعثة في عام ٦٦م نحو الجنوب تمكنت في نهاية الامر من الوصول الى هذه المنطقة واصطدمت بعقبة السدود حيث كشفت صعوبة تجاوزها ، ويبدو ان البعثة قد تعرضت لبعض المخاطر ادت الى احجام الآخرين عن القيام بمحاولات جديدة ، وفي حوالى القرن الثاني الميلادى اورد المؤرخ اليوناني كلاودس بطليموس اعتقادا مفاده ان النيل الابيض يتبع منطقة الجبال العالية في افريقيا الوسطى والتى يطلق عليها جبال القمر ، ثم توقفت المحاولات مرة آخرى من جهة الشمال ، لتبدأ محاولات جديدة في عصر النهضة الاوروبية الحديثة عندما نشطت حركة الاستكشاف الاوروبي والتى تمت من خلال الشريط الساحلي الذى يدور حول افريقيا ، في القرن الثالث عشر الهجرى ،الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين - عبيد،جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٨-٩، القاهرة ١٩٦٧.

لم تفلح المحاولات الأوروبية والتى شابتها الروح الصليبية (١) في معظم الأحيان لارتياد منابع النيل حتى بدأت محاولات جديدة في عهد محمد على باشا لكشف منابع النيل الأبيض التي ظل يكتنفها الغموض حتى ذلك الوقت • وكان ليبنان دى بلفون Lenant de Bellenfonds المعروف بلينان باشا قد صعد في النيل الأبيض فى عام ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م الى مايلى الخرطوم • كما وصل ابراهيم كاشف فى عام ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م الىمنطقة قبائل الشلك والدنيكا بالقرب من منطقة بحر الغزال (٢) •

---

(١) كان فشل الحروب الصليبية قدرافقه ازدياد فى المعارف الجغرافية للغرب الاوربى حتى في منطقة أفريقيا ، حيث قدم جوانفيل الأوروبي ومنعا عن نهر النيل ومنابعه وكافة فروعه بالاضافة الى خصائص مياهه و فيضانه ، وان كان ذلك الوصف قد جمع بين الخرافة والواقع فانه دليل واضح على اتساع النشاط الصليبي فى ذلك الوقت، وقد يترك تفسيرا يوحى بأن نشاط حركة الاستكشاف فى القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى قد حملت نفس الروح الصليبية الحاقدة على الاسلام قياسا بالنتائج التى تمخضت عنها بعثاتهم الاستكشافية فى افريقيا والتى جعلت معظم اولئك المستكشفين والذين كانوا فى معظم الاحيان من المبشرين ينادون بفتح أبواب أفريقيا للنصرانية ، وطرد المسلمين منها •

عاشور ، سعيد عبدالفتاح ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢١٦ •

(٢) الرافعى ، عبدالرحمن ، عصر محمد علي ، ط ٢ ، ص ١٥٥ ، القاهرة ١٩٤٧ م •

أمر الباشا محمد على ، ابان اقامته فى السودان عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨ م ، سليمان كاشف قائدا برتبة عسكرية للتوجه الى جهات البحر الابيض ، نظرا لاقامته ، ومعرفته بهذه الجهات ، يصاحبه فى هذه الرحلة من التجار ، سليمان الفرنسى ، وخصص لهم مرتبا ومؤنة كما خصص لهم ذهبيتين ، وخمسمائة جندى لمعاونتهم ، فى موسم الفيضان ، وذلك لاستكشاف المنطقة ، والدفاع عن أنفسهم ، كما شرح لأعضاء البعثة أهداف مأموريتها (١) . وعلى الرغم من أن تلك الرحلة لم تسفر عن نتائج ملموسة ، الا أنها بدون أدنى شك قد مهدت الطريق للبعثة التى تليها والتى كانت فى عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٢ م ، تحت قيادة البكباشى سليم قبودان ، والتى أدت الى نتائج باهرة كان لها تأثيرها المباشر على منطقة الجنوب ومنطقة وسط أفريقيا بشكل عام .

---

(١) غير معروف ، رحلة محمد على باشا الى السودان ، ص ٥٣ ، تحقيق حسن أحمد ابراهيم ، الخرطوم ، ١٩٨٠م .

ويبدو أن جهود محمد على باشا التى أدت الى قيام ثلاث حملات بقيادة سليم قبودان والتى توغلت فى النيل الأبيض حتى منطقة السدود ، قد خرجت بنتائج طيبة نالت استحسان الدوائر العلمية فى أوربا أيضا .

وقد رافق سليم قبودان فى هذه الرحلة ، مساعد رائد يسمى أحمد قبودان ، وكان سويدى الأصل ، وأسندت اليه مهمة ، الاهتمام بالجانب العلمى للحملة باعتبار أن هدفها الأساسى هو استكشاف منابع النيل الأبيض ، كما صاحبهم فى الرحلة نقيب بحرى يدعى فيض الله قبودان ، تلقى تعليمه فى بريطانيا (١) . وتأتى اهمية هذه البعثة فى كونها الخطوة التى قادت الى أن يستكمل بقية مراحل الكشف عناصر أوربية وبريطانية ، هذا فضلا عن أنها ربطت منطقة الجنوب بالعالم الخارجى ، وأتاحت للعديد من الاوربيين مرافقة هذه البعثات للوقوف على أحوال المنطقة ثم

---

(١) مجهول ، على تخوم العالم الاسلامى ، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

تسجيل ملاحظاتهم ودراساتهم عنها في يسر وأمان (١) .

وقد جاء الاهتمام بها اضافة لما ذكر على أنها مدخل لنفوذ الادارة البريطانية الذى مهد لسياستها في هذه المنطقة من السودان .

الحملة الأولى :

بدأت الحملة الأولى سيرها في ١٦ نوفمبر من عام (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) ، وتكونت من ٤٠٠ جندى وثمان مراكب مسلحة وخمسة عشر مركبا ، بها من المؤن والذخائر مايكفي لمدة ثمانية أشهر. وقد رافق سليم قبودان في هذه الحملة شيبو Thibaut الفرنسي الذى اشتهر باسم ابراهيم أفندى . ووصلت الحملة الى بلدة (العنيسى) جنوب الخرطوم .

وكانت عقبات طبيعية في النيل الابيض قد حالت دون تقدم الحملة فعادت الى الخرطوم في ٣٠ مارس من عام (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م) بعد أن تقدمت قليلا في نهر السوباط من جهة الشرق (٢) .

---

(١) نشرت الجمعية الجغرافية في باريس تقريرا عن حملة سليم قبودان الاولى في النيل الابيض في مجلتها الدورية في العدد الصادر في يوليو سنة ١٨٤٢م وهذا يؤكد لنا مدى الاهتمام الذى توليه أوربا بهذه المنطقة .

رياض زاهر ، السودان المعاصر ، ص ٨٢.

(٢) عبدالرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، ص ٢٠٢.

وبالرغم من أن هذه المحاولات لم تبلغ المنابع الرئيسية للنيل الا أن النتائج التي ترتبت على القيام بها كانت كثيرة نذكر منها مايلي :

١ - تمثل محاولات استكشاف منابع النيل ، واختراق منطقة السدود ، التي تمت في عهد محمد علي باشا تحولا كبيرا في تاريخ جنوب السودان ، حيث تم فتح الباب واسعا ، لتبدأ مرحلة التأثير الحضارى ، كنتيجة لتلك الحملات المنظمة التي أفلحت في اختراق عقبة السدود ، وان لم يحالفها الحظ في الوصول الى منابع النيل ، كهدف منشود للتعرف على عادات الشعوب هناك وربطها بالدولة الجديدة ، واستكمال خرائط المنطقة ولادخال هذا القطاع من الجنس البشرى في المدنية والحضارة (١) .

٢ - هيأت هذه الحملات معبرا جديدا للمد العربي الاسلامي ، الى وسط أفريقيا ، وطريقا للاتصال بين طرفي وادى النيل ، لم يكن مستغلا من قبل ، حيث كان موصدا بسبب عقبة السدود المستعصية وبعض الموانع الطبيعية الاخرى ، أما الطرق البرية فلم تكن تكفي فلاتصال الحضارى الواسع بجنوب السودان ، نتيجة لوجود الغابات الكثيفة والمستنقعات الآسنة .

٣ - هذه الحملات مهدت السبيل لحملات استكشافية آخرى بامكانيات أفضل ، تمكنت فيما بعد ، وبفضل المساعدات التي قدمها الخديوى

---

(١) تقرير جومار فى نصر ، السيد يوسف ، الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى أفريقيا ، ص١٠٧ ، عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١ - ١٢ .

اسماعيل ، حيث تم استكمال الجهود التي كان ينشدها محمد علي باشا ووصلت حدود دولته الادارية في الجنوب الى منابع النيل في المناطق الاستوائية .

٤ ـ أثارت هذه الحملات بما جمعه رجالها من معلومات ، اهتمام الشركات التجارية ، والهيئات العلمية في أوربا ، بما ذكر من خيرات وثروة البلاد الواقعة في أعالي النيل ، كما أثارت اهتمام الهيئات الدينية والتنصيرية ، الأمر الذى ترتب عليه وصول البعثة الكاثوليكية التنصيرية في عام (١٢٦٣ هـ / ١٨٤٧م) الى جهات النيل الاعلى في بحر الجبل وحول غندكرو والسوباط لتأسيس مراكز التنصير بين الزنوج(١) .

٥ ـ فتحت هذه الحملات النيل الأبيض والسودان الجنوبي بشكل عام للملاحة والتجارة ، فبدأت تجارة النيل الأبيض ، والتي اتسع نطاقها فيما بعد ، في الازدهار والنشاط ، حتى أن بعض المغامرين الأوربيين بدأوا محاولاتهم لاستغلال هذا لاميدان التجارى الجديد ، وانتعشت الاسواق الاوربية في تجارة العاج الابيض ، واتجهت لتصنيع العاج في كرات البليارد واصابع البيانو ، ومقابض المظلات ، وغيرها من أدوات الترف (٢) .

---

(١) مجهول ،على تخوم العالم الاسلامى ، ص ٣٨ . عكاشة ابراهيم ،التبشير النصرانى فى جنوب سودان وادى النيل ، ص ٣٨ دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٩٨٢م .

(٢) بخيت ، جعفر محمد غلى ،الادارة البريطانية ، ص ٢١ .

٦ ـ تبين لي أن الحملات الثلاث التي قام بها سليم قبودان نحو الجنوب في النيل الأبيض لم تتسبب في أى متاعب تتعلق باثارة الأهالي ، والاشتباك معهم مقارنة بما حدث من الحملات التي أشرف على قيادتها بريطانيون والتي تورطت في معارك واشتباكات دامية مع الأهالي كما حدث فيما بعد[1] .

٧ ـ نتيجة للحملات التي قام بها سليم قبودان ، وما نشر عنها في أوربا أيدت بريطانيا وغيرهامن الدول الأوربية اهتماما كبيرا بمشروع استكشاف منابع النيل الأبيض ، ومنطقة جنوب السودان ، وقد تجلى ذلك في نشاط الهيئات والمؤسسات الرسمية والشعبية بارسال البعوث الجغرافية التي بدأ يتوالى وصولها الى المنطقة .

ففي عام (١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦م) قامت وزارة الخارجية البريطانية وشركة الهند الشرقية ، والجمعية الجغرافية الملكية * ،بجمع التبرعات

---

(١) راجع فيما بعد المبحث الخاص بدور المستكشفين والاداريين الاوربيين ، ص ١١٣/١١٤.

* الجمعية الجغرافية الملكية : كانت تعرف بالجمعية الجغرافية فقط، وعنيت بالكشف في الأجزاء الداخلية من أفريقيا ، ثم اقتنعت الحكومة بجهود هذه الجمعية ، فرأت ضرورة مساعدتها بتمويل رحلات الكشف الافريقية نظرا لاهميتها ، وتكلفت بدفع نفقات العديد من الرحالة في منطقة غرب افريقيا ، ثم تحولت بعد ذلك الى الجمعية الجغرافية الملكية ذات الصيت الواسع والنفوذ ، بعد أن أعانتها الحكومة البريطانية ، وأضفت عليها تلك الصفة الملكية ،ولم يكن يتولى رئاستها الا من استطاع ان يصل بسهولة الى الوزراء ومصالح الحكومة المختلفة ، وهي التي عنيت بالكشف في منطقة أعالي النيل والبحيرات الاستوائية أيضا .

، وجون فيج ، موجز تاريخ أفريقيا ،ترجمة دولت احمد صادق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون تاريخ ص ١٣١

اللازمة بغرض دعم وتشجيع البعوث الجغرافية للقيام برحلات الاستكشاف شرق آفريقيا ، ثم أعقب ذلك قدوم عدد من النساء الهولنديات الى غندكرو في عام (١٢٧٨ هـ / ١٨٦١م) ، وفي العام التالي وصل كل من اسبيك وجرانت المستكشفان البريطانيان بمساعدة الجمعية الجغرافية الملكية في بريطانيا الى منطقة غندكرو في جنوب السودان (١) .

ومن ناحية أخرى فقد وصل ج. باثريك بريطاني J. Petherick الى منطقة بحر الغزال وطاف بها وذلك في سنة (١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م) (٢).

ويبدو أن المعلومات التي تم الحصول عليها من جراء هذا التكالب المحموم على تلك المناطق ، قد لفتت انتباه الاوربيين ، الأمر الذى دفع المنصر والرحالة د. لفنجستون D.Livingstone الذى تجول في شرق ووسط أفريقيا في منتصف القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى الى آن ينادى في بريطانيا بفتح طريق للتجارة وطريق للمسيحية عبر النيل (٣) .

---

(١) والتقيا صمويل بيكر وزوجته عندما جاء ليستمتع بصيد الوحوش الكبيرة . مورهيد، آلان ، النيل الابيض ، ت: بدر الدين خليل ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ٦٩.

(٢) بشير، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٣٣ .

(٣) Gray R.: A history of the Southern Sudan, P.78
O.V.P., London ,1961.

وبذلك يكون النفوذ البريطانى قد بدأت صلته المباشرة بالمنطقة في ركاب المستكشفين وبعثات التنصير والرحالة ، الذين تواصل وفودهم الى هناك عقب نشر نتائج الرحلات المنظمة التي تمت في عهد محمد علي باشا في النيل الابيض ، والتي دعت كتاباتهم الى وصول الاوربيين الى هذه الجهات وامتلاكها ، وهي أفكار استعمارية ماكان ينبغي آن تصرح بها الوفود التي جاءت للكشف الذى روج له ادعاء أنه كشف علمي (١) .

---

(١) راجع فيمابعد المبحث الخاص بدور المستكشفين والاداريين الاوربيين ، ص ٩٠ – ٩٨ .

المبحث الثالث

– تجارة الرقيق في اطارها المحلي والعالمي :

أتناول في هذا المبحث موضوع تجارة الرقيق على النطاق المحلي والعالمي بوصفها مدخلا للنفوذ البريطاني في جنوب السودان ومنطقة أعالي النيل ، فضلا عنها أنها القضية التي حاول من خلالها النفوذ البريطاني اثارة الفتنة بين الشماليين والجنوبيين في السودان ، عندما ادعى بأن الشماليين العرب المسلمين هم الذين كانوا يتاجرون بالرقيق في الجنوب (١).

وتعتبر تجارة الرقيق من أهم الظواهر التاريخية التي مرت بها البشرية في القرون الماضية ، والتي يجب الوقوف عندها ، لتوضيح الحقائق والافتراءات التي قصد بها الدعاية والتشويه لتأجيج نيران الحقد والبغضاء بين الشعوب ، لاسيما وقد اتهم العرب والمسلمون وحدهم بهذه التجارة ، التي لم تسلم منها آمة من الأمم ، مما ترك آثارا خطيرة بالنسبة لمسار العلاقات العربية والافريقية على الصعيد العالمي (٢) .

وهناك من يرى أن الآثار موجودة ولكنها غير ظاهرة لأن الأجيال الحالية من الافريقيين لم تشاهد الممارسات المتعلقة بالرق بأعينها ولكن المسألة تستغل من بعض القيادات والنخب الافريقية عند اللزوم ، ولذلك فان الأمر يتطلب الفعالية بهذا الموضوع للرد على

---

(١) Gessi R., Seven Years in The Sudan , P. 199 , Marston and Company ,London 1968 .

(٢) للمزيد راجع حسن ، يوسف فضل ، " الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية " ص ٣٢ ، ندوة العرب وأفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م .

أولئك المروجين ، كشف الحقائق التاريخية خاصة وأنهم قد كثفوا جهودهم في استخدام وسائل الاتصال الجماهيرى في أفريقيا نحو هذ الاتجاه ،بما في ذلك جملة من الأفلام السينماشية المنتشرة في أفريقيا والتي تشوه صورة العرب المسلمين ، بشكل يقصد منه الاساءة إليهم ، ثم تبرئة أنفسهم من [تحرن] التهمة التي يشهد عليها التاريخ كما يشهد عليها الواقع حتى اليوم ومن الموسف حقا أن يتهم المسلمون والعرب دون غيرهم بتلك التجارة في وقت كانت فيه تجارة الرقيق ظاهرة عالمية ،شاركت فيها قطاعات عديدة من اليهود والمسيحيين والأوربيين بما في ذلك الافارقة أنفسهم (١).

ومع ذلك فان المسلمين والعرب بصفة عامة ، كانوا اكثر رحمة وانسانية برقيقهم وفقا لتعاليم دين الاسلام ، وهذه بشهادة الأوربيين أنفسهم.

حيث ذكر الكاتب البريطاني بازل دافسون Basil Davidson مشيدا بدور العرب في هذا الامر فقال : (لم تكن تجارتهم للرقيق بأبشع من تجارة الاوربيين ، وقد اتخذت تكآة لرميهم بكل منقصة ... ولعل من محامد العرب في هذا الباب ، أن العلائق بينهم وبين رقيقهم كانت انسانية الى حد بعيد) (٢).

---

(١) حسن ،يوسف فضل ، " الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية" ص ٦٠ – ٦١ ، ندوة العرب وأفريقيا .

(٢) دافيدسن ، بازل ، أفريقيا تحت أضواء جديدة ، ص ١٢٨ ، ترجمة جمال محمد أحمد ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، الخرطوم ، بدون تاريخ .

ويحضرنا في هذا المقام أن نشير الى ماقرره الاسلام في مبدأ الأخوة الاسلامية لكافة البشر ،حيث قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (١) .

وهكذا فقد جعل الاسلام ميزان التقوى لكل البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، وتباين فئاتهم ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل التقوى في الحديث التالي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى : " وأنه لافضل لعربي على أعجمي ،ولا لأعجمي على عربي ، ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود الا بالتقوى "(٢) .

ولذلك قرر الاسلام على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مبدأ المعاملة الحسنة للرقيق حيث جاء في الحديث :

روى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿اخوانكم خولكم ملكهم الله اياكم ، فمن كان أخوه تحت يده ،فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس ، ولاتكلفوهم من الأعمال مالايطيقون فان كلفتموهم فأعينوهم ﴾(٣) .

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) بن حنبل ، الامام أحمد ، المسند ، ج ٥ ص ٤١١ دار صادر بيروت ، بدون تاريخ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ،ج ١ ،ص ٨٤ ، نشر ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، بيروت ، بدون تاريخ .

ونتيجة للدعاية المضللة والتشويه الكاذب المتعمد ، من قبل المستعمرين والمبشرين النصارى الأوربيين ، ظهرت نتائج خطيرة بين أبناء الدول التي تضم سلالات من العرب والافارقة في اطار وطني واحد، من دول أفريقيا كالسودان مثلا ، في وقت كانوا فيه جميعا ضحايا للمستعمرين والمنتفعين من المبشرين من هذه الدعاية المضللة وذلك التشويه الممجوج ، حيث تم استغلال موضوع الرق أسوأ استغلال .

ومشكلة جنوب السودان التي نحن بصدد الحديث عنها ماهي الا ثمار لهذه السياسة الرعناء ، بغرض تعميق مايعتقد أنه جفوة بين أبناء الجنوب بوصفهم من المتزنجين ، وبين أبناء الشمال بوصفهم من المستعربين ، حيث تم استغلال التباين العرقي ، ثم زجوا بالدين ليتوهم البعض أنه خلاف بين المسلمين العرب وغيرهم ، بهدف تحقيق أغراضهم الماكرة ، في الوقت الذى لم يكن فيه الدين ، هو القضية في واقع الامر ولكن آدخل الدين لتوجيه ذلك التباين نحو خلاف مزعوم ، ويقول مدثر عبدالرحيم :

(ان المستعمرين والمبشرين "النصارى الأوربيين لم يكتفوا بمجرد تشويه الحقائق ، بل عكفوا على وضع تفاصيل لها أكثر تشويها ، خاصة في الكتب والمناهج المدرسية ، وذلك " بمعزل عن الظروف التاريخية التي وقعت فيها ، وبتركيز متحيز يظهر العرب المسلمون وكأنهم هم وحدهم المسؤولون عن تجارة الرقيق ، في الوقت الذى اغفلوا في كتاباتهم التي استهدفت الدعاية لا التاريخ الموضوعي للمسلمين العرب - تأصل الرق في ممارسات السكان المحليين ، قبل دخول العرب تلك الديار ،وبينما هم جاءوا رافعين شعار محاربة الرق ، فقد سكتوا عن الادوار الهمجية

التي لعبوها ولعبها آسلافهم في تلك الميادين نفسها ‌) [1] ٠

في الصفحات التالية سأوضح تجارة الرقيق في اطارها المحلي وكذلك هذه التجارة في الاطار العالمي لكشف دور الاوربيين البشع في هذا المجال في فترات سابقة من التاريخ ٠

---

(١) عبد الرحيم ، مدثر ، " نظرة أفريقيا للصراع العربى الاسرائيلى "، ندوة العرب وأفريقيا ، ص ٣٩٠ ٠

(أ) الرق في اطاره المحلـــــي :

كانت تجارة الرقيق في جنوب السودان ، محصورة ضمن النظـــــــام التقليدى للحياة القبلية ، حيث كان الرقيق يبتاعون من قبائل صديقـــــة ، بعد أن تم آسرهم خلال الغزوات والحروب القبلية (١).

وربما كان هذا هو المصدر الأساسي والاسلوب الشائع في آغلب الأحيـــان كطريقة لامتلاك الرقيق ، وعلى آية حال فان الرق آنذاك لم يكن أكثــــــر من عمليات متوارثة ، منذ عهود بعيدة الأمد كان يمارسها الزعمــــــاء القبليون وغيرهم من أصحاب السلطة والقوة في الجنوب (٢) .

والمعروف أن طبائع الناس في تلك الفترة تختلف في نظرتها الـــى الرقيق على أنه متاع ، هذه الحقيقة عبر عنها الكاتب الصحفي الاوربــــي آنتوني سلفستر على أنها نظرة لا أصل لها في بلاد الشرق حيث قـــــال: " تلك النظرة آخذناها نحن الاوربيون من القانون الروماني "(٣) .

وهي مقولة قد تكون صادقة الىحد كبير ، لان تلك النظرة لاوجود لهـــا في المجتمعات البداثية ، حيث يمارسون حياتهم الطبيعية مع القبيلـــــة التي اقتادتهم ، يشاركون في الدفاع عنها ، وكذلك يقومون علـــى الأرض فيزرعونها ، الى غير ذلك من ضروب الحياة والبقاء وهم في ظل الـــرق

---

(١) Gray , R. A history of The Southern P. 45 .

(٢) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، تاريخ وحضارات السودان ، ص ١٧ ، ط ٢ المكان بدون ، ١٩٧٢م .

(٣) سلفستر ، آنتونى ، السودان فى عهد نميرى ، ترجمة مبارك بابكـــر الريح ، ص ٢٧ ، الخرطوم ، ١٩٧٩م .

بشيء من الرضا والقناعة : مما يدل على اندماجهم الكامل في المجتمع الجديد (١) .

هذه هي الصورة التي كان عليها الرق في الجنوب قبل أن يطل على العالم الخارجي بشكل واسع . بل قبل آن يتدخل الاوربيون أصحاب الشركات التي اتخذت من الرق تجارة رائجة (٢) .

الرق في بلاد الشرق عامة وفي تلك الفترة كان في أحسن حال أكثر مما كانت عليه حالته في الغرب ، والدليل على ذلك ما أورده الرحالة الاوربي الذي تمكن من زيارة بعض بلاد الشرق والنوبة والسودان عام ١٢٢٤-١٢٣٣هـ/ ٩ - ١٨٠٧ م جون لويس بركهارت* John Lewis Bruckhardt ان المعاملة التي يلقاها الرقيق من التجار ، أقرب الى الرقة ،وكانوا يعاملون على العموم لدى سادتهم ، معاملة الابناء ، فينادى العبد سيده (آبوى) وقلما يجلدون أو يضربون ، ويتناولون طعاما حسنا ، ولايرهقون بالعمل ، وكان يتلطف معهم في الحديث ، وكان العرف الجارى عدم

---

(١) Gray. R. , Ahistory of The Southe rm P. 106 .

(٢) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٨٤

* ولد بركهارت في مدينة لوزان بسويسرا وقد جاء الى لندن بعد دراسة الجامعة في ليبزج ثم استهوته فكرة السفر والرحلات الى افريقيا حيث كانت تقوم بها جمعيات تبشيرية ،فقدم بركهارت الى جمعية African Association التي ترسل متطوعين الى الجهات المجهولة في بعثات دينية . زار مكة وجدة وتوفى في القاهرة .
الجمل شوقي ،تاريخ سودان وادى النيل ،ج ٢ ، ص ٢٧٤.
غير معروف ، المنجد في اللغة والاعلام ،دار الشروق ،بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ١٢٦ / ١٢٧.

الفصل بين الجارية وابنها الصغير [١] . ويعلق على ذلك آلان مورهيد فيقول : (ولكن الحقيقة في اعتقاد بيركهاردت أن الرق في مصر وبلاد العرب على السواء لم يكن بشعا الا بالاسم فقط ، فقد كانت ثمة فرص كبيرة جدا في هذين القطرين امام العبد كي يظفر بحريته) [٢] .

ولاشك أنها شهادة تظهر الحقيقة الناصعة عن موقف العرب المسلمين من التعامل مع الرق باعتباره واقع وجد آصلا بفعل الظروف القاهرة ، كالحروب مثلا ، حيث تم التعامل معه برفق ، وفق فقرات العتق التي يسرها الاسلام ، والتي تعمد الكاتب اغفال الاشارة اليها بصراحة .

- جنوب السودان قبل امتداد الادارة التركية :

كانت مناطق الجنوب في اعالي النيل والاستوائية ،لم يتم ضمها بعد الى الادارة التركية ، حيث توقفت حملات محمد علي باشا على أطراف البلاد الزنجية ،وبالتالي فان جنوب السودان كان لم يتم اخضاعه بعد لسلطة الحكومة في مصر ، وانما كانت الطلائع الأولى لهذه السلطة ، متمثلة في حملات الاستكشاف التي قادها البكباشي سليم قبودان ، قبل نهاية النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى كما أسلفت .

---

(١) جون لويس بيركهارت ، رحلات بيركهارت في بلاد النوبة والسودان ، فؤاد اندراوس ، مطبعة المعرفة ، تحقيق الشاطر بصيلي ،ص ٢٥٧ .

(٢) آلان مورهيد ، النيل الازرق ، ص ٢٢٢ .

وعن هذه الحملات أيضًا ، فقد كان يتم التبادل التجارى بينها وبين قبائل الجنوب ومنهم قبيلة البارى ، حيث ورد أن الرحالة الفرنسي برون روليه Brun Rollet الذى رافق احدى الحملات ، انهم كانوا يلتقون بتجار ذوى بشرة حمراء ولحى طويلة ناعمة ، يعتقد أنهم جاءوا من زنزبار لشراء سن الفيل مقابل الخرز وأساور النحاس الأصفر .

وفي هذا القول اشارة الى وجود عناصر عربية في منطقة الجنوب ، حيث توجد هناك ثلاثة مسالك برية يمكن أن تؤدى الى منطقة أعالي النيل والاستوائية ، ويبدو أن القادمين العرب قد استخدموها للوصول الى منطقة الجنوب وهي :

أ ـ طريق الساحل الشرقي لأفريقيا حيث كان يتحتم على المهاجرين المرور عبر المناطق الجنوبية من أثيوبيا (١) .

ب ـ المسالك البرية والدروب من الشمال عبر الغابات الكثيفة والمستنقعات قبل أن يصبح النيل الابيض صالحا للملاحة .

جـ ـ أما من جهة الغرب فان سهولة الاتصال بين حوض بحر الغزال وبين اقليم دارفور ، ووجود أودية قادت خطى المهاجرين من جهة الى أخرى كانت سببا في انتقال هجرات بشرية بين المنطقتين وصلت الى شرق الكنغو وهضبة البحيرات من جهة الجنوب (٢) .

---

(١) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، تاريخ وحضارات السودان ، ص ١٤/٣٩٥ .

(٢) محمد ، محمد عوض ، السودان الشمالى ، ص ٢٦٥ .

فبالرغم من أن دخول العرب المسلمين الى مناطق الجنوب كان محدودا بالنسبة لما حدث في الشمال من السودان ، فقد تشكل عبر مناطق عديدة نتيجة للتطورات التي لازمت تلك الفترة .

ومع ذلك فان هؤلاء العرب المسلمين كانوا حريصين على عدم القيام بنشر الدعوة الى الاسلام بين الافريقيين عن طريق الدعاية وآسلوب التبشير المصطنع بطريق مباشر ، وانما تركوا الامر للعقل الباطني والايحاء ليلعب دوره في ايقاظ الضمير (١) . مما أوجد نسبة من المسلمين في الجنوب بقيت لممارسة النشاط التجارى الذى كان يتخلل المنطقة في ذلك الوقت .

- التجار الأوربيون في الجنوب :

كانت منتجات الجنوب من ذهب وسن فيل ،وجلد نمر ،وخشب آبنوس بالاضافة الى ريش النعام هي آهم السلع التي أدت الى انتعاش حركة التجارة في جنوب السودان (٢) .

حيث ظلت مناطق الجنوب تشهد نشاطا متزايدا ، مع تزايد حركة انسياب السلع التجارية الى آن حان وقت وصول الاوربيين من المستكشفين والمبشرين النصارى والتجار . وذلك عقب نجاح بعثات البكباشي سليم قبودان في اجتياز منطقة السدود في عام (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م) (٣) .

---

(١) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، تاريخ وحضارات السودان ، ص ١٦ .

(٢) Gessi R., Seven Years in The Sudan , P. 81 .

(٣) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٨٤ .

وكانت الشائعات قد أطلقت في اثر تلك البعثات ، عن غنى أقاليم السودان الجنوبي ، حيث اعتادت الحكومة القيام بحملات تجارية لجلب حاصلات تلك المناطق ، مما حفز التجار والمغامرين من الاجانب الأوربيين - وأعطاهم الأمان والاطمئنان - لارتياد تلك البقاع التي يمكن أن تعود عليهم بالثراء اذا استخدموا مهارتهم التجارية في مبادلة سكان أعالي النيل عاجهم بما هو تافه وزهيد من منتجات العالم الغربي (١)

وقد ترتب على النجاح الذى أحرزه بعض التجار الاوروبيين في هذا المجال الى اندفاع غيرهم ، ساعد في ذلك اطلاق حرية الملاحة في النيل الابيض بعد عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م (٢) .

وقد أدى الاقبال المتزايد من التجار لمناطق الجنوب أن تستنفد بعض هذه المناطق طاقتها الانتاجية للعاج وسن الفيل ، وهي أهم السلع التجارية بالجنوب ، وتعرضت بذلك هذه التجارة للخسارة ، مما دفع التجار الى التحول الى التجارة في الرقيق على أنها البديل المعوض لتلك الخسارة ، حيث تبين لهؤلاء التجار أنها أكثر ادرارا للثراء والغنى من صيد الفيلة والتجارة في سنها (٣) .

---

(١) مجهول ، على تخوم العالم الاسلامى ، ص ٩١ .

* كانت منتجات العالم الغربى تتمثل ، السلاح والخمور والملابس ، والطعام ، وغيرها Gessi R. ,Seven Years , P86 .

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ص ١٢ .

(٣) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٤٨ ، شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٨٤ .

ويبدو أن الاقبال من التجار على ممارسةهذا النوع من التجـــارة والخروج بها الى نطاق أوسع مجالا من منطقة الجنوب قد دعمته عوامـــل أخرى كان أبرزها ممارسة القبائل المحلية في تلك المناطق لهذه العادة حيث كان يتم الاستيلاء على الرقيق ،عندما تغير القبائل القوية علـــى القبائل الضعيفة وتأخذ منها الاسرى بغض النظر ان كانوا من السمـــر أو السود [١] . وبعد ذلك يتم بيعهم الى أحد التجار المحليين ، الـــذى يقوم بدوره ببيعهم الى التجار الأجانب .

وكان من أشهر تجار الرقيق فيالجنوب ، أحد رؤساء قبيلة الزانـــدى في بحر الغزال ويدعى (موبوى) ويبدو أنه قد باع من الرقيق آلافـــا تحصل عليهم من القبائل التي استطاع هزيمتها في الغارات والحروب التـي كان يقوم بها على جيرانه من القبائل الأخرى في الجنوب [٢] .

وعندها بدأت تجارة الرقيق تأخذ شكلا آخر ، أكثرتطورا واصـرارا من جانب التجار الأجانب .

وقد ساهم في ذلك عجز الادارة التركية في السيطرة على حركـــة التجارة وضبطها بالصورة المناسبة التي تضمن تنفيذ الأوامر الصـــادرة من السلطات العليا في الحكومة التركية .

وذلك نتيجة لبعد مراكز هذه التجارة في الجنوب ، فضلا عن عدم توفـر الوسيلة السريعة للمواصلات ، الأمر الذى جعل اشراف القاهرة على مايحدث

---

(١) مجهول ، على تخوم العالم الاسلامى ، ص ٧٦ ــ ٧٧ ، بشير ، محمد عمـر ، جنوب السودان ، ص ٣٤ .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨، Gray R., Ahistory of the Southern , P. 68 .

في الجنوب أمرا في غاية الصعوبة (١)

ومن ناحية أخرى فقد اشتط تجار الرقيق في الاستغلال وانتهاك أبسط المبادىء الانسانية ، وبدآ الاضطراب يسود معظم جهاتها حيث انعكس ذلك على أوضاعها الاقتصادية البدائية ، بعد أن آصابها الانهيار والتفكك والضعف .

وذلك لأن تطورا آخر قد حدث ، حينما كون تجار الرقيق قوة خرقت القانون والنظام (٢)،حيث كانت التجارة في هذه الاماكن احتكارا حكوميا وقد سبب ذلك خلافا بين التجار الاجانب والحكمدار عبداللطيف باشا ١٢٦٦/١٢٦٧هـ - ١٨٤٩/١٨٥٠م. لأنه كان يقيد التجار ولايسمح لهم بأي تجاوزات (٣)

والراجح في هذا الأمر أن التجار الاوربيين بما/يملكون من رؤوس أموال كبيرة ، قد آقاموا مراكز تجارية لهم في مناطق الجنوب المختلفة ، يعاونهم في ذلك فئات مختلفة من المستأجرين والاعوان ، ويبدو أن الارباح التي/يجنونها من هذه التجارة قد دفعتهم لاستخدام العنف والقسوة ، من أجل الحصول على الماشية ، التي سيتم استبدالها في نهاية الامر من القبائل بالعاج ، حيث يترتب على ذلك وقوع عدد من أفراد القبائل الجنوبية في الاسر ، ليصبحوا رقيقا فيما بعد تحت رحمة التجار الأوربيين (٤) .

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٧٦ - ٧٧ ، طوسون ، مديرية خط الاستواء ،ج ١ ، ص ١١ .

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١٣ ، مجهول ، على تخوم العالم الاسلامى ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٣) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٦٧ .

(٤) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٣٥ Gessi R., Seven Years P. 211 .

وقد اشتهر من هؤلاء الاوربيين في ممارسة تجارة الرقيق في تلك الفترة مجموعة برز منهم دى بونو De brono واميلى Ambile وهما مالطيان نال كل منهما الجنسية البريطانية ووجد الاول منهما سندا قويا من بريطانيا حينما وجهت اليه التهمة بالمتاجرة في الرقيق فلم يقدم الى المحاكمة (١) .

وقد اشتهر أيضا بالنخاسة* ملزاك Malzac الفرنسي وكان صاحب اقطاعيات واسعة في بحر الغزال حيث جعل من مدينة رمبيك بجنوب السودان مركزا هاما لتجارته ، بالاضافة الى باثليمي Barthlemy ولافارج Lafargue الفرنسيين والاخوان بونسيه Poncet ومع هؤلاء ظهرت أسماء كثيرة من الاعوان مثل آحمد وموسى العقاد، والبصيلي ، وأبوعمورى وغيرهم من العرب (٢) .

وكانت منطقة الجنوب قد وجدت اقبالا متزايدا من بعض العناصر الأجنبية التي استغلت تلك الفرصة .

وذلك بدخول الليفانتينيين * مع الاوربيين السودان لممارسة صيد الفيلة ، وجمع العاج ثم المتاجرة في الرقيق . وقد احتمى معظم هؤلاء الاجانب بالامتيازات الاجنبية التي كانت تتمتع بها دولهم

---

(١) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٧٢

Gessi R, Seven Years ,P213.

شكرى ، محمد فؤاد ، مصروالسودان ، ص ٨٥

(٢)

Gray R. Ahistory of the southern, P.54. Gessi R. seven years P.213.

* العمل بتجارة الرقيق .

فصارت أعلام تلك الدول ترفع على مراكبهم ومراكزهم في داخلية البلاد حتى لاتتعرض لها السلطات الحكومية ، فتعيق بذلك تحركاتهم في هذا المضمار [1] .

ويبدو أن التخلي عن ظاهرة جلب الرقيق من الجنوب بالنسبة لهؤلاء التجار الاجانب قد اضحت أمرا من الصعب الاستغناء عنه . وبهذه الطريقة فقدت مناطق متعددة من الجنوب معظم معالم الاستقرار ، وضربت الفوضى أطنابها في أرجاء الجنوب . في الوقت الذى حاولت فيه السلطات الحد من نشاط هذه التجارة والسيطرة عليها .

- موقف السلطات التركية من تجارة الرقيق المحلية :

لقد كانت المتاجرة بالرقيق في أواخر عهد محمد علي باشا ممنوعة ولم يكن هذا المنع الا اسميا [2] . وبقيت تلك التجارة قائمة في جنوب السودان ، لأن السلطات لم تقم باتخاذ تدابير كافية للحد من تحركات التجار ونشاطهم ، في تلك الجهات نتيجة لعدم خضوعها لسلطة الحكومة ، من جهة ، ولتساهل بعض الموظفين والاداريين في تلك الادارة بالسودان ، من جهة أخرى [3] ، الأمر الذى مكن التجار من تصريف تجارتهم ، وتجاوز القانون والنظام .

---

(١) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٥٠ . عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٧٣ - شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٨٣ .

* نسبة الى ليفانت Levant ويقصد بهم الشرقيون فى ساحل الشام الذى يضم السوريين واللبنانيين المسيحيين . البعلبكى ، مشير ، المورد ، ص ٥٢٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤م .

(٢) الرافعى ، عبد الرحمن ، عصر اسماعيل ، ج ٢ ، ص ١٣١ - مجهول ، على تخوم العالم الاسلامى ، ص ٧٨ .

(٣) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٧٣ ، مجهول ، على تخوم العالم الاسلامى ، ص ٨٤ - ٨٥ .

وعندما أصبح سعيد باشا واليا على مصر ، صدر قرار من الدولة العثمانية في عام ١٢٧١ هـ /١٨٥٤م يقضي بمنع المتاجرة في الرقيق ، في كافة ولاياتها بما فيها أراض السودان (١) .

وكان من المفترض أن مثل هذا القرار ، يكون كافيا للتقليل من استفادة الأجانب من الامتيازات الأجنبية الممنوحة لهم فيما يتعلق بأمر التجارة ، في مجال الرق ، ان لم يلغها ، ولكن يبدو أن الأحوال بشكل عام لم تتأثر بذلك .

مما اضطر الحكومة في مصر الى تأكيد ذلك القرار بقرار آخر صدر في عام ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧م أصدره الوالي سعيد باشا وذلك في اطار الجهود التي كانت تقوم بها الحكومة من وقت الى آخر لتطويق هذه التجارة والقضاء عليها (٢) .

وبدا أن الحكومة في مصر ، تسعى لتضييق الخناق على تجار الرقيق ولكن دون جدوى .

فجهود الحكومة وقتها لم تكن تكافىء قوة التجار وسطوتهم ،خاصة بعد حصولهم على الأسلحة النارية التي مكنتهم من السيطرة على النشاط التجارى وذلك لأنه كان لكل تاجر جيشه الخاص (٣) .

---

(١) عجوبة ،مختار، " مشكلة جنوب السودان وأثرها على مستقبل العلاقات العربية والافريقية " ، العدد ٨٨،ص ٦١ - ٨٢ ، المستقبل العربى ،بيروت يونيو ١٩٨٦م .

(٢) شقير،نعوم ،تاريخ السودان ،ص ٢٢٨،ضرار،ضرار صالح ،تاريخ السودان الحديث ، ص ٧٣ .

(٣) Balance E. , The Secret War in the Sudan, P .20 Faber and Faber ,London, 1900 .

سلاطين، السيف والنار، ص ١٧ .

مجهول ،على تخوم العالم الاسلامى ،ص ٨٤ .

ولذلك لم يكن منع هذه التجارة أمرا سهلا كما كان يتوقع سعيد باشا الذى كان قد اكتفى باصدار القرارات في هذا الشأن . حيث بات يعتقد أن تكون للقرارات والأوامر دورها الفعال في هذا الأمر . ولكن هذه التجارة كانت في معظم الأحيان في أيدى التجار الاوربيين الذين كانوا في طليعة المشاركين في هذه التجارة (١) وكانوا يتمتعون بحصانات دولهم فمن الصعوبة في مثل هذه الحالة تنفيذ القانون عليهم، اضافة الى أنهم جعلوا من مناطق الجنوب مراكز نفوذ لهم يصعب الوصول اليها . (٢)

ويمكننا هنا ملاحظة ثمة مفارقة غريبة ، حدثت في تلك الفترة من التاريخ ، فبينما كانت الدول الاوربية ومن بينها بريطانيا ،تعمل على حماية رعاياها في السودان وتضفي عليهم حصاناتها عن طريق الامتيازات الممنوحة لها من الدولة العثمانية في ولاياتها ، في وقت كانوا يقومون فيه بمثل تلك المخالفات ، التي لم تكن تجيزها القوانين والأعراف الدولية ، حتى في بلادهم ، نجد الحكومة البريطانية من جهة آخرى تستخدم نفوذها ، وتضغط على الحكومة في مصر لكي تعمل على منع تلك التجارة التي يديرها الاوربيون ومن بينهم بريطانيون يتمتعون بالرعاية والحماية من دولتهم الأم .

ولاشك أن النفوذ البريطاني بذلك كان يطمح الى المزيد من النفوذ والتدخل في هذه الجهات التي كانت موضع اهتمامه أصلا كما سأشير فيما بعد (٣) .

---

(١) Gray R., AhistoryOf the Southern P. 53

(٢) ضرار ،ضرار صالح، تاريخ السودان الحديث ، ص ٧٢ Gessi R., Seven Years In the Sudan ,P.212-13 .

(٣) راجع الفصل الأول ص ٦٣ – ٧٢ .

ويبدو أن بريطانيا قد وجدت الفرصة سانحة للتدخل في شئون تلك الجهات بشكل من الأشكال ، تحت زعم المساهمة في القضاء على تجارة الرقيق فيها . ومن الممكن أن تكون بعض الممارسات والتجاوزات التي حدثت من بعض المسئولين في الادارة الحكومية بالسودان ـ بحكم بعدهم عن مركز السلطة العليا في مصر ـ قد أعطت المبررات للحكومة البريطانية التي كانت تدعى حركة مناهضة الرق في العالم بل تتزعمها ، أن تقوم بلفت نظر الحكومة في مصر الى ما كان يحدث من اداريها في السودان من تجاوزات في شأن الرق .

ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ما حدث في عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م عندما قام المستر كامبل Campell قنصل بريطانيا العام في مصر بتنبيه محمد علي باشا الى أن موظفي الحكومة كانوا يأخذون رواتبهم رقيقا وليس نقدا ، مما اضطر محمد علي باشا الى أن يكتب الى الحكمدار خورشيد باشا في السودان ويطلب منه التخلي عن هذا العمل[١] .

وفي الواقع أن مثل تلك التجاوزات والممارسات الاخرى ، قد جعلت بريطانيا أكثر جرأة في اتخاذها كمبررات ، والضغط على الحكومة التركية التي وجدت نفسها في وضع حرج ، لا يسمح لها باتخاذ أي موقف أمام الحكومة البريطانية التي لم تتردد في استغلال موضوع الرق لاملاء ارادتها ،

---

(١) شبيكة ، مكي ، السودان عبر القرون ، ص ١٣٠-١٣١.

التي وصلت الى درجة أن تقترح الحكومة البريطانية على الحكومة في مصر قبول مبدأ استخدام البريطانيين الأجانب للمساهمة في القضاء على ظاهرة الرق .(١)

وقد استمر الحال على ماكان عليه من آمر الفوضى في الجنوب والتي تسبب فيها تجار الرقيق الأجانب الى أن تولى اسماعيل باشا الحكم في مصر عام (١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣م) ،حيث انتهت بذلك مرحلة من مراحل النفوذ البريطاني ، لتبدأ مرحلة جديدة يكون فيها ذلك النفوذ مباشرا عن طريق الاداريين البريطانيين وغيرهم من الأوربيين .

وفي الصفحات القادمة سأتناول تجارة الرقيق في اطارها العالمي لكشف حقيقة الدور الذى قام به الأوربيون والبريطانيون فيما يتعلق بهذا الموضوع في فترات سابقة من التاريخ .

---

(1)Gessi R.,Seven Years in the Sudan,P.213

شقير، نعوم، تاريخ السودان، ص ٥٠-٥٩

(ب) الرق في اطاره العالمي :

ان معالجة موضوع الرق في الاطار العالمي ، يحتاج الى الوقوف على المراحل التي مرت بها تجارة الرقيق في الغرب ، وفقا للظروف التي مرت بها أوربا ، والتطورات التي رافقت قضية الرق في ضوء تلك الظروف .

فالأوربيون ، كانت تحكمهم مفاهيم خاطئة كثيرة بعيدة عن الشرائع الربانية [(١)] . ويبدو أن هذه المفاهيم جعلت تعاملهم مع هذه القضية سلسلة من الأخطاء في حق الشعوب الأخرى ، وحتى عندما أقروا بهذه الاخطاء ، وقرروا معالجتها ، جاءت معالجاتهم بأخطاء أخرى جسيمة ، في حق تلك الشعوب البريئة المقهورة ، هذا فضلا عن أن تلك المعالجات قد احتاجت الى وقت طويل ومراحل عدة لازالة ظاهرة الرق ، والتخلص منها .

ويبدو أن كل هذه التطورات التي مرت بها قضية الرق وتجارة الرقيق في اوربا قد جاءت نتاجا للمفهوم الخاطئ الذى ورثته أوربا عن حضاراتها الماضية ، وربما يكون التحريف الذى تعرضت له الديانات هناك قد وقف عاجزا عن أن يقرر شيئا حاسما تجاه هذه القضية ، قياسا بما جاء به الاسلام من علاج حاسم لهذا الأمر منذ قرون طويلة خلت وهو الأمر الذى لم يجعل المسلمين في حاجة الى المراحل التي مرت بها اوربا عبر سنين طويلة في معالجة الامور التي تتعلق بالرق وذلك على أساس

---

(١) ابراهيم محمد قطب ، شبهات حول الاسلام ، دار الشروق ، ط ١٥ ، ١٩٨٢م ، ص ١١ .

أن الاسلام قد وضع للرق مفهوما واضحا ومهد السبيل لازالته عبر طرق كثيرة وقنوات عديدة بشكل لايترتب عليه ثمة أضرار أو تبعات ،على أي طرف من الأطراف أو شعب من الشعوب (١)، كما حدث من الأوربيين .

ولذلك فقد رأيت تتبع ظاهرة الرق ، وتجارة الرقيق التي مارسها الاوربيون في الماضي حسب النقاط التالية :

- مفهوم الرق .
- نشأة تجارة الرقيق التي مارسها الاوربيون وتطورها .
- محاربة أوربا لتلك التجارة .

- مفهوم الرق :

ان مفهوم الرق قد يختلف من مكان الى آخر تبعا للحضارات التي سادت في أجزاء من العالم في التاريخ الماضي ، وذلك بحسب المبادىء والقيم التي قامت عليها تلك الحضارات . وقد رأيت من المناسب أن أتطرق الى نماذج من المفاهيم المتعلقة بقضية الرق في الحضارة الأوربية القديمة ، وفي بعض الديانات الأخرى ثم في الحضارة الاسلامية لاعطاء القارىء فكرة عنها .

---

(١) علوان ، عبد الله ناصح ، نظام الرق فى الاسلام ، ص ٤٣ ، دار السلام للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤م .

- مفهوم الرق في الحضارة الأوربية القديمة :

ان قضية الرق ونظام الاسترقاق ثم التجارة فيه تعد من أبشع صور الانسانية قاطبة ، وقد أُعتبر هذا العمل من صنع الانسان المتحضر وليس من صنع الانسان المتوحش البدائي (١) ٠

وربما يكون هذا الاعتقاد صحيحا ، في المفهوم الغربي للحضارة باعتبار ان الرق كان مشروعا ومقررا قبل ان تستفيق اوروبا وتعلن حربها على ظاهرة الرق والمتاجرة فى الرقيق ٠

فالمعروف ان الحضارة الغربية عنيت منذ نشأتها بالجانب المادى (٢) ٠ ففي الحضارة اليونانية أيام دولة المدينة ، انقسم المجتمع الى طبقتين على أساس أن الثروة قوة اجتماعية ، حيث أن هناك أحرارا أقوياء يملكون ، وفقراء لايملكون ، وعلى ذلك قضى قانون المدينة المعمول به آنذاك باسترقاقهم ، أسوة بمن يرتكبون أفعالا تخل بهذا النظام الراقي فى نظرهم (٣) ٠

واستمر هذا المفهوم حتى في عصور النهضة ، حيث بقى الرقيق محروما في جميع القوانين ،والشرائع التى سادت فى اجزاء من الغرب خلال تلك العصور ، حتى من أبسط مقومات الانسانية ، بل وصل الحال بالرقيق

---

(١) الترمانيني،عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره ص ١٥، عالم المعرفة، الكويت ١٩٧٩م٠

(٢) ابراهيم ، محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ص ١٠١ ط ٢ ، مؤسسة المدينة للصحافة والنشر ، جده ، ١٤٠٨هـ ٠

(٣) الترمانينى ، عبدالسلام ، الرق ، ماضيه وحاضره ص ١٦ – ١٧ ٠

الى آن يفقد حتى حقوقه في البقاء ، كحقه في الحياة ، وحقه في الزواج ، يستكثر بالتوالد ولاينسب اليه أبناؤه وصارت بذلك حياته وفقا لارادة سيده .(١)

ـ مفهوم الرق عند اليهود والنصارى :

وعند اليهود مفهوم خاص للاسترقاق ، يقوم هذا المفهوم على التمييز بين عناصر اليهود وغيرهم ، فهناك قيد زمني لليهودى لكي يتحرر اذا ما استرق ،أما الغرباء فمن حق اليهود استرقاقهم لانه في اعتقادهم ـ ان الله جعلهم عبيدا لليهود

ويكفي أن واقع اليهود يشهد بذلك حسب مايجرى في الأراضي العربية المحتلة ، وما تتناقله وسائل الاعلام اليوم ، من اهانة للكرامة الانسانية والقتل والأبعاد والتشريد لأبناء الشعب الفلسطيني .

أما عن مفهوم الرق في المسيحية ،فقد تطور وفقا للتحريف الذى صاحب تطور المسيحية في أوربا ، حيث آن عيسى عليه السلام كان قد دعا الى المساواة بين الناس ، وأوصى تابعيه آن يعاملوا الناس خيرا فخالفت بذلك دعوته مفاهيم اليهود التي تدعو الى العنصرية وتسىء معاملة غير اليهود (٢) .

---

(١) الترمانينى ، عبد السلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٢) الترمانينى ، عبد السلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

وقد اثار ذلك نقمة اليهود على هذه الدعوة ،وتبعا لذلك فقد حرفت تعاليم المسيحية بناءعلى هذا التأثير مما أدى لاباحة الاسترقاق عند النصارى ، وكان القديس الشهير Pierre بطرس قد دعا العبيد الى طاعة سادتهم ، وتسخير أجسادهم في خدمتهم ، ثم الاخلاص لهم وذلك على اساس مبدأ الخضوع ، وفقا لتلك التعاليم . وبذلك اعتبر في النصرانية ، الرق نظاما الهيا ساندته الكنيسة بكل قوتها.

وعندما سيطرت سلطة الكنيسة على الامور في اوربا ، لم تتردد في تأييد استرقاق الزنوج ، ونقلهم الى أمريكا. وعللت هذا التصرف بما تزعم أنه ورد في التوراة من أن نوحا عليه السلام قد لعن ابنه (حام) ودعا ربه أن يجعله هو وأولاده عبيدا لاخويه سام ويافث [(١)] .

وتشير المراجع الى أن الكنيسة استفادت من هذه الخطوة ماديا ، عند القيام بتعميد الرقيق ليتنصر وتتطهر روحه ، لقاء رسم محدد من المال [(٢)] . حيث اعتاد القسس تعميد كل رجل وامرأة من الرقيق المنقول على ظهر السفن المغادرة من أفريقيا ، حتى تستطيع روحه الخلاص في حالة الموت المتوقع في عرض البحر ، وقد ربحت الكنيسة مبالغ كبيرة من هذه العملية لانها كانت تحصل على ضريبة تعميد عن كل رأس عدا الأطفال[(٣)] .

---

(١) الترمانيني ،عبد السلام ،الرق ماضيه وحاضره ، ص ٣٠ .

(٢) الترمانيني ،عبد السلام ،الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٥٨ .

(٣) عطية، أحمد محمد ، دفاع عن الزنوج ، ص ٣٢ - ٣٣ الدار القومية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

- مفهوم الرق في الاسلام :

بينما كان الرق نظاما لافكاك منه في شرائع الأمم الأخرى، نتيجة للمفاهيم الخاطئة في حضاراتها ، فان الاسلام الذى عنى بالجانب المادى والمعنوى في مفهوم الحضارة الشامل ، قد تميز عن غيره من القوانين والشرائع .

وذلك حينما كفلت الشريعة الاسلامية للعبد حقوقه الانسانية ، واعتبرت حالته عجز حكمي لمن يؤسر في الحرب فقط ، ويزول هذا العجز بالفداء أو العتق (١) .

وقد ورد في آيات القرآن الكريم مايشير الى ذلك فيما يتعلق بأمر الفداء . قال تعالى :

* فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها * (٢)

أما فيما يتعلق بأمر العتق فقد قال تعالى :

* ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله * (٣)

* ان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة * (٤) .

---

(١) علوان ، عبدالله ناصح ، نظام الرق في الاسلام ، ص ٣،

(٢) سورة محمد الآية ١٢.

(٣) سورة النساء الآية ٩٢.

(٤) سورة النساء الآية ٩٢.

الى غير ذلك من الآيات القرآنية التي وردت في أمر العتق (١) .

والرقيق في شريعة الاسلام لايحرم من كافة حقوقه الانسانية وقد ساوت بينه وبين الحر في معظم الحقوق ، بما فيها حق عظيم من حقوق العبادة وهو حق الامامة في الصلاة (٢) .

كما جعلت له الحق في أن يتبوأ أرفع المناصب ،وهو حق الرياسة والقيادة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع مولاه زيد ومع ابنه أسامة (٣) .

وبذلك يتضح أن موقف الاسلام من الرق حسب المفهوم الحضارى الشامل، أرقى وأفضل بكثير مما ورد في الشرائع والقوانين الاخرى . وبناء عليه فانه لايستغرب التطور الذى صاحب قضية الرق ، في العصور التي سادت فيها اليهودية والمسيحية في أوربا . على ضوء ذلك المفهوم الذى ورد في قول الكاتب الاوربي (وستر مارك) وهو أن الرق كان من عمل

---

(١) العتق نوعان : عتق فى يد السيد ،وعتق فى يد العبد وهو المعروف بالمكاتبة . علوان، عبد الله ناصح ، نظام الرق في الاسلام ص ٥١
ابراهيم ، محمد قطب ، شبهات حول الاسلام ص ٤٥ .

(٢) الترمانينى ، عبد السلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ٦٤ .

(٣) كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولى أسامة بن زيد على رأس جيش من سادات قريش فى غزوة مؤتة ، والذى يضم تحت امرته أبو بكر وعمر رضى الله عنهما خليفتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نفذ أبو بكر الصديق خليفة رسول الله بعثه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وكان الرسول في السنة الثامنة للهجرة قد ولى زيد ابن حارثة على رأس جيش فيهم جعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحه وغيرهم من الصحابة في غزوة إلى مؤتة . ابن جرير ، محمد ابن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٣ ص ٣٦ - ٤١ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨م .

الانسان المتحضر ، وحتى تستقيم هذه العبارة أقول: (من عمل الانسان المتحضر في الغرب)٠

كما لايستغرب أيضا الممارسات التي صدرت من الاوربيين تجاه الرقيق على ضوء تلك المفاهيم ، وتلك الممارسات وسأتعرض لها في الصفحات التالية ، لنتبين أن الاوربيين نسبوا الى غيرهم أبشع مافعلوه في فترة من التاريخ نحو الرقيق ، ثم أرادوا بذلك أن يوهموا شعوب أفريقيا ببراءتهم ، وهو ذات الشئ الذى فعله الاوربيون خاصة المنصرين ، في جنوب السودان ، الأمر الذى تسبب في الكراهية بين السكان في البلاد وولد تلك المشكلة في الجنوب في مستقبل الأيام٠

٠٠٠

- نشأة تجارة الرقيق وتطورها في أفريقيا :

بينما كانت السفن البرتغالية في طريقها الى الهند ،في نهاية النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى ، الى حيث توجد مواطن التوابل والذهب والماس ، قد رست بطريق المصادفة عند الشاطىء الغربي لأفريقيا ، ووجد البرتغاليون الفرصة للدخول الى القارة عبر نهر السنغال ، وتم لهم كشف غينيا وجزر الرأس الأخضر، وساحل الذهب (غانا حاليا) ، فشيدوا مراكز لهم على طول الساحل الأفريقي ، على شكل قلاع ، مما أتاح لهم تبادل السلع مع الأفارقة وأدرك البرتغاليون أن التجارة في الرقيق أكثر ضمانا للربح (١).

وكانت هذه التجارة قد بدأت في ناطق ضيق ، فلم يتجاوز عدد الرقيق الذى تم نقله الى البرتغال بضعة آلاف ، ولكن البرتغاليين قد أصبحوا الرواد الاوائل ثم تبعهم البريطانيون ، والفرنسيون والدنماريكيون والسويديون والالمان ، ثم الهولنديون ، في تلك التجارة . وذلك عندما ظهرت المستعمرات الزراعية الواسعة في العالم الجديد ، ونشأت تبعا لذلك العديد من الصناعات التي أصبحت جزءًا من شبكة التعامل التي تربط بين أفريقيا والعالم الجديد (٢) .

---

(١) عطية ، أحمد محمد ، دفاع عن الزنوج ، ص ٣١ .

(٢) اسحق ، محمد عبد العزيز ، نهضة أفريقية ، ص ٥٦ ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، المكان بدون ١٩٧١م .

صارت بذلك أفريقيا مصدرا خصبا للحصول على العمالة الزراعية في تزويد المدن الأوربية بالحاصلات ، وذلك بعد زوال رق الأرض المعروف بالقنانة Serfdom والذى كان سائدا في المجتمع الأوربي في فترة العصور الوسطى .

وقد استحث ذلك الحدث الاوربيين لايجاد بديل له من أفريقيا فشرعوا في اقامة المراكز لهذه التجارة في السواحل الافريقية والجزر القريبة منها ، أسوة بالبرتغاليين والاسبان وذلك خلال القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى (١)

وهكذا بدأ الاوربيون يتوافدون بأعداد كبيرة الى أفريقيا بعد ذلك ، فترسو سفنهم عند مداخل الانهار او في القرى الافريقية القريبة منها ، كدلتا نهر النيجر ، وكان قد ساعد على انتعاش هذه التجارة مساهمة ملوك أفريقيا وتجارها بنصيب وافر نتجية لاهتمامهم بالحصول على السلع التي يصدرها الاوربيون الى المنطقة والتي تتمثل في الملابس والسلع المعدنية ، والمشروبات الروحية والاسلحة النارية . وذلك في مقابل الرقيق الذى تزايد الطلب عليه أخيرا بدلا عن الذهب .

وقد كان تصدير الرقيق الافريقي ، مقصورا على المجرمين والخارجين على القانون فقط ، ولكن بنشاط السوق وازدهار هذه التجارة آخذت الأسلحة النارية تلعب دورا مهما في اصطياد سكان المناطق البعيدة

---

(١) الترمانيني ، عبدالسلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٥١ .
Basil Davidsons Guide To African History, P. 69 London 1971 .

عن السواحل لتصديرهم تمشيا مع حاجة السوق [1] .

- مشورة لاس كازاس * :

عندما تم اكتشاف آمريكا عام ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م وجد أهلها من الهنود الحمر معاناة شديدة من جراء المعاملة القاسية من الغزاة البرتغاليين والأسبان ، الذين كان جلهم من الرعاع المغامرين ، وقد تأثر راهب اسباني يدعى لاس كازاس لحال هؤلاء الهنود البؤساء ، فوضع كتابا يصف فيه المجاسي التي حاقت بهم ،وتابع حملته على الغزاة في أسبانيا عندما عاد اليها ،لاقناع الامبراطور الاسباني شارل الخامس باتخاذ تدابير لحماية الهنود الحمر فقرر ، عدم استرقاقهم وأصدر قانونا يمنع هذا العمل ،فهدد الغزاة الاسبان بالثورة ضد الامبراطور وحكمه ، هنا تفتق ذهن الراهب الأسباني عن فكرة اقترح فيها ارسال زنوج أفريقيا الى امريكا ليكونوا بديلا للهنود الحمر [2] .

وهكذا كانت مشورة لاس كازال اكبر خطيئة نحو الانسانية حيث استبيحت شعوب افريقيا البريئة وزجت في الرق الجماعي لتلقى هذا

---

(١) أوليفر، رولاند وجون فيج، موجز تاريخ أفريقيا ص ١٣٢

Basil Davidson Guide to Aferican History, P.69
London , 1971,

(*) لاس كازاس - راهب اسباني ولد في اشبيلية عام ١٤٧٤م وعاش في أمريكا فترة من الزمن حيث كان والده من رفاق كريستوفركولمبس مستكشف امريكا ودافع عن حقوق الهنود الحمر في امريكا ضد ظلم الاسبان الغزاة ،توفي فيمدريد باسبانيا عام ١٥٦٦م.
معلوف، لويس المنجد في اللغة والاعلام ،دار الشروق ،بيروت ،ط ٢٧ ، ١٩٨٦م ص ٧-٩
الترمانيني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره ص ١٥٤.

(٢)

المصير البشع ، في الوقت الذى لم ينج فيه الهنود الحمر من القتل والابادة على أيدى الاوربيين . بعد أن عالج كازاس الراهب ذلك الجرم بجرم أفدح . ونقف هنا قليلا لنتأمل هذه المأساة ، التي تعتبر خير شاهد على فداحة الجريمة التي ارتكبها الاوربيون تخطيطا وتنفيذا ، دون أن يكون هنالك أي اعتبار لانسانية الانسان أو للقيم والمبادىء التي تتشدق بها أوربا الآن .

كما أنها خير شاهد على مأساة تلك الشعوب التي ظلت تعاني من الرق زهاء الاربعة قرون ، بل مازالت تعيش رواسبه وذكرياته المريرة نتيجة لمشورة ذلك الراهب الأسباني (١) .

- النشاط الأوربي في العمل بتجارة الرقيق :

ولما شعرت الدول الأوربية القوية ذات النفوذ الكبير الواسع في ذلك الوقت - كانجلترا على سبيل المثال - بجدوى الدخول الى ميدان المتاجرة في الرقيق ، سارعت الى هذا العمل . وكانت انجلترا قد بدأت أول عملية لها في عام ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢م حيث تم فيها اختطاف ثلاثمائة افريقي من سيراليون وبيعهم في جزر الهند الغربية ، ومالبث أن زاد عدد السفن التي تمارس هذه التجارة وتبعا لذلك ازداد ذلك العدد الذى يختطف ويشحن الى أمريكا حتى بلغ عدد السفن البريطانية

---

(١) الترمانيني ، عبدالسلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٥٢ - ١٥٦

التي كانت تعمل فينقل الرقيق الى هناك ١٩٢ سفينة تصل شحنتها الى ٤٧ ألف أفريقي في كل رحلة [١] . الأمر الذى يدل علىتوسع انجلترا في هذه التجارة ، هو ماحققته من نجاح علىالصعيد الاستعمارى في الأراضي الأمريكية .

وكانت انجلترا قد تمكنت خلال الفترة مابين ١٠١٦ - ١١٤٦ هـ ١٦٠٧ - ١٧٣٣م من انشاء ثلاث عشرة مستعمرة في أراضي أمريكا الشمالية ، وجعلت هذه المستعمرات تعمل على تزويد بريطانيا بانتاجها من القطن والشاى والتبغ وغيرها من الحاصلات الزراعية ، وقد كثر الطلب على تلك الحاصلات نتيجة لقيام الثورة الصناعية في أوربا ،حيث كان قد تم اختراع الآلة البخارية ، ومنها آلات حلج القطن ونسيجه ، ولزم الامر زيادة الرقعة الزراعية في تلك المستعمرات لتلبية حاجة هذه المصانع ،في الوقت الذى آصبحت فيه تلك المستعمرات بالولايات الجنوبية لامريكا تلح في طلب المزيد من الزنوج الافريقيين ، الأمر الذى آدى الى نشاط مذهل في تجارة الرقيق الأسود [٢].

وبذلك راجت هذه التجارة ،فتأسست شركات لنقل الرقيق من أفريقيا منها شركة البحر الجنوبى الانجليزى English South Sea Company وشركة غينيا الفرنسية Farancaise De Gunee Company وكانت هذه الشركات تشترى الرقيق منمراكز على السواحل الافريقية [٣] .

---

(١) عطية ، أحمد محمد ، دفاع عن الزنوج ، ص ٣٣ .

(٢) الترمانينى ، عبد السلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٥٦ .

(٣) أوليفر ، رولاند وجون فيج ، موجز تاريخ آفريقيا ، ص ١٣١ .

وقد كان لانجلترا نصيب وافر في تجارة الرقيق ، لدرجة أن سفنها كانت تنقل أكثر من نصف مجموع الرقيق الوافد الى امريكا ولاشك أن هذا يعكس مدى النفوذ الذى تمتعت به بحرية انجلترا وتجارتها حيث عملت على تركيز نشاطها في المنطقة بين ساحل الذهب ودلتا نهر النيجر ، حتى أطلق على هذه المنطقة ساحل الرقيق لكثرة ماصدر منها . ويقدر الوارد منها الى تلك المستعمرات الاوربية مايعادل أربعين مليونا (١)، في الوقت الذى تجد فيه أن أفريقيا قد خسرت من أبنائها قرابة الثمانين مليونا (٢) نتيجة لهذه التجارة غير الانسانية .

وقد كان نشاط الأوربيين في الشاطئ الغربي لأفريقيا كبيرا في تجارة الرقيق ، بينما شاركت فئة من العرب الاوربيين تجارتهم في الشاطئ الشرقي لأفريقيا ، من مناطق الجنوب العربي وايران .(٣)

وكان ذلك في زمن ارتبطت فيه تلك التجارة بتجارة العاج وتزايدت الحاجة إليه في أوربا لصناعة أصابع البيانو وكرات البلياردو ، والحلي والمراوح وغيرها من الكماليات فيها ، حيث صارت افريقيا أكبر مصدر لاسنان الفيلة ، وكلما انحسرت قطعان الفيلة الى الداخل وبعدت عن الشاطئ الافريقي ، تعقبها التجار الى الداخل أيضا ،

---

(١) أوليفر ، رولاند وجون فيج ، موجز تاريخ أفريقيا ، ص ١٣١ .

(٢) رياض ، زاهر ، استعمار أفريقيا ، ص ٧٠ - ٧١ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٩م .

(٣) اسحق ، محمد عبد العزيز ، نهضة أفريقية ، ص ٥٨ .

مما أدى الى قيام اواصر تجارية على مشارف بحيرة نياسا ومنابع الكنغو وبحيرة تنجانيقا واوغندا بين العرب والقبائل النيلية والشعوب المنحدرة من أصل حام [1].

والشيء الذى يؤسف له أن المصادر الغربية توجه التهمة الى العرب المسلمين بالمتاجرة في الرقيق [2] ، وتناست ذلك الدور الهائل الذى يشهد به التاريخ بل تشهد به أعداد الزنوج اليوم في الغرب الأوربي وأمريكا بل وما آلت اليه أموالهم .

فاذا كان كتاب الغرب يلقون بتبعة هذه التجارة على العرب فان هذه التجارة لم يتسع نطاقها الا في ركاب الاستعمار الاوربي لافريقيا في العصر الحديث " والذى كان يستنزف القارة من أبنائها.

واذا كان العرب قد استخدموا الرقيق في بعض الاغراض فان ذلك على الأقل كان في اطار مبادىء الاسلام الذى حث على حسن معاملة الرقيق ، بل شجع على عتقهم ومنحهم حريتهم .

والأمر الذى تجدر الاشارة اليه هنا هو أن الاسلام قد حرص على التحرير الحقيقي للرقيق ، متبعا في ذلك التدرج الذى يناسب طبيعة البشر ، ادراكا منه بالوسائل التي تصلح لمعالجة النفس الانسانية في هذه الحالة ، فاهتم بالمعاملة الحسنة للرقيق ، التي ردت اليه اعتباره ، وجعلته يشعر بكيانه الانساني وكرامته الذاتية فيحس بطعم

---

(١) اسحق ،محمد عبد العزيز ،نهضة آفريقية ، ص ٨٥ .

(٢) حسن ، يوسف فضل ، " الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية " ، ص ٦٠ – ٦١ . ندوة العرب وأفريقيا ١٩٨٤م .

الحرية ، ويتذوقها ولاينفر منها كما نفر العبيد في آمريكا عندما قام الرئيس الامريكي السابق ابراهام لنكولن باصدار تشريع يقضى بتحرير الزنوج ولكنهم لم يطيقوا (١) تلك الحرية التي لم يعدوا لها وعادوا الى سادتهم مرة آخرى (٢) .

- الآثار السلبية التي صاحبت تجارة الرقيق الأوربية :

ونعتقد آن آفريقيا قد دفعت ثمنا باهظا ،تسببت فيه تجارة الرقيق الاوربية ضمن علاقتها التاريخية الماضية بالافريقيين، ويبدو أن هذه التجارة قد أفرزت سلبيات كثيرة ومريرة ، نتيجة للاعمال المشينة التي صاحبت تلك التجارة ، أوجز جزءا يسيرا منها فيما يلي :

١ - فقدت القارة الافريقية أعدادا هائلة من أبنائها نتيجة لتلك التجارة الأوربية وذلك حينما أصبح نشاط الأوربيين عبر المحيط الأطلنطي مقصورا على تجارة الرقيق ، وكان قد وصل من الرقيق الى أمريكا حوالي تسعمائة الف في عام (١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠م) ثم ارتفع هذا الرقم

---

(١) عندما تم تحرير العبيد فى أمريكا بتلك الصورة لم يتقبلهم مجتمع الاحرار وأعد لهم مايعرف اليوم بالتفرقة العنصرية فنفروا من تلك الحرية المزعومة- بدير ، صلاح الدين ، التفرقة العنصرية فى أفريقيا، ص ٦٣ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة بدون تاريخ .

(٢) ابراهيم ، محمد قطب ، شبهات حول الاسلام ، ص ٤٩ - ٥١ .

بعد ذلك الى أكثر من ذلك بكثير (١) . وكانت قد أنشئت محطات تجمع انجليزية في الساحل الافريقي بلغ عددها أربعين محطة (٢) .

٢ - الأثر البالغ لعمليات العنف الناجم عن المطاردة لاصطياد الرقيق مع استخدام الأسلحة النارية ، وهذا الأثر كان واضحا في ضوء امكانيات الجماعات القبلية البدائية في أفريقيا . هذا فضلا عن استغلال الأوربيين للنزاعات القبلية التي عادة ماتنشب فيما بينها للحصول على المزيد من الرقيق من أسرى الفريقين . وقد أدى كل ذلك الى تدمير تلك المجتمعات البدائية التي يصعب عليها استعادة قواها واسترداد عافيتها مرة أخرى ، حيث كانت تعاني من ضآلة رصيدها العمراني ،قياسا بالمجتمعات الأوربية التي بلغت ذروتها الاقتصادية . مع العلم بأن استخدام أساليب الحرب الحديثة في أفريقيا آضخم من أن تحتمله اقتصاديات المعيشة البدائية الساذجة (٣) .

٣ - النظرة الدونية والاحتقار المتعمد من الأوربيين للأفارقة ، دفع بهم الى امتهان الكرامة الانسانية للافريقي ، وضح ذلك في حرمانه من ممارسته لحقه في العبادة ، وكان العديد من البعثات التي رافقت المستعمرين الى أفريقيا قد زعمت بأنها جاءت لتنصير الزنوج ، بينما

---

(١) أوليفر ،رولاند وجون فيج ، موجز تاريخ آفريقيا،ص ١٣١ .
(٢) عطية ،أحمد محمد ،دفاع عن الزنوج ، ص ٣١ = ٣٣ .
(٣) اسحق ،محمد عبد العزيز ،نهضة أفريقيا، ص ٦١ .

اتضح أن اعتناق المسيحية لم يكن مسموحا به في بعض الأحيان بالرغم من أن قوانينهم كانت تحتم ذلك في أول الأمر ، كما أن تعلم القراءة والكتابة كان من الامور غير المشروعة للزنوج في أمريكا ، وقد تم اضطهاد عدد من المنصرين الذين رغبوا في ذلك (١) .

ويبدو أن الكثير من البعثات المسيحية التي رافقت حملات المستعمرين ،كانت تمثل مجرد جماعات دينية غير مرغوب في بقائها في بلادها الأصلية وزين لها الخروج في ركاب تلك الحملات لمجرد التخلص منها (٢) .

٤ ــ ومن تلك السلبيات سوء المعاملة التي كان يتلقاها الرقيق في المستعمرات البريطانية بأمريكا دون مراعاة لحقوق الانسان ، وتعرضه للمرض والموت نتيجة لهذه المعاملة القاسية . ساعد على ذلك رغبة أغلب الملاك والمستثمرين في ترك ادارة أعمالهم بالمستعمرات الى موظفين كان همهم الأول والأخير جمع أكبر قدر من الثروة ثم العودة الى بريطانيا لقضاء حياة مترفة بقية حياتهم ، ولذا لم يراعوا أحوال الرقيق الصحية ولو أدى الحال الاسراع بهم الى الموت المحقق (٣) .

٥ ــ استمرار الاوربيين في ممارسة تجارة الرقيق لعدة قرون متتالية زاد من مأساة الزنوج من شعوب أفريقيا ، وذلك نتيجة للنظرة

---

(١) رياض ،زاهر ، استعمار أفريقيا ،ص ٧٣ .

(٢) أوليفر ، رولاند وجون فيج ، موجز تاريخ أفريقيا ، ص ١٤٥ .

(٣) رياض، زاهر ، استعمار أفريقيا ، ص ٧٤ .

الخاطئة من بعض الكتاب والساسة الأوربيين . ففي بريطانيا مثلا هناك اعتقاد يرى في هذه التجارة سببا من أسباب عظمة بريطانيا فيما وراء البحار ، لأن الأسطول التجارى الذى كان يعمل دائما في عمليات نقل الرقيق كان في رأيهم هو الميدان الوحيد لتدريب الرجال في بريطانيا على أعمال البحر ليجعل منهم ملاحين مهرة يتلقفهم الاسطول الحربي للعمل في سفنه (١) .

٦ - ان عمليات شحن الزنوج من آفريقيا ونقلهم الى أمريكا حيث العالم الجديد في رحلات طويلة قد تتجاوز الستة اسابيع قد كشفت عن طريقة بالغة القسوة لتعذيب هؤلاء المساكين ، خاصة وأن تلك السفن التي كانت تستخدم في عمليات الشحن قد روعي فيها تصميم معين القصد منه أن يستوعب اكبر قدر ممكن من القطعان البشرية . فقد كانت المساحة التي يشغلها الفرد الواحد منهم لاتتعدى مجرد بوصات محدودة ، وهي القدر اللازم لوقوفه . وكنتيجة لهذه الطريقة المؤلمة فقد كان الفاقد منهم بسبب الوفاة حتى نهاية الرحلة قد يبلغ مابين ٢٠ - ٣٠٪ وقد يزيد في حالة تفشي الوباء لسوء الطعام الذى يقدم لهم ، وأما من ظهر عليه المرض فالبحر أولى به (٢) . هذه الطريقة قد ضاعفت مأساة الزنوج ، كما آن رحلة العذاب لم تكن تكفي لذلك ، فهناك السيد الذى ينتظر عبده في أسواق النخاسة وماكان يتم فيها من عروض مهينة للكرامة

---

(١) رياض زاهر ، استعمار قريقيا ،ص ٧٦ .

(٢) الترماتيني ،عبد السلام ،الرق ماضيه وحاضره ،ص ١٥٦.

الانسانية ، فضلا عن المعاملة الوحشية التي رويت حولها قصص محزنة نذكر منها على سبيل المثال فقط :

أن بريطانيا قد مزق جسد عبده الزنجي بالرصاص لانه قدم اليه قشدة رديئة (١) .

كما روى أحد أعضاء جمعيات محاربة الرق قصة البحار الاوربي مع امراة وطفلها الرضيع ، فصرخ ذلك الطفل حتى آيقظ البحار من نومه ، فأخذ البحار يتوعد الأم ويهددها ان لم تسكت الطفل ، وعندما استمر الطفل في بكائه انتزع البحار الطفل من آمه والقى به في مياه المحيط (٢) .

وهذه تعتبر مجرد نماذج قليلة جدا مما حدث للزنوج على أيدى الأوربيين ابان ممارستهم لهذه التجارة البغيضة (٣)، قبل أن يظهر في آوربا تيار جديد ينادى بتحرير الأرقاء .

ـ مناهضة الأوربيين لتجارة الرقيق :

ربما تكون آوربا قد أدركت مغبة تورطها في العمل في تجارة الرقيق طيلة القرون الماضية ، مما جعل ذلك ينعكس على مستقبل علاقاتها مع الافريقيين في تلك القارة .

---

(١) الترمانينى ،عبد السلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٥٧ .

(٢) عطية ، أحمد محمد ، دفاع عن الزنوج ، ص ٣٤ .

(٣) للمزيد راجع كتاب ، الجذور للكاتب الزنجى اليكس هيلى .

وقد واجهت الأوربيين عقبات ومصاعب ،حينما فكروا في اقامة علاقات أخرى جديدة مع الافارقة ، وذلك نتيجة للشعور غير الودى لدى هؤلاء الافريقيين تجاه الأوربيين ، الذين شعروا بان تاثير ممارسة النخاسة قد كان أقوى وآشد على المواطنين الأوربيين آنفسهم عند محاولتهم دخول قارة آفريقيا لاقامة تلك العلاقات معها.

وهذا بالتالي يدل على آن تلك التجارة كانت وفيرة الربح للأوربيين بالدرجة التي قضت على محاولات كثيرة من جانبهم لانشاء علاقات تجارية من نوع آخر مع قارة افريقيا ،عبر عن ذلك الاوربيون انفسهم حينما ذكر رولاند أوليفر قائلاً (ان تجارة الرقيق التي مارسها الاوربيون كانت من الخسة والدناءة بحيث شبطت همة هؤلاء الاوربيين في القيام بأى نشاط تجارى ، ولقد شعر تجار الرقيق انفسهم بهذه الخسة قبل أن يستيقظ الضمير المسيحيبادانتها)(١) .

وعلى ضوء ذلك الشعور ، بدأ في أوربا ظهور تيار فكرى يدعو الى التحررمن الظلم والاستبداد وذلك في مطلع القرن الثامن عشر الميلادى الثاني عشر الهجرى . وقد ربط ذلك التيار بين مأساة الهنود الحمر ومالحق بالافارقة من استرقاق ، وكان هذا التيار يهدف في النهاية الى مناهضة الرق (٢) .

---

(١) أوليفر ، رولاند وجون فيج ، موجز تاريخ أفريقيا ، ص ١٤٧ .

(٢) الترمانينى ، عبد السلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٦٣ .

وقد استطاع ذلك التيار ان يحدث أثرا في اوربا بمرور الزمن خاصة عندما رأى الاوربيون ان مصالحهم تقتضي دعم ذلك التيار المناهض للرق في ضوء الشعور السابق .

وبناء عليه فقد بدأت عدة عوامل تحرك الاوربيين لاتخاذ خطوات فورية تهدف الى محاربة تلك التجارة ، هذه العوامل برزت في النقاط التالية :

أولا: ثبت لدى الاوربيين أنه لن يكون من المستطاع البدء في أى نشاط تجارى عادى بين أوربا وأفريقيا قبل القضاء بصورة نهائية على تجارة الرقيق التي يمارسها الاوربيون . ولذلك كان من الضرورى مشاركة جميع الدول وعلى رأسها بريطانيا حتى تفسح المجال للتجارة العادية وهي لم تقدم على هذا العمل حبا في الانسانية أو ادعاء للخلق الفاضل ولكنها أقدمت عليه على أسس تجارية صرفة (١) .

ثانيا : كانت حركة مناهضة الرق في أوربا ترى في هؤلاء الأرقاء مجرد آلات انسانية يجب عدم اساءة استخدامها . وأن المحافظة على الانتاج في المستعمرات يترتب عليه المحافظة أيضا على العمال ، الذين لم يثوروا يوما مطالبين بحريتهم ، ولكن اوربا التي لم تلتفت بمشاعرها الى قسوة هذا العمل والظروف السيئة التي يعيش فيها العمال من الرقيق رات بدافع المحافظة على اقتصادها مجاراة الصيحة الانسانية التي نادت باحترام كرامة الانسان (٢) .

---

(١) أوليفر ، رولاند وجون فيج ، موجز تاريخ أفريقيا ، ص ١٤٨ .

(٢) رياض ، زاهر ، استعمار أفريقيا ، ص ٧٦ .

ثالثا : آصدرت بريطانيا قوانين تمنع وتحرم تجارة الرقيق ونقله الى الولايات المتحدة الامريكية وذلك بعد قيام الحرب في امريكا واعلان استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا . وقد اتضح ان تلك القوانين انما صدرت لمحاربة تلك المستعمرات السابقة بقصد حرمانها من العمالة الرخيصة المتمثلة في الأيدى العاملة من الرقيق ، وكانت الشكوك قد ظهرت حول هذا الأمر بالرغم من الدعاية القوية التي أفلحت بريطانيا في بثها لتبدو أمام العالم أنها حرمت وآلغت الرق لأسباب انسانية (١) .

والدليل على ذلك أن رئيس القضاة في بريطانيا قد قرر في اجراء سابق أن وجود الرقيق على اراضي بريطانيا عمل غير شرعي ، في الوقت الذى لم يشمل فيه ذلك الاجراء الرقيق الذى يستخدم في الزراعة بالمستعمرات البريطانية ، وكان القصد من ذلك هو الابقاء على رقيق المستعمرات البريطانية فيما وراء البحار حتى يتسنى لها استغلال الأرض بتكاليف رخيصة ، مما يساعد على تحقيق المنافسة التجارية للمنتجات البريطانية في الأسواق الاوربية . أما الاجراء الاخير الذى صدر في بريطانيا عام ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧م والذى يمنع توريد الرقيق الى الولايات الامريكية فقد كان الهدف من ورائه احراج موقف الولايات تحت ستار الدوافع الانسانية ، وخلق متاعب للامريكان بزيادة تكاليف الانتاج في بلادهم مما يعمل على اعاقتهم عن منافسة تجارة بريطانيا العالمية (٢) .

---

(١) اسحق ، محمد عبد العزيز، نهضة أفريقية ، ص ٥٤ .

(٢) عبد الجليل ،الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل، ١٥٢٠-١٥٤٠

وهكذا نتبين أن بريطانيا عندما اقدمت على تلك الخطوات بغرض مناهضة الرق كانت تراعي فقط مصلحتها الاقتصادية المحضة ،خاصة وأن خمس الشعب البريطاني في ذلك الوقت كان يعيش على صناعة المنسوجات القطنية . وأن معظم القطن الذى كانت تقوم بتصنيعه بريطانيا يرد اليها من الولايات الجنوبية في أمريكا ، الامر الذى جعل بريطانيا عندما قامت الحرب الأهلية الأمريكية في تلك الفترة من عام (١٢٧٨هـ / ١٨٦١م) بين الولايات الجنوبية ، والولايات الشمالية في أمريكا الى تأييد الولايات الجنوبية ، وذلك حينما رأت ملايين العمال في بريطانيا في حالة من البطالة بعد توقف الصناعة وصرح رئيس وزراء بريطانيا بالمرستون Palmerstone قائلا : (ان بريطانيا لايمكن أن ترضى بهلاك عدة ملايين من أبنائها للولايات الشمالية الامريكية)(١). وهذا يعني بالطبع أن الساسة البريطانيين كانوا يدركون أن الولايات المتحدة الامريكية قد تصبح عنصرا خطيرا بالنسبة لها في مجال المنافسة التجارية دوليا بعد استقلالها .

رابعا : نضيف الى تلك العوامل عاملا آخر يتعلق بالقلق والخوف الذى ساد في بريطانيا بسبب تفشي عادة استخدام الرقيق في الاعمال البيتية ، وتزايد ذلك القلق بالدرجة التي جعلت بعض الاوساط في بريطانيا تعتقد بأن هذه العادة قد تؤدى الى أن يمتزج الدم الانجليزى بغيره (٢)، وتحرير الرقيق قد يحول دون ذلك .

---

(١) الترمانينى ، عبد السلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٢) عبد الجليل ، الشاطربصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص ١٥٢.

- تطور فكرة تحرير الرقيق :

أدت العوامل السابقة الى اهتمام بريطانيا بتحرير الرقيق تمشيا مع مصالحها الذاتية ، بمناهضتها في أجزاء مختلفة من العالم بعد أن تزعمت تلك الحملة على النطاق الدولي ،وزعمت أن كل ذلك يتم بدوافع انسانية بحتة ، فتمكنت من اقرار منع تجارة الرقيق في مؤتمر فينا ١٢٣١هـ/١٨١٥م وفي مؤتمر لندن المنعقد في ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م اتفقت الدول الاوربية المشاركة فيه اعتبار تجارة الرقيق عملا من أعمال القرصنة البحرية من شأنها أن تزيل عن السفينة حماية علمها وبذلك يحق لسفن كل دولة من الدول التي وقعت على محاضر المؤتمر مراقبة السفن الاخرى من الدول المشاركة فيه . (١) .

تابعت بريطانيا حملتها ووضعت ماورد في تلك الاتفاقيات من حق في تفتيش السفن الاخرى موضع التنفيذ وكثفت نشاطها في الشاطىء الغربي لأفريقيا بهدف مراقبة السفن الأمريكية ومضايقتها ، الامر الذى أوجد مجالا للنشاط التجارى في الشاطىء الشرقي لافريقيا ، فاستغلت الولايات المتحدة الفرصة ، وأفلحت في الحصول على امتيازات اقتصادية وتسهيلات تجارية مع السيد سعيد بن سلطان* وذلك في عام (١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م) مما آثار غضب بريطانيا التي كانت تعتبر هذه الجهات مناطق تقع في دائرة نفوذها ، وبالتالي تعمل على تهديد مصالحهافي المنطقة . فدخلت في صراع طويل مع الولايات المتحدة

---

(١) الترمانيني ، عبدالسلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٦٨

حيث تمكنت في النهاية بريطانيا من بسط حمايتها على السيد سعيد تحت ستار منع تجارة الرقيق [١] .

واصلت الدول الاوربية بعد ذلك اصدار قرارات تدعم حركة مناهضة تجارة الرقيق ، فقرر مجلس العموم البريطاني الغاء الرق في المستعمرات البريطانية عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣م وجاءت أسبانيا في اثرها لتقوم بالغائه في مستعمراتها عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م وكذلك البرتغال في عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩م ثم صدر قرار الغاء الرق في المستعمرات الفرنسية عام ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨م وساعدت تلك القرارات في حث مجموعة من الدول الاخرى لاتخاذ اجراءات مماثلة فاقدمت كل من هولندا والدنمارك على الغاء الرق في عام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠م [٢] .

وفي تطور لاحق شعرت الدول الاوربية بحاجتها الىموارد قارة أفريقيا الغنية وثرواتها الوفيرة، فتحركت العديد من دول اوربا وفي مقدمتها بريطانيا في حملات جديدة لاحتواء تلك القارة وفرض النفوذ الاوربي عليها تمهيدا لادخالها تحت حمايتها ، تلك الفترة هي التي ظهر فيها الاستعمار الأوربي لهذه القارة بشكل من الضراوة أدى الىتقسيم قارة أفريقيا خلال القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى بين الدول الأوربية لتبدأ مرحلة جديدة ونوع آخر من الاستغلال يشمل هذه المرة سرقة موارد

---

(١) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ،ص ١٥٤ .

* سلطان جزيرة زنجبار فى ذلك الوقت ، محمد ، محمد سيد ، " سلطنة جزيرة زنجبار الاسلامية " ص ٧٩ ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العدد ٢ مكة المكرمة ١٣٩٨هـ .

(٢) الترمانينى ، عبد السلام ، الرق ماضيه وحاضره ، ص ١٦٩ .

ومنتجات هذه القارة من أرضها وبجهود أبنائها [(١)] . وقد كان كل ذلك تحت ستار محاربة تجارة الرقيق في مواطنها .

وفي دراستي لمنطقة جنوب السودان مثال بسيط لما تم في أجزاء مختلفة من قارة أفريقيا . وقد اتبع الاستعمار البريطاني في تلك المنطقة السياسة الاستعمارية المعروفة فرق تسد مستغلا فكرة مناهضة تجارة الرقيق حيث وضع التهمة على الشماليين في البلاد بحجة أنهم يمارسونها في الجنوب ، دون أن يشير الى أرباب الشركات من الأوربيين الذين أثروا من وراء هذا العمل في السابق في تلك المناطق .

وقد ذكر الدكتور محمد عمر بشير ، أن السير آ. كادوجان Cadogan ممثل بريطانيا في مجلس الأمن وقف ليقول للأعضاء فيه : (ان أبناء جنوب السودان كانوا يتعرضون لغارات الشماليين وللاختطاف والبيع في سوق الرقيق حتى وقت دخول البريطانيين السودان) [(٢)]

وقد أدت مثل هذه التصريحات غير المسئولة الى الفتنة التي أججت نيران المشكلة بين شطري البلاد على أساس أن هذا العمل فيه استغلال للأهالي في الجنوب .

...

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٧١- ٧٢ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧م .

(٢) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٥١ .

المبحث الرابـــع

- دور المستكشفين والاداريين الأوربيين في جنوب السودان في ظـــل الادارة المصرية التركية (١٢٦٩-١٣٠٧ هـ / ١٨٥٢-١٨٨٩م) :

بدأت صلة الأوربيين بالجنوب ، خلال مرحلتين في العهد العثماني ، المرحلة التي شهدت النشاط المكثف للمستكشفين الأوربيين ، ثم المرحلة الثانية ، وهي التي أصبح فيها عدد من الاوربيين موظفين واداريين على رأس الجهاز الادارى الفاعل في جنوب السودان .

وقد كان النشاط الذى واكب عمليات الاستكشاف ،بمثابة مقدمات وتمهيد للطريق أمام الامتداد الادارى لمناطق جديدة في الجنوب .

ومن ناحية أخرى كان الاستقرار الادارى ، يعود مرة أخرى ليدعم حركة الاستكشاف من جديد ، حيث تساند كل من الجهاز الادارى وبعض المستكشفين في القيام بدور ساهم بشكل أو بآخر في وضع اللمسات الاولى لسياسة المستقبل المتعلقة بهذه المنطقة ، مما أثر على الاوضاع فيها من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأدى الى خلق مشكلات معقدة سيأتي الحديث عنها.

ان تلك الفترة التي شهدت اقبالا كبيرا من المستكشفين الأوربيين لمناطق الجنوب في أعالي النيل والبحيرات الاستوائية ، هيأت لهم الفرصة للوقوف على ظروف هذه المنطقة وأحوالها وتم تسجيل ملاحظاتهم في مؤلفات شملت وصفا دقيقا لثرواتها، وسكانها ،وطبيعة الحياة فيها ، فضلا عن جغرافيتها ، والأثر الذى يمكن أن ينشأ من خلال الاتصال بها من جانب اى قوة تستطيع فرض نفوذها والسيطرة عليها في المستقبل ،كما

أتيح أيضا لبعض الفئات والعناصر من الاداريين البريطانيين والاوربيين بشكل عام مجالا طيبا لرسم السياسة التي يمكن اتباعها في هذه المنطقة ، وقد كان ذلك بمثابة تمهيد الطريق لاستعمارها وفرض السيطرة عليها في المستقبل ، بصورة مباشرة .

- دور المستكشفين الأوربيين في الجنوب :

ذكرت سابقا أن التقارير التي نشرت عن حملات سليم قبودان في عهد محمد علي عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م قد أشارت اهتمام الاوربيين ودفعتهم الى المغامرة لدخول هذه المناطق وساندتهم في هذا العمل الجمعية الجغرافية الملكية في بريطانيا .

وربما تعتبر المؤلفات التي قام بنشرها المستشكفون من أهم البواعث التي أدت الى جذب انتباه الاوربيين نحو هذه الجهات بل وفتح الجنوب أمام المؤثرات الخارجية (١).

وقد اعتاد الرحالة والمستكشفون تسجيل ملاحظاتهم حول تلك الرحلات التي يقومون بها ، وهو أسلوب اتبعه بعض الذين زاروا السودان ومناطق النيل الابيض قبل محاولات سليم قبودان ، ومن هؤلاء الرحالة فردريك كايو Frederick Kayo الذى قدم مؤلفا عن رحلاته في السودان ، وقد صدر عام ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦م بعنوان الرحلة الى مروى والى النيل الأبيض والى ماوراء فازوغلي في أواسط مملكة سنار من المطبعة الملكية بباريس .

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٣٢-٣٣ .

ويبدو أن نشر هذا الكتاب قد أثار حفنة من المغامرين الأوربيين وحفزهم الى الصعود في النيل الابيض . وقد كان من بينهم الباحثون والعلماء وتجار العاج وغيرهم من الصيادين والسواح (١) .

وتشير المراجع الى أن الشاعر والدبلماسي الامريكي بيارد تايلور Bayard Taylor قد قام برحلة استكشافية الى مناطق الجنوب في السودان عام ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م، واستطاع أن يقطع مسافة طويلة في النيل الابيض جنوب الخرطوم ثم قدم مؤلفا عن تلك الرحلة (٢).

وعندما أطلقت حرية الملاحة في النيل الابيض في عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م تتابع وصول الرحالة والمستكشفين الى مناطق الجنوب بصورة ملفتة، وقد كان من أبرز الذين وصلوا الى تلك الجهات الرحالة البريطاني باثريك الذى تحول لمزاولة تجارة الرقيق في النيل الابيض بعد تدهور تجارة الصمغ في كردفان ، واستطاع التجول في منطقة بحر الغزال حتى بلغ حدود منطقة الزاندى ، وكان يشغل وظيفة قنصل بريطانيا في الخرطوم عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م (٣) وعند عودته الى بلاده قام بنشر معلوماته عن جنوب السودان في كتاب فعينته الجمعية الجغرافية الملكية عضوا فيها عام ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١م وطلبت منه العودة مرة اخرى الى افريقيا لمواصلة الاستكشاف ، وقد وفق في نشر كتاب آخر- عن رحلاته الجديدة الى أعالي النيل والبحيرات الاستوائية (٤) .

---

(١) مورهيد ،آلان ، النيل الأزرق ، ص ٢٥٥ .

(٢) مورهيد ،آلان ، النيل الأزرق ،ص ٢٦٢ ، مجهول ، على تخوم العالم الاسلامى ، ص ٨٠ .

(٣) رياض ، زاهر ، السودان المعاصر ، ص ٨٣ .

(٤) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ،ص ٨٣ .

وقد كان للدعم المعنوي والمادي من بعض الدول الاوربية وخاصة بريطانيا أثره في تواصل تلك الرحلات الاستكشافية من أوربا الى منطقة الجنوب .

وفي عام ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦م قدمت وزارة الخارجية البريطانية وشركة الهند الشرقية ، والجمعية الجغرافية الملكية في بريطانيا الاموال اللازمة الى بيرتون Berton وسبيك ، للقيام بحملة استكشافية ، الى منطقة افريقيا الشرقية ، ومن الساحل الشرقي لافريقيا واصل اسيبك سيره الى الداخل حتى بلغ البحيرة الواسعة التي أطلق عليها بحيرة فكتوريا Victoria معلنا انها مصدر النيل. وفى عام ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٨م حصل سبيك على دعم آخر من الجمعية الجغرافية الملكية لتأكيد كشفه ذاك وعاد مرة أخرى بصحبة جرانت في عام ١٢٧٧ هـ/ ١٨٦٠م ، وقد تابع هذه المرة سيره شمالا منحدرا مع النيل الابيض نحو الجنوب في السودان(١) .

كما شهدت منطقة الجنوب في عام ١٢٧٨ هـ/ ١٨٦١م قدوم البريطاني صمويل بيكر * وزوجته الى هذه الجهات بهدف ممارسة هوايته المفضلة في

---

(١) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١١ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ، بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٣٣ .

* ولد صمويل بيكر في لندن سنة ١٨٢١ م وزار مورشيوس في افريقيا وسيلان في جنوب آسيا ، ثم استهوته حياة الصيد والمغامرة ،وقدم للاستعمار البريطاني خدمات متعددة ،وانتقل الى انجلترا بعد وفاة زوجته ثم شارك في عملية مد سلسلة من الخطوط الحديدية بجوار الدانوب في عام ١٨٦١م مستكشفا لمنابع النيل في الحبشة وفي عام ١٨٦٢ وصل الخرطوم لاستكشاف منابع النيل الأبيض ، تعرض لكثير من المتاعب (=)

في صيد الوحوش الكبيرة بعد ان علم بوجودها في المنطقة ، وعند عودته الى بريطانيا ألف كتابا بعنوان روافد النيل من الحبشة تناول فيه حياة السكان كما أبدى فيه اهتماما بلغز النيل (١) ، ومن الجدير ذكره هنا أنه تقدم بهذا الكتاب هدية الى ولي عهد بريطانيا الذى أصبح فيما بعد الملك اداورد السابع (٢) Edward VII.

وقد يكون لهذا التصرف مغزاه في أن يكون صمويل بيكر أول من أوصى بهم ولي عهد بريطانيا الى حكومة الخديوى اسماعيل في مصر ليؤدى دورا مهما في منطقة الجنوب فيما بعد .

أما الطبيب والمبشر البريطاني لفنجستون فقد تردد منذ الأربعينات في القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى الى افريقيا كمستكشف حتىبات يعتقد ان عمله في أفريقيا هو محاولة قمع تجارة الرقيق وفتح مجاهل تلك البلاد للنصرانية والمدنية ،وذلك في اطار الدعم الذى كان يتلقاه من وزارة الخارجية البريطانية والجمعية الجغرافية الملكية ، ثم جمعية لندن التنصيرية (٣) .

(=) ونسب له استكشاف بحيرة البرت ، عادبعدها الى انجلترا ثم استدعى لمرافقة ولي عهد بريطانيا في زيارته الى مصر حيث وقع عليه الاختيار لقيادة البعثة الى المناطق الاستوائية حيث امضى نحوا من اربع سنوات عاد بعدها الى بريطانيا وتوفي في ٣٠ ديسمبر ١٨٩٣م.
عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ٦١-٦٢

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الأزرق ، ص ٢٦٢ .
(٢) مورهيد ، آلان ، النيل الأزرق ، ص ١٠٩ - ١١١ .
(٣) محمد ، محمد سيد ، " المديرية الاستوائية " ص ٣١٠ ،مجلة البحث العلمي ، العدد ٧ .

هذه تعتبر نماذج بارزة فقط لبعض المستكشفين اوردتها للتدليل على الاهتمام الكبير الذى أولته اوربا وبريطانيا خصوصا لهذه المنطقة من اواسط افريقيا ، فضلا عن الدعم السخي الذى كانت تجود به العديد من المؤسسات التي نشأت في بريطانيا وغيرها من الدول الاوربية على المستكشفين وقد سبق ذكر أمثلة لها.

وقد ادعت تلك الهيئات والحكومات في أوربا ان كل هذا الاهتمام كان الهدف منه خدمة أغراض الكشف الجغرافي وهو امر نعتقد انه لم يكن صحيحا ، فقد تجاوزت تلك البعثات الاستكشافية ذلك الغرض الى خدمة أهداف أخرى استعمارية صليبية كشفت عنها تلك المؤلفات التي نشرها المستكشفون وسأورد نماذج لها فيما يلي :

مؤلفات المستكشفين وآثرها:

لقد ترتب على حركة الاستكشاف في منطقة أواسط افريقيا وجنوب السودان نشر مجموعة من المؤلفات الادبية والعلمية احدثت تاثيرا بالغا في أوربا (١).

وربما انعكس ذلك التأثير في الاهتمام الذى اولته اوربا لهذه المنطقة عقب نشر تلك المؤلفات . وقد اشار الى هذا الاثر الكاتب الاوربي مورهيد فقال:

(وقد كان لكتب ومؤلفات العهد الفيكتورى * سلطان عجيب على

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الأبيض ، ص ٦٩ .

* العهد الفيكتورى نسبة الى الملكة فكتوريا التى حكمت فى الفترة مابين ١٨٣٧ - ١٩٠١م .

عقول الناس الامر الذى جعلها تعدل الأفلام السينماشية الى حد كبير ،فاستحوذت على خيال الناس واثرت بالتالي على الاتجاهات السياسية) واستطرد يقول في وصف تلك المؤلفات: (وتمتاز هذه الكتب بطابع شخصي قوى وبأنها نوع من الدعاية ، اذ كان المؤلف يدعو لقضيته بشيء من قوة الاقناع الديني والعاطفي في كثير من الأحيان ،وينفذ الى عقل قارئه فيناقشه في بعض المسائل كتجارة الرقيق ، ويثير عطفه واستنكاره ولما كانت هذه النداءات توشي عادة بموضوعات عن البسالة والمغامرة الخطرة ، فانها كانت تلقى استجابة هائلة)(١).

وربما يكشف لنا هذا القول أن تلك المؤلفات قد تتجاوز الحقيقة في بعض الامور والتي يمكن أن تؤدى الى تزييف مايحدث في تلك المناطق من أفريقيا تحت منطق الدعاية والتأثير على عقول الناس واتجاهاتهم. وقد يذكرنا ذلك ماكان يحدث في الغرب لاستنفار الأوربيين في فترة الحروب الصليبية بهدف اثارة الحماس في الناس للتطوع بالمشاركة في الحملات الصليبية (٢) .

فتلك المؤلفات كانت تقوم بنفس الدور وتنادى ببسط نفوذ المسيحية بل السيطرة الاستعمارية على تلك الأجزاء من قارة أفريقيا.

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الأزرق ، ص ٦٩ .

(٢) عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية، ج ٢ ، ص ١٣٤ — ١٣٨.

وربما يؤكد لنا ذلك ما أورده آلان مورهيد عن مؤلفات المستكشف البريطاني هـ.م . استانلي Henry Morton Stanley حيث قال : (ان معظم اقواله عن واجبات الرجل الابيض في افريقيا والحاجة الى نفوذ المسيحية كانت ذات رنين أجوف) ، ثم أشار الى ان علاقاته في افريقيا لاتخرج عن كونها علاقة نخاسين (١) .

ويشير الكاتب الصحفي الاوربي انتوني سلفستر Antoni الى ماذهبنا اليه في أن هذه الكتب والمؤلفات كانت مؤثرة على الاتجاهات السياسية مما أدى الى السيطرة والاستعمارفي النهاية نتيجة لذلك الدور الذى كان يقوم به المغامرون من المستكشفين الأوربيين في أواسط افريقيا ، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى، وقد ذكر فيهذا الصدد أن هؤلاء (المغامرين عندما يعودون الى أوطانهم في أوربا ، يقومون بتاليف الكتب ، وكتابة المقالات في الصحف والقاء المحاضرات عن مغامراتهم وانجازاتهم ، في السعي نحو تحقيق الاهداف المثالية الرفيعة ، الأمر الذى حفز أوربا للتدخل في السودان واستعماره) ثم أضاف قائلا (ولا يختلف هؤلاء المغامرون الأوربيون عن مرتزقة اليوم الذين أدانهم المجتمع الدولي وندد بهم)(٢)

هذا ماشهد به أحد الأوربيين عن حقيقة دور المستكشفين في المنطقة بمن فيهم من شخصيات كان لها دور مؤثر فيما يتعلق بالجانب الاداري ،

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الأبيض، ص ١٣٤ .

(٢) سلفستر ، أنتونى ، السودان فى عهد نميرى ، ص ٣٩ .

والمقصود بذلك شخصية المستكشف والمنصر البريطانى صمويل بيكر • وقد كشف لنا المؤرخ البريطانى مورهيد الانطباعات التى خلقتها آراء بيكر وآثرها على المجتمع الاوربى والبريطانى بشكل خاص ، تلك الآراء التى تجاوزت الاهتمام الشعبى ،لكونها فى اعتقاده اكثر من مجرد قصص مغامرات ، وربما يعنى أنها كانت ذات تأثير مباشر على العديد من الجهات الرسمية المسئولة فيما يتعلق بأواسط أفريقيا فى بريطانيا • وهذا يدل على أن مورهيد قد شعر من خلال ردة الفعل كأوربى وبريطانى فى نفس الوقت أن بيكر قد قصد اثارة انتباه الجهات الرسمية ، للاهتمام بأمر تلك الجهات ، والتى لاتزال خصبة وتتمتع بالثراء الطبيعى ، حيث من الممكن استغلال أصحابها البدائيين ، بعد طرد العناصر المسلمة منها — طالما أنها متهمة بتجارة الرقيق وحدها دون سائر الأوربيين أصحاب شركات النخاسة فى تلك المناطق — وذلك بتدخل بريطانيا حتى لاتضيع الفرصة الثمينة لنشر النصرانية بدلا عن الاسلام •

وقد علق مورهيد على ذلك الأثر الذى خلقته آراء بيكر فى بريطانيا قائلا : (ان كتب بيكر وحدها لم تحفز على سياسة جديدة نحو أفريقيا ، ولكن من المؤكد أنها ساعدت على هذا اذ استفزت المشاعر أو الأفكار التى كانت موجودة من قبل ، وأرشدت الى طريق كان رجال السياسة والكنيسة تواقين لسلوكه) (١) •

---

(١) مورهيد ، آلان ، <u>النيل الأبيض</u> ، ص ١٠٤ — ١٠٥ •

ومما لاشك فيه أن تلك المؤلفات قد أدت الى اثارة الشعور العام في آوربا ليتخذ موقفا معاديا ومتعصبا ضد المسلمين في هذه الجهات من آفريقيا وقد يدفع ذلك الأوربيين الى تنفيذ أفكارهم الاستعمارية والهيمنة على شعوب المنطقة •

- اهتمام الخديو اسماعيل * بمناطق الجنوب :

تولى اسماعيل باشا الحكم في مصر في الفترة من ١٢٨٠ - ١٢٩٧ هـ / ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م • وعزم على اتمام المشروع الذى بدأه جده محمد علي باشا وهو توحيد حوض النيل في دولة واحدة ، وذلك بضم أعالي النيل حتى المنابع وهو ميدان ربما كان يعتقد اسماعيل آنه بعيد عن مجال المنافسة الأوربية ، والنفوذ البريطاني بشكل خاص ، وهي ذات المصاعب التي صدت محمد علي باشا عن التوسع في آسيا الجزيرة والشام ووقفت في طريقه عندما أراد الحصول

---

* اسماعيل بن ابراهيم بن محمدعلي ، ولد في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٠م ، بالقاهرة ،تعلم العربية والتركية والفارسية ، درس في باريس العلوم والهندسة وأتقن الفرنسية ،رحل الى استنبول حيث عين عضوا بمجلس أحكام الدولة العثمانية ،وعاد الى مصر فعين في رئاسة مجلس الاحكام وهي أكبر هيئة قضائية في البلاد ، أصبح وليا للعهد عام ١٨٥٨م ،وتولى العرش عام ١٨٦٣م ، تميز عهده بتغلغل النفوذ الاجنبي في شئون مصر وقد آدى ذلك النفوذ الأجنبي الى عزله عن العرش عام ١٨٧٩م •

الرافعي ، عبدالرحمن ، عصر اسماعيل ،ج ١ ص ٦٩/ ٧٠ •

على كريت ، واليونان من بلاد البحر المتوسط (١).

ولكن الخديو اسماعيل كان لايستغني عن التأييد الاوربي له للاستمرار في تنفيذ مشروعاته وخططه في أعالي النيل ، كما كان في حاجة الى المزيد من الدعم المادى من أوربا ، وفي هذه الحالة كان لزاما عليه اظهار اهتمامه بالحملة المناهضة لقضية الرق وتاييدها ، بعد أن أصبحت صيحة سياسية كبرى في الغرب، هذا اذا أراد أن يستمر في تلقي تأييد العالم الغربي حتى لاتتعرض تلك المشروعات الى الاعاقة ، بل انه كان يطمح الى أن يجد مساعدة كبيرة تمكنه في المستقبل من تحقيق رغباته في تلك الخطوات التي تتمثل في بسط سلطان الحكومة في مصر على ماتبقى من الأجزاء الجنوبية من السودان ، والمعول على ذلك في هذا الأمر بالنسبة الى الخديو اسماعيل قربه من آوربا ، واعجابه بالغرب ، الذى بدا له أن يأخذ بحسن نية اسماعيل في ذلك الى أن يثبت له العكس (٢).

وقد جاءت أول اشارة فيما يتعلق بقضية مناهضة تجارة الرقيق في السودان الجنوبي من بريطانيا ، حيث كانت تنتظر طويلا مثل هذه الفرصة ، وكان اللورد رسل وزير خارجية بريطانيا قد أبدى اهتمام حكومته بهذا الأمر معلنا عن ترحيبها العظيم في التعاون مع الخديو بكل مافي وسعها لاتخاذ أية وسيلة يكون من شأنها القضاء على هذه التجارة في السودان الجنوبي ، جاء ذلك عن طريق السفير البريطاني في تركيا ،عندما كان يقوم بزيارة

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ١٣٠-١٣٣

(٢) مورهيد آلان ، النيل الابيض ، ص ١٤٧/١٤٨.

الى مصر في فبراير عام ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥م وقد أبلغ السفير حكومته ،أن الخديو اسماعيل كان صادق النية في هذا التعاون (١).

وكان اسماعيل باشا يرغب في القضاء على تجارة الرقيق في تلك الجهات من حوض النيل الأعلى ، والتي كانت خارجة عن سلطات ونفوذ الحكومة المركزية في الخرطوم نتيجة لتغلغل النفوذ الأجنبي فيها.

وضح ذلك في الترتيبات التي اتخذها موسى حمدى باشا أول حكمدار في عهد اسماعيل ، حسب التعليمات التي وردته من حكومة الخديو في مصر، فوضع ضريبة على كل بحار أو عامل في المراكب التي تصعد في النيل الأبيض بهدف تشديد الرقابة على الوابورات والمراكب التي تقوم بالعمل في هذه الجهات ، كما تأسست منطقة فشودة كعاصمة لمديرية النيل الأبيض ،حيث يساعد موقعها كثيرا في السيطرة على المراكب المتجهة الى كل من بحر الغزال وبحر الجبل ونهر السوباط ، ثم منع توريد الأسلحة والذخائر الى تلك الجهات وطلب من القناصل في الخرطوم الا يدخلوا تحت حمايتهم من يسيء استعمالها (٢) .

وفور اتخاذ تلك التدابير لمس التجار الأجانب جدية الحكومة في تنفيذ الاجراءات السابقة والسعي الى تطبيقها بحزم ، الأمر الذى جعل بعضهم يعملون على تصفية تجارتهم وبيع ما اكتسبوه من حق في زرائبهم *

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ١٣٢ – ١٣٣ . Gessi,R., Seven YearsIn the Sudan , P. 3.

(٢) شبيكة، مكى ،السودان عبر القرون ،ص ١٨٠ – ١٨١، هولت ب . م المهدية فى السودان ،ص ٣٦ ،ترجمة جميل عبيد وأحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار الفكر العربى ،المكان بدون ،بدون تاريخ ،شقير،نعوم ،تاريخ السودان ص ٢٥٠ .

للحكومة، وقد وافق الخديو اسماعيل على هذه الخطوة ، بل شجع تلك السياسة آملا في التقليل من نفوذ التجار الاجانب حتى بلغ مجمل مادفعته الحكومة لتعويضهم عن الخسائر الناجمة عن تصفية تجارتهم المائة الف جنيه . وقد نجحت هذه الاجراءات في احداث أثرها حتى بات من بقي من التجار لامجال لهم سوى تهريب تجارتهم (١).

ولو قدر لتلك الاجراءات التي صدرت من حكومة الخديو في مصر أن تستمر فربما كانت وسيلة ناجحة لابطال تلك التجارة تدريجيا الامر الذى سيجعل منها سلوكا شاذا ومستقبحا بمرور الزمن ، وذلك بعد سد الثغرات والحد من الوسائل التي ساهمت في رواجها وتفشيها ، ثم تشجيع كل مامن شأنه أن يساعد على زوالها تماما.

ولكن الواضح أن ماكان يحدث من تجاوزات من بعض المسؤولين في الادارة بالسودان قد قلل من فرص نجاح تلك التدابير التي كانت حكومة الخديو في مصر تحرص على الالتزام بها على الأقل من جانب الموظفين ان لم يكن من غيرهم .

هذا فضلا عن أن تجاوزات الموظفين في الادارة بالسودان وبالتحديد في مديرية النيل الأبيض قد تسمح لبعض الجهات بالتدخل في شئون البلاد باتخاذ قضية تجارة الرقيق ذريعة نتيجة لمثل هذا العمل .

وكان الخديو اسماعيل قد بلغته أنباء عن تجاوزات ادارية في مديرية النيل الأبيض فيما يتعلق بتجارة الرقيق وما ترتب على ذلك من

---

* جمع زريبة وهى عبارة عن سياج أو سور من الاشجار الشائكة .

(١) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ١٨٠/١٨١.

من أضرار كثيرة على الاهالى في الوقت الذى كانت فيه الحكومة تحرص كل الحرص لتفادى وقوع مثل هذه الاشياء ، ومن تلك التجاوزات ان مدير ادارة النيل الابيض من قبل الحكومة الخديوية قد استهتر بأوامر الحكومة ،واعاد بيع الرقيق المصادر لحسابه الخاص ، الامر الذى دعا الحكومة لانزال العقوبة الصارمة به ليكون عظة وعبرة لغيره من الموظفين والاداريين في تلك الجهات .(١)

ومن التجاوزات ايضا انه اذا اقدم أحد على الاعتداء على أحد ارقائه سواء كان بالضرب او القتل فانه لايعاقب ، خاصة اذا كان من طائفة الاوربيين الذى لايردعهم دين ولا خلق على ارتكاب مثل هذه الجرائم ، لأنه يعتبره جزء من ممتلكاته ويحق له التصرف فيه كيفما شاء وقد ورد العديد من الروايات حول هذا الأمر والتي اصدرت الادارة في عهد احمد باشا اوامر مشددة لمنع ارتكاب مثلها ، والذى يهم هنا ما يتعلق بتجاوزات الاطباء الاوربيين في الاجراءات الخاصة بضم الرقيق الى الجيش ، حيث تعقد الصفقة مع متعهدى الرقيق مقابل مبلغ من المال تجاز عندها معظم الحالات الواردة دون اى مراعاة لاسس اختيار المجندين ، وقد شكلت هذه الممارسات مصدرا للثراء لاينضب الاوربيين ، المكلفين بهذا العمل . وهو نوع من الابتزاز بدون أدنى شك واساءة بالغة لتلك المهنة الانسانية فى المقام الأول ، وقد قبضت الادارة على أحدهم ويدعى زوبيتو وهو ايطالي بعد ان انكشف امره نتيجة للثروة الضخمة التى جمعها من قبل هذا العمل ، وقد حكم عليه بالفصل من الخدمة والطرد من البلاد لأنه خان الامانة التى وضعها الحاكم في شخصه .(٢)

---

(١) شبيكة ، مكي ، السودان عبر القرون ، ص ١٧٩ .

(٢) مجهول ، على تخوم العالم الاسلامي ، ص ص ٨٤ – ٨٦ .

والأمر الذى ساعد على استمرار ووقوع مثل هذه الجرائم والتجاوزات بعد المنطقة عن الادارة المركزية في مصر . ولذلك كانت تقع الكثير من الأخطاء فى المناطق النائية وخاصة مايرتبط منها بأمر الرق والتجارة فيه . وذلك رغم حرص الخديو اسماعيل وعدم تهاونه مع الموظفين والاداريين فى الادارة فى السودان تجاه هذا الأمر ، مما يشير الى رغبته في اسعاد الاهالي ، وادخال الرفاهية والمدنية الى بلادهم .

ولكن من جهة آخرى نجد ان الدولة الاوروبية وخاصة بريطانيا قد وجدت فرصتها لممارسة الضغوط على الخديو وحجتها فى ذلك أن الرحالة والمستكشفين ينقلون لها مساوىء تلك التجارة على أنها لاتزال قائمة هناك . والدليل على ذلك تلك الممارسات غير المسؤلة من بغض الموظفيين والاداريين في السودان (١) .

وبناء عليه فقد قرر اسماعيل الشروع في ضم تلك الجهات وذلك بوضع حاميات فيها واظهار سطوه ونفوذ الحكومة بها . فعهد الى الحكمدار جعفر مظهر باشا العمل على وضع الترتيبات لضم جهات بحر الغزال ، واظهر هو اهتماما بجهات خط الاستواء .

---

(١) شبيكه ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ١٣٠ – ١٣١

- ضم جهات بحر الغزال :

يرتبط ضم جهات بحر الغزال الى الحكومة بشخصية الزبير رحمه (*) ، وكان الزبير قد بدأ حياته كتاجر صغير في تلك الجهات ، ونتيجة لذكائه وصفات الزعامة والقيادة التي كان يتمتع بها والتي ميزته على من حوله فقد دفعت به خطوات كبيرة في التجارة والتي قرينه من الملك والسلطان وأصبح بالتدريج له شأن يختلف عما كان عليه أقرانه من التجار ، فكان يحالف بعض الزعماء ليقاتل بهم غيرهم ، حتى صارت بلاد بحرالغزال تحت نفوذه الادارى والتجاري ، وعقد له لواء الحكم والزعامة التي وصل اليها باجتهاده الشخصي (١) .

اتخذ الزبير من بلدة باية التي أطلق عليها ديم زبيرعاصمة له (٢)، ثم كون جيشا قويا من الأسرى حيث كان يفتديهم بماله ويعمل على تجنيدهم ، وذلك حسب ماجاء في سيرته التي أوردها نعوم شقير(**) الذى عاصر الزبير وجالسه وسمع منه حيث قال والكلام للزبير : { وقد جرت العادة

(١) شبيكة ،مكى ،السودان عبر القرون ،ص ١٨٢ - ١٨٣،شقير،نعوم ،تاريخ السودان ص ٢٥٨ - ٢٦٧ .

(*) الزبير رحمة بن منصور بن على بن محمد بن سليمان بن شاعم بن بكربن شاهين بن جميع بن جموع بن غانم العباسي ، ينتمي الى قبيلة الجميعاب ،ولد في جزيرة (واوس) بالشمال في ١٧ محرم سنة ١٢٤٦ هـ / ٨ يوليو١٨٣١م ، حفظ القرآن على رواية أبي عمرو البصرى وتفقه على مذهب الامام مالك ، واشتغل بالتجارة ،سافر الى بحر الغزال سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م ومارس التجارة بها ، تزوج بنت ملك النمانم وصار ملكا في جهات بحر الغزال . شقير،نعوم ،تاريخ السودان ، ص ٢٥٨ .

(٢) الرافعى ، عبدالرحمن ،عصراسماعيل ،ج ١ ص ١٣٣،شقير ، نعوم ،تاريخ السودان ص ٢٦٥ .

في تلك الجهات أن يبيعوا أصحاب الجنايات كالسارق والزاني .. فافتديت من هؤلاء من وجدته أهلا لحمل السلاح ، حتى اجتمع عندى نحو خمسمائة رجل ، فسلحتهم بالأسلحة النارية ، وعلمتهم حملها واستعمالها)(١).

وكان الزبير قد اتهم من بعض عناصر الأوربيين الذين عاصروه بالمتاجرة في الرقيق (٢)، وتبعهم البعض في ذلك الا أنه لاتوجد أي اشارة تؤكد أن الزبير كان يشارك في هذا العمل ، وانما كان يشترى الأسرى ويفتديهم ليجعل منهم جنودا في جيشه ثم يتاجر في غيرها من السلع التي تشتهر بها المنطقة مثل العاج ، ولكن الكراهية التي لحقت بالوجود العربي الاسلامي في مناطق الجنوب من قبل الاستعمار قد طالت الزبير رحمه ،خاصة وانه كان قد شرع في تأسيس كيان ماكان ينبغي في نظر المستعمرين أن يقوم في تلك الجهات ، ولذا واجه الزبير حملة شعواء تتهمه بالمتاجرة في الرقيق ظلما وبهتانا، في حين أنه لم يواجه مثل تلك الحملة أعتى وأشهر تجار الرقيق في منطقة الجنوب ، ولكن الزبير ربما كان مقصودا لذلك السبب فقط .

(**) يشبه هذا العمل ماقام به صلاح الدين الايوبى ،عندما اشترى اثنى عشر ألف مملوك من الجراكسة والتركمان وبعد ان دربهم على العمليات العسكرية ألف منهم جيشا قاتل به الصليبيين .
القلقشندى : أبو العباس أحمد بن على ، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ج ٤ ص ٣٣٧ – ٣٣٩، طبعة القاهرة ١٩١٩ .

(١) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٦٤ .

(٢) Gessi R., Seven Years in the Sudan, P.213 .

وكان كرومر قنصل بريطانيا العام في مصر قد وصف الزبير بأنه من أكبر تجار الرقيق في بلاده ، دفعه حب المال الى ذلك ، وعليه فقد أصبح وثيق الصلة بهذه التجارة (١) .

وقد رد عليه مترجم الكتاب ، حيث اعتبر مثلهذه الفرية علىالزبير رحمه مجرد كلام رخيص ينفيه أن الزبير لم يكن بحاجة الى المال الذى ياتي عن طريق هذه التجارة بدليل أنه أنجز وحده فتوحات كبيرة عجزت عنها الحكومة الخديوية وفاق مركزه مراكز السلاطين ، ثم ان كرومر شهد بنفسه على عظمة الزبير وهيبته في مواضع من هذا الكتاب . ومما يفيد في هذه الحال أن أنقل شهادة ابن الزعيم المصرى أحمد عرابي وهو المترجم نفسه الذى قال في مقدمة ترجمته لذلك الكتاب عن الزبير باشا رحمه (في مطلع شبابي رأيت هذا الزعيم السوداني العظيم أثناء تزاوره مع والدى سواء في القاهرة أو في ضاحية حلوان ، وأكاد أجزم بأني لم أرشبيها له في هيبته ووقاره . وفي سلامة أحاديثه وآرائه . وفي قوة دينه الذى يضعه في مصاف الأئمة من السلف الصالح في صدر الاسلام) (٢) .

وكان الزبير قد تمتع بصفات أهلته للزعامة كما جاء على لسان نعوم شقير الذى التقى به مرات عديدة فقال عنه انه كان (عالي الهمة ، أبي النفس ، كريم الطبع ، سهل الحجاب ، قوى الارادة ، قريب الى الخير بعيد عن الشر ، محبا للعلم ، وأهل العلم والتقوى ، غيور على الاسلام والمسلمين مع مسالمة من هم على غير دينه) (٣).

---

(١) كرومر ، اللورد ، بريطانيا فى السودان ، ترجمة عبد العزيز أحمد عرابى ، ص ٤٤/١٠٥، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠م .

(٢) كرومر ، اللورد ، بريطانيا فى السودان ، ص (ط) .

(٣) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٨٧ .

هذه الصفات جعلت الكثير من الناس يقبلون عليه للاحتماء بـه والدخول في خدمته حتى دانت له معظم جهات بحر الغزال ، ونظم الطريق التجاري بينها وبين كردفان (١).

ولكن يبدو أن توجه الزبير فيما يختص بميوله الاسلامية في ادارة تلك الجهات حيث قال : (وحكمت البلاد بالكتاب والسنة ، وشرعت في تمدينها وعمارتها وتوسيع نطاق التجارة فيها) (٢) ذلك التوجه قد جلب على الزبير نقمة الاداريين الأوربيين الذين هالهم قيام مثل هذا الكيان في منطقة بحر الغزال بالجنوب ، فأخذوا يكيدون له ويعملون على عرقلة جهوده ، خاصة بعد كسبه لرضاء حكومة الخديو اسماعيل في مصر.

ويقول الشاطر بصيلي (أنه لو ترك الأمر للزبير أن يعمل وفق طريقته الخاصة ولم تقم في وجهه العراقيل ، ولم تغدر حكومة غردون بابنه فيما بعد لاستطاع الزبير منع تجارة الرقيق في فترة قصيرة في الوقت الذى كان يعمل فيه على تغيير الاتجاهات المحلية والتوسع الاقتصادى الى المستوى الذى ينتقل فيه الرقيق الى مركز يسترد فيه حريته كما يشاء) (٣) .

وكانت الحكومة الخديوية في مصر قد أولت منطقة بحر الغزال اهتماما جادا في اطار سعيها لضمها الى سلطتها وتمدينها ثم محاربة جيوب تجارة الرقيق بها . فتلقى الحكمدار جعفر مظهر باشا توجيها من حكومة الخديو في مصر بأن يوفد الشيخ محمد البلالي على رأس قوة من جنود

---

(١) الرافعي ، عبد الرحمن ، عصر اسماعيل ، جـ ١ ص ١٢٣ ، شقير ، نعوم تاريخ السودان ، ص ٢٦٦ .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٦٥ .

(٣) عبد الجليل ، الشاطر بصيلي ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص ١٥٨ .

الحكومة ، ويقوم بتعيينه ناظرا على بحر الغزال [١] .

ويلاحظ هنا أن الحكومة الخديوية كانت تجهل ماوصل اليه الزبير من نفوذ ، في تلك الجهات ، وفي عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م وصل البلالي الى بحر الغزال والتقى بالزبير الذى التف حوله زعماء القبائل والتجار في معركة انتهت بهزيمة البلالي وقتله [٢].

وعندما خف معاون الحكمدار للتحقيق في الحادث ، بعث الزبير من جهته الى الحكومة ،شارحا الأسباب التي دفعته للمقاومة ، ومبينا تعدى البلالي ومبادرته بالعدوان [٣].

وفي الوقت الذى وصل فيه الحكمدار الجديد للسودان اسماعيل باشا أيوب ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣م تقرر ضبط الزبير وارساله للتحقيق ،الا أنه أدرك ماوراء ذلك وهو أنه سيحسب خارجا على سلطان الحكومة وشاشرا عليها ، فطلب من جهته أن يتوسط له مدير منطقة بربر في شمال السودان لدى الحكومة الخديوية ، وأظهر الخضوع والامتثال للسلطات الحاكمة ،وقد أقنعت هذه التحركات الخديوى اسماعيل فعفا عنه ، وربما يكون قد رأى فيه من القوة وشدة البأس ومعرفة أحوال بحر الغزال وأهلها مايعين الحكومة على توطيد سلطانها [٤] .

---

(١) شبيكة مكى ، السودان عبر القرون ، ص ١٨٣ .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٦٦ ، الرافعى ، عبد الرحمن ،عصر اسماعيل ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٣) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ١٨٣ .

(٤) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٧٤ ، شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ١٨٤ .

صدرت أوامر جديدة في اثر ذلك تهدف الىتنظيم حكمدارية السودان عامة ،ومن بينها الأمر الخاص بجهات بحر الغزال في الجزء الجنوبي الغربي من السودان ، في عام ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤م بغرض تشكيل مديرية جديدة خاصة ببحرالغزال ، وتعيين الزبير رحمة مديرا لها(١). وقد قبل الزبير رحمة ماعرضته عليه الحكومة الخديوية .

وبذلك يكون الزبير رحمة قد قدم اقليم بحر الغزال هدية الى الحكومة الخديوية لتقوم بضمه الىحكمداريتها في الخرطوم ، دون أن تكون قد تكلفت في ذلك متاعب أو نفقات باهظة (٢)، قياسا بما كان يحدث بالنسبة لضم المناطق الاستوائية ،وما ترتب على هذا الامر من تبعات على أيدى الاداريين البريطانيين والأوربيين وهذا مانتطرق اليه في الصفحات التالية .

- دور الاداريين الأوربيين بالجنوب في ضم خط الاستواء :

أتناول في هذا الدور :

١ - فترة صمويل بيكر (بريطاني) ١٢٨٦-١٢٩٠هـ/١٨٦٩-١٨٧٣م .
٢ - فترة غردون باشا (بريطاني) ١٢٩١-١٢٩٣هـ/١٨٧٤-١٨٧٦م .
٣ - حكمدارية غردون وأثرها على الجنوب ١٢٩٣-١٢٩٥هـ /١٨٧٦-١٨٧٨م.
٤ - فترة أمين باشا (ألماني) ١٢٩٥-١٣٠٧هـ/ ١٨٧٨-١٨٨٩م .

---

(١) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٧٤ ، شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ١٨٤ ، عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٨٦ .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٧٤ ، رياض ، زاهر ، السودان المعاصر ، ص ٦٤ .

- فترة صويل بيكر : ١٢٨٦-١٢٩٠ هـ / ١٨٦٩-١٨٧٣م :

وافق الخديو اسماعيل على اختيار البريطاني صمويل بيكر ليقود الحملة التي ستعمل على اخضاع المنطقة جنوب غندكرو في السودان الجنوبي وقد جاء هذا الاختيار بناء على نصيحة أمير ويلز/وكان ولي عهد بريطانيا ثم أصبح فيمابعد الملك ادوارد السابع (١)

وقد تم التعاقد معه ابتداء من سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م ولمدة أربع سنوات يقوم خلالها بتنفيذ برنامج يقضي بمد سلطة الحكومة الخديوية الى هذه الأجزاء ثم القضاء على تجارة الرقيق بها (٢).

وأتوقف هنا برهة لامعان النظر في اختيار بيكر لهذه المهمة ، ففي رأى العديد من الباحثين(٣) أن الخديو اسماعيل لم يكن موفقا في هذه الخطوة ،بل نظر البعض(٤) بعين الشك والريبة الى مساعي بريطانيا لدى الخديوى حولهذا الأمر.

ويعتقد بأن قبول الخديو بذلك ، كان الهدف منه ارضاء بريطانيا ، وازالة شكوكها فيمايتعلق باستعداده للقضاء على الرق. وهي التي كانت قدساندته فيموقفه ازاء طلبات دلسبس * وادعاءاته ،كما أنها عاونته ، في اصدار فرمان من الباب العالي في عام ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م يقضى بانتقال العرش الى أكبر أبنائه ثم فرمان آخر في عام ١٢٧٤هـ / ١٨٨٧م

---

(١) محمد ، محمد سيد ،" المديرية الاستوائية " ص ٣٠٩ مجلة البحث العلمى العدد ٧ مكة المكرمة ،١٤٠٣/١٤٠٤هـ،طوسون ،عمر ،مديرية خط الاستواء،ج ١ ص ١٥ .

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٣٢ Gessi R.,Seven Years P. 3 .

(٣) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٣٠ ، الرافعي ، عبد الرحمن ، عصر اسماعيل جـ ١ ص ١١٣

(٤) محمد ، محمد سيد ، " المديرية الاستوائية " ص ٢١٠ مجلة البحث العلمى العدد ٧

لمنحه لقب خديو ، ويشير الى أنها لم تكن المرة الأولى التى يقوم فيها الخديو بارضاء بريطانيا ، فقد سمح لجيوشها من قبل بالمرور عبر الأراضي المصرية لاستخدام ميناء زيلع سنة ١٢٧٤ / ١٨٦٧ م (١) .

ويبدو أن الخديو قد وجد نفسه فى وضع لايسعه فيه الرفض سيما وأن بيكر كان من بين المستكشفين والرواد الأوائل فى أعالي النيل وله معرفة بهذه الجهات ، حيث يمكن الاستفادة من خبرته ومعرفته بها ذلك على الرغم من خطورة اختيار اجنبي لمهمة كهذه . ولذا فان هناك من يرى في قبول الخديو لها قد يكون استجابة للضغوط أو نوع من النفوذ الثقيل الذى كانت تمارسه بريطانيا عليه فى ذلك الوقت وقد تبين ذلك فيما طرحه الدكتور محمد سيد من تساؤل والذى جاء فيه : (ولسنا ندرى ما اذا كان التفكير فى تعيين حكام من الاجانب فى السودان بمثابة توكيد لنوايا الخديو وتسجيل لصدق عزيمته فى العمل على ابطال تجارة الرقيق .... أو أن الخديو من ناحية آخرى كان قد دخل - أو بدأ - يدخل في مرحلة الخضوع للضغط الاوربي ، فكانت نصيحة ولى عهد انجلترا بمثابة املاء) (٢) .

ويعتقد ان ترغيب ولى عهد بريطانيا - الذى كان فى زيارة الى مصر - للخديو اسماعيل فى أن يعهد الى صمويل بيكر - الذى كان حاضرا ايضا - بمهمة كهذه فى السودان الجنوبى ، لم يكن من قبيل الصدفة أو خدمة

(١) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٣٢ .

* فريدناند دلسيبس ، رجل اعمال فرنسي منحه سعيد باشا امتياز حفر قناة السويس عام ١٨٥٤م واستثمارها لمدة ٩٩ عاما. عبدالرحمن الرافعي ، عصر اسماعيل ، ج ١ ص ٧٥ .

(٢) محمد ، سيد محمد ، " المديرية الاستوائية " ، [illegible] مجلة البحث العلمي ، ص ٣١٠

انسانية وانما كانت الحكومة البريطانية ترمي بذلك الى تمهيد السبيل لتحقيق اطماعها الاستعمارية في وادى النيل (١) .

وبناء على ماسبق فان بريطانيا ربما كانت حريصة كل الحرص على اقحام نفسها في هذه المناطق ، لوضع يدها على اجزاء منها لاغراض استعمارية ، وان اختيار بيكر لهذه المهمة من جانبها يحقق لها شطرا أوليا من هذا البرنامج فالحاكم الاجنبي من الصعب ان ينسى هويته واذا اتيحت له الفرصة ليفيد بلاده مما هو بين يديه فربما لن يتردد في ذلك خاصة في منطقة كمناطق الجنوب في السودان ذات الخضرة الدائمة والثراء الطبيعي العريض والاهالى البسطاء كعمالة مجانية مطيعة . وبالتالى فانها ستكون مكانا ملائما للمشاريع الاوروبية الاستعمارية لبريطانيا التى كانت تتمتع بنفوذ كبير وواسع في منطقة وسط وشرق افريقيا هذا فضلا عن نفوذها على الحكومة الخديوية في مصر (٢) .

ومن الممكن اعتبار خطوة كهذه ماهى الا تنفيذ لاماني وافكار استعمارية خطط لها مسبقا ، وقد جاء وقت التنفيذ لكى تصبح حقيقة على ارض الواقع وان كانت تسير سيرا بطيئا وهى الطريقة الانجليزية المعروفة (بطئ ولكن اكيد المفعول) . وقد أثبتت الأيام بعد ذلك ان ماحدث من نفوذ في ذلك الوقت كان مقدمة لاستعمار حقيقي وقع فيما بعد .

---

(١) الرافعي ، عبدالرحمن ، عصر اسماعيل ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٢) محمد ، محمد سيد ، " المديرية الاستوائية " مجلة البحث العلمي ، العدد ٧ ، ص ٣١٠ .

وعلى كل فقد قبل اسماعيل ماعرضه عليه ولي عهد بريطانيا ، وأصدر مرسوما الى السير صمويل بيكر عهد فيه اليه باخضاع المناطق الكائنة جنوب غندكرو ،وذلك حسب الأمر العالي الصادر وما نص عليه العقد المبرم بينه وبين الخديوى اسماعيل (١).

وبذلك فقد أصبح بيكر قائدا لحملة عسكرية مؤلفة من ١٧٠٠ مقاتل بالاضافة الى قوة بحرية قوامها مركب بخارى مفكك وثلاث قوارب بالاضافة الى ٦ مراكب بخارية أخرى وعددا من المراكب الشراعية بلغت ١٥٠ مركبا وغيرها من المراكب التي ستنضم الى الحملة في الخرطوم (٢) .

وقد منح بيكر بعد ذلك رتبة فريق فأصبح يعرف ببيكر باشا(٣) تحفيزا له ليكون مخلصا في هذه المهمة .

وقد رافق بيكر في هذه الحملة مجموعة من البريطانيين والأوربيين *

---

(١) طوسون ،عمر ،مديرية خط الاستواء المصرية ١٨٦٩ - ١٨٨٩ ج ١ ص ١٣ الاسكندرية ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م .

(٢) عبيد ،جميل ،المديرية الاستوائية ،ص ٣٣ - طوسون ،عمر ، مديرية خط الاستواء ، ص ١٥ - ١٨ .

(٣) الرافعى ،عبد الرحمن ،عصر اسماعيل ،ج ١ ،ص ١١٣ ،شقير، نعوم، تاريخ السودان ، ص ٢٥١ .

* صحب بيكر فى هذه الحملة الليدى بيكر زوجته ،والملازم جوليان الين بيكر ابن اخيه - من رجال البحرية الملكية ،ومستر هجنبوشام ،ومكويلم المهندسان ومستر وود السكرتير والطبيب جوزيف جيدج ،ومستر ماركو بولو رئيس مخازن الحملة ومترجمها ومستر جارفس من بنائى البواخر ومستر هوايتفيلد ومستر سامسون وهيتشمان ورمسول كمساعدين له . طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية ، جـ١ ، ص ١٧ . عمر عبيد ، الآلاى ، النيل الابيض ، ص ١٤٨ .

وشمل الخديو اسماعيل هذه البعثة برعاية سخية وأغدق عليها المال ، وعلى الرغم من ذلك آستأنف رحلته وهو يحمل ضغينة لادارة الحكومة الخديوية في السودان لأنه كان يعتقد آنها تنظر اليه بعدم الرضا لشخصه كنصراني (١) .

وقد كان وضعه كأجنبي أيضا لم يجد قبولا من السلطات الادارية في السودان ، فقد اعترض حكمدار عموم السودان انذاك جعفر باشا مظهر على تعيينه في هذه المهمة ، وطلب الخديو اسماعيل بأن يتولى ذلك ضباط مصريون بدلا منه ، وحذره من الثقة بالضباط الاجانب في مثل هذه الحملات المهمة بأفريقيا (٢) .

ويبدو أن ذلك التحذير الذى صدر من الحكمدار كان تابعا من خلال خبرته وتجربته العملية التى قضاها في البلاد ، حيث ان خطورة هذه الخطوة تكمن في كون صمويل بيكر رجل نصراني وممثل لدولة أوروبية لها نفوذ ومطامع في منطقة وسط افريقيا بجانب الروح الاستعمارية والأهداف الخفية التى كانت تنطوى تحت هذا التكليف في مهمته ، ويكفي انه كشف عن ذلك وهو يفاخر بوصفه لمقر الادارة التى شيدها في منطقة الجنوب بالمديرية الاستوائية في اعتزاز واضح ، حيث اشار الى انها كانت تحتوى على طائفة من الصور التى تبهر أبصار الأفريقيين ، وكانت هذه

---

(١) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٣٤ .

(٢) محمد ، محمد سيد " المديرية الاستوائية " ، ص ٣١٠ مجلة البحث العلمي العدد ٧ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٥١ .

الصور للملكة فيكتوريا وأميرة ويلز (١) .

وفي الحقيقة ان تلك الصور مجرد أوراق لاتلبث أن تزول في وقت آوآخر الا أن تصرف بيكر بهذا الشكل يدل على أن ولاءه الاول وهو يؤدى هذه المهمة التي لاصلة لها ببلاده من الناحية الرسمية في هذه المناطق سيكون لبريطانيا وذلك بالرغم من أن حكومة الخديو في مصر هي التي أوفدته ولكنه مع ذلك فضل أن يكون وفيا لبلاده ، التي سعت لتوليه هذه المهمة ، وبذلك يكون تعصبه لهويته البريطانية محققا للاهداف التي كان مع حكومته في بريطانيا يمهد ان لها.

- بيكر في مواجهة القبائل في الجنوب :

تمكن صمويل بيكر من انشاء ثلاث محطات عسكرية بين غندكرو وفاتيكو وفويرا ، ولكنه فشل في تحقيق معظم الاهداف التي تحركت من اجلها حملته خاصة فيما يتعلق بمناهضة تجار الرقيق ، ثم فتح اسواق البلاد للتجارة المشروعة والمنظمة ، والاتصال بمنطقة البحيرات بفتح الطريق اليها، وانفق جل وقته في صراع دام مع القبائل في تلك الجهات ، فكسب عداء شديدا للحكومة كما ترك صورة سيئة للادارة الجديدة في تلك الجهات (٢)، بحيث يمكن القول في ذلك ، انه بهذا التصرف قد وضع البذرة الاولى للتمرد والعصيان ضد السلطة الحكومية والنظام ، في هذه الجهات وهذه النتيجة

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض ، ص ١٥٦ .

(٢) طوسون ، عمر ، مديرية خط الاستواء المصرية ،ج ١ ،ص ٩٠/٤٥

مورهيد ،آلان ،النيل الابيض ،ص ١٦٠ . Gessi R., Seven Years, P.63

شبيكة ، مكى ،تاريخ شعوب وادى النيل مصر والسودان ،ص ٥٣٥ ،ج ١،دار الثقافة بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

التى توصل اليها بيكر لم تكن مستغربة ، بالنسبة الى الأهداف الخفية التى كان يسعى الى تحقيقها لصالح هويته الاستعمارية ، فالاساءة الى سمعة الحوكة الخديوية في مصر كانت آبرز تلك النتائج ، في وقت كانت فيه هذه الحكومة تعمل باسم الاسلام وشعاراته ، وهنا يجوز طرح هذا التساؤل هل كان بيكر يقصد حقيقة انتهاز هذه الفرصة التى واتته للاساءة الى الاسلام بهذا التصرف ؟

على أى حال فان بيكر قد خرج من رحلته الى منابع النيل الازرق في الحبشة عام ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م بحقيقة عن حدود سياسية جديدة للاسلام في افريقيا ، وتلك الحقيقة اوردها مورهيد في كتابه النيل الازرق حيث ذكر ان بيكر قد فوجىء بتقدم الاسلام عن طريق النيل الازرق حتى بلغ الجبال الاثيوبية وذلك نتيجة لامتداد سلطات الحكومة الاسلامية في مصر وتوقع ان يصل الاسلام الى اثيوبيا ذاتها وذلك لاعتماد مصر على النيل (١) .

هذه هى الحقيقة التى توصل اليها بيكر فى رحلته الى الحبشة حيث هاله تقدم حدود الاسلام فى النيل الازرق بيد السلطة الحاكمة في مصر، ومن البديهي ان تكون دهشته اكبر فى ضوء تلك الحقيقة عند بلوغه المناطق الاستوائية وروّيته لتقدم الاسلام مصعدا في النيل الأبيض أيضا بيد السلطات الحاكمة في مصر . هذا الامر سيجعل تلك الفكرة التي ذكرتها في مقدمة هذا الفصل وهى ان وادى النيل يعتبر من أخطر المنافذ – بالنسبة للاوربيين – التى تعمل على تقدم الاسلام في افريقيا

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الازرق ، ص ٢٦٩ .

ماثلة أمام عيني بيكر.

وطالما أنه كان قد توصل الى حقيقة تقدم الاسلام في أفريقيا عن طريق النيل وأقرها ، فربما كانت خطته تتلخص في تشويه صورة الاسلام من خلال الاساءة الى الادارة التابعة للحكومة الاسلامية التي تحكم في مصر بتلك التصرفات الهوجاء.

وكان بيكر قد تعجل الصدام مع قبائل البارى ، اذ استباح أرضهم ومحاصيلهم وماشيتهم دون أن يمنحهم فرصة للتفاوض ، وكانت هذه القبائل قد امتنعت عن التعاون معه حينما طلب منها أن تبيعه الماشية والغلال ، فعمد الى الغارات العنيفة بهدف الحصول على التموين اللازم للحملة ، ترتب على ذلك حدوث الصدام المسلح بينهما ، وانتهز تجار الرقيق الفرصة خاصة أبو السعود وعقدوا حلفا مع القبائل ضد الحملة (١) .

ويبدو أن بيكر قد وجد نفسه أمام تحد سافر من ذلك الحلف فلم يتردد في الانتقام لنفسه وفق خطة همجية تمخضت عن الاستيلاء على أعداد هائلة من الماشية بلغت ٣٠ ألف رأس ، في حين أن عدد الحملة لم يتجاوز الالفي رجل ، وقام بالهجوم على القبائل البدائية التي تحالفت ضده مثل اللوكويا والالورون والبارى بالبنادق والسلاح النارى الفتاك (٢).

وقد واجه صمويل بيكر نقدا شديدا من جراء تلك السياسة الخرقاء التي لم يكن لها أي تعبرير تجاه أفراد القبائل الجنوبية البدائية شبه العزل من السلاح ، كما ان الصحف البريطانية لم تتردد في

---

(١) عبيد ،جميل ،المديرية الاستوائية ،ص ٤٢ - ٤٣ ،طوسون عمر ، مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ٣٨ - ٤٥ .

(٢) عبيد ،جميل ،المديرية الاستوائية ، ص ٤٢ - ٤٣ ، مورهيد ، آلان ،النيل الابيض ، ص ١٥٥ ، Gessi R., Seven Years, P. 91 .

توجيه اللوم الى بيكر وعلى رأسها صحيفة التايمز [١] .

وقد أدت تلك السياسة غير الحكيمة التي صدرت من بيكر تجاه القبائل الى تشويه صورة الادارة الجديدة ، وكشفت التصرفات غير المسؤولة للاداريين البريطانيين في شخص بيكر، مما أدى الى أن يتجرأ ماك وليم Mac William المهندس المرافق لبيكر ويتهم قائده بالقسوة في معاملة القبائل في أعالي النيل [٢].

تقدم بيكر بعد ذلك الى بلاد يونيورو وخلع ملكها كباريقا الذى لم يخضع له وولي آخر بدلا عنه معلنا ضم تلك البلاد رسميا ثم قام بتأسيس محطة عسكرية في عاصمتها ماسندى التي لاتبعد الا قليلا من بحيرة البرت نيانزا ثم شرع بيكر في اثر ذلك في اقامة علاقات ودية مع امتسا ملك اوغندة ، في الوقت الذى تعرض فيه لهجوم من ملك بلاد اليونيورو المخلوع مما اضطره الى الانسحاب شمالا الى فاتيكو ، وكانت مدة العقد الذى بينه وبين الحكومة الخديوية قد انتهت في ابريل عام ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣م ثم غادر الجنوب عائدا الى القاهرة ومنها الى بريطانيا [٣]. وذلك بعد أن ترك وراءه سمعة سيئة عن حكومة مصر الاسلامية التى كان يعمل لحسابها .

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض ، ص ١٨٧/١٥٣ .

(٢) طوسون ، عمر ، مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ٧٠ - ٨٠، مورهيد ، آلان، النيل الابيض ، ص ١٨٧ .

(٣) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٥٢ .

- فترة غردون * ١٢٩١-١٢٩٣ هـ / ١٨٧٤ - ١٨٧٦م :

لم تبادر الحكومة الخديوية في مصر الى تجديد العقد المبرم مع صمويل بيكر ،وذلك لأنها ربما لم تكن راضية عن منجزات بعثته في خط الاستواء(١).

وبالرغم من ذلك فان الحكومة في مصر كانت تبحث بواسطة وزيرها نوبار باشا عن أحد الضباط من فرقة مهندسي الجيش البريطاني لشغل ذلك المنصب . وذلك قبل انتهاء العقد المبرم مع صمويل بيكر ، بدليل أن نوبار قد التقى بغردون في استنبول عام ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢م وطلب منه المساعدة في هذا الأمر ، فأبدى غردون استعداده لتولي الامر بنفسه ، وذلك بعد أن يستشير حكومته في بريطانيا عن ذلك ، ثم أفاد بقبوله هذا المنصب في العام التالي (٢).

---

* ولد شارلس جورج غردون في أسرة عسكرية في ٢٨ يناير سنة ١٨٣٣م والتحق بالاكاديمية الملكية في بريطانيا وعمل كملازم ثاني في سلاح المهندسين ثم اشترك في حرب القرم عام ١٨٥٥م وعمل في البعثة العسكرية البريطانية الفرنسية في الصين انتابت افكاره نزعة دينية بعد عودته الى بريطانيا عام ١٨٦٤م وقد كان وصوله الى القاهرة عام ١٨٧٦م لتسلم منصبه كحاكم لمديرية خط الاستواء وله من العمر آنذاك ٤٣ عاما وعمل كحاكم عام للسودان/ لكنه استقال عقب عزل الخديوى اسماعيل / الا أنه استدعى لاخلاء السودان عقب قيام الثورة المهدية فقتل بالخرطوم على أيدى الثوار عام ١٨٨٥م.

عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١١٢ .

(١) طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، مورهيد آلان ، النيل الابيض ، ص ١٧١ .

وتشير بعض المصادر الى آن السياسة البريطانية كان لها دور في هذا الأمر ، وأنها سعت لاقناع الخديو اسماعيل ليقر هذا التعيين ويعهد اليه بهذه المهمة (١) .

والأمر الذى يثير الشك حول اختيار غردون لمأمورية خط الاستواء خلفا لصمويل بيكر ، هو اكتفاء غردون براتب ضئيل قدره الفين من الجنيهات فقط في السنة ، قياسا بماكان يتقاضاه سلفه بيكر وهو عشرة آلاف جنيه في السنة (٢) .

وارتبط بوصول غردون الى المنطقة أمر آخر ،كان خطيرا جدا وهو فصل مديرية خط الاستواء فصلا اداريا عن حكمدارية السودان حيث يصبح غردون بذلك مستقلا استقلالا تاما في أعماله . ويتم قصر سلطة الحكمدارية على الاجزاء التي تلي هذه المديرية الى الشمال .

وصارت بذلك الأقاليم جنوب فشودة تخضع لسلطة غردون الذى رأى أن ينشئ ديوانا خاصا بأعمال خط الاستواء منفصلا عن حكمدارية السودان ورتب له الكتاب والموظفين ، وأوجد له الدفاتر اللازمة وصارت حكومة خط الاستواء قائمة بنفسها ،وسمي الكولونيل غردون حكمدارا لعموم خط الاستواء (٣) .

---

(١) فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ج ١ ، ص ١ . Gessi R., Seven Years in the Sudan , P.5 .
شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٥٢ .

(٢) طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٣) N.R.O.,Cairint, 1/3/8 .
فوزى ،ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ج ١ ص ١٧ .

وكان غردون قبل وصوله الى السودان قد توقف في القاهرة لمقابلة الخديو اسماعيل للاتفاق النهائي معه على تفصيلات المنصب ثم تلقى الأوامر والتعليمات زيادة (على الأوامر التي تلقاها من خارجية انجلترا كما يعلم هذا بالبداهة) (١) وذلك على حد قول مرافقه ابراهيم فوزى .

وكانت مهمة غردون شبيهة الى حد كبير بمهمة بيكر مع شيء من التوسع في طموحات حكومة الخديو في تحقيق قدر أكبر من الانجازات ثم تلافي سلبيات الفترة السابقة ، والتي تولى فيها صمويل بيكر الادارة . كما أوكلت لغردون مهمة انشاء سلسلة من المحطات العسكرية على النيل الأبيض حتى المنابع ، ومحاولة ضم أوغندا ثم العمل على اطلاق بواخر بيكر في بحيرتي البرت وفكتوريا ، يضاف الى تلك المهام البند المألوف بشأن تجارة الرقيق ، مع الاعتراف بشكل عام بسلطة الحاكم العام في الخرطوم . (٢)

وهكذا واكبت وصول غردون الى جنوب السودان لتولي منصبه الجديد عام ١٢٩١ هـ/ ١٨٧٤م خطوات هامة كان اخطرها فصل مديرية خط الاستواء فصلا اداريا عن بقية اجزاء القطر ، واطلاق يده وهو الحاكم الأجنبي البريطاني فيها ، مما كان له آثار سيئة في المستقبل وذلك باتباع سياسة من جانب الأوربيين والبريطانيين بشكل خاص الغرض منها محاربة الوجود الاسلامي العربي في منطقة الجنوب ، وهي سياسة اتبعها بيكر في الفترة التي تولى

---

(١) فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ج ١ ، ص ١

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١١٥ ، طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ص ١١٠ - ١١٤ .

فيها الحكم والادارة في خط الاستواء قبل غردون ، حيث عمد الى العنف بقصد الاساءة الى الادارة الاسلامية التي يعمل باسمها ، أما غردون فقد اتخذ لذلك طريقة أخرى وهي سياسة ابعاد التاثيرات الاسلامية والعربية عن المنطقة ، يساعده في ذلك فصل المديرية عن حكمدارية السودان في الخرطوم واطلاق يده فيها.

وبجانب أنه لم يكن هنالك تفسير معقول لقضية الفصل التي ترتبط ببداية عهد غردون في خط الاستواء ، فان هذا الفصل قد تم الغاؤه بكل بساطة وأعيدت المديرية الى حكمدارية السودان (بطلب من غردون) في الفترة التي أصبح فيها غردون نفسه حكمدارا عاما للسودان فيما بين ١٢٩٤-١٢٩٧هـ / ١٨٧٧ - ١٨٧٩ م.(١) وبالتالي ليس هنالك من تفسير مناسب لمثل هذا الاجراء سوى أنه دليل على النية الاستعمارية المبيتة منذ تلك الفترة ، والتي كانت تسعى في أن يكون الجنوب تحت يدها وفي كل الاحوال بقصد صياغته بالصورة التي يريدونها بعيدا عن التأثيرات الاسلامية والعربية.

والملفت للنظر أن سياسة الفصل هذه قد أصبحت فكرة محبذة من جانب الاداريين الأجانب البريطانيين والأوربيين ، حيث بدأت فكرة فصل الجنوب في التطور على أساس أنها الفكرة المناسبة التي ستخدم مشروع ابعاد التأثيرات الاسلامية والعربية عنه ، الى أن ظهرت كسياسة مقررة من جانب الادارة البريطانية الاستعمارية فيما يعرف بسياسة الجنوب عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠م عندما سيطرت السلطات البريطانية على البلاد واحتلتها عنوة وأبعدت الادارة المصرية في الفترة التي يشار اليها بالحكم الثنائي اسما لافعلا وذلك منذ بداية عام ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م.

---

(١) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٣٥

ـ غردون وسياسة ابعاد التأثير الاسلامي والعربي عن الجنوب :

كانت أولى الخطوات التي اهتم غردون بتنفيذها لتحقيق هذه السياسة ، أنه تقدم بطلب الى الخديو اسماعيل لضم اقليم بحر الغزال الذى يحكمه الزبير والتابع الى الحكمدارية في الخرطوم الى ادارته في خط الاستواء ، ليصبح الجنوب بكامله مفصولا عن الحكمدارية ،ولكن الحكومة الخديوية رفضت هذا الطلب بعد مشاورة الحكمدارية في ذلك ، خشية من أن يصطدم الزبير بغردون وتقع الحرب بينهما(١) .

وربما كان غردون يريد التخلص من الزبير باشا رحمة ، وازالة الحكومة الاسلامية التي وفق الزبير في انشائها في قلب اقليم بحر الغزال حيث صارت بذلك مديرية بحر الغزال تابعة للحكومة الخديوية ، ويبدو أن غردون بات قلقا حولهذا الامر ،ومضى في التحرش بالزبير حتى تمكن من التخلص منه ومن أسرته فيمابعد في تلك السنة ، وسياتي تفصيل ذلك عندما يأتي الحديث عن حكمدارية غردون ،وأثرها في الجنوب .

وكانت الخطوة التالية المتعلقة بسياسة ابعاد التاثير الاسلامي العربي عن الجنوب ، أنه عندما وصل الى المديرية الاستوائية في منتصف ابريل ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤م قام بتوجيه اللوم والتأنيب الشديد الى محمد رؤوف بك الضابط المصرى الذى أوكلت اليه مهمة تسيير أمور المديرية الاستوائية عقب سفر بيكر الى بريطانيا بعد انتهاء مدةخدمته . وكان ذلك نتيجة للاخطاء التي ارتكبها بيكر أثناء فترة حكمه للمديرية . وقد أدى ذلك التأنيب الى استعفاء رؤوف بك وانسحابه من المديرية الى مصر(٢).

---

(١) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٨٩ .

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، فوزى ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ج ١ ، ص ٩ ـ ١٠ .

يُظهر ابراهيم فوزى الذى كان مرافقا لغردون في تلك المهمة أن غردون تعمد احراج موقف محمد رؤوف للتخلص منه باعتباره ممثلا قويا وناجحا للعنصر العربي (١).

وفي الامكان اعتبار هذه الخطوة بداية للسياسة التي اتبعها غردون في ابعاد العناصر العربية والاسلامية عن الجنوب واحلال عناصر اوربية محلها .

وفي النصف الاول من عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م قام غردون بعدة اجراءات حيث أصدر قرارا باحتكار تجارة العاج لحساب الحكومة ، كما قرر عدم السماح لأي فرد بدخول المديرية الاستوائية دون تذكرة من حكمدارية عموم السودان ، تعتمد من سلطات غندكرو عاصمة المديرية الاستوائية ، وتضمن القرار حظرا بتنظيم الجماعات المسلحة في المديرية ودخول الاسلحة النارية والبارود وهدد كل من يخالف ذلك بعقوبات قاسية أمام المحاكم العسكرية (٢).

وربما كان غردون يهدف بهذه القرارات إلى محاربة تجار الرقيق الذين يتذرعون بالتجارة في سن الفيل ، ولم يكن يدرى أنه بهذا الاحتكار قد ضيق فرص التجارة على الاهالي ، الامر الذى جر المنطقة وتجارتها الى الخراب الاقتصادى في وقت كانت فيه تجارة العاج هي البديل المناسب لتجارة الرقيق ، خاصة اذا تم تنظيم تلك التجارة بما يناسب كميات العاج التي تنتجها هذه المنطقة ، وبذلك أصبحت قرارات غردون نكبة على تنمية التجارة وازدهارها ، خاصة وأنها لم تراع ظروف الاهالي الذين حرموا من التعويضات التي تمتع بها بعض الاوربيين الذين خسروا تجارتهم في المنطقة من بيع الرقيق (٣) .

---

(١) فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ج ١ ، ص ٩ – ١٠ .

(٢) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ١٣٣ ، طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ١٤٢ – ١٤٣ ، محمد ، محمد سيد ، المديرية الاستوائية " ، مجلة البحث العلمي العدد ٧

(٣) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٥٠، ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٩٥ .

ويبدو أن قرار احتكار التجارة في الجنوب قد ساهم في انهيار النشاط التجارى فيه وأصابه بالركود وأدى لاغلاق النيل الابيض في وجه حركة الملاحة ، وقلل بالتالي من فرص التجارة المشروعة التي تهدف السلطات في حكومة الخديو الى اقامتها بمنطقة الجنوب .

نقل غردون مركز حكومته الى اللادو وشرع في تأسيس محطات عسكرية بلغ عددها عشر محطات على النيل الابيض وبحر الجبل ونيل فكتوريا هي لادو ، دوفيلي ، فويرا ، لاتوكا ، فاديبك ، رول ، مكركة ، ومنبوتو ثم منطقة شيت والشامر . (١)

وعندما تم استكشاف بحيرة البرت نيانزا دخلت هذه لمنطقة في الحدود السودانية حيث تم رفع العلم فوق ماجونجو التي تقع بالقرب منها عام ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦م وبذلك تكون حدود المديرية الاستوائية قد شارفت على المنابع الرئيسية للنيل الأبيض (٢).

كما ارتبط بوجود غردون في تلك الجهات حادثة أخرى توضح موقفه ودوره الواضح في خدمة أهداف الاستعمار الذى لايرغب في تقدم المد العربي الاسلامي الى منطقة أواسط أفريقيا.

ويعتقد أن الخديو اسماعيل قد بدأ يشعر بتآمر بريطانيا

---

(١) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١٤٠ – ١٤١ ، شقير ، نعوم تاريخ السودان ، ص ٢٥٥ .

(٢) طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ٢٩١ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٥٦ .

في هذا الاتجاه ، ولذا فقد أمر أن يكون الضابط الامريكي شايبه لونج * Chaille Long مرافقا لغردون في بعثته وذلك رغم معارضة الجنرال ستانتون Stanton قنصل بريطانيا العام في مصر لذلك . وكان الخديو اسماعيل يهدف من هذا العمل الى حماية مصالح الحكومة فاستدعى الضابط شايبه لونج ووجه له العبارات التالية : (اعلم أن القوم في لندن على وشك ان يجهزوا حملة تحت قيادة رجل متستر بالجنسية الأمريكية يسمى ستانلي وهو في الظاهر ذاهب ليمد يد المعونة الى لفنجستون أما في الباطن والحقيقة فلرفع العلم البريطاني على اوغندة ، فعليك الآن أن تذهب الى غندكرو ولاتضيع شيئا من الوقت ، بل يمم في الحال إلى اوغنده ، واسبق هناك حملة انجلترا وأعقد محالفة مع ملك تلك البلاد) (١).

وقد نجح شايبه لونج في الوصول الى اوغنده ورحب به امتسا ملك تلك البلاد ترحيبا حارا ووافق على عقد معاهدة معه عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م قبل بمقتضاها ملك اوغنده وضع مملكته تحت حماية حكومة الخديوى في مصر . كما وافق على بقاء حامية عسكرية في عاصمته اورندجاني وابدى اهتماما بتفهم تعاليم الاسلام ، الامر الذى جعل حكومة الخديوى تعده بارسال بعثة من العلماء المسلمين لارشاده الى الاسلام (٢) .

(١) طوسون ، عمر ، مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ١١٦ ، فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ج ١ ، ص ٢٤ .

* شايبه لونج ـ امريكي الجنسية من اصل فرنسي ، ولد عام ١٨٤٢م ، شارك في الحرب الاهلية كضابط واصبح واحدا من اركان الجيش المصرى عام ١٨٧٠م صحب غردون للاستوائية وزار اوغندا وترك الخدمة بها عام ١٨٧٧م توفي في فرجينيا بامريكا عام ١٩١٧م .
عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ص ١٢ .

(٢) لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢٢٠٤ ، الترجمة محمد مصطفى زيادة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ م .

في هذا الوقت كان استانلي مبعوث بريطانيا قد وصل الى اوغندا ، وعلم ان ملكها امتسا قد اتجه الى الاسلام ،فاعتزم استانلي أن يتعه ، وأعلن أن الملك يجب ان يعتنق المسيحية ،وشرع فعلا فيعقد سلسلة من الاجتماعات لقراءة التوراة في بلاطه (١) .

ومن ناحية اخرى فان غردون في غمرة الصعوبات التي واجهته على النيل ، قد فكر في العثور على طريق آخر الى وسط افريقيا يجعل من اليسير بلوغ اوغندا ، واهتدى الى ساحل افريقيا الشرقي . ورأى بامكانه التوجه منه برا عبر نهر جوبا فيما يعرف الان بالصومال الى اوغندا . وعرض غردون الفكرة على الحكومة الخديوية التي سارعت لاختيار بعثة بحرية على راسها احد ضباط البحرية البريطانية وهو الكابتن ميكلوب Maclop وقد أبحرت البعثة في سبتمر من عام (١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥م)واحتلت كسمايو ،وعندما علم قنصل بريطانيا العام فيزنجبار بذلك ارسل الى وزارة الخارجية في لندن ونبه سلطان زنجبار ليقدم احتجاجا هو الاخر حول هذا الأمر(٢) .

وكان وقتئذٍ في بريطانيا فريق له نفوذ كبير لايرغب في أن يمد الخديو اسماعيل حكمه الى أواسط افريقيا ، كما ان الجمعيات التنصيرية كانت تناصر هذا الرأى ، ثم تولت الصحافة البريطانية الهجوم

---

(١) مورهيد ،آلان ،النيل الابيض ،ص ١٣١،فوزى ابراهيم ،السودان بين يدى غردون ،ج ١ ، ص ٢٥ ،أرنولد ،توماس ، الدعوة الى الاسلام، ص ٣٨١ .

(٢) مورهيد ،آلان ،النيل الأبيض ،ص ١٨٠،شقير ،نعوم ،تاريخ السودان،ص ٢٩١، محمد ، محمد سيد ،" سلطنة زنجبار الاسلامية" ص ٧٥، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، العدد ٢ ، مكة المكرمة ، ١٣٩٨هـ .

على الخديو بدعم من خبراء الشئون الأفريقية وعلى راسهم المستكشف السابق جرانت .

من ناحية آخرى فقد تناهت الى غردون في أفريقيا أنباء ماحدث في بريطانيا والضجة التي أثارها تقدم حكومة الخديو اسماعيل الى أواسط افريقيا ، مما جعل غردون في وضع حرج ،فكتب غردون تلافيا لما حدث الى رئيس وزراء بريطانيا اللورد دربى Derby آنذاك وأبلغه انه الملوم شخصيا في المسألة برمتها ثم أبدى اعتذاره عن ذلك (١).

ويبدو أن تلك الخطوة التي اتخذها غردون كانت في نظر الرأي العام والساسة في بريطانيا خطوة خطيرة وغفلة منه لأنها ساعدت الى حد ما الى فتح الطريق لتقدم الاسلام الى أواسط أفريقيا.

ولذا فانه لم يكن مستغربا بعد ذلك أن يقوم غردون بتغيير شامل في خططه فقرر فيه انسحاب جنود الحكومة وعساكرها من اوغندا ، واعترف لملكها بالاستقلال الذى لم يطلبه أصلا ، مبررا هذا التصرف بانه لم يأمر قائده باقامة محطة عسكرية في أورندجاني عاصمة أوغندا (٢).

وربما يكون تراجع غردون ماهو الا تمهيد لخطوة آخرى من جانب بريطانيا نتيجة لاحساسه بموجة النشاط الاستعمارى في بريطانيا نحو مناطق جنوب ووسط وشرق أفريقيا . وكان من مصلحة ذلك النشاط الاستعمارى وقف

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض ، ص ١٨٠ – ١٨١ .

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٩٨، طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

الامتداد الحالي للحكومة الخديوية في مصر نحو هذه الجهات . كما أنها قد تكون نفس المبررات التي دفعته للتفكير في الانسحاب من ماسندى عاصمة يونيورو وذلك في اطار خطة الانسحاب التي عكف على تنفيذها [١] .

بقي أن نذكر أن غردون قد نجح في اقامة بعض النقاط العسكرية وبسط الأمن ، كما طارد تجار الرقيق ،واستطاع ان يمنع جنوده من الاشتباك مع الأهالي ،كما تم كشف النهر لمسافة ٦٠ ميلا من منبعه بوضوح تام [٢].

وفي ديسمبر من عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م غادر غردون السودان في اجازة الى القاهرة ثم الى بريطانيا تاركا الكولونيل البريطاني بروت بك وكيلا عنه في خط الاستواء معتذرا عن عدم الحضور مرة أخرى الى خط الاستواء في الجنوب [٣].

ـ حكمدارية غردون وأثرها على خط الاستواء :

طالب غردون حكومة الخديو وهو يقضي اجازته في بريطانيا ان يسمح له بحكم السودان ،والا فانه لن يعود مرة أخرى الى المديرية الاستوائية فوافق الخديوى على ذلك الشرط . وعينه حكمدارا عاما على السودان بأكمله بما فيه مديرية خط الاستواء التي تم فصلها عندما كان غردون مديرا لها ومنحه السلطة المدنية والعسكرية عليه [٤] .

---

(١) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١٠٤ .

(٢) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض ،ص ١٨٣ ، طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(٣) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١٠٦ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٥٦ .

(٤) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٩٣ ، زكى ، عبد الرحمن ، " حكمدارو السودان " ص ٤٢٨ المجلد الاول ، المجلة التاريخية المصرية ، مايو ١٩٤٨ .

وبذلك تعتبرهذه المرة الاولى التي يتولى فيها هذا المنصبالخطير حاكم أجنبي ، وهو ليس حاكما اجنبيا فحسب وانما ينتمى الى دولة لها في هذه المنطقة من وسط أفريقيا مآرب استعمارية خاصة في أعالى النيل ومنطقة البحيرات الاستوائية ، كما أنها تتطلع في نفس الوقت الى انشاء امبراطورية أفريقية بريطانية في شرق أفريقيا. (١)

ومما لاشك فيه أن تنصيب غردون حاكما عاما للسودان عام١٢٩٤هـ/١٨٧٧م يمثل انتصارا للسياسة البريطانية في السودان ككل وفي الجنوب بشكل خاص . حيث تستطيع بريطانيا بموجب هذه الخطوة تنفيذ اغراضها الاستعمارية بسهولة ويسر دون رقيب أو حسيب .

وفوق ذاك فان بريطانيا كانت قد تمكنت من تحقيق نفوذ كبير على حكومة الخديو اسماعيل بتدخلها في شئون مصر الاقتصادية بشرائها أسهم مصر في قناة السويس سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م وانشاء صندوق الدين مع فرض الرقابة على مالية الحكومة في مصر (٢).

هذا الأمر جعل حكومة الخديو خاضعة تماما لذلك النفوذ من جهة وهيأ لبريطانيا فرصة ثمينة لتكون أكثر جرأة في الحصول علىكل ماتريده في السودان من جهة أخرى . ويكفي أن تنصيب غردون حاكما على السودان قد جاء في هذه الظروف .

تسلم غردون منصبه الجديد في شهر مايو من عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م وأخذ يعطي مناطق الجنوب اهتماما خاصا الا أن هذا الاهتمام لم يكن في مصلحة

---

(١) الرافعي ، عبدالرحمن ، عصر اسماعيل ، ج ١ ص ١٥٦.

(٢) الرافعي ، عبدالرحمن ، عصر اسماعيل ، ج ١ ، ص ١٥٦-١٥٧

البلاد او لصالح الجهة التي اوفدته وانماكان لخدمة مصالح بريطانيا وأهدافها بالمنطقة.

وكانت أولى الخطوات التي قام بها غردون وهو حكمدار عام للسودان، أن أجزل مكافأة أعوانه من الاوربيين وعمل على ترقيتهم ثم قدم العون والمساعدة الى الرحالة والمستكشفين الاجانب وخاصة البريطانيين وعمل على امدادهم بالأدوية قبل رحيلهم الى مناطق الجنوب ، كما وفر لفريق من المنصرين البريطانيين وسائل النقل والمهمات التي تلزمهم وهم في طريقهم الى أوغندا ودفع كافة نفقاتهم .(١)

مع العلم بأن غردون كان قد آثر الانسحاب من أوغندا عندما كان مديرا لخط الاستواء دون ان يقدم اسبابا معقولة لذلك ، في وقت كانت فيه العلاقات الودية بينها وبين مصر قد وصلت مرحلة طيبة قبل فيها ملك أوغندا حماية الحكومة في مصر على بلاده وأظهر ميلا للتعاليم الاسلامية (٢).

أما بالنسبة لموضوع تجارة الرقيق في فترة حكمدارية غردون فان النفوذ البريطاني كان لايزال يمارس ضغطا على حكومة الخديو في مصر للقيام بتحديد قيد زمني يتم في آثنائه القضاء على تجارة الرقيق بصورة نهائية من مصر والسودان ومع ان الخديو كان يدرك أنه من المتعذر تحديد وقت معين لالغاء هذه التجارة الغاء تاما ، وأن عملية الالغاء المطلوبة عامل الزمن كفيل بحسمها مع الأخذ ببعض الترتيبات إلا أن الحكومة البريطانية أصرت على ضرورة الغائها في بحر سبع سنوات من مصر ،ومن السودان خلال اثنتى عشرة سنة

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض ، ص ١٩٢.

(٢) لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ٦ ، ص ٢٢٠٤ ، طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، جـ١ ، ص ٢٨٥ . Gessi R., Seven Years, P. 79 .

وذلك بحجة ان الحكومة البريطانية تقع تحت ضغط الرأى العام في بلادها ، بقيادة جمعية مكافحة الرق .

وقد وافق الخديو على ابرام معاهدة الرقيق مع بريطانيا بالرغم من عدم اقتناعه بتلك الخطوة الا انه كان يعول على مساندة بريطانيا له في الازمة المالية الحادة التي تمر بها حكومته في مصر ، كما كان يطمع في اعتراف بريطانيا بسيادة حكومة الخديو على الساحل الغربي للبحر الاحمر ، وقد كان من رأي غردون ان البريطانيين قد مارسوا ضغطا على الخديو وأرغموه على عقدها .

والمتوقع في حالة اتمام عقد هذه المعاهدة أن لايسمح القيد الزمني باتخاذ الاجراءات المعقولة والتي يتوقع أن تودى الى النتيجة المطلوبة ويكون مكمن الخطورة في أن تضطر الادارة في السودان الى اتخاذ اجراءات متطرفة وبعيدة عن الصواب حتى تتمكن من الالتزام ببنود هذه المعاهدة ، وقد كان (١) .

ففي الرابع من اغسطس ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م تم ابرام تلك المعاهدة (٢) . وقد بادر غردون فور صدورها الى تنفيذها بشدة وصرامة ، واستعان بالاوربيين في ذلك ، بل أدخل لجهاز الحكم عناصر استعمارية كان هدفها التنكيل بالأهالي على يد الموظفين الاجانب وعملائهم تنفيذا لتلك المعاهدة ، وقد ساد الذعر والارهاب نتيجة لتلك القسوة (٣) .

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ١٣٤ – ١٣٦ .

(٢) نصر ، السيد يوسف ، الوثائق التاريخية ، ص ١٣١ – ١٥٣ .

(٣) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص ١٦٤ .

والمتأمل لمواقف غردون الصارمة تجاه هذه التجارة لايستطيع أن يصدق أن غردون قد آبدى تراجعا عن هذه المبادىء ، وأعلن أن ملكية الرقيق في السودان مباحة وذلك في عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤م عند قيام ثورة محمد أحمد المعروف بالمهدى * ، وذلك بهدف اعادة الهدوء والسكينة الى السودان (١).

ولكن في حقيقة الأمر أن غردون لم يبد تراجعا في ذلك وانما أدرك الخطأ الذى ارتكبه مع غيره من الاداريين الاوربيين في معالجة الكثير من الأمور الادارية ومن بينها قضية الرق التي لم يتخذ سوى العنف الزائد سبيلا لعلاجها . وقد اراد غردون باعلان تراجعه في امر الرق ان يزعزع موقف تجار الرقيق حيث كان يعتقد بانهم دعموا موقف الثائر محمد احمد نكاية في الحكومة التي آساء اداريوها الاوربيون معاملتهم ولكن يبدو أن قائد الثورة لم يكن يهمه تراجع غردون، حيث مضى في خططه حتى النهاية .

---

(١) كرومر، اللورد، بريطانيا في السودان، ص ١٤١

* يعتبر محمد أحمد المعروف بالمهدى ، مصلحا دينيا وزعيما سودانيا ولد بجزيرة لبب في شمال السودان ، قام بثورة في السودان وحقق انتصارات واسعة على حكومة الخديو في ظل النفوذ البريطاني وقتل غردون في نهاية تلك الثورة بعد فتح الخرطوم عام ١٨٨٥م . توفى في نفس ذلك العام .

شلبي ، عبد الودود ابراهيم : ، الاصول الفكرية لحركة المهدى السوداني ودعوته ، ص ٩٩، دار المعارف الحكالة بروت ، ١٩٧٢م

ومن آثار حكمدارية غردون في خط الاستواء ما ارتبط بشخصيته في تلك الفترة حيث ذكر انه كان مثالا حيا للاضطراب الفكرى والتغيير السريع الأمر الذى أحدث اضطرابا في الادارة الحكومية ، فبالرغم من ثقته العالية في نفسه ، الا أنه كان يصعب عليه أن يستمر واثقا من الآخرين(١).

بدليل أنه بعث الى الخديو اسماعيل يطلب أن تخول له سلطات جديدة لتعيين مديرين جدد لمناطق الجنوب ، بزعم أن ذلك يدخل في اطار سياسته لمحاربة تجارة الرقيق ، ووافقت الحكومة في مصر على هذا الطلب بشرط آلا يكون الشخص المراد تعيينه ممن سبق اقامته بتلك الجهات اذا كان أوربيا (٢).

ويظهر أن ذلك الخضوع لمطالب غردون قد شجعه في السعي للحصول على مزيد من السلطات والافصاح عما بداخله مما جعله يرسل الى الخديو يعرب صراحة عن رغبته في تغيير جميع المديرين العرب بحجة أنهم متهمون بالاتجار في الرقيق ، كما أن حضور مديرين من مصر قد يستغرق وقتا طويلا، وعليه فانه يقترح الآتي :

تعيين الدكتور أمين (شنيتزر)* Dr. Schnitzer الألماني الذى كان يشرف على مخازن مديرية خط الاستواء بالاضافة الى عمله كطبيب ، مديرا بخط الاستواء ، وجسى Gessi الايطالي بمديرية بحر الغزال وسلاطين Slatin النمساوى بمديرية دارفور وغيرهم . وهدد

---

(١) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٩١ ، قوزى ، ابراهيم ، السودان ، ج١ ص ٤٢

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١٣٦ - ١٣٧

* هو ادوارد شنيتزر ولدى في دبلن بسيليزيا في بروسيا عام ١٨٤٠م وهو الماني الجنسية أتم دراسة الطب في المانيا ، وعمل كطبيب (=)

بالاستقالة من منصبة اذا لم تستجب مطالبه ، وذلك في عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م .

هذا الطلب من غردون يعكس بصورة واضحة جرأته وسلوكه الغريب في التعامل مع السلطات الخديوية التى يعمل تحت ادارتها ، وربما كان يستمد نفوذه وسلطته من بريطانيا التى سعت لدى السلطات الخديوية ليتولى هذا المنصب الخطير والتى لم تجد امامها في مثل تلك الظروف الا الاذعان رغم ذلك التهديد غير اللائق بمكانة الخديوى .

ونتيجة لهذا الضغط من غردون فقد وافقت حكومة الخديوى على تعيين اولئك الاوربيين في المناطق التى أشير اليها .

وهناك أمر آخر يتعلق بخط الاستواء ارتبط بشخصية غردون وما أنتابها من أضطراب في تلك الفترة ، وهو انه عندما عاد من بريطانيا لتسلم منصبه الجديد كحمدار عام للسودان حذر من اتجاه شركة بريطانية حديثة التكوين بأطماعها الى منطقة البحيرات ، الأمر الذى يستدعى ضرورة اسراع الادارة بالسودان على بسط سلطاتها على تلك المناطق (١) .

(=) للحجر الجمركي في ميناء الباني الباني خاضع لتركيا ،تعلم العربية ،ثم تحول لخدمة اسماعيل حاجي حاكم شمال البانيا وعاد مرة آخرى الى المانيا ورحل بعدذلك الى سوريا ومصر ثم السودان على أنه تركي وذلك في عام ١٩٨٦م، وقدمه أحد الاجانب الى غردون الذى استعاه للعمل كطبيب في المديرية الاستوائية في أول الأمر .

جميل عبيد ، المديرية الاستوائية ص ١٢٧ .

(١) عبيد ، جميل ، " المديرية الاستوائية " ، ص ١٢٧ .

وكان المتوقع ان يحرص غردون على حماية تلك الجهات ،بل يعني بتوطيد سلطة الحكومة فيها كما ينبغي ،خاصة وان وظيفته كحكمدار تسمح له باتخاذ كل الامكانات لمصلحة البلاد ، فضلا عن أنه كان يعلم بنيات تلك الشركة في بريطانيا وجزءا من خططها في هذه المنطقة. ولكن غردون ووفقا للسياسة التي عمل بها، فانه قد أهمل ادارة تلك المناطق ثم بدا وكانه يعمل على اقصائها من اهتماماته لتصبح لقمة سائغة للاستعمار البريطاني الذى كان يتربص بالمنطقة . ساعد على ذلك تقلص جيش الحكومة في السودان بسبب الامدادات ، التي ارسلت الى تركيا في حربها مع البلقان منذ عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م (١).

وقد يكون غردون يقصد من تلك السياسة خدمة مصالح الاستعمار البريطاني بالذات في المنطقة ، وتلك المصالح تقضي بابعاد أى تأثير اسلامي عربي عن مناطق الجنوب ، بدليل أنّه اصدر أمرا من الحكمدارية الى أمين في خط الاستواء اعتبر فيه مركز دوفيلي حدا جنوبيا للمديرية الاستوائية ،وطلب منه اخلاء عدة مراكز هي فاديبك وفويرا ولاتوكا وكيرتو ، بحجة الابتعاد عن مواطن الاحتكاك تقليلا للنفقات (٢).

والواضح انه تبرير لايستقيم وواقع الحال خاصة بعد أن اصبح غردون حاكما عاما للسودان ،حيث كان في وسعه استخدام سلطاته في سبيل المحافظة على حدود المديرية بدلا من الانسحاب منها ،وذلك بعد أن أنفق عليها الكثير ، وحتى لو كانت امكانات الحكمدارية لاتفي بالمطلوب فبامكانه ان يرسل في طلب الدعم وهو الرجل الملحاح وقد اعتاد ألا ترد مطالبه.

---

(١) الرافعي ، عبدالرحمن ، عصر اسماعيل ، ج ١ ص ١٥٨.

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١٠٩

ولكن المقصود هو الانسجام وتقليص حدود المديرية وبالتالى تقليص التأثيرات الاسلامية والعربية عن منطقة أواسط أفريقيا ، وفقا لمراد السياسة البريطانية بدليل أن بريطانيا قامت بعد ذلك باحتلال أوغندا واستطاعت القضاء على جيوش المهدية فى الجنوب انطلاقا من هناك (١) ٠

ويبدو أن عمليات الانسحاب التى أمر بها غردون خلفه فى خط الاستواء أمين باشا قد سببت ارتباكا واضحا فى تلك الجهات نتيجة لعمليات الاخلاء المفاجىء وذلك نتيجة للفراغ الأمنى والسياسى الذى تركته ، بجانب تعرض جنود الحكومة للقتل والأسر وتحرشات زعماء القبائل بهم فيما اعتبر من الاهالى أنه ضعف وتراخى من جانب قوات الحكومة (٢) ٠

من خلال الرصد لمواقف حكمدارية غردون من مديرية خط الاستواء، يتضح أن معظم هذه المواقف قد جاءت فى صالح السياسة البريطانية ، وفى نفس الوقت ابعاد التأثيرات الاسلامية العربية عن منطقة الجنوب فى اعالى النيل وأبرزها عمليات الانسحاب التى تمت فى هذه الفترة فى الوقت الذى يحذر فيه غردون نفسه أن هناك شركة بريطانية طامعة فى هذه الاجزاء وقد كشفت الدراسات حقيقة هذه الشركة مما يشير الى أن غردون كان صادقا عندما تحدث عنها فى البداية (٢) ٠

---

(١) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٥٠ ٠

(٢) طوسون ، عمر ، مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ٣٨٤ ٠

- حكمدارية غردون وموقفها من بحر الغزال :

يبدو آن غردون قد انزعج من تنامي كيان عربي اسلامي في مديرية بحر الغزال بقيادة الزبير رحمة ، ومن بعده ابنه سليمان ، وذلك في اطار السياسة التي اتبعها غردون وغيره من الاوربيين في ابعاد التاثيرات الاسلامية والعربية عن الجنوب .

وكان الزبير باشا رحمة قد غادر الى مصر للتفاوض مع الحكومة الخديوية في شأن حكم اقليم دارفور الذى نجح الزبير في اخضاعه عام ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤م (١) .

وكان خلافا قد نشأ بينه وبين الحكمدار اسماعيل باشا ايوب حول نظام الحكم في ذلك الاقليم وادارته بواسطة الزبير ، فالحكمدار لم يكن راضيا بفكرة تخفيف الضرائب التي اقترحها الزبير ، الذى كان من رأيه الاكتفاء بالزكاة التي يفرضها الشرع * .(٢)

اضطر الزبير بعد ذلك إلى أن يتأخر الى مصر للتفاوض في هذا الأمر مع الخديو اسماعيل ، الذى استبقاه الى جانبه في مصر ولم يسمح له بالعودة الى السودان بعد ذلك ويعتقد الزبير انه قد وشى به لدى الخديوى اسماعيل في ذلك (٣).

---

(١) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٩٧ .

(٢) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٨٣ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٨٤ .

(٣) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .

وفي هذه الفترة تولى ادارة المديرية ادريس ابتر، ولكن سليمان ابن الزبير باشا وجه اليه تهمة الفساد وتنازع معه على السلطة في اقليم بحر الغزال حتى تغلب عليه ، وذلك على الرغم من مساندة الحكمدارية لادريس ابتر ثم تسلم سليمان ادارة المديرية بعد ذلك (١).

وكان غردون طامعا في ضم بحر الغزال الى ادارة مديرية خط الاستواء منذ ان كان مديرا لها ، لانه ربما كان يشعر بخطورة وجود الزبير كمسلم عربي كما كان يخشى طموحه في التوسع خاصة بعد نجاحه في فتح اقليم دارفور الذى عجزت الحكومة الخديوية عن الوصول اليه ، ثم سلمه الى الحكومة التي ضمته الى الحكمدارية في الخرطوم (٢).

وربما تكون طموحات الزبير وابنه سليمان فيما يتعلق بالزعامة والسلطة اضافة الى الرغبة في الفتح والتوسع هي التي جعلت غردون يحرص على القيام باى عمل يكون من شأنه وضع مديرية بحر الغزال ، بوصفها من مديريات الجنوب ، تحت حكم اى ادارى اوربي يطمئن اليه غردون. وربما شعر غردون بان الفرصة قد واتته ويجب ألا يضيعها.

وقد اعتبر غردون وهو الحكمدار بالخرطوم ، اعتبر سليمان ثائرا على الحكمدارية بأمر والده الزبير في مصر ، وزعم غردون ان الزبير باشا كان يراسل ابنه سرا ويحرضه على الثورة ضد الحكومة وقد فشل في اثبات ذلك أمام اللورد كرومر عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م في حضور الزبير (٣) وبناء عليه فقد

(١) سلاطين ، السيف والنار، ص ١٦ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ص ٢٩٧، فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدي غردون ، جـ ١ ، ص ٣٦ – ٣٧ .

(٢) ضرار ،ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٨٢ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٣)

، ضرار ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٨٩ .

بعث غردون جيسى الايطالي المعروف بكراهيته للعنصر العربي [١] ، على رأس قوة من الجند لمحاربة سليمان بن الزبير، وخاض جيسى سلسلة من المعارك ضده ، وتغلب عليه في النهاية ، وطلب من سليمان الاستسلام فلما استسلم غدر به وقتله رميا بالرصاص ضمن المجموعة التي استسلمت معه في عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م [٢] .

وبالامكان ان نتبين مدى الكراهية التي كان يضمرها غردون للزبير وأسرته ، من خلال المحاكمة التي اقامها لادانة الزبير وابنه غيابيا وذلك بعد ان قبض على اقارب الزبير ،وجاء حكم المحكمة بالاعدام لكل من الزبير وابنه ومصادرة ممتلكاتهم من نقود ومراكب وعقارات وحبس جميع أفراد العائلة من رجال ، ونساء واطفال ، وطلب من الحكومة الخديوية تنفيذ الحكم على الزبير الموجود هناك [٣] .

ويبدو ان جيسى قد بدأ مطاردة سليمان بفكرة مسبقة تقضي القيام باعدامه بدليل انه لم يمنحه اى فرصة ولم يحترم الوعد الذى قطعه جيسي على نفسه والذى لولاه لما استسلم سليمان [٤]، الا ان جيسى أعطاه الامان ثم غدر به ومن معه واذا كان جيسى قد وضع في حسابه انه سيحاسب على قتل سليمان لما فعل ذلك ولكنه قام بفعلته وهو يعلم سلفا بان هناك حكما قد صدر على سليمان باعدامه ، وفي هذه الحالة لن يضيره في شيء .

---

(١) عبيد ،جميل ،المديرية الاستوائية ،ص ١٣١ Gessi R.,Seven Years,P.252

(٢) Gessi R.,Seven Years,P. 319 .

(٣) ضرار ،ضرار صالح ،تاريخ السودان الحديث ، ص ٨٩، سلاطين ، السيف والنار ، ص ١٦ .

(٤) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٩٠ .

وعلى أي حال سلم جيسى مديرية بحر الغزال الى مديرها الجديد فيما بعد وهو لبتن بك Lupton بتعيين من غردون كما كان متوقعا ، وقد بقى لبتن البريطاني في ادارة المديرية الى قيام الثورة المهدية حيث استسلم الى كرم الله الشيخ محمد كرفساوى ، آحد قادة المهدية وسلمه بحر الغزال في عام ١٣٠١ هـ / ١٨٨٤م (١) ، وكان وقتذاك بحر الغزال قد دخلت تحت راية المهدية .

وهكذا يتضح ان موقف حكمدارية غردون من بحر الغزال لم يخرج عن الخط المألوف والسياسة التي درج على اتباعها البريطاني غردون حيث ركز اهتمامه في ازالة سلطة الزبير واسرته من تلك الجهات ، وهي في نظره عناصر خارجة على سلطة الحكومة ، ولكن هل كل من خرج على سلطة الحكومة يقتلع من جذوره بما في ذلك أقاربه من النساء والاطفال وقد امتد اليهم الحقد خوفا من الاسلام وآثره في تلك الجهات مستقبلا . وعلى أي حال كانت محاربة الاسلام والعربية هي الهدف منذ ذلك الوقت ، فاذا لم تتضح وقتذاك خطوطها فبالامكان تبين ذلك في الصفحات القادمة بشكل أوضح.

---

(١) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٤١٩ .

- فترة الدكتور أمين (شنيتزر) الالماني في مديرية خط الاستواء :

(١٢٩٥ - ١٣٠٧هـ / ١٨٧٨ - ١٨٨٩ م :

في حقيقة الأمر ان أمين كان ألماني الجنسية ، وقد حرصت على أن أستعرض جزء من فترة حكمه للمديرية الاستوائية لانها الفترة التي تجلت فيها المطامع البريطانية لهذه الجهات بشكل واضح ، فضلا عن أن أمين هذا ← معظم مواقفه كانت في صالح بريطانيا ، وذلك في خلال الازمة التي مرت بها هذه المنطقة عندما تعرضت لهجوم انصار المهدى ، سيما وان البريطانيين كانوا اصحاب فضل عليه في الوصول الى منصب المدير لهذه المديرية بعد أن كان هائما على وجهه .

وكان امين قد صحب غردون الى منطقة خط الاستواء عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤ م، حيث أنعم عليه الاخير عندما كان مديرا لخط الاستواء بحكم منطقة اللادو ، احد مراكز مديرية خط الاستواء (١) .

وعندما ترك غردون مديرية خط الاستواء عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م في اجازة الى بريطانيا وكان قد عزم على عدم العودة لادارة المديرية ، تعاقب في الاشراف على شئونها كل من بروت بك وابراهيم فوزى ، وماسون بك (٢) ، وجميعهم كانوا قد تولوا الاشراف على شئون المديرية بتكليف من غردون ولم يتم تعيينهم رسميا ، هذا فضلا عن انه لم يمكث كل واحد منهم اكثر من ستة شهور

---

(١) عبيد ،جميل ،المديرية الاستوائية ،ص ١٠٧ ،شقير ،نعوم ، تاريخ السودان ص ٢٥٦ .

(٢) طوسون ،عمر ،تاريخ مديرية خط الاستواء ،ص ٣٩٧ .

في ادارة المديرية . ولعل غردون قد قصد بهذه الطريقة تجريدهم من عامل الاستقرار ليسهل عليه التحكم في تصرفاتهم وتوجيههم حسب مزاجه ومراده (١) .

وعندما عاد غردون وهو حكمدار عام للسودان ، قام بتعيين أمين كمدير لمديرية خط الاستواء ، فتوجه الاخيرلتسلم منصبه الجديد عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م (٢) .

وكان أمين رجلا نشيطا عمل على اعادة النظر في نظام المديرية ،ومحاولة السعي لتطوير المنطقة وتنميتها ، فجند الاهالي للعمل في الجيش ، وتحسس العناصر الفاسدة وحاول التخلص منها كما تابع مطاردة ماتبقى من تجار الرقيق وعنى بالزراعة حيث أدخل مزروعات جديدة واسس صناعة النسيج ، ثم تمكن من سد العجز المالى الذى كانت تعانيه المديرية في فترة عامين (٣) .

وفي الوقت الذى لم يمض فيه على تسلم أمين منصبه في خط الاستواء أكثر من ثلاث سنوات ، كانت الثورة المهدية قد نشبت في الشمال عام ١٢٩٩ هـ /١٨٨١م (٤) وامتدت اطرافها الى الجنوب فابتلعت مديرية

---

(١) عبيد ،جميل ،المديرية الاستوائية ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٣) محمد ،محمد سيد ،" المديرية الاستوائية " ، ص ٣١٣ ، مجلة البحث العلمى ، العدد ٧ طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

(٤) شبيكة ، مكى ،السودان عبر القرون ، ص ٢٥٦ ، شقير ، نعوم ،تاريخ السودان ، ص ٣٣٥ ، فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ج ١ ، ص ٨٩ .

بحر الغزال [(١)] ، وباتت تهدد مديرية خط الاستواء التيحوصرت من جهة الشمال ، وانقطعت أخبارها عن العالم الخارجي ، وكانت آخر باخرة قد وصلتها عن طريق النيل في مارس من عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م [(٢)] .

وبذلك يبدو أنه قد أصبح من اللازم على ادارة المديرية اخلاء بعض المحطات في الجنوب حتى تتمكن من تركيز قوتها في مواجهة الثوار/ القادمين من الشمال مما اضطرها الى التراجع مسافة مائتي ميل بين دوفيليه ولادو [(٣)] .

وبقيت المديرية على ذلك الحال في شبه عزلة الى أن نجح أمين في اقناع ملكي اوغندا و يونيورو عام ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥م بالسماح للمراسلات الخاصة بامين المرور عبر اراضيهم ، وكان امين قد عهد بها الى المستكشف الألماني يونكر Junker الذى كان في طريق عودته الى أوربا عندما قابل أمين في ودلاي ، وقد اتاح هذا اللقاء لقناصل الدول في زنجبار التقاط اخبار أمين ونقلها الى مصر واوربا [(٤)].

وكان امين قد كتب في عام ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦م الى سكرتير جماعة محاربة تجارة الرقيق في لندن ، ثم الى هولمود قنصل بريطانيا في زنجبار وكذلك الى افلن بادنج (اللورد كرومر) قنصل بريطانيا العام في مصر ،كما بعث

---

(١) تقرير مقدم الى لحكومة الخديوية من عثمان حاج حمد قاضي خط الاستواء في اويل بتاريخ اول شعبان ١٣٠١ عربي
N.R.O., CairoInteligence 1/11/56.

(٢) شقير ،نعوم ،تاريخ السودان ،ص ٧٥٩ — ٧٦٣ .

(٣) محمد ، محمد سيد ،" المديرية الاستوائية " ، ص ٣١٢ ، مجلة البحث العلمى ، العدد ٧ .

(٤) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٢٤٧ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٧٦٧ .

برسالتين الى صديقه البريطاني فلكن Felkin (١) . وفي ذلك الوقت وصل الى المنطقة سائحان اوربيان وهما ينكر الالماني والكابتن كازاتي الايطالي وقد بقى الثاني مع امين لمساعدته في تلك الظروف الحرجة بينما غادر الأول في عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م الى مصر التى وصل اليها في العام التالى ، وكانت كتب امين قد وصلت الى الحكومة في مصر كما وضحت الصورة عن الاحوال في خط الاستواء في بريطانيا (٢) التي تحاول اخفاء اهتمامها بهذا الامر ولكن دون جدوى فقد كشفت الايام خلاف ذلك واتضح ان الحكومة البريطانية كانت اكثر حرصا للحصول على هذه الجهات اكثر من غيرها وذلك عندما اشتد تنافس الدول على امتلاك الاراضي في منطقة اواسط افريقيا وحوض النيل (٣) .

وبينما كان امين يسعى جاهدا رغم تلك الظروف العصيبة للاحتفاظ بالمديرية ، كان يعتقد بأن بريطانيا هى الجهة المناسبة التى يمكن ان تحقق له هذه الامنية ، خاصة بعد ان تم ابلاغه بقرار الحكومة في مصر بواسطة نوبار باشا رئيس مجلس النظار (٤) . ويبدو أن أمين كان ينتظر العون من بريطانيا كناحية انسانية ليبقى هو حاكما على تلك المديرية ، وهو في واقع الامر ضرب من التفكير الساذج الذى لايمكن ان تقدم عليه بريطانيا التى تراعي مصالحها في المقام الأول . ولو تم لها الاستيلاء على المنطقة فمن المستحيل ان تترك امين حاكما عليها ، لأنه في الواقع يمثل الحكومة الخديوية، وليس من المعقول تركه في هذا المنصب ، ثم انها كيف تثق

---

(١) Gray R., Ahstory of the Southern Sudan ,PP.200-201 .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ص ٧٦٠ — ٧٦١ .

(٣) لانقر ، وليم ، موجز تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢١٠٩ ، راجع من هذه الدراسة ص ص ١٧٩ — ٢٠٩ .

(٤) N.R.O., Cairint , 1/11/65 .

وهو ألماني الجنسية وقد يؤدى نفس الدور الذى يقوم به ، بالتآمر ضد بريطانيا مع دولة آخرى قد تكون ألمانيا بحكم الانتماء وبحكم أيضا دولة لها مآرب استعمارية في هذه المنطقة وبريطانيا أعلم بذلك .

وعلى أي حال ففي تلك الظروف اخذ أمين يكشف عن شخصيته المزيفة التي صارت مطية لمصالح الاستعمار كما كشف عن زيف ادعائه باعتناق الاسلام عندما طالب بفصل المديرية عن الاجزاء الاسلامية ، وقد كان ذلك ضمن اقتراح له يتعلق بتجارة الرقيق ، وذلك حسب النص الذى أورده محمد سعيد فقال (ان من دواعي السخرية أن نحكم بالقضاء على تجارة الرقيق في السودان عن طريق انشاء ادارة خاصة بذلك في الخرطوم ولكن في رأيي أن الطريق الوحيد لتحقيق ذلك هو توحيد مناطق بحر الغزال والمديريات ـ ويعني مديرية خط الاستواء ـ في السودان وفصلها فصلا تاما عن الاجزاء العربية (الاسلامية) في السودان ثم يقع الاختيار بعد ذلك على حاكم أوربي قدير)(١) .

وهاهي فكرة فصل الجنوب تظهر مرة أخرى على لسان أمين الذى لم يكتف بهذا الامر بل فكر في ابعاد المؤثرات الاسلامية والعربية التي لها صلة بتلك المنطقة أيضا .

---

(١) محمد ، محمد سعيد ، "المديرية الاستوائية" ص ٣١٤. مجلة البحث العلمي ، العدد ٧

وفي حقيقة الأمر انه كان في وضع سيء جدا حيث لم يكن معه أحد يدعم رأيه في البقاء في تلك المديرية ، فالحكومة في مصر قد أبلغته انها قد قررت اخلاء المديرية وقد تم ارسال المستر استانلي بناء على هذا القرار (١) ، وكان القناصل التابعين للدول الاوروبية ومنها قنصل بريطانيا في زنجبار جون كرك قد أبلغوا أمين باشا بأن المستر استنانلي قد خق لانقاذه وليس لأمر آخر ومع ذلك فان أمين باشا لم يكن قد عد نفسه وقام بالترتيبات اللازمة حيث كان عليه أن يعمل على جمع ضباطه ومعاونيه استعدادا للرحيل ، ولكنه كان يأمل في البقاء والحفاظ على المديرية بدليل انه عندما وصله كتاب من كرم الله يدعوه للتسليم ، فكر في كسب الوقت الذى يمكنه من جمع شتات عسكره وتكوين قوه تستطيع الوقوف في وجه جيوش كرم الله ، وذلك بارسال وفد يفاوضه في التسليم ، وبدأ في اعداد العدة في ذلك (٢) .

ويبدو ان امين لم يكن على قناعة تامة بما يجرى فيما يتعلق بفكرة انقاذه ، وذلك رغم احساسه بتمرد بعض جنوده وعصيانهم لأوامره حيث انتهى الأمر بسجنه في الدفلالي عدة ايام (٣) .

وأمر آخر يشير الى عدم قناعة أمين بفكرة التخلى عن تلك المديرية رغم التهديدات التى تسلمها من عامل خليفه المهدى الامير كرم الله كرقساوى والتى اشار له فيها باستسلام جميع البلدان له حتى استنامبول بمافي ذلك مصر وهى خدعة حاول بها الاميركرم الله أن يوهن عزم أمين باشا ليجبرة على التسليم -

(١) N.R.O., Cairint ,1/11/65 .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٧٦٢ .

(٣) N.R.O., Cairint ,1/11/65 .

(٤) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٧٦٣ .

وكان أمين قد تلقى من قبل أنباء ، تؤكد استيلاء جماعة المهدى على الخرطوم وقتل غردون ، فمما يشير الى عدم قناعته بذلك . وقد بعث قاضى المديرية عثمان حاج حمد الى الاميركرم لعله يتحرى الحقيقة (١) ، وذلك يوحى بأن أمين باشا كان يبحث عن أى أمل له في البقاء الامر الذى يساعده فى رفع الروح المعنوية لجنوده ، خاصة العصاة منهم ، ومما زاد الأمر سوء بالنسبة له تجاهل الحكومة البريطانية رغبته فى الحفاظ على المديرية ولو لصالحها ، وتلقيه الانباء بعد ذلك بتعاطف الدول الاوربيه معه ولكن لأنقاذه وتم تنظيم حملة المستر استانلي فى بريطانيا لهذه المهمة فقط. وبذلك وجد أمين نفسه وحيدا فيما يتعلق بفكرة البقاء والحفاظ على المديرية مما أضطره الىالتسليم بواقع الأمر فى النهاية .

وكانت هذه الظروف فرصة مواتية الى وليم ماكينون الذى كان يترأس شركة شرق أفريقيا البريطانية ليقوم بتحديد مشروعاته الرامية لاستثمار الأراضي فى وسط وشرق أفريقيا . وكانت الشركة تأمل في مد خط حديدى من ممبسا فى كينيا الى البحيرات الاستوائية فى وسط أفريقيا (٢) . ولايعرف ان كان هذا الحماس الذى أيدته الجمعية الجغرافية باسكتلندا وشركة افريقيا البريطانية برئاسة وليم ماكتون قد جاء

---

(١) N.R.O., Cairint 1/11/65 .

(٢) محمد ، محمد سيد ، " المديرية الاستوائية " ، مجلة البحث العلمي العدد ٧ ص ٣١٠ .

نتيجة لدوافع انسانية حقيقية كما يزعم أم للعروض المغرية التي باتت واضحة بعد ابلاغ الحكومة الخديوية لامين عن تصميمها للتخلي عن تلك المناطق وذلك في عام ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥م (١)، حيث أصبح من المعروف أن أمين قد وضع تحت يده في مخازنها كمية ضخمة من العاج والذى تقدر قيمته بنحو ٦٠ ألف جنيه . وهو مبلغ من الممكن أن يفي بل قد يزيد عن تكاليف ونفقات حمله لانقاذه (٢).

وبناء على ماسبق فقد أبدت الحكومة البريطانية موافقتها في آواخر شهر نوفمبر من عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م على ارسال حملة الى جنوب السودان في وسط افريقيا /وكان الغرض الظاهر منها نجدة أمين وانقاذه (٣) غير أن ← الحكومة البريطانية /تحقق حرصها في التبكير للوصول الى تلك المناطق ، وذلك بعد أن انتبهت الى الثراء الذى تتمتع به المنطقة في اعالي النيل ، الأمر الذى دفعها لمعارضة أي توسع في هذه الجهات (٤) .

كما أدركت بريطانيا رغبة الألمان الحقيقية في استعمارها نتيجة

---

(١) محمد ،محمد سيد ،" المديرية الاستوائية " ص ٣١٧،مجلة البحث العلمى، العدد ٧ . N.R.O. Cairint , 1/11/65 .

(٢) Gray R.,Ahistory of the Southern, P.201

(٣) عبيد ، جميل ،المديرية الاستوائية ، ص ٢٥٣ .

(٤) Gray R.,Ahistory of the Southern ,P.177 .

لنشاطات المغامر الألماني (كارل بيترز) * Karl Peeters من جهة ثم وقوفها على الرغبات الاستعمارية للحكومة الالمانية ، التي تضمنتها معاهدة في عام ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦م بين بريطانيا والمانيا من جهة اخرى والتي لم تتحدد فيها مناطق نفوذ الدولتين على حساب سلطنة زنجبار(١) .

وقد ذكر لوجارد Lugard الاسباب التي دفعت بالحكومة والشعب في بريطانيا الى الاهتمام في ذلك الوقت بهذه الجهات فقال: (ان الزيادة السريعة في تعداد السكان مع اكتفاء او تشبع منافذ الهجرة السابقة ، ثم الانقلاب الصناعي ، مع الحاجة لاسواق تقوم بتصريف انتاجنا وتزويدنا بالحاجات الأساسية ... وذلك مما يدل على تحول شعب أوربا المتزايد الى المناطق المرتفعة أو الخصبة من افريقيا قد اقترب ... ومن الممكن في هذا المجال أن تمثل آفريقيا الوسطى البريطانية وآفريقيا الشرقية البريطانية امبراطوريات وليدة ومنافذ جديدة

(١) لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ ٦ ، ص ٢٠٠٥.

* كان المغامر الالماني كارل بيترز قد قام بجولة في شرق أفريقيا حصل في خلالها على توقيعات من الزعماء القبليين في اطار معاهدات تمت بينهم على قبول حماية جمعية الاستعمار الالمانية لمناطقهم في شرق افريقيا ، الأمر الذى أزعج بريطانيا كثيرا وذلك في سنة ١٨٨٤م .

مورهيد آلان ، النيل الابيض ، ص ٣٢٩.

للهجرة البريطانية)[1] . وهكذا تتضح المطامع الاقتصادية والتجارية للاستعمار البريطاني وأهدافه في السيطرة على وسط وشرق أفريقيا.

وقد صدر الأمر العالي الى أمين باشا في خط الاستواء بالتعاون مع استانلي فيما يختص بأمر النجدة المرسلة ، وذلك في عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧م[2]

وعليه فقد تولى رئيس شركة شرق أفريقيا البريطانية وليم ماكينون، والذى كان يتستر وراء لقب رئيس لجنة انقاذ أمين [3] ، تولى مهمة ابلاغ المستكشف السابق استانلي الذى كان يحاضر في أمريكا ، ليتسلم قيادة تلك الحملة ،فوافق على الفور ،وأعلن مساهمته بمبلغ خمسمائة جنيه وعرض أن يجمع مزيدا من الاموال بمراسلة الصحف البريطانية والامريكية من أفريقيا [4] .

ويبدو أن الحكومة الخديوية كانت غافلة عما يدور في أروقة المؤسسات البريطانية الرسمية وغير الرسمية ، بدليل انها اعلنت مساهمتها بمبلغ عشرة آلاف جنيه مصرى ووضعت سبعين من الجنود السودانيين المسلحين وكمية من الذخائر تحت تصرف تلك الحملة بقصد المشاركة [5] . ولم تكن

---

(١) Lugard F.D., The Rise of Our East African Empire Vol.1 P. 427 . London 1961 .
ترجمة عبيد ، جميل

(٢) الامر العالى الصادر الى امين باشا مدير خط الاستواء فى أول فبراير ١٨٨٧ نمرة ٣ سايرة ملحق رقم (٣) N.R.O. ,Cairint 1/11/65 .

(٣) محمد ،محمد سيد ،" المديرية الاستوائية " ، ص ٣٢٧،مجلة البحث العلمى، العدد ٧ .

(٤) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض، ص ٣١٠ .

(٥) N.R.O., 1/11/56 Cairint, Depatment, Emin ReLief Committee ,London, to H. Kittchiner 5.11.1890 .
طوسون ، عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء ، ج ١ ، ص ٨ — ٩ .

تعى الأهداف البعيدة التى ترمى الى اخلاء المنطقة من الحاميات التابعة للحكومة الخديوية فى مصر ، ثم اقامة امبراطورية فى افريقيا على انقاضها .

كما ساهمت شركة شرق آفريقيا البريطانية بمبلغ (١١٫٥٠٠) جنيه ، بغرض المشاركة فى نفقات حملة الانقاذ ، وذلك بموافقة الحكومة البريطانية التى تفضل دائما ان تتحرك وتعمل من وراء ستار .(١)

وهكذا بدأ المستكشف استانلي في اعداد حملته الى وسط افريقيا ، فطلب المؤن من أفخم الشركات في اوروبا ، وتضمنت قائمة الاسلحة مدفعا رشاشا من طراز مكسيم ، وشحنة ثقيلة من البنادق والذخيرة .(٢)

وخرج بحملته من مصر عن طريق البحر الأحمر وزنجبار ثم دار حول رأس الرجاء الصالح حتى وصل نهر الكنغو وصعد فيه من جهة الغرب ثم اكمل سيره برا حتى وصل الى بحيرة البرت ولكنه لم يتمكن من الالتقاء بأمين الا في عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨ م .

وفي تلك الظروف برزت فكرة فصل الجنوب عن الشمال من جديد، بتدبير الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا ، احد الذين ساندوا مشروع انقاذ أمين، حيث كان يخطط من جهته لفصل الجزء الجنوبي من السودان عن شماله، وضمه الى دولة الكنغو(٣) ، وقد تم تكليف الثاني لابلاغ أمين بهذا العرض، مع تقديم الضمانات لأمين ليستمر في حكم ذلك الجزء براتب قدره ١٥٠٠جنيه على أن يتعهد بحفظ واستمرار المواصلات بين النيل والكنغو .(٤)

---

(١) محمد ، سيد محمد، " المديرية الاستوائية " ، ص ٣٢٣ . مجلة البحث العلمي العدد ٧

(٢) مورهيد ، آلان ، النيل الأبيض، ص ٣١٠ .

(٣) لانجر ، موسوعة ، ج ٦ ص ٢١٩٦ .

(٤) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٢٥٦ .

وكان ليوبولد قد تقدم بمشروع مماثل الى غردون عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥ م اثناء حصار الثوار للخرطوم ، حيث طلب ليوبولد الثاني منه الخروج الى الجنوب ووضع مديريتي بحر الغزال وخط الاستواء تحت حكم الملك ليوبولد ولكن قضى على هذه المشروعات بمقتل غردون في نفس العام (١).

ولا أدرى ان كانت جهود ونشاطات الملك ليوبولد في الحصول على أجزاء من الجنوب تجد قبولا من بريطانيا ام لا ، ولكن يبدو أنها لم تكن تخفى عليها تحركات الملك ليوبولد الثاني في تلك الجهات ، ولكنها لم تكن تعيرها اهتماما كبيرا ، فربما لان البلجيك كانوا يعلمون حجم النفوذ البريطاني وثقله في المنطقة ولذلك كانوا يفضلون الحصول على هذه الجهات عن طريق الاتفاق مع حكامها وليس عن طريق الاستيلاء عليها وفي هذه الحالة لن يكون لليوبولد الحق في اى ادعاء تجاه هذه المناطق ، فتحركاته كانت محاولة لسحب البساط من تحت الحكومة الخديوية بكل هدوء ، حتى لاتدخل في مجابهة مع بريطانيا صاحبة النفوذ والأساطيل الكبيرة .

ومن ناحية أخرى فان قيام البلجيك بتلك الخطوة ونجاحهم فيها ، يكونون بذلك قد قدموا خدمة لبريطانيا في وقف أثر الاسلام والعربية على هذه الجهات التي كانت تخضع لحكومة الخديوى في مصر الاسلامية هذا فضلا عن أنهم بالاضافة الى ماسبق يكون البلجيك قد هيأوا للبريطانيين فرصة التدخل بحجة الدفاع عن حقوق الدولة العثمانية ، بحكم تبعية

---

(١) شكري ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٤٠٧

حكومة الخديوى لها بوصفها ولاية عثمانية تقع في ذلك الوقت تحت الاحتلال البريطاني الذى حدث في عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢ م والسودان يتبع لها ، كما أن بريطانيا كانت تدعي بأن مناطق وسط وشرق افريقيا كانت تقع تحت دائرة نفوذها ،وقد كان من السهل عليها بهذا الادعاء ابعاد البلجيك الذين كانوا يعلمون نفوذ بريطانيا في تلك الجهات بدليل ان بلجيكا لم تتجرأ على الدخول في تنافس حقيقي في ذلك الوقت على هذه الجهات عندما عقدت بريطانيا والمانيا سلسلة من الاتفاقات في اعوام ١٣٠٤ ،١٣٠٥، ١٣٠٨ هـ / ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ ، ١٨٩٠م على التوالي وقد كان لهذه الاتفاقات آثرها في دعم مواقف الطرفين في التنافس الاستعمارى الذى اشتد على منطقة شرق ووسط أفريقيا بعد عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م وعليه فان بريطانيا لم تكن تتخوف من مساعي الملك ليوبولد Leopold في المنطقة وبالتالي لم تكن تعيرها أي اهتمام وباختصار فان الملك ليوبولود كان يعلم مدى الحدود التي يجب أن يتحرك في اطارها. وان تحركه كان يخدم الى حد ما مصالح بريطانيا في المنطقة في تلك الفترة .وذلك قبل أن يبدآ التنافس الاستعمارى على أشده في العقد الاخير من القرن الثالث الهجرى/ التاسع عشر الميلادى ، بل قبل أن تقرر بريطانيا الدخول بكل ثقلها في حلبة المنافسة في تلك الجهات والوقوف في وجه الدول الاوربية الاخرى بما فيها بلجيكا تحت حكم الملك ليوبولد(١) .

هذا فيما يتعلق بمشروع الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا في الاستفادة من مساندته لحملة انقاذ أمين ، أما وليم ماكينون فقد كان

---

(١) راجع المبحث الخاص بالمنافسة الاوربية في اعالي النيل في هذه الدراسة ص١٧٩

من جهته يأمل في فصل الجنوب عن الشمال في السودان ، وذلك باقناع أمين في التعاون مع الشركة التي يترأسها وهي شركة شرق أفريقيا البريطانية وكانت لها مصالح في زنجبار في ذلك الوقت وتطمع في أن يمتد نفوذها الى هذه الاجزاء من السودان الجنوبي [١] . وهي فكرة ستتطور الى مشروع سياسي يرمي الى فصل الجنوب وضمه الى دول وسط وشرق أفريقيا حيث سيتم ذلك في اطار تنظيم يتعلق باقامة اتحاد لوسط أفريقيا تحت الادارة البريطانية يضم هذا الاتحاد الجزء الجنوبي (الاسود) من السودان [٢] .

والمهم ان نعلم هنا أن المستكشف استانلي قد فشل في اقناع أمين في الالتزام بأي من تلك المشاريع الخطيرة على مستقبل الجنوب، بالرغم من أنه نجح في زيادة الاحباط الذى كان يعانيه أمين من جراء الأوضاع التي وصلت اليها الاحوال في المنطقة في خط الاستواء [٣] .

وكانت وزارة الخارجية البريطانية قد زودت استانلي بالخطابات الخاصة التي كان قد بعث بها أمين الى أصدقائه من البريطانيين ،وكان قد تعرض فيها الى فكرة وضع المديرية تحت الحماية البريطانية ، وذلك يوحي بان الوزارة في بريطانيا كانت تريد احراج موقف امين واجباره على

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الأبيض ، ص ٣١٠ ، لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ٦ ، ص ٢١٩٤

(٢) Abd ElRahim Muddathir, The Development of the British Policy in The Southern Sudan, P.7. Khartoum 1968 .

(٣) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٢٥٦ ، مجلة البحث العلمي ، العدد ٧ .

على اخلاء المنطقة بكل الوسائل بدليل أنه شار عندما راى تلك الرسائل بحوزة استانلي وابدى احتجاجا على أساس أنها كانت رسائل خاصة . وفي حالة اخلاء هذه المنطقة من الحاميات واستبعاد امين يمكن بعد ذلك التصرف فيها دون مواجهة أي ادعاءات فيما بعد سواء من جانب الحكومة الخديوية في مصر ، أو من جهة الحكومة الالمانية التي كان من الممكن ان يميل اليها امين بوصفه ألمانيا (١) .

واجه امين صعوبات شديدة قبل أن يلتقى باستانلي ، اذ تحرج موقفه كثيرا ،وثار عليه جنوده ثم عقدوا مجلسا عزلو فيه من منصبه كمدير لخط الاستواء وقرروا حبسه في مركز دوفلي Dufile وذلك في اغسطس (١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م)(٢) .

في ذلك الوقت كانت حملات الثوار بقيادة عمر صالح ، وهو أحد عمال محمد احمد على تلك الجهات قد وصلت الى اللادو ، وهاجمت الرجاف واستولت عليها ، ثم ضربوا حصارا حول دوفلي ولكن جنود امين العصاة قاوموا تقدم الثوار واجبروهم على الارتداد شمالا الى الرجاف (٣) ، حيث

تمكنوا من اطلاق سراح امين فانسحب الى ودلاى والتقى باستانلي حيث كان يعتقد أن حملته لم تتحرك الا استجابة لندائه التي استثار فيها

---

(١) محمد ، محمد سيد ،" المديرية الاستوائية " ،ص ٣٢٢ ،مجلة البحث العلمى العدد ٧ .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٧٦٣ .

(٣) الرافعى ،مصر والسودان ، فى أوائل عهد الاحتلال ، ص ١٥٤ ،ط ٤ ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤م ، N.R.O.,South,1/13/ 125 .Collins R.,The Sudan Link to North, P. 16 .

شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٧٦٢ .

انسانية العالم كما لم تكن الا تقديرا لبحوثه العلمية التي قدمت لمتاحف أوربا (١). ولكنه شعر بالخيبة والاحباط عندما عرض عليه استانلي اخلاء المديرية والعودة الى زنجبار لوضع الترتيبات لاحدى الحلول التي جاء بها ، وحاول امين ان يستمهل استانلي ثلاثة اشهر حتى يتبين الموقف ولكنه رفض وغادر مع بعض الجنود تاركا امين خلفه (٢) .

اضطربت الاحوال بعد ذلك في بعض أنحاء المديرية الاستوائية وذلك نتيجة للفوضى التي خلفها اتباع امين من بعض المحطات وتدميرها ، وهي طريقة لم يكن امين راضيا عنها ، وكان يحس بان حامية وادلاى في حاجة الى الذخيرة التي اخفاها استانلي كما ان اضرام النار في بعض الحاميات وتنفيذ الاحكام القاسية في بعض الجنود الذين حاولوا الهرب قد سبب الذعر والفوضى في المنطقة (٣) ، وبعد فشله في البقاء بالمديرية الاستوائية عمل امين بعد ذلك في خدمة الالمان وبينما كان في طريقه الى الكنغو هاجمته احدى القبائل فقتل هناك وذلك في عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م (٤).

وبذلك اصبح الباب مفتوحا في الجنوب لاى تدخل ، وذلك على الرغم من وجود بعض الحاميات التي كانت في قبضة جنود الحكومة الذين رفضوا الانصياع

---

(١) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٢٤٩ .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٧٦٣ .

(٣) محمد ، محمد سيد ، " المديرية الاستوائية " ص ٣٣٧ مجلة البحث العلمى العدد ٧ .

(٤) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٧٦٤ .

لاوامر الانسحاب من المديرية الاستوائية ، ومع ذلك لم يبق أي أثر لسلطة الحكومة التي تلاشت في غمرة الاحداث المتلاحقة في تلك الفترة (١).

هذا الوضع يتناسب مع السياسة البريطانية التي ترغب التدخل في هذه الجهات فحملة انقاذ أمين نجحت في تحقيق الهدف الذى سيمكن الاستعمار من التدخل والاستيلاء على المنطقة دون أن يواجه أي ادعاء بحجة أنه لم تكن هناك سلطة للحكومة في المنطقة ، اما انقاذ امين فقد كان مجرد خطة فقط ، فهي في الحقيقة كانت حملة لابعاد وبالتالي ابعاد للسلطة الادارية للحكومة الخديوية وما يتبعها من اثر اسلامي وعربى على الجنوب .

وهكذا فان امتداد الادارة التركية المصرية الى منطقة اعالي النيل والاستوائية قد فتح هذه المناطق الجنوبية ليتم الاتصال بينها وبين شمال السودان بعد ان كانت مغلقة بسبب الموانع الطبيعية حيث تم اقامة ادارة حكومية سعت الى توفير شيء من الامن والاستقرار النسبي وهو امر لم يكن له عهد بها من قبل على أي حال .

وهيأت هذه التغييرات الفرصة لدخول المزيد من العناصر العربية المسلمة التي وفدت الى المنطقة بغرض التجارة او للعمل في مرافق الادارة الحكومية كموظفين ، او جنودا ضمن القوات العسكرية التي تعمل في تلك الجهات . مما أتاح الفرصة لهؤلاء للاحتكاك بالاهالي والتعايش معهم

---

(١) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ٧٦٤ .

من خلال الحياة اليومية ، وقد يسرت عملية الاختلاط بالسكان والاهالي نشر الاسلام واللغة العربية بشكل واضح وان لم يكن مطردا ،كما حدث في شمال السودان .

ويبدو أن بريطانيا التي كانت تهتم بهذه الجهات ،منذ آن فكر محمد علي باشا ،في مد سلطته اليها ربما أدركت هذه الحقيقة وكانت تخشى من وصول الاسلام الى الجنوب نتيجة ذلك الامتداد ، وقد حاولت استخدام نفوذها في البداية في محاولة للتدخل لوقف ذلك التقدم . ثم عادت وتريثت وتركت محمد علي يخوض هذه التجربة ،فربما على الاقل سيذلل لها الطريق ،وذلك بمواجهته للعقبات والمصاعب التي يمكن أن تكلفها الكثير ان هي اقدمت على تلك الخطوة وبادرت اليها لتسبقه الى جهات أعالي النيل في البحيرات الاستوائية .

أما نجاح محمد على في هذه الخطوة فيتطلب منها التخطيط بروية لازاحته عنها ومن السهل على دولة مثل بريطانيا لها هذا القدر من النفوذ أن تتعلل بأي شيء للتدخل في هذه المناطق .

وقد كانت فكرة البعوث الجغرافية من المستكشفين الاوربيين والبريطانيين خاصة فرصة مناسبة لمراقبة مايحدث في المنطقة عن كثب بالنسبة لبريطانيا التي بدت أكثر اهتماما من قبل بهذه الجهات .

وكانت الخطوة التالية في هذا الاتجاه هو استخدام نفوذها على الحكومة في مصر في عهد الخديو اسماعيل وذلك بالضغط عليه واملاء ارادتها في شكل نصائح وتوجيهات بتعيين حكام من الاجانب لتسيير دفة الادارة الحكومية

في الجنوب وبذلك تكون السياسة البريطانية اكثر قربا واحساسا لما يدور في المنطقة وقد تستطيع بذلك تنفيذ خططها عن طريق توجيه هؤلاء الاداريين بشكل مباشر ، وتخطى سلطة الحكومة الخديوية في مصر ، وحكمدارية السودان اذا استدعى الامر ذلك .

ويلاحظ أيضا آن سياسة بريطانيا قد حاولت الاستفادة الى أقصى حد ممكن من الخضوع والضعف الذى تظهره أمامها الحكومة الخديوية في مصر ، ظهر ذلك في المزيد من السلطة والصلاحيات التي كان يتعطش لها الاداريون البريطانيون مثال لذلك فردون الذى طلب فصل المناطق في الجنوب من حكمدارية السودان ثم بدأ يتطلع الى الحكمدارية حتى نالها وتجرأ أخيرا في استبعاد معظم المسلمين والعرب من الادارة في الجنوب واستبدال الاوربيين بهم ، وتم كل ذلك بموافقة الحكومة الخديوية في مصر بحسن نية حينا ، وتحت وطأة الضغوط حينا آخر.

وقد سارت تلك السياسة البريطانية ببطء حتى جاءت الفرصة للتخلص من أحد العوامل المؤثرة في نشر الاسلام والعربية في الجنوب ، خاصة وأن الثورة المهدية أصبحت تشكل خطرا ماثلا أمام أعينهم، وقد بدأت تتجه نحو الجنوب وسيطرت على مديرية بحر الغزال وجزء من الاستوائية ، فابتدعت السياسة البريطانية فكرة الانقاذ ونجدة أمين الألماني حيث تم بها التخلص مما تبقى من سلطة الحكومة الخديوية في تلك الجهات ، وذلك بسحب الجنود من بعض الحاميات وزعزعة موقف آمين . وبعد أن نفذ استانلي الخطة اصبحت الظروف مهيأة تماما لاى تدخل وهو الأمر الذى كانت تبتغيه السياسة

البريطانية وتسعى اليه ، مما يمكنها من تحقيق مآربها الاستعمارية التي تهدف الى تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية والاقتصادية والتجارية في هذه الجهات دون أن تواجه أي متاعب أو مقاومة يمكن أن تتسبب فيها العناصر المسلمة التي اعتادت التصدى للاستعمار دائما في مختلف أنحاء افريقيا وهو أمر كانت تحتاط له الدول الاستعمارية في القارة الافريقية (١) .

وبازالة ماتبقى من سلطة الحكومة الخديوية بقيادة أمين الالماني من الجنوب تبقى أمام بريطانيا عقبات أخرى تتعلق بالعناصر المسلمة من العرب الشماليين وبعض ممن تبقى من الموظفين والجنود المصريين الذين رفضوا مرافقة ستانلي وامين ، وهذه الفئات ستبقى على حركة نشر الاسلام والعربية مستمرة وبالتالي ستسبب للاستعماريين بعض المتاعب فلابد من اعداد الخطط لمواجهتها وهذا مافعلته السياسة البريطانية في الجنوب .

---

(١) خليل ، عماد الدين ، مأساتنا في أفريقيا ، ص٧٣ ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م .

المبحث الخامس

حركة انتشار الاسلام في الجنوب في ظل النفوذ البريطاني :

كشفت الصفحات السابقة النقاب عن أن الاوربيين من المستكشفين والاداريين البريطانيين الذين أتيحت لهم فرصة العمل والبقاء في جنوب السودان قد أخذوا يظهرون تبرمهم وانزعاجهم من حركة انتشار الاسلام في تلك الجهات (١).

وقد دفع هذا الامر السياسة البريطانية لاستخدام نفوذها في السودان ، في محاولة لوقف عملية نشر الاسلام واللغة العربية هناك ، فبرزت الى السطح فكرة فصل تلك الجهات في الجنوب عن السودان الشمالي تارة ، ومحاولة ابعاد اى تاثير مباشر يؤدى الى نفس الغرض تارة أخرى ، كالتخلص من الافراد الذين شغلوا مناصب ادارية من المسلمين والعرب واحلال اوربيين مكانهم كما فعل غردون في عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م او بتقليل فرص التجارة للحيلولة دون توغل التجار الى مناطق الجنوب ، ثم ازالة الحكومة الاسلامية التي أنشأها الزبير رحمة في بحر الغزال الى غير ذلك من الخطوات في هذا السبيل . وذلك تحت مسميات ومزاعم مختلفة منها مناهضة الرق وتجارة الرقيق ، ونشر الحضارة الاوربية ، وغيرها .

ويبدو أن تلك السياسة التي تم اتخاذها بهدف اعاقة مسيرة الاسلام في الجنوب ، قد بدأت في الوقت الذي وجد فيه الاسلام قبولا من الجنوبيين بحيث أصبح من الممكن ان يؤدى الى نشر الاسلام في تلك المناطق بنفس الطريقة

---

(١) راجع المبحث السابق ، ص ٥٩ ـ ٦٦

والاسلوب الذى انتشر به الاسلام في الشمال [١]، ولكن ببطء لان ظروف الجنوب تختلف عن ظروف الشمال من حيث طبيعة البلاد ومدى ملاءمة المناخ ، الى غير ذلك من ظروف الحياة والمعيشة بشكل عام.

والمعروف ان المد الاسلامي الذى ساد مناطق الشمال في القرون القليلة الماضية كان من الممكن أن يواصل سيره نحو الجنوب لولا الموانع الطبيعية التي حالت دون ذلك .

فطبيعة الجنوب لا توائم العرب الذين اعتادوا على البيئة الصحراوية كما أنها لاتوائم حيواناتهم من خيل وابل ، فالامطار تسقط معظم أيام السنة ، يضاف اليها صعوبة اجتياز نباتات السدود النهرية فضلا عن الغابات الكثيفة ، والمستنقعات التي تعج بالحشرات التي يمكن أن تفتك بالخيل والابل ، وقد حالت هذه الموانع دون توغل القوافل العربية نحو الجنوب ، على النحو الذى حدث في الشمال ، وقد توقفت تلك الهجرات الجماعية في الاقاليم المتاخمة للجنوب، بينما استمرت الهجرات الفردية بغرض التجارة والكسب نحو تلك المناطق [١] .

وأرى هنا من المناسب ألتعرف على حركة الاسلام في الجنوب وكيفية انتشاره مما سبب ذلك الذعر الاوربي عامة والبريطاني خاصة ودفعه لاتخاذ كافة الوسائل والطرق فيمحاولة لوقف مسيرة الاسلام التي وجدت في الاستقرار والامن الذى ساد في تلك الفترة ولو بصورة نسبية فرصة للتقدم والانتشار شيئا فشيئا.

---

(١) البيلى ، أحمد ، " الاسلام فى جنوب السودان " ص ١٥ - ٢١ ،العدد ٠١ مجلة البيان ، يناير ١٩٧٤م ، أرنولد ، توماس ، الدعوة الى الاسلام ص ٢٩٥ .

- الاسلام في الجنوب قبل عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩م :

كانت بيئة الغابة في الجنوب قد عرفت العرب منذ فترة بعيدة وذلك من خلال اتصالها بالشمال المسلم المستعرب وكانت الوسيلة الى ذلك التسرب السلمي واقامة الصلات الاجتماعية بكافة اشكالها مما ساعد على نشر الثقافة العربية الاسلامية بين تلك الجماعات (١).

وتشهد الروايات الى أن العنصر العربي كان معروفا لدى الزنوج حول البحيرات الكبرى واعالي الكنغو منذ وقت طويل حيث قام العرب بنشر حضارتهم وثقافتهم العربية والاسلامية واسسوا مدنهم في جنوب السودان (٢) .

كما كانت هناك صلات متبادلة بين القبائل العربية كالبقارة والقبائل النيلية كالدينكا ، وقد ساعدت تلك الصلات على اقامة علاقات وثيقة بين القبائل العربية والزنجية . ففي غرب النيل تاثرت قبيلة الشلك باتصالها مع قبيلة بني سليم عند مدينة كاكا وخلفت بعض المؤثرات الثقافية العربية وفي شرق النيل الابيض عند بحر العرب كان الاتصال يتم بصورة دورية بين عرب الزريقات وقبائل الدينكا. (٣).

ومن ناحية اخرى فقد كانت القبائل الجنوبية تتوغل في الشمال وتقيم علاقات مباشرة مع الحواضر الاسلامية المستعربة ، حيث تفيد المصادر أن قبيلة الشلك كانت العنصر المؤسس لدولة سنار المعروفة (بسلطنة الفونج) (٤)، والتي تعتبر من أكبر الممالك الاسلامية في الفترة

---

(١) مصطفى ،محمد فوزى ،الثقافة العربية وآثرها فى تماسك الوحدة القومية فى السودان المعاصر - ص ٨٢ - ٨٣ ، الدار السودانية ، الخرطوم ١٩٧٢.

(٢) ستودارد،لوثروب :حاضر العالم الاسلامى ،ج ٣ ،ص ٥٩ - ٦٠،دار الفكر بيروت ، ١٩٧٣ .

(٣) أبو على ،احمد بن الحاج ، مخطوطة كاتب الشونة ، ص ١٩ .

(٤) Burce J.,Travels to Discover, Vol. 1V P.371 .

مابين ٩١٠ – ١٢٣٧ هـ / ١٥٤٠– ١٨٢١م وبغض النظرعن مدى صحة الرواية التي تشير الى مشاركة الشلك في تاسيس دولة سنار فانها بوجه من الوجوه تعتبر موشرا قويا لتلك الصلات بين القبائل في الجنوب وتلك الحواضر الاسلامية في الشمال •

وكان يحدث في بعض الاحيان مايعكر صفو تلك العلاقات بين الفريقين فتحدث الاغارات من حين الى آخر ، واشهرها تلك الغارة التي قامت بها قبيلة الشلك واحتلت ضفتي النهر حتى منطقة الدويم الحالية (جنوب الخرطوم) ثم تراجعت بالتدريج أمام قوة العرب قبل التطورات السياسية التي حدثت في السودان عام ١٢٣٦ / ١٨٢٠م (١) •

أما الدينكا فقد كانوا يتناثرون في مجموعات قبلية كثيرة على الشاطئ الشرقي للنيل الابيض في شمال نهر السوباط وبين المجاري المتعددة التي تتحد معا مكونة بحر الغزال الرافد الغربي الرئيسي للنيل •

ويحمل الفرع الذى يخرج منه الى اقصى الشمال اسم بحر العرب ، وفي هذا الاسم دلالة واضحة على الصلة التاريخية بين القبائل العربية الذى يمثل ذلك الفرع حدا جنوبيا لها بينما يعتبر في نفس الوقت حدا شماليا لبعض قبائل الجنوب كالدينكا الشلك (٢) •

---

(١) هولت ، ب • م ، المهدية فى السودان ،ص ١٣ – ١٤، أبو على ، أحمد بن الحاج ، مخطوطة كاتب الشونة ، ص ٩ Trimingham S., Islam in The Sudan, P. 247 .

(٢) هولت ، ب • م • المهدية فى السودان ، ص ١٣ – ١٤ •

وقد كان هذا التداخل مألوفا بين القبائل الزنجية في الجنوب والقبائل العربية في الشمال خاصة في الاقاليم المتاخمة للمناطق الجنوبية كاقليم كردفان وهي منطقة اهلة بالقبائل العربية المتنقلة كالزريقات والمسيرية والحوازمة والهبانية والتعايشة والسلامات، ولما كان هذا التداخل والاحتكاك بين مجموعات بشرية تختلف عن بعضها في العنصر والحضارة والدين واللغة ، فمن الطبيعي ان يتفوق العنصر الارقي ويؤثر على الاخر أو يفرض لغته وشيئا من عاداته ومظاهر حياته بحكم التعايش اذ ان المتخلف مولع بتقليد المتفوق والمغلوب بالغالب وقد اشار الى ذلك ابن خلدون في مقدمته (١).

وتشير بعض المراجع الى انتقال بعض العادات والمظاهر الاسلامية والعربية من المجموعات العربية المجاورة للدينكا وغيرهم من القبائل الجنوبية التي احتكت بالعرب مثال لذلك عملية الختان وارتداء الملابس العربية الى غيرها من المظاهر (٢).

هذا ماكان من امر تداخل المجموعات القبلية بين الشمال والجنوب واقامة الصلات والعلاقات ذات الاثر في نشر الاسلام واللغة العربية .

وهناك ايضا نصيب وافر للنشاط الفردى في نشر الاسلام بجنوب السودان وذلك بالرغم من ان الشمالي الذى يذهب الى الجنوب لايكون قصده الاساسي نشر الاسلام وانما الهدف الذى جاء من أجله في المقام الاول هو التجارة

---

(١) ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، مقدمة بن خلدون ، تحقيق على عبد الواحد وافى ج ١ ، ص ٤٥٠ – ٤٥١ ، لجنة البيان العربى ، المكان بدون ، ١٩٧٥م .

(٢) سلاطين ، السيف والنار ، ص ١٥ – ٢١
Trimingham S., Islam in the Sudan ,P. 248

والكسب وذلك من خلال عمله حيث يجد نفسه داعية للاسلام في وسط قوم يجهلون كل شيء عن الدين وقال أرنولد معبرا (فالتاجر يجمع بين بيع سلعته ونشر الدعوة وان مهنته وحدها لتصله صلة مباشرة باولئك الذين يريد آن يحولهم الى الاسلام وتنفي عنه كل مايحتمل آن يتهم به من دوافع شريرة)(١) .

- ويعتبر مشروع الزبير رحمة في اقامة مملكة اسلامية في منطقة بحر الغزال نموذجا بارزا لمجهودات التجار وسعيهم في التطلع للارتقاء بالجنوب والنهوض به حضاريا وعمرانيا وهو ماجاء على لسان الزبير في قوله : " (وصارت الناس تتقاطر الي من كل الجهات للانتظام في خدمتي ... وحكمت البلاد بالكتاب والسنة وشرعت في تمدينها وعمارتها وتوسيع نطاق التجارة فيها) (٢) وذلك حسب ما أورد المؤرخ نعوم شقير.

وهكذا آفلح الزبير في تأسيس دولة تحكم بالشريعة الاسلامية في بحر الغزال، وتؤدى دورا مميزا في نشر اللغة العربية والاسلام ، هذا وقد تعرض اسم الزبير وسمعته لكثير من التشوية والتشهير المتعمد مما جعل صورته تهتز في الاذهان ، اذ درج بعض الكتاب من الباحثين على اظهاره كتاجر رقيق ، متجاهلين الظرف التاريخي وظروف المنطقة واوضاعها ومتناسين اصلاحات الزبير ودوره الرائد بالاسهام في بناء السودان المعاصر. فان جهود الزبير قد آدت الى استتباب الامن وازدهار التجارة ، الامر الذى ساعد على تقدم حركة انتشار الاسلام والثقافة العربية بدليل ان المجندين

---

(١) آرنولد ، توماس ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٣٩١ .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٢٦٥ ، مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية ، ص ٨٤ .

الجنوبيين في جيش الزبير قداسهموا اسهاما بارزا في نشر اللغة العربية لان ولاءهم ظل يتنقل عبر الحكام بعد ابعاد الزبير فعملوا مع غردون وامين باشا وجيسى وكان عددهم في الجيش الذى كونه الزبير حوالى اثنى عشر الف مجند وبعضهم واصل دوره كمقاتل في فترة المهدية حيث عرفوا باسم الجهادية (١).

- الاسلام في الجنوب بعد عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩م :

اسهمت بعثات سليم قبودان منذ عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩م من عهد محمد علي باشا في ربط الجنوب بشمال السودان اسهاما كبيرا ، بالاضافة الى ماتم القيام به تبعا لذلك من انشاء صناعة للمراكب البخارية والشراعية في الخرطوم حيث وفرت لمن يرغب في التوجه نحو الجنوب الوسيلة المناسبة والمأمونة في نفس الوقت (٢) .

كما ان الادارة التابعة لحكومة الخديوى اسماعيل في مصر كانت قد شرعت في ترتيب نظام للمواصلات النهرية في منطقتي بحر الغزال والاستوائية وبالرغم من ان هذا النظام لم يكن ينساب بصورة منتظمة (٣)، الا آنه من جهة اخرى قد يسر حركة الانتقال بين الجنوب والشمال وهيأ فرصة مناسبة لنشر الاسلام بعد ان فتح المجال للتلقي والتفاعل في بعض الاحيان .

---

(١) الجهادية عبارة عن قوات غير نظامية ، أحمد ، حسن مكى محمد، السياسة التعليمية ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) فوزى ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ص ١٧ .

(٣) هولت ،ب . م . المهدية فى السودان ، ص ١٤ .

وهكذا كان ضم اعالي النيل في الاستوائية وبحر الغزال ، الى الادارة المركزية في السودان ، أن شهدت نسبياً تلك المناطق الاستقرار والأمن ، حيث تهيأت بعض أسباب القوة والنفوذ على الوضع السياسي والتجارى ، مما ساعد على نشر اللغة العربية التي كانت في حاجة الى مثل تلك الظروف ، الامر الذى جعل منها وسيلة للتخاطب بين الحاكمين والمحكومين ، واقبل الجنوبيون على تعلمها بعد أن صارت العمود الفقرى في حركة التبادل التجارى (١).

وكان في ذلك الوقت لطائفة الجنود والموظفين والعمال دورهم عند الاختلاط بالسكان والاهالي فان احدهم (سرعان مايلتفت الانظار بكثرة وضوئه وانتظام اوقات الصلاة والعبادة ، والتي يبدو فيها كما لو كان يخاطب كائنا خفيا ، وان مايتحلى به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة به على الاهالي الوثنيين ، الذين يبدى لهم في نفس الوقت استعداده ورغبته في مدهم بمزاياه ومعارفه السامية)(٢) وهذا ما قاله توماس أرنولد.

وقد أتاح هذا العمل للغة العربية فرصة كبيرة للانتشار بين العديد من القبائل ، الامر الذى جعل منها لغة التخاطب بين الجنوبيين على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم فعندما يلتقي نفر من قبيلة الدينكا باخرين من قبيلة الزاندى على سبيل المثال ، فانه لاتوجد وسيلة للتفاهم بينهم الا بالاشارة وفي هذه الحال تصبح العربية الدارجة والمتأثرة الى حد كبير بطريقة النطق

---

(١) Trimingham S., Islam in the Sudan, P38.

أحمد ، حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية ، ص ١٠ - ١١ .

(٢) أرنولد ، توماس ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٣٩١ .

عند الجنوبيين هي البديل ، وهي المعروفة (بعامية جوبا) وجوبا هي عاصمة الاقليم الجنوبي حاليا وملتقى القبائل في السابق (١) .

وقد ادت عملية الاختلاط بين العناصر الزنجية الوثنية والتجار العرب الشماليين في منطقة بحر الغزال بعد امتداد الادارة الحكومية اليها الى صبغ مجموعات قبلية كبيرة بالصبغة العربية منها الجماعات المعروفة بالفرتيت كما ان قبائل كريش وفورقي والباندا التي تقطن جنوبي دارفور قد اعتنقت الاسلام ، واصبحت تتكلم اللهجة العربية الدارجة، مع اللهجات المحلية بصورة متكاملة (٢) . ويقول الدكتور فرنسيس دينج في ذلك:

(فالطريقة التي تم بها هذا التكامل تشير الى التسامح القومي والاعتراف بالاختلافات الثقافية والتعايش بينها ، فالتحرر العرقي للعرب ومرونة الدخول في الاسلام قد شجعا على التزاوج والتكامل العربي الافريقي وهو في النهاية خيار طبيعي غير مفروض ، كما ان المرونة السائدة لم تشكل حاجزا امام من يريد دخول الاسلام او يدعي له نسبا عربيا)(٣) .

هذه الظروف وغيرها ساهمت الى حد كبير في تقدم حركة المد الاسلامي الذاتي في الجنوب ، ولكن وبالرغم من ذلك فان حركة انتشار الاسلام ومسيرته في الجنوب كانت بطيئة نوعا ما قياسا بما تم في الشمال ، ويرجع ذلك الى

---

(١) البيلي ، أحمد ، "الاسلام في جنوب السودان" ص ١٥-١٨ ، مجلة البيان العدد ١ (...) .

(٢) Trimingham S. , Spencer, Islam in the Sudan, P.38 London, 1965,

(٣) دينج ، فرنسيس ، "الوشائج العربية الافريقية" ، مجلة الثقافة ص ١٨-٣٨ السنة ١ العدد ، الخرطوم ٢/٢/١٩٧٧م

عدة عوامل منها فيتلكالفترة ، أن الادارة التركية المصرية لم تكن تولى هذا الامر اهتماماكافيا، هذا فضلا عن ان معظم الاداريين الذين شغلوا مناصب في الجنوب كانوا من الاوربيين والبريطانيين بشكل خاص ، وهي فئات لاترغب فيتقدم الاسلام بهذه الجهات .

ـ موقف الاوربيين من حركة المد الاسلامي في الجنوب :

استغلت اوربا حالة الخمول والضعف التيتخيم على العالم الاسلامي في النصفالثاني من القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى ، وبدأت في تنظيم حركة تنصيرية تسندها القوى السياسية والحكوماتالاوربية لوقف المد الاسلامي الذاتي في آفريقيا الوثنية .

فبينما كانت اللغة العربية تشق طريقهافي الانتشار بجنوب السودان باعتبارها الوسيلة القوية المساعدة على نشر الاسلام ، كان الاوربيون من الرحالة والمستكشفين يراقبونهذا الامر بكل اهتمام، بل انهم سارعوا التبليغ الاوربيين بما يحدثواخذوا يحثونهم علىتدارك هذا الامر بالتشجيع على نشر النصرانية (١) .

وقد كان من بينالذين فعلوا ذلك الرحالة التشكيي باملي الذى كتب كتابا يشجع فيه اوربا على نشر المسيحية في السودان قبل أن ينتشر فيه الدين الاسلامي وذلك بعد زيارته للسودان عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م (٢) .

---

(١) راجع البحثالخاص بدور المستكشفينوالاداريين الاوربيين من هذه الدراسة ص ٨٩

(٢) ضرار، ضرارصالح ،تاريخ السودان الحديث ، ص٦٧ . Trimingham S., Islam in the Sudan P. 102-3 .

كما نبه المدير الرسولي واسقف كتدرائية مالطا الى الامكانات الجديدة في السودان في اثر استجابة السلطان العثماني لرغبة الامبراطور فرانز جوزيف F. Joseph امبراطور النمسا ، لمنح الارساليات التنصيرية نفس الامتيازات الممنوحة للمنصرين في سائر أنحاء الدولة العثمانية [١] .

وبناء عليه فقد نشطت حركة التنصير وتوافد عدد من المبشرين النصارى الى الجنوب ، حيث تم تأسيس مركزين في غندكرو في عام ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م وفي كاكا عام ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢م بيد أن هذين المركزين لم يقوما بأي نشاط واسع ، وذلك لعدم اطمئنان الاداريين للقيام بأي عمل من هذا النوع .

وعندما تولى غردون شئون المديرية الاستوائية شجع النشاط التنصيري في الجنوب ، وكتب الى مجلس الكنيسة الاسقفية في بريطانيا يدعوها للقيام بـ نشاط تنصيرى في الاستوائية ، ورغم أن تلك الجمعية لم تباشر ذلك العمل وقتذاك ، بسبب انشغالها في مناطق أخرى من أفريقيا [٢] الا أن ذلك النداء الذى أطلقه غردون قد فتح الباب على مصراعيه لحركات التنصير الأوربية لمنافسة حركة المد الاسلامي الذاتي التى أحرزت بعض التقدم في ساحة الدعوة بمناطق الجنوب ، والسعي للتغلب عليها ان امكن ذلك .

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ١٨٩٨ - ١٩٥٦ ترجمة هنرى رياض وآخرون ، ص ٤٨ - ٤٩ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠م

Gray R., Ahistory of the Southern Sudan, P.27 .

(٢) Trimingham S., Islam in the Sudan ,P. 11 .

لكن النشاط التنصيرى الذى تم القيام به في تلك الفترة لم يجد أى اقبال بسبب أن الجنوبيين كانوا يتوجسون خيفة من النشاط التنصيرى، وارتابوا في نياته لانه اقترن في أذهانهم بالادارة الأجنبية وتجارة الرقيق ، فضلا عن أن مناخ الجنوب وظروفه القاسية قد أضحت عقبة في وجه أي نشاط تنصيرى حيث فقد العديد من المنصرين ارواحهم هناك ، وتم اغلاق المراكز التنصيرية الثلاثة التي تم فتحها في السابق .(١)

آتاحت هذه الظروف الفرصة للاسلام واللغة العربية ليأخذا طريقهما في الانتشار بصورة تدريجية وحركة ذاتية بطيئة غير متعمدة ، وذلك من خلال نشاط التجار العرب المسلمين وغيرهم من العاملين في الجنوب من الموظفين والعمال والجنود .

- دور الادارة بالسودان في دعم حركة المد الاسلامي في الجنوب :

أدت حاجة المديريات الجنوبية الى المزيد من الكتبة والموظفين والعمال والفنيين الى اتخاذ تدابير ترتب عليها ، مضاعفة عدد التلاميذ بالمدارس الابتدائية ، وفرق التدريب المختلفة كما أدى أيضاً الى اهتمام الحكومة بوضع مشروع لفتح مدرسة مهنية في جنوب السودان من الممكن أن تساعد في تزويد أبناء الاهالي وتعليمهم مبادىء اللغة العربية والدين الاسلامي (٢).

---

(١) بشير ،محمد عمر ،تطور التعليم في السودان ،ص١٥- ٥٢.

(٢) نصر ،السيد يوسف ،الوثائق التاريخية ،ص ٢٦.

كما تم انشاء مدرسة أولية في عهد الخديو اسماعيل بالمديرية الاستوائية ليلتحق بها أبناء الضباط والجنود بالمنطقة ، وقد أتيحت فرصة الدراسة أيضا لأبناء الاهالي ، غير أن قلة منهم هي التي استفادت منها(١). وهو أمر طبيعي في مجتمع لم يشهد أي شكل من أشكال النظم الحضارية فلابد في مثل هذه الظروف من التردد في أول الأمر.

وعلى أي حال فان مثل هذا العمل لاينفي الخطوات الايجابية التي اتخذتها الحكومة الخديوية في صالح الدعوة الاسلامية ، لكنها لايمكن أن تؤخذ ضمن اطار خطة منظمة وضعتها الادارة تهدف بشكل مباشر الى نشر الاسلام واللغة العربية في الجنوب.

هذا وقد قطع الاسلام في طريق الانتشار بالجنوب شوطا لابأس به مع الاخذ في الاعتبار بظروف المنطقة في تلك الفترة . حيث أحرز تقدما جوهريا بين القبائل الزنجية ، ظهر في اقتناع بعض القبائل به كبديل لديانات‌هم الوثنية ، وقد كان من بين العوامل التي ساعدت على ذلك كما قال توماس أرنولد: (أن الاسلام لم يعامل الاسود قط على أنه من طبقة منحطة ،كما كان الحال في كثير من الأحيان في العالم المسيحي)(٢) .

وقد يرجع الأمر في بعض الأحيان الى اخلاص الدعاة المسلمين في أمر الدعوة الى الاسلام بتلك الجهات حيث يقول توماس ارنولد في هذا الصدد: (أن الداعية المسلم كان منذ اللحظة الاولى التي يتعرف فيها المتحول

---

(١) بشير ،محمد عمر ،تطور التعليم في السودان ،ص ٤٦.

(٢) أرنولد ،توماس ،الدعوة الى الاسلام ،٣٩٤.

الى الاسلام بالعقيدة ، يسير سيرا عمليا على المبادىء القائمة على اخاء المؤمنين جميعا وتساويهم أمام الله ... غير أن المبشر المسيحي يشعر في أغلب الأحيان بأنه مضطر الى المطالبة بدليل قوى على اخلاص المتنصر قبل أن يصافحه مصافحة التآخي في المسيحية ، والذي كان دائما يشير تعصبا مرقيا لم يكن محتملا أن يزول في جيل واحد حيث كان يعد المسيحي الأبيض طوال أجيال سيدا ، كما كان يعد الوثني الأسود عبدا)(١).

هذا وقد بلغ نشاط نشر الدعوة الاسلامية في العهد التركي حتى أوغندا على أيدى التجار العرب ، كما اظهر ملكها امتيسه ميلا الى الاسلام وذلك عندما وصلته سفارات الخديوى اسماعيل في عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م بل أكثر من ذلك فقد قبل ملك أوغندا حماية مصر الاسلامية على بلاده(٢) .

وقد ذكر لوثروب استودارد المعهود في بريطانيا آنذاك ، عن مراقبيها لتلك التطورات في أفريقيا ، أن المستكشف البريطاني الاصل هنرى مورتون ستانلى ، حضر عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م الى أوغندا وحرر كتابا الى مسيحي بريطانيا من مقر الملك امتيسه (فأحدث هياجا عظيما ورأيت جمعيات كليات اكسفورد وكامبردج ، ودبلن ، وجمعية الكنيسة الانجلكانية والآباء البيض والمبشرين الالمان يتسابقون الى هناك لبث الدعاية)(٣) النصرانية مما أدى لتحول موقف الملك عن الاسلام (٤) .

---

(١) آرنولد ، توماس ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٣٩٤ .

(٢) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ٩٥، Gessi R., Seven Years P. 79

(٣) استودارد ، لوثروب ، حاضر العالم الاسلامي ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٤) آرنولد ، توماس ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٣٨١ .

ان ماحدث في أوغندا يلفت النظر الى حقائق هامة تتعلق بحركة المد الاسلامي وانتشاره في وسط افريقيا وهي :

١ - أن الاسلام كان يشق طريقه الى أواسط افريقيا في اعالي النيل والبحيرات الاستوائية بقوته الذاتية عن طريق حركة التجار والنشاط الفردى للدعاة المسلمين ،وقد حقق نتائج طيبة في هذا المجال دون أن تسنده دعوة منظمة او سياسة مرسومة لنشره .

٢ - ان حركة الاسلام في اواسط افريقيا كانت مرصودة ،بدليل ان السفارة التي وصلت الى اوغندا من مصر تبعتها في العام التالي بعثة تنصيرية مضادة قلبت الاوضاع في اوغندا مما ادى الى تراجع الملك وبعض اتباعه عن الاسلام. وقد كانت تلك البعثة من بريطانيا بقيادة ستانلي كما سبق وذكرت .

٣ - ان انفتاح الجنوب في اعالي النيل والبحيرات الاستوائية على العالم الاسلامي ، في ذلك الوقت من التاريخ الاسلامي قد حدث ابان انحطاط الدولة الاسلامية ، كما أن الدولة العثمانية أكبر قوة اسلامية في تلك الفترة كانت تترنح أمام ضربات اوربا الصليبية الاستعمارية . ولذلك لم تصدر أي ردود فعل مناسبة تدعم حركة المد الاسلامي في تلك الجهات توازى مايحدث من الاوربيين بالنسبة لحركات التنصير التي ترتاد تلك الأماكن .

وفي اطار تقويم حركة انتشار الاسلام بجنوب السودان يمكننا أن نقول ان الاسلام قد وجد طريقه الى جنوب السودان منذ فترة طويلة ،وقد عملت فترة الاستقرار النسبي والأمن الذى شهدته المنطقة في بعض الأحيان، على

تقدم حركة انتشار الاسلام بالرغم من عدم وجود سياسة مخططة لنشر الاسلام واللغة العربية .

وقد تقدمت حركة المد الاسلامي الذاتي بفضل الجهود للتجار والموظفين ومجموعة العمال والفنيين العاملين في الجنوب . ولم يكن هنالك تحرك مقصود بهدف الدعوة الى الاسلام سوى محاولة الشيخ محمد أبوصفية في مناطق الدينكا .

وتفيد الاخبار المتناقلة عن هذا الشيخ أنه كان يقيم في مديرية كردفان ، وقد رأى في ذلك الوقت أن يعمل على نشر الاسلام في منطقة القبيلة الوثنية القريبة من موطنه وهي قبيلة الدينكا ، حيث كان يذهب على رأس أتباعه الى تلك الجهات بين حين وآخر . وقد أسلم على يديه عدد كبير ، واستمر على ذلك الى حين وفاته عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠م . قبيل قيام الثورة المهدية في الشمال (١) . وربما لم تشهد مناطق الجنوب أي جهود آخرى لنشر الدعوة الاسلامية خلال تلك الفترة .

واكتسحت قوات المهدية معظم الجنوب منذ عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤م ، الا أنها لم تتمكن من القيام بأي نشاط مؤثر في مجال الدعوة لانها شغلت في تلك الآونة بالتخلص من جيوب الادارة الحكومية في الاستوائية ، ثم مقاومة التدخل الكونجولي في بحر الغزال ، والسيطرة على مناطق الجنوب (٢) .

---

(١) البيلى ، أحمد ،" الاسلام فى جنوب السودان " ص ١٥ – ٢١ ، مجلة البيان ، العدد ١
Trimingham S., Islam in the Sudan , P. 103 .

(٢) هولت ، ب . م . ، المهدية فى السودان ، ٢٤١/٢٤٩ .
Trimingham S., Islam in the Sudan ,P.104 .

وعلى كل فان تلك الجهود في مجموعها كانت قد تركت آثارا طيبة ، وبصمات واضحة ، كان من الممكن أن تخلق أرضية ثابتة تنطلق منها الدعوة الاسلامية والنشاط الاسلامي بشكل عام ، لولا حالة الخمول والضعف التي كان يعاني منها العالم الاسلامي ، ولولا محاولات الاداريين البريطانيين والتي انزعجت من انتشار الاسلام واللغة العربية ، فبدأت في وضع العراقيل ورسم الخطط للحيلولة دون تقدم الاسلام في تلك الجهات من الجنوب .

وفي الحقيقة أن قوة الدفع التي كان يسير بها الاسلام واللغة العربية في مناطق الجنوب ، فبالرغم من أنها كانت بطيئة ، الا أنها سببت قلقا شديدا بالنسبة للأوربيين الذين يطمعون في السيطرة على هذه الجهات واستعمارها . والوجود الاسلامي يجعل أمر استغلالها غير يسير بل قد يضطرون الى خوض معارك دامية من الممكن آلا نحدث في غياب العنصر الاسلامي ، الأمر الذى سيسهل من عملية الاستغلال لاولئك المواطنين البسطاء في مناطق الجنوب . يؤكد ذلك ماذكره لوثروب استودارد أن الكاتب الفرنسي الشهير (فولنای) عندما جاء الى مصر عام ١١٩٥ هـ / ١٧٨٠م وأحب أن يلفت أنظار قومه الفرنسيين الى وادى النيل فقال : (يجب للاستيلاء على وادى النيل شن ثلاثة حروب ، الأولى مع انكلتره ، والثانية مع الدولة العثمانية ، والثالثة وهي أشدهن مراسا مع الاسلام ، لأنه هو السائد في هذا الوادى ، وربما كانت هذه العقبة غير قابلة الجواز)(١) .

---

(١) استودارد ، لوثروب ، حاضر العالم الاسلامي ، جـ٢ ، ص ٣٧٦

ومنذ تلك الفترة ظل هذا الشعور سائدا في أوربا ضد الوجود الاسلامي ولابد أنه سيمضي في الازدياد بتقدم حركة انتشار الاسلام في آفريقيا الوثنية والتي كان يتناقل أخبارها مجموعات الرواد والمستكشفين الذين كانوا يرتادون افريقيا بكثافة ملحوظة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى .

وربما رأى الاوربيون في تلك الحركات الاسلامية التي نشطت في أجزاء واسعة من أفريقيا المسلمة خطرا على مصالحهم ومخططاتهم في أفريقيا . ومن تلك الحركات الحركة السنوسية في ليبيا ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م ومجموعة من الحركات في غرب أفريقيا وحركة محمد احمد المعروف بالمهدى في السودان عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١م (١).

ويبدو أن السياسيين في باريس ولندن قد آزعجتهم هذه التحركات فشرعوا يتحدثون عن خطر مؤامرة اسلامية شاملة ، وتجدد مايسمونه بالتعصب الاسلامي المتطرف (٢) .

بدا وكان أوربا قد تهيأت في تلك الفترة لوقف التيار الاسلامي الذى كاد يعم أجزاء واسعة من افريقيا بما فيها منطقة أعالي النيل والبحيرات الاستوائية ، والتي كانت اجزاء منها قد أصبحت تحت سيطرة أنصار ثورة محمد أحمد في السودان ، خاصة منطقة بحر الغزال وشمال مديرية خط الاستواء (٣) .

---

(١) استودارد ، لوثروب ، حاضر العالم الاسلامي ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ - ٣٩٦ .

(٢) مورهيد ، آلان ، النيل الأبيض ، ص ٢٠٨ ، Collins R., The Sudan, P. 21 .

(٣) هولت ب . م . ، المهدية في السودان ، ص ٢٤١ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٧٦٣ - ٧٦٧ .

وقد بدأت كراهية تلك الحركة تزداد عمقا في أوربا[١] سيما بعد الانتصارات التي حققتها في وادى النيل وتسببت من جهة أخرى في مصرع العديد من كبار العسكريين والاداريين البريطانيين الأوربيين وعلى رأسهم غردون ، الذى قتل في الخرطوم عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م على أيدى الثوار[٢].

ويقول آلان مورهيد في ذلك (ان المسألة لم تكن مجرد هزيمة لم يتأثر لها قد جرحت الشعور بالقوة والاعتداد الذاتي لدى البريطانيين، وانما كان الشعور العام ان العقيدة المسيحية ذاتها قد تعرضت للتحدي من متعصبين سفاكين في السودان ، فلم تضيع جمعية مكافحة الرق في انجلترا فرصة لنشر كل نبأ عن فظائع الخليفة * ،وسط جو الحرب الذى تتعرض فيه كل الامور للمغالاة والمبالغة وروح الدعاية)[٣] .

بهذه الروح وذلك التعصب البغيض ضد الاسلام تحركت الحشود الاوربية نحو افريقيا لمحاربة المسلمين في هجمة صليبية جديدة ، وبدأت الدول الاوربية في السعي للحصول على محميات ومناطق نفوذ لها في افريقيا ، وكانت أعالي النيل والبحيرات الاستوائية أكثرها حساسية ، خاصة بعد انسحاب امين ممثل الحكومة التركية في مصر من المنطقة حيث تزايد النشاط الاستعمارى الذى صحبه توتر شديد في العلاقات بين الدول الاوربية الكبرى حول تلك الجهات .

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الأبيض، ص ٢٩٠ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٥٣٤ .

(٢) هولت ب . م . المهدية فى السودان ، ص ٢٥١ Gessi R., Seven Years P. 455 .

(٣) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض، ص ٢٩٠ .

* المقصود عبد الله التعائشى الذى خلف محمد أحمد بعد وفاته عام ١٨٨٥م.

وهنا ينشأ سؤال : اذا كانت أوربا وبريطانيا بشكل خاص قد جاءت لتحارب الاسلام في أفريقيا الاستوائية ومنها جنوب السودان ، فلماذا تقحم أهالي الجنوب الوثنيين البسطاء في هذا الأمر ؟

وللاجابة على هذا التساؤل يمكن القول ان سياسة الاستعمار البريطاني قد لاتستطيع بمفردها التغلب على حركة المد الاسلامي الذاتي أو وقف عملية انتشار الاسلام واللغة العربية في أوساط الجنوبيين ، وذلك لأن الدعوة الاسلامية هناك لم تكن دعوة منظمة تقوم على أكتاف منظمات أو هيئات بعينها من الممكن محاربتها أو محاربة أنشطتها الظاهرة . ولكن تلك العملية كانت تتم بصورة تلقائية ذاتية . وهنا ربما فكر الاستعمار البريطاني في استغلال عنصر الاهالي الوثنيين في الجنوب واتخاذهم كوسيلة لتحقيق تلك الأهداف الاستعمارية . وذلك بعمل كل مامن شأنه أن يحدث التنافر والكراهية بين الشماليين المسلمين والجنوبيين الوثنيين ، وبذلك تستطيع السلطات الاستعمارية أن تكسب الفريق الثاني الى جانبها وتستعين به على محاربة الاسلام والمسلمين في تلك الجهات حتى ولو كان ذلك على حساب سعادة الأهالي في الجنوب وتنمية بلادهم وتطلعات أبنائهم في الارتقاء بتلك الجهات من السودان .

ويبدو أن السياسة البريطانية قد نجحت الى حد كبير في تحقيق ذلك ، حيث وفقت في دق اسفين بين الشماليين والجنوبيين ، أدى الى الفرقة والتنازع بعد حالة التلاحم والوئام التي كانوا عليها والتي لم يعكر صفوها الا دخول المستعمر الذى يعمل بسياسة (فرق تسد) وقد استغل الاستعمار البريطاني بجانب التباين بين الشمال والجنوب

موضوع تجارة الرقيق التي شارك فيها البريطانيون وغيرهم من الأوربيين برؤوس أموال كبيرة [١]، ونسبوها للشماليين المسلمين وحدهم ، وذلك لتحقيق أكبر قدر ممكن من كراهية وحقد الجنوبيين على الشماليين، ثم أدخل التنصير في الجنوب بعد ذلك في مراحل متقدمة لتغذية الصراع [٢] من جهة ولضمان استمراريته الى اطول فترة ممكنة من جهة أخرى، مما أدى الى كسب الجنوبيين الى جانبهم وحقق لهم فرصة الدفاع عنهم بحجة أنهم رعايا مسيحيون في المستقبل ٠

---

(١) شكري ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٨٥/٨٦٠

(٢) Bashir M. Omer , : The Southern Sudan from Conflict to peace, P. 149 London 1975 .

الفصل الثاني

الفصل الثانـــــــي

هيمنة الاستعمار البريطاني على جنوب الســــــودان

١٣١٦ – ١٣٤٠ هـ / ١٨٩٨ – ١٩٢١ م

المبحث الاول

– بريطانيا والتنافس الدولي في أعالي النيـــل :

فيما كان لبريطانيا نفوذ ظاهر الأثر في خط الاستواء الجنوبـــــــي وما جاوره من تلك الجهات (١) ، في بداية القرن الرابع عشر الهجرى وقـرب نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، فان الحكومة البريطانية لم تقرر حتـــى ذلك الوقت سياسة التدخل في السودان بشكل مباشر وان كونت رأيا حـــول الأمر(٢) . واستمرت قانعة بالبقاء في مصر ، تراقب مايجرى من حوادث فـــي السودان ، وعندما وصل السير افلين بارنج Baring اللورد كرومـــر Cromer فيما بعد كقنصل عام لبريطانيا في مصر عام ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣ م ، نجح في حمل الحكومات البريطانية المتعاقبة على قبولهذا الوضعلبعض الوقت(٣). وكان من رأيه استبعاد اى محاولة لاحتلال السودان في ذلك الوقت ، بحجـة أن موارد مصر المالية والعسكرية لاتفي باكثر من الدفاع عن حدودها التـي يمكن أن تبقى مستقرة في اطار هذه الامكانيات (٤) .

---

(١) سلاطين ، السيف والنار في السودان ، تعريب جريدة البلاغ بـدون تاريخ . ص ٣٤٤

(٢) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ٣٠٣ .

(٣) عبدالرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية في السودان . ١٨٩٩ – ١٩٥٦ ص ٣٠ دارالنهار للنشر ، بيروت ١٩٧١م .

(٤) كرومر ، اللورد ، بريطانيا في السودان ، ص ٣٠

وذهب اللورد كرومر الى آن استيلاء جماعة المهدى على السودان لايسبب قلقا كالذى يسببه استيلاء دولة آوربية كفرنسا على سبيل المثال حيث يعتقد بأن المهديين لايملكون الموارد والمهارة الهندسية لالحاق آي ضرر بمصر مادام خير مصر يعتمد على النيل (١) .

ولكن الحكومة البريطانية قررت وبشكل مفاجىء لكرومر التدخل عسكريا في السودان في عام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م وتنفيذ فكرة الاحتلال ، لاسباب سياسية منها مايتعلق بالمنافسة الحادة في آعالي النيل ، وتربص العديد من الدول الاوربية بهذه الجهات وذلك حينما طرح وادى النيل في سوق المفاوضات الاستعمارية ، حيث كانت فرنسا وبلجيكا من الأطراف الرئيسية في المزايدة القائمة في مواجهة بريطانيا (٢) .

والأهم من ذلك هو آن فرنسا قد اتخذت موقفا مخالفا لبقية الدول الآوربية بعدم الاتفاق مع بريطانيا حول هذه الجهات . وفي بداية عام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦م كانت قد استكملت خطتها لارسال حملة الى آعالي النيل، الأمر الذى أدى الى اثارة مخاوف الساسة في بريطانيا ، واضطرهم الى دخول حلبة التنافس في آعالي النيل ، حيث ترى بريطانيا آنها أحق بها من غيرها (٣) ، الأمر الذى جرها الى فكرة الهيمنة على المنطقة .

---

(١) عبدالرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية في السودان ، ص ٣٠ .

(٢) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ٤٢٤ / ٤٢٦

(٣) محمد ، محمد سيد ، " أزمة فشودة " ، ص ٥١٣ - ٥١٥ ، مجلة البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، العدد ٥ ، ١٤٠٢ هـ .

ان فكرة تقدم الاستعمار البريطاني في النيل قد قوبلت بحماس شديد من الرأي العام في بريطانيا عام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦م وذلك نتيجة للمهانة والغضب الذين كانا قد سيطرا عليه بعد آن ترامت اليه آنباء مقتل غردون في عام ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥م وذلك بالرغم من انقضاء عدة سنوات على ذلك الحادث ، وقد زاد من السخط والتذمر لدى البريطانيين تباطؤ الحكومة البريطانية في معالجة تلك الحوادث ، منذ فترة ليست بالقصيرة بالنسبة الى البريطانيين ، وآمر آخر آدى لازدياد السخط والغضب ، الوصف المتوتر لاراقة الدماء في المؤلفات والكتب التي تم نشرها عن تلك الحوادث ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، كتاب ج. اورفالدر عشر سنوات من الأسر في معسكرات المهدية

Ohrwaldr J., Ten years Captivity in the Mahdis Camp.

وكتاب رودلف سلاطين باشا ، السيف والنار في السودان (١)

Rudolf Salatin, Fire and Sword in the Sudan

هذا النوع من المؤلفات آدى لاثارة مشاعر الاستياء والغضب لدى عامة الناس في بريطانيا ، وولد شحنة من الحقد والتعصب وصلت الى حد التأثير على السياسيين والعسكريين بحيث جعلت السير هربرت كتشنر Kitchiner الذى قاد جيش احتلال السودان وتحقيق دحر جيوش المهدية في عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م يقول في مذكرة كتبها في عام ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م وهي الفترة التي بدآت تشهد النشاط المريب للقوى الأوربية الاستعمارية

---

(١) هولت ، ب.م. ، المهدية في السودان ، ص ٥١

حول منطقة وادى النيل مما يدل على أن تصريح كتشنر يمثل الشعور العام والسائد في أوربا تجاه الاسلام في هذه المناطق حيث قال :

(ليس من شك أن الدين الاسلامي يلقى ترحيبا من أهالى تلك البلاد الذين يصبحون بعد ذلك متعصبين ، واذا لم تقبض القوى المسيحية على ناصية الأمر في أفريقيا ، فأعتقد أن العرب سيخطون هذه الخطوة وسيصبح لهم مركزا في وسط القارة يستطيعون منه طرد كافة التأثيرات الحضارية [الأوربية] الى الساحل وعندئذ ستقع البلاد في وهدة العبودية وسوء الحكم كما يحدث في السودان (يقصد الثورة المهدية) ومثل هذا سيترتب عليه الحاجة فيما بعد الى قوة ضخمة لاخضاع تلك القوى الاسلامية •) (١)

هذا القول يشير بوضوح الى بوادر المخطط الاستعماري الذى يستهدف الاسلام والعرب باعتبارها معوقات ستفسد على الاستعمار خططه الرامية الى الهيمنة على منطقة وادى النيل واستغلالها بأقل خسائر ممكنة وهو أمر يصعب التكهن به في حالة الوجود الاسلامي بالمنطقة ، ويبدو أن نشاط الحركات الاسلامية في أفريقيا قد جعل الاستعمار الاوربي والبريطاني بشكل خاص أقل صبرا على مايحدث ، وأكثر حرصا في الهيمنة على وادى النيل بما فيه البحيرات الاستوائية •

---

(١) N.R.O., South 1/13/126, Collins R., The Sudan Link to the North, Typescript, p. 26.

وكان في ذلك الوقت قد حدث تحول كبير في علاقة بريطانيا السياسية بافريقيا ، بعد أن نافستها الدول الاوربية الاخرى في ميدان التجارة العالمية خاصة ألمانيا التي أصبحت قوة صناعية كبرى في منتصف الثمانينات واخذت تعمل بسياسة الحماية لمنتجاتها. وقد بدأت في اثر ذلك أرقام التجارة البريطانية بالانخفاض في الخارج عندما تطورت المنافسة بين الدول الاوربية الى أن تأخذ شكل الاستثمار في المناطق المتخلفة ، وعندها كانت المصنوعات الاوربية وخاصة الألمانية تغزو انجلترا ومستعمراتها (١) .

وبناء عليه فقد أوعزت الغرفة التجارية البريطانية إلى المسئولين ، أنه من الضرورة أن تمتلك بريطانيا الهيمنة على حوض النيل ، حيث يدخل ذلك في اطار المشروع الذي رسمته بريطانيا والذى يتمثل في فكرة بريطانيا بانشاء امبراطورية لها في أفريقيا تمتد من رأس الرجاء الصالح الكاب جنوبا الى القاهرة شمالا ، حيث تمخض عنه مشروع استثماري آخر ، يقضي بمد خط سكة حديد يربط بين المدينتين ابتكره المستر سيسل رودس (٢) * Cécil Rhodes

---

(١) بركات على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٧١-٧٢ .

(٢) لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢١٦١ .

* أحد رواد الاستعمار البريطاني ومن أنشط رجال السياسة والمال في بريطانيا قضى وقتا طويلا في جنوب افريقيا ، تمت على يديه مشروعات كبيرة في تلك البلاد وصار أحد وزراء مستعمرة الكاب ، وتولى رئاسة وزرائها عام ١٨٩٠م من الذين عملوا على توحيد جنوب افريقيا تحت السيطرة البريطانية ، نشر مشروعه الخاص بمد خط حديدى بين الكاب والقاهرة في جريدة التايمز اللندنية في مايو عام ١٨٩٨م .
الرافعي عبد الرحمن ، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ص ١٦٢ ، دار المعارف ، القاهرة ط ٤ ، ١٩٨٣م .

وخلال تلك الفترة بدأت السياسة البريطانية تتجه نحو بناء امبراطورية افريقية لها ، وذلك من جراء تأثير رجال المال والسياسة من المغامرين في بريطانيا من أمثال سيسل رودس في جنوب أفريقيا ووليم ماكينون في شرقها وهارى جونستون H.Johnston في نياسا لاند وغيرهم ، وعندها باتت السياسة البريطانية تعمل على حماية وادى النيل من الأطماع الأوربية ، والهيمنة عليه ،خوفا من أطماع ايطاليا في الشرق ، وتحركات فرنسا المريبة في أعالي النيل ، ثم محاولات البلجيك في بحر الغزال والمديرية الاستوائية (١).

وهكذا يبدو بوضوح أن بريطانيا قد باتت ترى في أواسط أفريقيا ميدانا فسيحا للمشاريع الاستعمارية الواسعة التي يمكن أن تجعل منها امبراطورية أفريقية مثالا لما شيدته في الهند ، وكندا واستراليا خاصة بعد أن يتحقق مشروعها الذى يهدف الى ربط زنجبار بالبحيرات الاستوائية وكانت قد بدأت فعلا في التمهيد للسيطرة على تلك الجهات بوصول البعثات التبشرية الانجيلية الى هناك تحت رعاية قنصل بريطانيا العام في زنجبار (٢) . ويعتبر وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢ م ، نذيرا بتتابع تساقط العديد من دول وأراضي أفريقيا في قبضة الاستعمار الأوربي المتنافس على حيازة أجزاء واسعة من أفريقيا . وكان جلادستون Gladstone رئيس وزراء بريطانيا آنذاك قد كشف عن مطامع بلاده

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٧٦-٧٧

(٢) محمد ، محمد سيد ، "سلطنة زنجبار الاسلامية" مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ، العدد ١ ، مكة المكرمة ، ص ٧٤

في أفريقيا ورغبتها في آن تكون منطقة خط الاستواء حلقة الوصل في الربط بين مصر في الشمال وبين ناتال وكيبتون في الجنوب ضمن اطار خطتها لانشاء امبراطورية بريطانية في أفريقيا (١) .

ويبدو آن جلادستون لم يكن جادا في تنفيذ هذا البرنامج وفضل الابقاء على حرية التجارة ،وتلكأ في أمر السعي لبناء امبراطورية بريطانية في أفريقيا ، الأمر الذى أغضب نواب حزبه فانشقوا عليه ،مما كان سببا في هزيمة برلمانية لحزب الأحرار أدت لاستقالة الوزارة ،وتكوين وزارة جديدة لحزب المحافظين برئاسة سالسبورى تعارض سياسة العزلة التجارية السابقة وتعمل من أجل حيازة مستعمرات جديدة في أفريقيا .

هذه التقلبات السياسية في بريطانيا تؤكد أهمية قضية الهيمنة الاستعمارية على أفريقيا خاصة في منطقة أعالي النيل ، ويبدو أن خيوط هذه اللعبة يشارك في تحريكها الرأي العام في بريطانيا ، كما أن السياسيين البريطانيين كانوا يخضعون بطبيعة الحال لرغبات الجماهير (٢) مع العلم بأن السياسيين كانوا يقومون بإثارة الرأى العام من خلال الصحافة ، ثم يقومون بتنفيذ مخططاتهم بحجة الاستجابة للرأى العام.

---

(١) لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢١٩٦ .

(٢) رياض ، زاهر ، استعمار أفريقيا ، ص ١٩٤ – ١٩٥ ، كرومر ، اللورد، بريطانيا فى السودان ، ص ٢٠٩ – ٢١١ .

ولذلك فان اللورد سالسبورى رئيس الوزراء الجديد قد آبـــدى لهفته في تنفيذ برنامج بريطانيا الاستعمارى الى الدرجة التي كـــان يعتقد فيها أنه من الصعوبة بمكان منع الدول الاوربية الاخرى من الاستيلاء على مناطق افريقيا المتخلفة طالما انها لاتخضع لسيطرة بريطانيا ، وقـد تمكن كرومر القنصل البريطاني في مصر من اقناع سالسبورى بأن وضـــع السودان يختلف من الناحية القانونية ، اذ أنه جزء من الدولة العثمانية تحت رعاية الخديوى الذى لايزال يشرف عليه نيابة عن الباب العالي • ثـم أشار الى آن الدولة التي تمتلك حوض النيل الأعلى لابد لها بحكم الموقـع الجغرافي آن تصبح لها السيطرة على وادى النيل (١)•

وآخذ اللورد سالسبورى يبدى اهتماما خاصا بمنطقة آعالي النيـل والبحيرات الاستوائية ، وكان يعتقد بآن الاسطول البريطاني يستطيـــع حماية المنطقة من ناحية البحر المتوسط ، الا آن هذه الحماية لن تتوفر لها من جهة الجنوب ، في وسط افريقيا الاستوائية • وقدازداد قلقـــه عندما لجأت ألمانيا للاستفادة من المراكز التي حققتها في شـــرق أفريقيا ، وكانت ألمانيا قد رفضت تحديد أي مجال للتوسع في آفريقيـا الشرقية نحو الداخل ، الامر الذى بات يشكل في نظر الساسة البريطانييـن تهديدا للمصالح البريطانية في تلك الجهات (٢) •

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٨٠ – ٨١ كرومر ، اللورد ، بريطانيا فى السودان ، ص ٢١٤ – ٢١٦ •

(٢) محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الاسلامية " ص ٧١ – ٧٣ مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، العدد ٢ ، لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢٢٠٠ •

فبينما كانت بريطانيا تعتبر نفسها الحاكمة فعلافي مصر ،كانت ترغب في منع آية دولة اخرى من السيطرة على منابع النيل ، وتلك الرغبة نفذتها شركة شرق أفريقيا البريطانية برئاسة وليم ماكينون Makinon الذى عمل علىتشجيع تزايد النفوذ البريطاني هناك بغرض منافسة توسع ألمانيا ، والمتمثل في نشاطات كارل بيترز Karl Peters الالماني وشركة شرق افريقيا الالمانية. وقد رآت الدولتان تحقيقا للمصالح المشتركة في المنطقة عقد اتفاق بين ألمانيا وبريطانيا فيعام ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠م باعتبار كينيا واوغندا مناطق نفوذ بريطانية دون تحديد دقيق ومفصل لذلك (١) .

ـ ألمانيا والتنافس في وادى النيل :

بالرغم من النشاط الملحوظ الذى صاحب وصول الالمان الى منطقة شرق أفريقيا منذ عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤م بعد حصول كارل بيترز على توقيعات الزعماء القبليين في معاهدات تمت بينه وبينهم لقبول حماية جمعية الاستعمار الألمانية (٢)، مما يؤكد النوايا الاستعمارية لألمانيا في الحصول على مساحة واسعة قد تشمل البحيرات الاستوائية ، بالرغم من ذلك فانهم لم يتحفزوا عسكريا بالدرجة التي تشكلخطرا على مصالح بريطانيا التي كانت

(١) هولت ، ب.م ، المهدية في السودان ، ص ٤٢، ٤٣ .

(٢) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض ، ص ٣٢٩ .

في منطقة وادى النيل . وبالتالي فان المفاوضات التي قام بها الساسة البريطانيون مع ألمانيا والتي أدت الى اتفاق عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠ م كانت كفيلة بتهدئة السياسيين الألمان واقناعهم بعدم اتخاذ أى اجراءات عسكرية قد تؤثر بشكل من الأشكال على مايسمى : دائرة النفوذ البريطانية .

وقد تمت تلك الخطوات في وقت كانت فيه السياسة البريطانية تقوم على تأكيد حقوق الحكومة الخديوية في أعالي النيل ، حيث لم يكن للمهديين هناك سيطرة كاملة على المناطق الجنوبية ، وكان من السهل على الألمان الوصول الى تلك المناطق ، مما يدل على أن المفاوضات التي كانت بريطانيا قد بدأت في القيام بها كانت تدخل في اطار حماية هذه المنطقة من أطماع الدول الأوربية الاخرى ، ومنها النفوذ الألماني(١) .

استغلت بريطانيا الهدوء الذى خلفته معاهدة عام ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠م لدى السياسيين الالمان ، سيما وأن المعاهدة كانت قد تضمنت من جانب ألمانيا اقرارا بمناطق النفوذ البريطانية في شرق أفريقيا ، استغلت بريطانيا كل هذا وسيرت حملة عام ١٣١١ هـ / ١٨٩٣م على أونيورو واوغندا واستولت عليهما ، بغرض توطيد مركزها في وسط أفريقيا وحماية وادى النيل من جهة الجنوب فتسهل بذلك الهيمنة على المنطقة(٢) .

ومن الجدير ذكره هنا أن هذه المناطق كانت تشكل جزءا من مديرية خط الاستواء في تلك الفترة وهي بالتالي أول منطقة من مناطق الجنوب في

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٦٠ .

(٢) الرافعى ، عبد الرحمن ، مصر والسودان ، ص ١٦٠ ، رنقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢٢٠٩ .

السودان تقع تحت الاحتلال البريطاني المباشر ، الأمر الذى مهد لخروجهـا نهائيا عن حدود السودان السياسية المعروفة اليوم .

وهكذا نجد أن بريطانيا قد أفلحت في استغلال فرصة التنازل البسيط الذى لوحت به ألمانيا ، حينما قدمت لبريطانيا اعترافا رسميا بابرامهـا لتلك المعاهدة ، الأمر الذى يمكن أن يفسر على أنه تأييد لادعاءات بريطانيا في أعالي النيل والبحيرات الاستوائية في شرق ووسط افريقيا ، بدليـل أن الحكومة البريطانية لم تتردد في تأكيد ذلك وقامت باظهارتلـك المناطق في الخرائط الانجليزية ،بل المناطق التي تليها شمالا مثل بحـر الغزال وكردفان ودارفور على أنها مناطق نفوذ بريطانية مع أن الجيـوش البريطانية لم تدخلها بعد.(١)

وربما وجدت ألمانيا نفسها أمام الأمر الواقع فرضيت بابرام اتفـاق آخر مع بريطانيا في عام ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م وقد تضمن هذا الاتفاق تأكيـدا لما جاء في المعاهدة السابقة ، الامر الذى اطمأنت اليه بريطانيا كثيـرا. ولكن هذه الطمأنينة لم تلبث أن تحولت الى قلق وفزع في العام التالـي وذلك عندما علمت بريطانيا بتنازل المانيا لفرنسا عن منطقة نفوذها ممـا خول الفرنسيين الحصول على منفذ في حوض النيل الاعلى في الاتفاقيـة الألمانية الفرنسية عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م(٢) .

---

(١) محمد ، محمد سيد ،" سلطنة زنجبار الاسلامية " ص ٨٢ ، مجلة جامعـة الملك عبد العزيز ، العدد الثانى .

(٢) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ،ص ٢٣٨- ٢٣٩ .

وجاء رد الفعل البريطاني على ذلك بعقد معاهدة مع البلجيك في نفس العام أعطت ليوبولد الثاني ملك بلجيكا منطقة اللادو مدى حياته ، وتبدأ هذه المنطقة من غرب النيل الأبيض وبحر الجبل الى الجنوب من بحيرة البرت وحتى منطقة فشودة شمالا (١) .

وربما كان الغرض من هذه الخطوة سد الطريق أمام فرنسا حتى لاتجد مخرجا لها على النيل . خاصة وأن فرنسا كانت من أخطر الدول الاستعمارية على المصالح البريطانية في هذه المنطقة بحكم مطامعها قبرا وبحكم الندّية التي كانت تشعر بها تجاه بريطانيا في هذه الجهات .

وعلى أي حال فان بريطانيا حافظت على موقفها تجاه المانيا التي أن استطاعت أن تحصل على أهم مناطق النفوذ الالمانية وهي تنجانيقا وذلك في أعقاب الحرب العالمية الاولى ١٣٣٣-١٣٣٧ هـ / ١٩١٤ - ١٩١٨م الامر الذى ترتب عليه أن أصبحت منطقة شرق افريقيا بكاملها بعد ذلك تحت النفوذ البريطاني (٢) . عدا الصومال الفرنسي وجيبوتي الذى استولت عليه فرنسا عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م .

---

(١) لانقر ،وليم ،موسوعة تاريخ العالم ،ج ٦ ص ٢١٩٨.

(٢) سعودى ،عبد الغني ،مشكلة جنوب السودان ،ص ٧٤.

ـ دخول ليوبولد حلبة التنافـــس :

اعترفت الدول الاوبية في مؤتمر برلين ١٣٠٢-١٣٠٣هـ/ ١٨٨٤-١٨٨٥ م ، بسيادة ليبولود الشخصية على دولة الكنغو الحرة (١) المجاورة لجنوب السودان ، والتي كان البلجيكيون يديرون شؤونها . وتجدر الاشارة هنا الى أن رجل المال والسياسة البريطاني وليم ماكينون قد وقع اتفقا مع سلطات الحكومة الحرة في الكنغو عام ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠م فيما يتعلق بحقوقها في خط تقسيم المياه الغربي للنيل ، الأمر الذى فتح السبيل أمام ليبولد للتقدم الى اعالي النيل. وبالرغم من ان ماكينون لم يكن يعمل باسم الحكومة البريطانية ، الا أنه تلقى الضوء الأخضر من سالسبورى رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت (٢) .

وشهد عام ١٣١٠ هـ / ١٨٩١م التحالف بين بقايا جنود الادارة السابقة الذين رفضوا التعاون مع امين واستانلي وفضلوا البقاء والتحالف مع سلطات ليوبولد في الكنغو تحت قيادة الضابط السوداني فضل المولى الذى أصبح مديرا للمديرية الاستوائية من قبل حكومة الكنغو الحرة (٣) .

وهنا أدركت حكومة الخليفة عبدالله التعايشى خطورة الموقف في الجنوب واضطرت الى الدخول في معارك طاحنة في منطقة ودلاى وتمكنت من

---

(١) تحولت بعد عام ١٩٠٨م الى مستعمرة بلجيكية ، لانقر ، وليم، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢٢٠١ .

(٢) هولت ، ب . م . المهدية فى السودان ، ص ٢٤٤ – ٢٤٦ .

(٣) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٥٠ .

اجلاء جنود ليوبولد واخلاء ثمانية محطات على الشاطىء الغربي للنيل في منطقة الزاندى وذلك في عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م ، وفي هذه المعارك قتل الضابط السوداني فضل المولى وعثر في جيبه على شروط الاتفاق بينه وبين ليوبولد وكان من أهمها فكرة تقسيم الاراضي في الجنوب بين بعض الدول الأوربية . وأشارت الفقرة الخاصة بذلك أن الاراضي الشرقية في الاستوائية تكون من نصيب بريطانيا والاراضي التي غربها (منطقة جبل لادو) تكون من نصيب حكومة ليوبولد .

ويبدو أن الاوضاع في الجنوب قد دخلت في مرحلة حرجة من الممكن أن تشهد معارك عنيفة ، فالجيوش البريطانية التي استولت على اوغندا وأنيورو كان من الممكن ان تتجه شمالا لمواجهة قوات الثورة المهدية في منطقة بحر الغزال ، خاصة وأن تلك القوات بدأ ينتابها الضعف وهبطت الروح المعنوية لذى مقاتليها كما شغلت بمعارك جديدة في جنوب دارفور ولم تكن تقوى لمقاومة اىزحف قادم الى منطقة اعالي النيل . ولكن بالرغم من ذلك فان السياسة البريطانية لم تتخذ تلك الخطوة وفضلت التريث بعض الوقت حتى تتضح الصورة ،فالقوات المهدية لم تكن قد اخضعت الجنوب بكامله كما أن ليوبولد لازال يطمع في السيطرة على تلك الجهات ، هذا فضلا عن أن الانباء قد وردت بأن الفرنسيين يخططون للتقدم نحو لادو أو فشودة (١) . وبذلك فان بريطانيا قد تجد نفسها في مواجهة قوات

---

(١) هولت ، ب ، ٣ ، المهدية في السودان ، ص ٤٤٦ - ٤٤٩ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٥٠

متعددة وربما فضلت المضي قدما في سياسة المفاوضة مع الدول الاوربية الذى سيسمح لها بمزيد من الوقت لاستكمال استعداداتها من جهة ، وتكون من جهة اخرى قد اتضحت الصورة التي يمكن ان تسفر عنها تلك الأوضاع المتأزمة في الجنوب •

وهكذا فقد جاء الاتفاق بين ليوبولد ملك بلجيكا وعاهل دولة الكونجو الحرة وبـ ين بريطانيا عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م متمشيا مع سياسة بريطانيا في الاستمرار على أسلوب المفاوضة حيث تم تقسيم المنطقة في أعالي النيل بجنوب السودان ، احتفظت بموجبها بريطانيا بشرق الاستوائية ، وتركت الضفة الغربية شمالا حتى فشودة ،وتشمل منطقة اللادو وبحر الغزال مؤجرة لملك البلجيك • وبناء عليه فقد تمت اقامة حاجز حال بين الفرنسيين وبين وصولهم الى منطقة أعالي النيل من الناحية الغربية ، وأصبح بذلك لملك البلجيك الحق في احتلال هذا الاقليم وهو ماشرع دون ابطاء في تحقيقه (١).

كانت فرنسا تجهل تماما أمر ذلك الاتفاق ، الذى تم تاكيده من الدولتين مرة أخرى في نفس العام ، وتضمن الاتفاق الثاني اشارة عابرة بأن طرفي الاتفاق لايجهلان ادعاءات تركيا ومصر بشأن حوض النيل الأعلى(٢). وهي عبارة ربما لاتعني المحافظة على أي حقوق من طرفي الاتفاق في مقابل تلك

---

(١) سلاطين ، السيف والنار ، ص ٤٠٦ ، لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ج ٦ ، ص ٢١٩٨/٢٢٠٩ •

(٢) هولت ، ب • م • ، المهدية في السودان ، ص ٢٥٣ •

الادعاءات التي تخص تركيا ومصر ، بقدر ماكان القصد منها تخفيف وقع هذا الخبر المتعلق بأمر الاتفاق السابق بين بريطانيا وليوبولد على فرنسا .

ويبدو أن الملك ليوبولد لم يكن قانعا بما حققه من مكاسب على صعيد المفاوضات في جنوب السودان ، بدليل أنه قام عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م ، بزيارة الى لندن أجرى خلالها اتصالا مع سالسبورى رئيس الوزراء في بريطانيا وأبدى له اقتراحا يتنازل فيه الخديوى عن جميع الأراضي التي تقع جنوب الخرطوم وتشمل بالطبع أعالي النيل الأبيض والاستوائية بالاضافة الى بحر الغزال ، وهو اقتراح خليق بفصل الجنوب وان لم يصرح به . لكن الحكومة البريطانية لم تبد موافقتها على ذلك الاقتراح الا أن ليوبولد طار الى بريطانيا في زيارة ثانية بعد مضي شهرين من زيارته الاولى وهو يأمل في تحقيق بعض التقدم حول قبول تلك المقترحات من جانب بريطانيا ،وأن يكون لبريطانيا في المقابل مطلق الحرية للتوسع في الصين . وعندما رفض سالسبورى ذلك عاد الملك البلجيكي في العام التالي وعرض على المسئولين البريطانيين فكرة تسليم الأراضي السودانية التي كان يطمع فيها الى بريطانيا بعد أن يتم اخضاعها من قبل الحكومة البريطانية ، ولكن الدوائر البريطانية المسئولة دهشت من تلك المقترحات ولم تعرها أي اهتمام[١] .

---

(١) شبيكة ، مكي ، السودان عبر القرون ، ص ٤٢٧/٤٢٨ .

هذه الجهود المكثفة تعكس مدى اهتمام الدول الأوربية بمنطقة أعالي النيل والمناطق الاستوائية ، ومواطلة التنافس حولها بشتى السبل الكفيلة للحصول عليها ، كما تعكس مدى تمسك بريطانيا بهذه الجهات او قبول أي مساومة حولها.

وفي المرحلة التالية فضل ليوبولد التعامل مع الحكومة الفرنسية ازاء التعنت البريطاني لمقترحاته ، واعتبر وجود فليكس فور Felix Faure في رئاسة الجمهورية الفرنسية فرصة يمكن أن ينتهزها للتفاهم معه حول سياسة فرنسا في أعالي النيل ، باعتباره صديقا قديما له يمكن العمل معه لوضع برنامج عمل مشترك في تلك المنطقة (١).

ومن المعتقد أن ليوبولد قد استند في هذه الخطوة على المعاهدة التي سبق له ابرامها مع فرنسا في وقت لاحق من عام ١٣١٢هـ/١٨٩٤م والتي تعهد فيها باخلاء المراكز التي كانت تعوق تقدم الزحف الفرنسي في جنوب دارفور ، والتنازل عن احتلال اقليم بحر الغزال (٢) . كما تعهدت فرنسا في نظير ذلك بعدم معارضة الملك ليوبولد في استئجار حاجز لادو الذى حصل عليه الأخير بموجب معاهدته مع بريطانيا في نفس العام ، وعليه فإننا نعتقد في ذلك الأمر أن اخلاء القوات البلجيكية لمنطقة بحر الغزال عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م لم يكن نتيجة لضغط قوات المهدية وانما

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٩٠ .

(٢) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٤٦٦ ، لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢١٩٨ .

تنفيذا لتلك الاتفاقية التي تقرر بمقتضاها فصل حدود الكنغو الحرة عن مديرية بحر الغزال (١) .

هذا التصرف قد جدد آمال فرنسا لتدخل مجال المنافسة في منطقة أعالي النيل فيما تعتبره الدوائر السياسية في بريطانيا يشكل خطرا على مصالحها في تلك الجهات .

- التنافس بين فرنسا وبريطانيا في أعالي النيل :

شهد القرن الثاني عشر الهجرى / نهاية القرن الثامن عشر الميلادى تنافسا بين بريطانيا وفرنسا في حوض البحر المتوسط وشواطئ غرب أفريقيا . وقد تطور هذا التنافس في السنوات الاخيرة من القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى الى المرحلة التي أضفت عليه المظهر الاقتصادى ، عندما أخذت شعوب الدول الاستعمارية الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا بفكرة المساهمة باموالها خارج بلادها بغرض الاستثمار (٢) .

وعندما قامت بريطانيا باعلان احتلالها لمصر عام ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م ، غضبت فرنسا وطالبت بريطانيا بالجلاء عنها ، ولما بات في حكم المؤكد بالنسبة لفرنسا أن سياسة بريطانيا اصبحت تقوم على اعتبار ان وادى النيل منطقة نفوذ خاصة بها وحدها ، بدأت فرنسا التفكير في وضع مخطط لتتحدى به تلك السياسة ، وتعرقل به المشروعات البريطانية ، وبناء عليه فقد

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٨٩ / ٢٤٩ .

(٢) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٢١٠ .

قررت السلطات الفرنسية ارسال حملة من قواتها المتمركزة في أفريقيا الوسطى الى بحر الغزال بغرض السيطرة على أعالي النيل ، وكان الرأي العام الفرنسي يعمل على تأييد حكومته بشدة في هذا الأمر [١] .

ولم تكتف فرنسا بذلك بل أجرت اتفاقا مع الامبراطور الاثيوبي منليك Menelik للاعتماد عليها في مد حدود دولته الغربية حتى مجرى بحر الجبل في الجزء الجنوبي من النيل الابيض في مقابل التعاون معها في مد حزام فرنسي افقي يمتد من الصومال الفرنسي الى داكار ، وأعلمته أن جيشا فرنسيا قد خرج لهذا الغرض من افريقيا الاستوائية ليلتقي بالقوات الاثيوبية عند مجرى النيل [٢] .

ويعتقد ان فرنسا كانت تهدف من وراء مد هذا الحزام ليكون حاجزا أمام توسع بريطانيا في منطقة حوض النيل [٣]، وعندما علمت بريطانيا بالتحركات الفرنسية تراءى لها ان الوقت قد حان لضم السودان ، لوقف الأطماع الفرنسية التي تهدد مصالحها بالمنطقة [٤] ، لأن بريطانيا من جهتها كانت تخشى من وصول فرنسا الى أعالي النيل وتثبيت أقدامها في المنطقة حيث سيؤدى ذلك الى نقل المشكلة في حوض النيل الى المجال الدولي ولفرنسا فيه الكثير من المناصرين ، كما ان اتخاذ فرنسا لتلك الخطوة

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان، ص ٨٣ .

(٢) رياض ،زاهر ، استعمار أفريقيا ، ص ٢١٧ .

(٣) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٢١٢.

(٤) رياض ، زاهر ، استعمار أفريقيا ، ص ٢١٧ .

وهي احتلال جزء من أعالي النيل سيكون من شأنه اعطاء فرنسا حق التفاوض من مركز قوى ، هذا اذا رأت بريطانيا أن تعالج الأمر عن طريق المفاوضات [١]. وقد كانت الخطوة التاليةفي هذا الاتجاه قيام الحكومة البريطانية بتوضيح موقفها من تلك المسألة ، حيث قام السفير البريطاني ادموند منسون Monson في باريس بتسليم وزير خارجية فرنسا هانوتو Hanotaux مذكرةتضمنت عدم اعتراف الحكومة البريطانية لاى دولة أوربية بامتلاك جزء من وادى النيل ،[٢] وأبلغت الحكومة الفرنسيةبأن الحكومة الحالية في بريطانيامتمسكة بالتصريحات التي أدلت بها الحكومة السابقة فيما يتعلق بهذا الأمر تشير بذلك الى الأقوال التيكان قد صرح بها ادوارد جراى Edward Gray عضو البرلمان البريطاني/وزير خارجيتها/في ذلك الوقت ، وقد أبلغت بها الحكومة الفرنسية رسميا وقتئذ [٣]. وكانت الحكومة الايطالية قد اعترفت ضمنيا لبريطانيا بالحق في سيادتها علىمنطقة وادى النيل في اتفاقجرى بينهما عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١م [٤] . وعليه فقد منعت بريطانيا كافة الدول الأوربية من احتلال أي جزء في وادى النيل احتلالا دائما. ولكنالحكومة الفرنسية صممت على ارسال حملة عسكرية لاحتلال فشودة في أعالي النيل ورفع العلم الفرنسي عليها [٥] .

---

(١) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ،ص ٢٢٧.

(٢) محمد ، محمد سيد ،" أزمة فشودة " ص ٥١٣ ،مجلة البحث العلمي، العدده .

(٣) لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢١٩٩ .

(٤) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ٤٦١ .

(٥) هولت ، ب . م . ، المهدية فى السودان ، ص ٢٥٤ .

وفي عام ١٣١٢ هـ/ ١٨٩٤م تلقى ديلكاسي Delcasse وكان وزيرا للمستعمرات في فرنسا تنبيها من مجلس الوزراء الفرنسي بضرورة احتلال أكبر مساحة ممكنة من الاراضي في أعالي النيل ، توقعا لزحف بريطانيا من أوغندا .

ويُعتقد - أن تلك الخطوة لم تكن فرنسا تقصد من ورائها احتلال جزء من وادى النيل ، وانما كانت تريد الحصول على وضع يمكنها من ارغام انجلترا على التفاوض في سبيل اجراء تسوية عامة لجميع المشاكل المعلقة بين البلدين ، دون أن تتأثر بذلك هيبة فرنسا (١) . ويعتقد أن الحكومة الفرنسية قد اعتبرت قيام تلك الحملة فرصة يمكن أن تساعد على تهدئة الرأى العام الفرنسي والتي ربما يرى فيها تعويضا لما فقدته فرنسا من مكانة في مصر نتيجة لموقعها المتميز (٢) .

تلك الأسباب مجتمعة ، جعلت الحكومة الفرنسية آنذاك تتعجل الموافقة على ارسال حملة الى أعالي النيل تحت قيادة الكابتن مارشان Marchand في عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م (٣) . كما قررت بريطانيا من جهتها اعداد قوات عسكرية وتجهيزها بغرض ارسالها باسم الخديوى لاسترجاع السودان من قوة الثورة المهدية . وخلال بضع سنوات كانت الحكومة البريطانية قد أعدت الخطط السياسية والعسكرية ، فبعث سالسبورى رئيس الوزراء في بريطانيا

---

(١) هولت ، ب . م . ، المهدية فى السودان ، ص ٢٥٤ .

(٢) محمد ، محمد سيد ،" أزمة فشودة " ص ٥٠٢ مجلة البحث العلمى العدد ٥ .

(٣) لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢١٩٩ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٤٢ .

الى كرومر في مصر برسالة في عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م وضعت الأسس القانونية لاشراك بريطانيا في حكم السودان [١] . وكانت الحكومة البريطانية ترمي بهذه المشاركة الاحتجاج بحق الفتح Right of Conquest المتعارف عليه آنذاك الى جانب الحكومة التركية في حكم السودان ، حيث تعتقد بريطانيا أن قيام الثورة المهدية لم يؤثر عليه [٢] .

وكانت الحكومة البريطانية قد تجاهلت السلطان العثماني في تركيا ولم تنتظر موافقته على التطورات التي تحدث في منطقة وادى النيل[٣]. الأمر الذى جعل السلطان عبدالحميد الثاني (١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ/١٨٦٦-١٩٠٩م يبعث برسالة الى الحكومة البريطانية مفادها أنه ربما تعرض موقف الحكومة البريطانية للحرج نسبة لسيادته الشرعية على الخديوى ، وعليه فإن ما حدث في هذه الخطوة يعتبر مفاجأة للحكومة البريطانية ، لأنها لم تكن تتوقع موقف كهذا من الحكومة العثمانية في تركيا بدليل أنها لم تعره أي اهتمام عندما أقدمت على تنفيذ مشروعاتها في وادى النيل ، على أساس أن السلطات في تركيا ضعيفة للدرجة التي جعلتها خاضعة تماما لنفوذ بريطانيا وفرنسا معا . ويرجح أن فرنسا كانت وراء تلك الرسالة غير الودية التي بعث بها السلطان في تركيا الى الحكومة البريطانية وذلك لأن فرنسا لم تكن قد اعترفت بحماية بريطانيا لمنطقة وادى النيل بل كانت تفضل عليها سلطة الخديو المستمدة من تركيا [٤]. ولايخفى أن ضعف

---

(١) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ٤٦١ .

(٢) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ١٩٤ .

(٣) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٤٥٣ .

(٤) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ٤٦١ .

وتهالك الحكومة العثمانية سيساعد فرنسا على تحقيق بعض المصالح في أعالي النيل بصورة أيسر خلافا للامر فيما اذا كانت بريطانيا في نفس الموضع .

وفي النصف الثاني من عام ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨م كانت القوات التي يقودها كتشنر قد اجتاحت شمال السودان واوقعت الهزيمة بجيوش الخليفة عبدالله التعايشى ، ثم بدأت في التوجه جنوبا ، وفي هذا الوقت تسلم كرومر اخطارا من سالسبورى مفاده أنه ربما تكون هناك مواجهة مع الجيش الفرنسي في أعالي النيل ، وفي هذه الحالة فان قائد الجيش البريطاني سيضطر الىادعاء السيادة على هذه الاراضي اما باسم الحكومة التركية في مصر أو باسم الحكومة البريطانية أو بالاثنين معا (١) .

وفي منتصف عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م كانت الحملة الفرنسية العسكرية التي يقودها مارشان قد تمركزت فيمنطقة فشودة . ورفعت عليها العلم الفرنسي (٢) . وهي منطقة جغرافيةهامة وبوابة رئيسيةفي الطرق النهرية المؤدية الى منطقة السوباط شرقا ، وبحر الغزال غربا والاستوائية جنوبا .

---

(١) Warburg: Gebrail , The Sudan Under Winqate, P. 2 Frank Cass , London , 1978 .

(٢) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٤٧٣ ، شقير ،نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٤٢ ، لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢٢٠٠ .

- أزمة فشودة :

صدرت الأوامر الى كتشنر بالتوجه الى منطقة الجنوب فورا عقب القضاء على جيوش الخليفة عبدالله في أم درمان ، وكانت هذه الأوامر مضمنة في مظروف مغلف أمر كتشنر بعدم فتحه الا بعد الفراغ من تلك المعركة (١) .

وعندما وصل كتشنر الى فشودة التي تبعد جنوبا الف ميل تقريبا عن الخرطوم وجد قوة فرنسية تتكون من مائة وثلاثين رجلا يقودها الكابتن مارشان . فماكان من كتشنر الا أن رفع بدهاء علم الحكومة التركية في مصر على مسافة قريبة من منطقة تمركز القوة الفرنسية . ولم يرفع العلم البريطاني واحتج على احتلال الفرنسيين للمنطقة ورفع العلم الفرنسي على ممتلكات الحكومة التركية في مصر ، وأعلم مارشان أن ذلك يعتبر انتهاكا لحقوق الحكومة التركية في مصر ، ولحقوق بريطانيا معا (٢) .

---

(١) تم اعطاء ذلك المظروف الى كتشنر قبل قيام الحملة من مصر، ويبدو أن الحكمة في عدم فض المظروف قبل نهاية المعركة، ترجع الى قضية يمكن أن يستغلها الغير على أنها تدخل في مسائل داخلية تخص تركيا وحدها ، فيما يتعلق بالوضع القانوني للسودان قبل سقوط حكومة المهدية .

مصطفى ، أحمد عبد الرحيم ،" انجلترا وأوربا وأعالى النيل ١٨٨٢ - ١٨٩٢ " ، ص ٣٨٧ ، المجلة التاريخية المصرية مجلد رقم ١٣، القاهرة ١٩٦٧م .

(٢) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٣٢، شقير نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٤٢ .

وكان رد مارشان أنه كجندى لايملك سوى تنفيذ التعليمات التي لاتقبل التأويل والتي صدرت اليه صريحة باحتلال تلك المنطقة ورفع الراية الفرنسية عليها ، وأنه لن ينسحب دون أوامر جديدة تصدر اليه من الحكومة الفرنسية ، واعترف لكتشنر بتفوق قواته العسكرية ، ومع ذلك أعرب عن استعداده ورجاله للدفاع عن مركزهم حتى الموت ، وذلك في حالة اتخاذ كتشنر لأى اجراء عسكرى . ثم طلب منه عقب ذلك تقدير موقفه ولم يبد أي اعتراض على رفع علم الحكومة التركية في مصر ، وكتشنيه لينرا الاضرا عـ يكون الوضع قد تأزم في فشودة بين القوتين ، ولكن القائدين فضلا التريث ، ولم يتم اتخاذ أي تصرف استفزازى متهور يمكن أن يشعل فتيل الحرب بين القوتين ورفع الأمر الى الحكومتين الفرنسية والبريطانية (١) .

وبدأت بذلك أزمة مفاوضات مكثفة لجأت اليها الدولتان بدلا عن الحرب التي كادت أن تقع بينهما في فشودة ، وكانت الحجج الفرنسية تدور حول حق لهم في مركز على النيل بقدر ماكان للالمان والبلجيكيين ، وأن احتفاظهم بهذا الحق يعتبر ملائما في هذا الوقت ، وكانت الحكومة البريطانية ترى أنها تشارك الحكومة التركية في مصر حق الفتح ، وليس من حق أى طرف ثالث الادعاء بأن الارض المختلف عليها مهجورة (٢) Relinquished أو اعتبارها ملكا مباحا (٣) Res Nullius

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ١٩٨-١٩٩ ، لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢٢٠٠ .

(٢) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٣٣ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٤٣ .

(٣) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٤٧ .

تمسكت فرنسا بفكرة المفاوضات حينا من الوقت ، بالرغم من اقتناعها بأن بريطانيا لن تتزحزح عن موقفها ، وذلك لان فرنسا لاتريد أن تظهر أمام ضغط الرأى العام الفرنسي أنها استسلمت بسهولة ، ولكنها في النهاية رضخت للأمر ، حيث تم اخطار سالسبورى في لندن بان الحكومة الفرنسية قد تلقت تقريرا من مارشان ظهر فيه أن فشودة لاتمثل مخرجا للقوات الفرنسية المرابطة على النيل ، وأنه ليس من المستبعد أن يتسلم مارشان أوامر بالتراجع (١).

وفي أواخر عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م تم جلاء القوات الفرنسية من فشودة وجرى حسم الخلاف بين الدولتين في العام التالي بتقسيم أواسط أفريقيا الى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية ، حيث كان السودان بما فيه الجنوب من نصيب بريطانيا (٢).

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٧٠.

(٢) عبدالرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية في السودان ، ص ٣٣.

أهم النتائج التي ترتبت على موقف بريطانيا من التنافس الدولي في أعالي النيل :

من أهم النتائج التي ترتبت على موقف بريطانيا من التنافس الدولي في أعالي النيل ، وقوع منطقة جنوب السودان التي تشمل آنذاك جزءا من أعالي النيل والبحيرات الاستوائية ، في غمار مؤامرات السياسة الدولية الأوربية . وقد دفعت المطامع الفرنسية وبعض الدول الاوربية الأخرى بريطانيا الى التخلي عن السياسة التي كانت تنتهجها ازاء السودان بعدم التدخل عسكريا (١) وبشكل مباشر ،وذلك عندما تبين لها أن مصالحها في هذه المنطقة تتعرض الى التهديد من بعض الدول الأوربية .

ويلاحظ أن بريطانيا قد بذلت الكثير من مساعيها السياسية والعسكرية لابعاد أى نفوذ أوربي عن منطقة أعالي النيل ، ولم تسمح لأى دولة أوربية باحتلال جزء من أعالي النيل احتلالا دائما (٢).

وأظهرت بريطانيا في مفاوضاتها مع تلك الدول نوعا من الازدواجية في ابداء الحجج والبراهين للدول الاوربية الاخرى لتبرير موقفها ، من السيطرة على أعالي النيل والاستوائية في جنوب السودان ،وقد تجلت هذه الازدواجية بوضوح تام في موقف بريطانيا من الحالة السياسية في السودان ككل والجنوب بشكل خاص . بعد القضاء على الثورة المهدية ، حيث كانت بريطانيا في أول الامر تعتبر اراض السودان ملكا مباحا Res nullius,

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ، ص ٢٦.

(٢) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ،ص ٤٦١.

لاصاحب لها على اعتبار أنها كانت من أملاك الدولة العثمانية ولكنها خرجت من حوزتها ولم يبق فيها أي أثر للسيطرة العثمانية وعلى هذا الاساس أبرمت بريطانيا مع ألمانيا عام ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠م اتفاقا حددت فيه مناطق النفوذ بين الدولتين في وسط وشرق أفريقيا (١) وبناء عليه فقد احتلت بريطانيا أوغندا وانيورو وأجزاء من منطقة البحيرات الاستوائية (٢).

وهكذا تكون بريطانيا بهذا العمل قد أدخلت تحت سيطرتها الاستعمارية جزءا كبيرا من أراض السودان الجنوبي ، والتي كانت من قبل تمثل قطاعا كبيرا من مديرية خط الاستواء التابعة للحكومة التركية في مصر ، ومن ناحية أخرى فإن هنالك دليل آخر على صحة الرأى القائل بأن بريطانيا كانت تعتبر اراضي السودان ملكا مباحا ولاصاحب لها هو اقدامها على التصرف في أجزاء من أراضي الجنوب في السودان كما لو كانت ملكا لها ، وذلك بابرام معاهدة عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م مع ليوبولد ملك البلجيك تم بموجبها قيام بريطانيا بتاجير منطقة لادو واجزاء من الاراضي في بحر الغزال والاستوائية الى دولة الكنغو الحرة المجاورة لتلك الجهات (٣).

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥٣٠ .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٥١ ، لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ص ٢٢٠٩ .

(٣) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥٣١ .

ولكن موقف بريطانيا لم يلبث أن تعرض للتبديل عندما أحست بريطانيا بخطورة الموقف الفرنسي من أعالي النيل ، حيث تمركزت القوات الفرنسية العسكرية في فشودة ورفضت مطالب بريطانيا بالانسحاب من المنطقة كما سبق وأشرت . وعندها احتجت بريطانيا بحقوق الحكومة التركية في مصر (١) ، واكتفت القوة البريطانية التي كانت بقيادة كتشنر في فشودة برفع علم الحكومة التركية في مصر ولم ترفع علم بريطانيا (٢)، تأكيدا لتلك الحقوق في نظرها.

وهكذا وبكل سهولة غيرت بريطانياموقفها السابق من اعتبار أراضي السودان ملكا مباحا ، وأعلنت أنها تشارك الحكومة الخديوية في استعادة الأراضي التي لم تتأثر سيادتها بقيام الثورة المهدية ، وأن بريطانيا لن تسمح لفرنسا باحتلال جزء من تلك الاراضي التي استرجعتها جنود الحكومة التركية في مصر وجنود الحكومة البريطانية (٣).

وهكذا اتبعت بريطانيا بهدف الهيمنة على السودان بشكل عام والجنوب بشكل خاص الازدواجية مع غيرهامن الدول الاوربية من أجل أهدافها الاستعمارية المتمثلة في انشاء امبراطورية بريطانية لها في أفريقيا (٤) ، حيث تعتبر منطقة أعالي النيل جزءا حيويا منها .

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥٣٠ ـ ٥٣١ .

(٢) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٣٢ .

(٣) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥٣١ .

(٤) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان، ص ١٩٨.

ولكن الوجود الاسلامي العربي في تلك المناطق يشكل عائقا كبيرا للمخططات الاستعمارية البريطانية ويهدد قيام مشروعاتها الاقتصادية والتجارية في المستقبل ، وهي التي تريد ان تستغل بها الشعوب في هذه الجهات .فالوجود العربي الاسلامي هما العقبتان الرئيسيتان لعمليات السيطرة الاستعمارية الاوربية ، فأينما ساد الاسلام وانتشرت اللغة العربية فان هناك عوامل ايجابية تبرز الى الوجود وتدفع بالافريقيين الى رفض السيطرة الأوربية الاستعمارية ، حيث تتهيأ اسباب الوحدة القومية بانتشار الدين واللغة ، كما أن انتشار الاسلام سيؤدى الى وجود تيار يرفض سيطرة الغزاة المسيحيين الأوربيين (١) .

ولتتخلص بريطانيا من الوجود العربي الاسلامي في المنطقة لابد لها في الخطوة التالية من احكام السيطرة على تلك المناطق على أساس أن الجنوب منطقة من الممكن أن تتقبل التغيير كمجال رحب لايزال بكرا، بعكس الشمال الذى أضحى عربيا مسلما.

وقد عبر عن ذلك رودلف سلاطين النمساوى الذى شارك الاداريين البريطانيين وعمل تحت ادارة غردون ، عبر عن ذلك في مؤلفه السيف والنار وكان قد دونه في ذلك الوقت من عام ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥م فقال: "(ان العداوات المستمرة بين رجال القبائل المختلفة تحول دون اتفاق عام بين السكان وذلك أكبر مساعد للدولة الأجنبية على التقدم للاقليم

---

(١) سعودي ، عبد الغني وآخرون ، مشكلة جنوب للسودان ، ص ٦٦ .

الكبير المذكور والحصول على نفوذ ظاهر فيه وانشاء قوة حربية داخلية منحازة الى جانب تلك الدولة ، فمن السهل بطبيعة الحال ايجاد قوة موالية في منطقة عرفت باشتداد الشحناء بين أفرادها وتنافر رجال قبائلها المختلفين » (١) .

وبالرغم من أن سلاطين كان يتكلم عن اقليم بحر الغزال على أساس أنه أخصب أقاليم الجنوب وأغناها ، الا أن ماذكره يمكن أن ينطبق على منطقة الجنوب بأسرها .

---

(١) سلاطين ، السيف والنار فى السودان ، ص ٣٤٦

المبحث الثانـــي

فرض السيطرة البريطانية على جنوب السودان

عندما قرر الاستعمار البريطاني غزو السودان باسم الحكومة الخديوية في مصر عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م اشتركت في العمليات العسكرية قوات بريطانية الى جانب قوات مصرية سودانية تابعة للحكومة الخديوية (١) والتي كانت تظن أن تلك المشاركة ستمنحها فرصة استعادة الحكم على السودان من قوات الثورة المهدية • وقد استطاعت القوات الغازية أن تلحق الهزيمة بجيوش الخليفة عبدالله التعايشي ، حيث كانت معركة أم درمان في الشمال عام ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨م قد حسمت الصراع لصالح القوات الغازية بقيادة السردار البريطاني كتشنر ، كما استطاعت القوات القادمة من الجنوب حسم الموقف في معركة الرجاف (٢) •

ونتيجة للضعف والخضوع الذى كانت تظهره الحكومة الخديوية في مصر تجاه النفوذ البريطاني في وادى النيل ، فقد بات فرض السيطرة البريطانية على الأوضاع في السودان أمرا واقعا ومؤكدا ، وذلك بالرغم من مشاركة الحكومة الخديوية في العمليات العسكرية للغزو ، فضلا عن أن فكرة الغزو نفسها قد تمت باسم الحكومة الخديوية ، ومساهمتها المالية (٣)• كما أن ما أبلغته الحكومة البريطانية آنذاك الى مندوبها في مصر اللورد كرومر في أول أغسطس من عام ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨م يؤكد حرصها في السعي الى فرض

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٢٤٤ ، نصر ، السيد يوسف ، الوثائق التاريخية ، ص ٧٩ وثيقة رقم ٧ •

(٢) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٠ ، شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٩٢١ - ٩٢٢•

(٣) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ،ص ٣٥ ، شكرى، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٢٤٤

سيطرتها على الوضع في السودان بشكل عام بما فيه الجنوب ، حيث طلبت منه أن يوضح للخديو أنه سوف يكون لها صوت مسموع (عال) في كل الأمور المتعلقة بالسودان ، وأن النصائح التي ستقدمها الحكومة البريطانية فيما يختص بشؤون السودان يجب أن تجد أذنا صاغية [١].

أما فيما يتعلق بشأن السيطرة على الأوضاع في الجنوب بشكل خاص ، فان السياسة البريطانية قد أولته اهتماما يفوق الذى أولته عمليات الغزو التي بدأت من الشمال . حيث احتلت عسكريا أجزاء واسعة منه منذ مايقارب الخمس سنوات وقامت باضافتها الى محمية أوغندا البريطانية ووضعت أجزاء أخرى تحت رعاية الملك البلجيكي ليوبولد ليضيفه الى دولة الكنغو الحرة الى حين [٢]، وربما يكون ذلك بغرض ابعادها من هجمات ثوار المهدية . وبقيت تراقب عن كثب الاجزاء المتبقية في هذه المناطق حتى تمت عمليات الغزو ودخلت تلك الاجزاء تحت احتلالها عسكريا .

- اتفاق الحكم الثنائي وأثره على جنوب السودان في ظل السيطرة البريطانية :

يبدو أن الحكومة البريطانية قد استغلت وجودها العسكرى في مصر وسعت لفرض نظام جديد للحكم والادارة عرف باسم النظام الثنائي Condominum يخولها مشاركة الحكومة الخديوية في حكم السودان بصورة تتيح

---

(١) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٢٢٠ .

(٢) هولت ، ب . م . ، المهدية فى السودان ، ص ٢٥٣ ، لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ج ٦ ، ص ٢١٩٨ .

لها أن تستأثر بأكبر قدر ممكن من السيطرة والنفوذ في هذه البلاد [١]. وهو الأمر الذى أرادت أن تفعله حكومة ملكة بريطانيا لكي تجعل السودان بريطانيا دون صدور اعلان رسمي بذلك، حتى لاتثير مسألة وضعه السياسي أو الدولى الأمر الذى كانت تتحاشاه باستمرار الحكومة البريطانية [٢].

فبريطانيا لاتريد أن تضع السودان تحت نفوذها المباشر، وتستبعد الحكومة الخديوية في مصر، حيث ستفقد بذلك الصيغة؟ التي يمكن أن تجعلها شرعية لوجودها في السودان بذلك الوضع، كما أنها من جهة أخرى لاتريد أن تلزم نفسها بأي أعباء مالية تجاه السودان بأي شكل من الأشكال [٣]، فضلا عن أنها تمقت السياسة الدولية وفضولها في مثل هذا الحال [٤]. ثم ان سياسة بريطانيا لم تكن تقبل بضم السودان الى مصر بمفردها ووضعه تحت ادارتها دون قيد أو شرط مما يتيح لها حسب رأي كرومر حرية مذمومة[٥] Bastard Freedom وصار بذلك من الضرورى ابتكار نظام يكون به السودان تابعا للحكومة الخديوية بالدرجة التي ترضى الاعتبارات السياسية، ويكون بذلك بريطانيا بالدرجة التي تكفل للاحتلال البريطاني ادارة البلاد دون عوائق، وهذه المطالب تحققت بابتكار نوع جديد من الحكم لم يسبق أن عرفه القانون الدولي[٦].

---

(١) شكرى، محمد فؤاد، مصر والسودان، ص ٢٤٤ .

(٢) طه، عبد الرحمن على، السودان للسودانيين، ص ١٢، مطابع شركة الطبع والنشر، أم درمان، ١٩٥٥م. Warburg G., The Sudan Under Wingate P.44 .

(٣) Warburg G., The Sudan Under Wingate . P. 124 .

(٤) عبد الرحيم، مدثر، الامبريالية والقومية فى السودان، ص ٣٥ .

(٥) بركات، على محمد، السياسة البريطانية واسترداد السودان، ص ٢٣٧.

(٦) بشير، محمد عمر، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، ص ٣٠، طه عبد الرحمن على، السودان للسودانيين، ص ١٢ .

وفي اطار ذلك التصور وضع كرومر اتفاق الحكم الثنائي بين الحكومة الخديوية في مصروبين بريطانيا في عام ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م وقد أضحت بموجبه بريطانيا الشريك الغالب والمسيطر وحده وفي جميع الاحوال على مقاليد الأمور في البلاد (١) .

وعلى أي حال ، فقد كان اتفاق الحكم الثنائي اعترافا ضمنيا من الحكومة الخديوية بالوضع السائد في السودان بعد الغزو ،وقد نصت تلك الاتفاقية على وضع قوانين البلاد وتحديد الصيغة التي ستجاز بها ، كمانصت على عدم تمتع الاوربيين بحقوق خاصة ، وبذلك تكون قد وضعت حدا لما يعرف في السابق بالامتيازات الاجنبية التي كانت قد كفلتها الدولة العثمانية للأوربيين الأجانب في ولاياتها بما فيهامصر والسودان . كما منحت الاتفاقية الحاكم العام البريطاني سلطات مطلقة تتمثل في اصدار القوانين والأنظمة وتغييرها متى دعت الضرورة ذلك ، وفي النهاية فرضت قانون الأحكام العرفية وبالتالي ساهمت في اتساع سلطات الحاكم العام(٢) .

وبالرغم من أن هذه الاتفاقية قد اعترفت بها الدول آنذاك وقام على أعمدتها نظام الحكم في السودان فان هناك من يرى من رجال القانون بأن هذه الاتفاقية ملغاة ولاقيمة قانونية لها وذلك استنادا الى ما أورده محمد فؤاد شكري من اعتبارات حولهذا الأمر(٣) وفيما يلي نصه :

---

(١) بشير ،محمد عمر ،تاريخ الحركة الوطنية في السودان ،ص ٢٩.

(٢) Warburg G., The Sudan Under Wingate ,P. 124 .

(٣) شكرى ،محمد فوّاد ،مصر والسودان ،ص ٣٤.

أولا : ان مصر ليست لها الصفة التي تخولها عقد اتفاق دولي كاتفاقية عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩ م حيث انها مقاطعة من مقاطعات الدولة العثمانية ، وعلى فرض أن لها كدولة تابعة شيئا من السيادة الذاتية ، فقد أجمع فقهاء القانون على أن هذا النوع من الدولة التابعة عاجز اطلاقا عن عقد الاتفاقات الدولية التي على غرارها اتفاقية ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م .

ثانيا : ان الخديوى ليست له الصفة التي تخوله التوقيع على الوفاق لأن الخديو حاكم مقاطعة أو ولاية وليس سيدا أو ملكا فهو لايملك الأراضي التي عهد اليه بالحكم فيها فقط والمحافظة عليها - أى أودعت لديه ، ليتولى شئونها بوصفه نائبا عن السلطان العثماني في ذلك ، ولهذا فسلطاته محدودة ، ومقيدة بالشروط التي تضمنتها الفرمانات التي أنابته في حكم هذه الاراضي ، وهو لايملك أن يعقد اتفاقا يربط به السلطان صاحب السيادة عليه ولايستطيع كذلك أن يخرج على شروط الفرمانات التي هي بمثابة العقد الذى استخدمه به السلطان في مهمة ادارة شئون الولاية ، أضف الى هذا ، أن هذا العقد (أي الفرمان) اشترط عليه - والمقصود هنا فرمان ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م الذى صدر بتولية الخديو عباس حلمي الثاني - عدم التنازل للغير اطلاقا عن شيء من الامتيازات المعطاة له أو الاراضي التي عهد اليه بالحكم فيها .

ثالثا : ان انجلترا ذاتها وهي مرتبطة بمعاهدات سابقة لايمكنها أن تتخلص من العهود التي قطعتها على نفسها وذلك بأن اعترفت في كل المعاهدات الدولية بمبدأ المحافظة على كيان الامبراطورية العثمانية فهي قد وقعت مع النمسا والمجر ، بروسيا ، وروسيا ، اتفاقية لندن في

١٥ يوليو ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠م ، ومذكرة ٣٠ يناير ١٢٥٧ هـ/١٨٤١م والمذكرة المشتركة في ١١ مارس ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١م ووقعت معاهدة في ٣٠ مارس ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦م ثم معاهدة برلين في ١٣ يوليو ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م وبروتوكول النزاهة الصادر عن مؤتمر الاستانة في عام ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢م وهي فوق ذلك اعترفت بكل الفرمانات السلطانية الصادرة من الدولة العثمانية الى الخديويين بما في ذلك فرمان ١٣١٠هـ / ١٨٩٢ م أي الفرمانات التي تمنع مصر من عقد المعاهدات الدولية ، وهي قد أعلنت أن الأراضي السودانية أراض عثمانية كما فعلت عند ابرام المعاهدة البريطانية الكنغولية في مايو عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م الخاصة بحاجز لادو وبحر الغزال . كما استندت على نفس هذه الحجة عندما أوقفت الزحف الفرنسي) (١) . وبالتالي فان وجود الاحتلال البريطاني على الاراضي السودانية عامة والمناطق الجنوبية خاصة بناء على اتفاق الحكم الثنائي بين الحكومة الخديوية والحكومة البريطانية ، يعد مخالفا للفرمانات والعهود الدولية التي سبق الاعتراف بها منها ، كما أن الأثر الذى ترتب على تلك الاتفاقية بالنسبة للمناطق الجنوبية قد أثر كثيرا بالحدود السياسية والمساحة الكلية للأراضي في جنوب السودان ، الأمر الذى يجعل هذا التصرف مجرد مقدمات للسيطرة التي تريد السياسة البريطانية فرضها على المنطقة.

وقد جرى تقسيم الأراضي السودانية في المادة الاولى من اتفاقية الحكم الثنائي الى ثلاثة نماذج هي :

---

(١) شكري ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥٢٤ - ٥٢٥

(أ) أراض لم تخلها قط جنود الحكومة الخديوية في مصر منذ (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م).

(ب) - أراض كانت تحت ادارة الحكومة الخديوية قبل الثورة المهدية وفقدت منها وتم غزوها مرة أخرى من الحكومة البريطانية والحكومة الخديوية بالاتحاد .

(ج) الأراضي التي قد يتم غزوها بالاتحاد من الحكومتين المذكورتين مستقبلا (١) .

وقد وضع كرومر تفسيرا لهذه المادة جاء كما يلي :

المقصود بالاراضي في الفقرة (أ) وادي حلفا وسواكن والمراد ادخالهما ضمن حدود السودان في هذه الاتفاقية . كما يقصد بالاراضي في الفقرة (ب) ان تلك الاراضي لاتشمل جزءا من مديرية خط الاستواء القديمة كما يفيد النص حيث صار هذا القسم جزءا من محمية أوغندا البريطانية وتم تأجير بعضه الى دولة الكنغو الحرة آنذاك . أما الأراضي التي وردت في الفقرة (ج) فيراد بها أن يستبعد من نطاق الاتفاق كل الامتدادات التي تحصل من محمية أوغندا البريطانية في اتجاه نحو الشمال نتيجة لعمل أو جهد الحكومة البريطانية وحدها (٢) . وهكذا تصبح الحدود الجنوبية للسودان مهيأة لاستقبال أي توسع لصالح محمية أوغندا البريطانية .

---

(١) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٢) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥٠٤ ، عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٣٩ .

وقدكانت حدود السودان الجنوبية في عهد الحكومة العثمانية وقبل قيام الثورة المهدية تنتهي عند بحيرة فكتوريا ، وصارت بعد اتفاقية الحكم الثنائي عام ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م تنتهي عند منجلا شمال غندكرو ثم تقدمت جنوبا لتتوقف عند نيمولي الابراهيمية كما أطلقه عليها بيكر من قبل (١) .

وهكذا خسر السودان جزءا كبيرا من اراضيه الجنوبية ،بعد أن انتزعتها بريطانيا قسرا وضمتها الى أوغندادون وجه حق ، واعتمدت على اتفاق الحكم الثنائي لتأكيد ذلك (٢) .

اكتفى الباب العالي في تركيا بأن أبدى احتجاجا على ذلك الاتفاق عن طريق سفيره في لندن ، وكان الخديوى قد بعث اليه بنبأ ذلك الاتفاق بعد أن تم ابلاغه رسميا للحكومة الخديوية في مصر ، مما أدى الى أن يتحفز الرأى العام للدرجة التي هاجمت فيها الصحف في القاهرة ذلك الاتفاق ، واعتبرت ذلك مقدمة لاستيلاء بريطانيا على السودان خاصة الصحافة الفرنسية (٣) . وكانت بعض الصحف الوطنية في القاهرة قد وجهت نقدا الى التزام الحكومة الخديوية المالي نحو السودان وقد فرض عليها فرضا (٤) .

---

(١) الرافعى ، عبد الرحمن ، عصر اسماعيل ، جـ ١ ، ص ١٣١ .

(٢) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ،ص ٢٤٠.

لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ ٦ ، ص ٢٢١٠ .

(٣) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ،ص ٢٣٤.

(٤) Warburg G., The Sudan Under Wingate , P.20 .

وقد كان السودان يواجه عجزا في ميزانيته ، ويعتمد على الخزانة الخديوية في سد العجز ، وبناء عليه فقد قررت ادارة الحاكم البريطاني للحكومة الجديدة في السودان عدم القيام باى عمل انشائي من شأنه تنمية الجنوب الا في الحدود التي تفرضها ضرورات حفظ الأمن ، ورعاية مصالح القائمين عليه من جنود ومستخدمين ، بل ان أجهزة الامن والادارة نفسها ظلت محصورة في دائرة ضيقة لاتعدو الحفاظ على سلامة الدولة واخماد الثورات التي تناوىء وجودها (١).

وقد تطلب اقرار القانون والنظام وفرض سلطة الحكومة وقتا طويلا حيث أدى ذلك الى تأخر التقدم الاقتصادى والاجتماعي بالجنوب ساهم في ذلك نقص الموارد البشرية والمالية ، في الوقت الذى مضى فيه هذا التقدم في الشمال (٢) .

ويعتبر اهمال الادارة البريطانية التي بدأت تسيطر على الحكم في البلاد للجانب الاقتصادى والاجتماعي في الجنوب مسئولا عن مضاعفة التخلف الذى كانت تعانيه مناطق الجنوب منذ تلك الفترة ، وولد شعورا بالنقص لدى الجنوبيين تحملت تبعاته الحكومات التي تسلمت السلطة في البلاد بعد الاستقلال نتيجة للفوارق الواضحة في تلك المجالات بين الشمال والجنوب .

---

(١) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ١٨٩٩ – ١٩٢٤م ، ص ٢٥٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤م .

(٢) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٧ .

- الادارة البريطانية ومشكلات الحدود في الجنوب :

كانت الادارة البريطانية في بداية الحكم الثنائي تنظر الى المديريات الجنوبية على أنها من لون آخر ، حيث ساد الزنوج جنوب خط عرض ١٠° شمال خط الاستواء عند بحر العرب ، وقد اعتبرته الادارة البريطانية حاجزا بين المناطق الزنجية الوثنية في الجنوب والمناطق العربية الاسلامية في الشمال ، وكان السكان جنوب هذا الخط يعيشون في مجموعات وخليط من القبائل بدون لغة معروفة ، حيث كانت تدخل جميعها في عهد الخديوى اسماعيل فيما يعرف بالمديرية الاستوائية [(١)].

وقد حدثت ثمة تغييرات في السنوات التالية في الحدود الداخلية للمديريات وقد كانت معظم تلك التغييرات قد اقتضتها ضرورات منها مايتعلق بتسهيل مهمة الاشراف الادارى ومنها مايرتبط بفكرة اخضاع القبائل لسلطة الحكومة ومحاولة ايجاد بعض الحلول لنزاعات القبائل المستمرة ، فوضعت الحدود الاختيارية في السنوات الأولى للحكم الثنائي[(٢)].

وقد رأت سلطات الادارة البريطانية تقسيم الجنوب الى ثلاث وحدات ادارية رئيسية على شاكلة المديريات في الشمال ، فكانت فشودة ، ومنقلا ، وبحر الغزال ، وتم ادخال بعض التعديل عام ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢م على الحدود الادارية لكل مديرية وسميت مديرية فشودة بأعالي النيل [(٣)] .

---

(١) مرقص ،بواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٢٦٠ .

(٢) شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، ص ٣٠٦ .

Warburg G., The Sudan Under Wingate , P.71 .

(٣) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٧ .

وكانت الحكومة قد واجهت فيما يتعلق بتعيين الحدود في منطقة الزاندى مشاكل مستعصية ،ويبدو أن التداخل السكاني على طول خط تقسيم المياه بين نهر النيل والكنغو قد أدى الى حدوث بعض الاعتداءات المتكررة تبعا لاشتراك المرعى بين المنطقتين ، والتي كانت تشهد حركة القبائل باستمرار من هنا وهناك ، وقد شغلت الحكومة في معالجة تلك القضايا الحدودية لهذه الجهات حتى عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨م وقد انتهت بالصلح (١) .

أما فيما يتعلق بمنطقة حاجز لادو والتي تبلغ ١٧٫٠٠٠ ميلا مربعا فقد دخلت الادارة البريطانية في مفاوضات مع الحكومة البلجيكية تم بموجبها عام ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦م تخلى الملك ليوبولد عن تلك الجهات والمعروف أن السودان قد استعاد هذه الاراضي رسميا من الكنغو البلجيكي عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م (٢) .

وقد قامت الادارة البريطانية في اثر ذلك بابرام سلسلة من تسويات الحدود مع كل من آوغندا واثيوبيا بغرض تأمين حدودها في السودان الجنوبي (٣).

---

(١) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٢) سعودى ، عبد الغنى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٨١ .

(٣) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٢٦٢ .

ـ السيطرة البريطانية والحملات العسكرية لاخضاع القبائل في الجنوب :

كانت قضية الأمن هي الهاجس الأول الذى شغل الادارة البريطانية في جنوب السودان ، نتيجة للاضطرابات التي كانت تنشأ في المنطقة وتؤدى الى مشكلات ، سببها في أغلب الأحيان النزاع بين القبائل في الجنوب، التي لم تكن تألف النظام، بعد أن اعتادت على حياتها الموحشة حول المستنقعات والكهوف وبين الغابات الكثيفة ، كما لم تمتد اليها يد الاصلاح وعاش بعضها على السلب والنهب ، ساعد على ذلك تسرب الأسلحة الى أيدى الرجال المحاربين من تلك القبائل فانتظمت الاغارات على القبائل الاخرى بهدف الاستيلاء على النساء والابقار ، وهي طرق وأساليب المجتمع البدائي حيث يتم ذلك بروح القبلية والعصبيات بالاضافة الى عنصر العنف والخشونة في ظروف التأخر الضارب في جذور تلك المناطق (١).

وفي ظل قانون الاحكام العرفية المفروضة على البلاد بكاملها عقب العمليات الحربية التي تم بموجبها احتلال السودان (٢)، استخدمت الادارة البريطانية في الجنوب ضد القبائل البدائية اقصى مايمكن من العنف والصرامة .

وكانت الادارة الجديدة تركز في ذلك على حفظ الامن من خلال تنفيذ القانون حتى تتمكن من اقامة نظام ادارى مستقر، وربما كانت ترى أنه

---

(١) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٢٥٤ .

(٢) Warburg G., THe Sudan Under Wingate , P. 124 .

لن يتأتى ذلك الا بعد أن يتم اخضاع تلك القبائل ، حيث تم في عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م انشاء عدد من المراكز في الجنوب لتحقيق ذلك الغرض ، وقد تولى ادارتها عدد من الضباط البريطانيين الذين أدى نفور السكان الجنوبيين منهم ، الى استخدام أسلوب التهديد واثارة العداوات بين القبائل المختلفة في بعض الأحيان (١).

ولما لم تكن عملية اخضاع هذه القبائل الجنوبية ، والسيطرة عليها بالعملية السهلة فقد استخدم البريطانيون سياسة القهر العسكرى التي استغرقت قدرا من الوقت ، أوصد الباب أمام أي انجاز على الصعيد الادارى ، والاجتماعي الا بالقدر الذى يمكن أن يؤدى لحفظ الأمن (٢).

وهناك أسباب أخرى صعدت من حركة الحملات العسكرية ضد القبائل بجانب الأسباب التقليدية السابقة في ظل نظام الادارة البريطانية الجديدة ، حيث قام الاهالي بمقاومة السلطات كما رفضوا الانصياع لدفع الضرائب التي فرضت عليهم ، وعدّ بعضهم أن ثمة علاقة بين جباة الضرائب وبين تجار الرقيق السابقين من الأوربيين ، الأمر الذى دفعهم للاصطدام بالادارة البريطانية (٣).

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٦ .

(٢) التقرير الختامى لدراسة الاسباب الجذرية ، لمشكلة جنوب السودان ، ص ١٠ .

(٣) نسيم ، محمد عبدالرحيم ، جنوب السودان ، ص ٢٥٤ .

ومن تلك الأسباب أيضا ، حاجة الادارة البريطانية الى تجنيد أكبر عدد ممكن من الافراد ، لمواجهة النقص الحاد الذى نجم عن تقاعد كبار السن من الجنود السودانيين عن الخدمة في الجيش عقب الاحتلال ، ثم السياسة التي اتبعت لاحلال الوحدات السودانية مكان وحدات الجيش المصرى، خاصة وأن عدد المتطوعين في الجيش آنذاك لم يكن يفي بالقدر المطلوب ، حيث أصبح من سياسة الادارة البريطانية في الجنوب أن يكون التجنيد الزاميا عن طريق الحملات العسكرية (١) . وهنا أود أن أشير الى أن الحكومة البريطانية قد أخذت من قبل على محمد علي هذا التصرف واعتبرته أسلوبا مشابها لأسلوب تجار الرقيق ، وهاهي تسلك نفس السبيل ان لم يكن أكثر عنفا (٢) . ويبدو أن جمعية محاربة الرق في بريطانيا قد ساءها هذا التصرف فوجهت نقدا الى الادارة البريطانية في السودان جاء فيه ان ما يفعلونه في أفريقيا ليس بحرب ، بل انه اصطياد للزنوج (٣) .

وبذلك تجمعت هذه الأسباب لتكون حركات مناوئة من القبائل لمواجهة الادارة البريطانية في الجنوب .

وقدوجدت تلك السياسة مقاومةكبرى من القبائل في الجنوب لم تشهد مثيلا لها كافة مناطق السودان ، وذلك لأن القبائل في الجنوب تفضل الحياة بلا قيود أو خضوع للسلطة ، لأنها اعتادت ممارسة أساليب حياتهابحرية بما في ذلك الاغارات والحروب فيما بينها ، ولكن الادارة البريطانية

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate ,P.153 .

(٢) (راجع) الفصل الاول من هذه الدراسة ص

(٣) Warburg, G., The Sudan Under Wingate, P. 153 .

عملت على الحد من تلك الممارسات بل ومحاربتها بعنف في معظم الأحيان (١) .

وقد كان هذا التصرف من جانب الحكام البريطانيين حماقة آدت الى نفور هذه القبائل من فكرة احترام النظام أو الانضواء تحت لواء أى شكل من أشكال الحكومة والسلطة الادارية ، هذا فضلا عن أنها قد أعادت الى ذاكرتهم الاخطاء المؤلمة التي كانت قد ارتكبتها ادارة بيكر العنيفة من قبل (٢)، وهي نفس الممارسات البريطانية التي آدت الى وضع النواة الأولى للعصيان والتمرد على السلطة والنظام وجاءت السلطة البريطانية مع بداية الحكم الثنائي لترسخ مفهوم العصيان والتمرد من جديد.

ويبدو أن الحكام البريطانيون قد فشلوا في السيطرة على معظم مناطق الجنوب ، حيث كانت منطقة فشودة هي الوحيدة التي امتدت اليها سلطة الحكومة في عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م وذكر جبرائيل واربرج أن ماكسويل Maxwell حاكم مديرية الخرطوم آنذاك قال : (ان ذلك الاقليم لايصلح الا لحياة أفراس النهر والناموس وقبائل النوير) وكانت قبائل النوير أشد القبائل معارضة للسلطات البريطانية ، وهذا القول يوحي بأن الادارة البريطانية من زمن الوقت قد أخفقت اخفاقا شبه تام في بسط سيطرتها ونفوذها في مناطق الجنوب (٢) . كما يعكس نظرة

---

(١) سلفستر ، أنتوني ، السودان تحت نميري ، ص ٢١٨

(٢) راجع الفصل الأول من هذه الدراسة ، ص ١١٣ .

(٣) Warburg. G., The Sudan Under Wingate ,P.138 .

البريطانيين غير الانسانية الى قبائل الجنوب .

ولاشك في أن الحكومة قد رأت في كسر الروح القتالية لتلك القبائل هي السبيل الوحيد لاظهار سلطة الحكومة وهيبتها ولن يتم ذلك دون مواجهة هذه القبائل . ومن ثم كان الحل هو ارسال حملات عسكرية تاديبية لاخضاعها حيث يتم بذلك توطيد دعائم الحكم الجديد ، وانشاء نقاط مسلحة بين الطرقات التي تمتد عبر الغابات الى تلك الجهات (١).

وقد كانت بداية تلك الحملات في مناطق الدينكا عام ١٣١٩هـ / ١٩٠١م، حيث واجهت مقاومة في بداية الأمر ، وقتل مفتش بريطاني في النزاع هو البمباشي * سكوت باربور Scott Barbour فأرسلت تعزيزات عسكرية لعقاب تلك القبيلة ، حيث قامت باحراق القرى التي لها يد في الأمر وقتل كذلك عدد من الزعماء والشيوخ وتمت مصادرة أعداد كبيرة من الماشية من هناك (٢) .

ثم أرسلت الحكومة حملة تأديبية لمنطقة قبائل النوير عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م وكان زعيم القبيلة قد تلقى دعوة من الحكومة للامتثال والطاعة فرفض الاستجابة لها فأرسلت اليه الحكومة حملة عسكرية هاجمت القبيلة واستولت على مائتين وخمسين رأسا من الماشية ومابين أربعمائة وخمسمائة رأس من الضأن والماعز وخمسين نابا من العاج ، ويبدو أن هذه الأسلاب كانت تفوق الخسائر التي تكلفتها تلك الحملة ، حيث قدرت بما يقارب

---

(١) مرقص ،يواقيم ،تطور نظام الحكم في السودان ،ص ٢٥٦.

(٢) بشير ،محمد عمر ،جنوب السودان ،ص ٦٨ .

* تعادل رتبة المقدم حاليا.

الستمائةجنيه استرليني في ذلك الوقت ، وقد دفع هذا الأمر قبيلة النوير الى الثأر وذلك بمهاجمة قبائل الدينكا الموالية الى الحكومة ، وقد كتب حاكم فشودة البريطاني معلقا على تلك الاحداث قائلا: " لاشك آن الحكومة قد خسرت فضلا عن كسبها للارض فبينما فر السكان أمام قوات الحكومة ثم عادوا ليجدوا أن قراهم قد أحرقت وآن ماشيتهم قد أقتيدت (١).

وفي الأعوام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م أرسلت الحكومة حملات تأديبية الى منطقة الزاندى تمكنت في النهاية من اخضاع تلك القبيلة ، والسيطرة عليها (٢).

وكان بعض المسئولين البريطانيين قد أبدوا اعتراضا على تلك السياسة فقد دعا ماثيوز Mathews حاكم مديرية أعالي النيل الى الغزو السلمي وآشار الي أن محاولة ارهاب المواطنين بالعنف يعتبر عملا وحشيا تعوزه اللباقة ، كما اعترض على الحملة التأديبية ضد قبيلة النوير ، وكان يرى أن العداء بين قبيلتي الدينكا والنوير يعرض البريطانيين للحرج ،حيث انه ليست هناك ضرورة للتدخل المسلح في الصراع القبلي (٣) .

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.148 .

(٢) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم في السودان ، ص ٥٦

(٣) Warburg G., The Sudan Under Wingate ,P.149 .

ومع ذلك لم تتوقف سياسة الحملات العسكرية ،حيث ارسل المزيد من تلك الحملات الى منطقة نهر لاو في ١٣٢٥ - ١٣٢٨ هـ/ ١٩٠٧ - ١٩١٠م ولم يتم القضاء على تمرد دينكا أتوات، حيث دأب سكان المنطقة على مقاومة حملات الحكومة العسكرية كلما كان بمقدورهم ذلك ، حتى عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م حيث استطاعت قوات الحكومة المسلحة اخماد ذلك التمرد . ومن الطبيعي في مثل هذا الحال أن تكون هناك خسائر بشرية كبيرة في جانب الاهالي . فضلاً عن عدم وجود الاستقرار والأمن التام ، مع استمرار عملية التوتر بين القبائل البدائية في المنطقة ، حيث اعتادت مجموعات من قبائل الدينكا والنوير والأنواك على القيام بغارات على القبائل الاخرى مثل المندلا كما حدث تمرد ضد الحكومة من قبيلة الشلك في الفترة مابين ١٣٢٥-١٣٣٠هـ/١٩٠٧-١٩١٢م، تسبب في ازعاج السلطات البريطانية (١) .

وكانت قبائل النوير أشد هذه القبائل مراسا في مواجهة تلك الحملات ، ولذلك تواصلت الحملات ضدها بغرض تأديبها وذلك خلال السنوات ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ؛ ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، ١٣٣٣هـ/١٩١٤م ، ١٣٣٦هـ/١٩١٧م ، ١٣٣٨هـ/١٩١٩م، ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م ، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م ، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م ، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م ، على التوالي ولم يتم اخضاع تلك القبيلة بسهولة (٢) .

---

(١) بشير، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ، ص ٦٨.

(٢) بشير، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٦.

كما أرسلت حملات أخرى ضد آلوت دينكا عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وضد قبائل البير عام ١٣٣٠هـ/١٩١١م وضد التويج دينكا عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م ، وضد قبيلة الانواك عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م وضد العلياب دينكا فيما بين ١٣٣٧-١٣٤٢هـ و ١٩١٨ -١٩٢٣م على التوالي (١).

وكان تقرير للاستخبارات العسكرية قد أورد أن قوات الحكومة قد هاجمت قبيلة الأنواك في الجزء الجنوبي الشرقي من السودان واستولت على قراهم واحرقتها ، واتضح أن الحملة كانت فاشلة ، وأن قائد الحملة البريطاني قد استهان بقوة الانواك ولم ينتظر قدوم التعزيزات معتمدا على صداقاته مع مجموعات من قبيلة النوير الذين كانت لهم عداوة مع الانواك ، وقد اعتاد بعض الحكام والعسكريين البريطانيين الاستفادة من مثل هذه الظروف ، غير أن النوير لم يكونوا قد تفهموا وجهة نظر القائد البريطاني ، ولذا لم يقدموا المساندة المنتظرة منهم ، وأظهرت التحريات أن القائد البريطاني لم يعص التعليمات فحسب بل كاد يرتكب فضيحة سياسية بتجاوزه للحدود الأثيوبية (٢) .

---

(١) بشير محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٦.

(٢) Warburg G., The Sudan Under Wingate P.150-51.

- مواقف بعض الحكام والعسكريين البريطانيين في السودان من تلك السياسة :

تفاوتت مواقف الحكام من العسكريين والاداريين البريطانيين في السودان آنذاك من سياسة الحملات العسكرية ضد القبائل في الجنوب . فقد شجع أوين Owen حاكم مديرية منقلا التدخل الحاسم لفض النزاعات القبلية وكان مقتنعا بان ذلك يجعل كلا الطرفين سعيدين وراضيين . بينما وصف ولس Willis مدير الاستخبارات من جهة في عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م السياسة القبلية للحكومة في جنوب السودان بأنها حكم عن طريق الغارات ، وأن الحكومة كانت بارعة في وسائل الاستيلاء على الماشية ثم انتقد آخر وهو جيلان Geilan حاكم مديرية كردفان استعانة الحكومة بالموالين لها من القبائل في تلك الحملات التأديبية ، ورأى أن أعمال النهب والتخريب التي يرتكبها هؤلاء الموالون تؤدى الى شكوك وأحقاد لاتنطفىء الا بمرور السنين (١).

وقد كان من سياسة بعض الحكام البريطانيين في الجنوب اتخاذ فكرة الاستعانة بالقبائل الموالية للحكومة لاخضاع قبائل أخرى معادية ، وقد أدى استغلال العداء بين القبائل في هذا الأمر الى زيادة الأحقاد وتوسيع الخلافات فيما بينها ، وهو أسلوب قبيح ومنفر لتلك القبائل البدائية في الجنوب .

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.149-53.

وقد بلغ من خطورة هذه الحملات أن الحكومة في بريطانيا كانت تتابع تطوراتها وما تنتهي اليه من نتائج ،حيث تقدم الأسئلة بشأنها في البرلمان البريطاني ، وشغل بعض الساسة البريطانيين بأمرها [١]. هذا وقد أورد اللورد كتشنر عندما سئل عنها وكان يشغل آنذاك منصب المعتمد البريطاني في مصر ، وباعتباره المشرف والمسئول عن شئون تلك الحملات [٢] أورد دفاعا مفاده أن تلك الحملات استهدفت انشاء مدنية فعالة ،ووقف تجارة السلاح وتأديب بعض القبائل التي لم تخضع لسلطة الحكومة [٣]. وهو أمر كان ينبغي ألا يأخذ من المسئولين البريطانيين هذا القدر من العنف والصرامة ، التي أدت الى سلبيات حاولت الادارة البريطانية إخفاءها في بعض الأحيان . وتصادف أن تسربت بعض أخبار القرى التي أحرقت الى بعض الصحف في بريطانيا مما أثار غضب كتشنر الذى كتب الى السير ونجت حاكم عام السودان آنذاك ، يؤنبه على أن بعض فقرات تقريره بشأن حملة دورية الانواك قد أحيلت الى الصحف قبل الموافقة عليها ، وبناء عليه فقد رفض كتشنر الموافقة على القيام بحملة دورية على قبيلة فارجاك نوير، وكان كتشنر هو الذى يحدد نفقات تلك الحملات العسكرية والجهة التي ستتحمل تكاليف تلك النفقات ،وقرر اثر ذلك أن تتحمل حكومة السودان تلك النفقات مما أفزع الحاكم العام السير ريجنالد ونجت ، حيث لم يكن في مقدور الادارة تحمل ذلك [٤]. فحكومة ونجت لاتستطيع الاعتماد على الضرائب التي

---

(١) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٢٥٦ .

(٢) Warburg G., The Sudan Under Wingate ,P.41 .

(٣) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٢٥٧ .

(٤) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.41 .

كانت تقوم بجمعها آنذاك ، حيث كانت تأخذ ضريبة سنوية من القبائل التي كانت تملك قطعانا من الماشية في المديريات الجنوبية ، بينما كان نظام تقدير الضريبة عشوائيا وغير معتمد ، كما أن حجم الضريبة التي تؤخذ من تلك القبائل يتناسب عكسيا مع حجم المقاومة التي يتعرض لها جباة الضرائب ،فالضعفاء هم الذين يدفعون ، بينما يمتنع الأقوياء عن دفعها ، وكانت قبيلتا النوير والاتواك استنادا على أنها بعيدة ولاتطولها يد السلطات تمتنع عن الدفع بينما تمتثل قبيلتا الشلك والدينكا ، وقد تدفع قدرا بسيطا منها (١).

ويبدو أن السلطات الادارية قد غيرت طريقتها في التعامل مع القبائل حيث لجأت الحكومة الى سياسة أخرى أكثر مهادنة ، وذلك بعد أن شعرت بأن حملات التأديب قد أثارت في نفوسهم شيئا من الرهبة واحترام الحكومة ، فعمدت في بعض الأحيان الى ابعاد بعض الرؤساء خاصة المشكوك في نواياهم تجاه السلطات الى أماكن أخرى من السودان مثل وادى حلفا والخرطوم ،كما حدث في بعض مناطق الدينكا والشلك ، وكان الزعماء فيها قد أبدوا نوعا من التدخل في عملية جمع الضرائب ، وقد تذرعت الحكومة البريطانية في السودان في ذلك الابعاد بحجة أنها تعمل على تدريبهم على عملية جمع الضرائب (٢) . ولاشك أنها سياسة القصد منها حرمان بعض القبائل من زعمائها الذين يقودون المعارضة ضد الحكومة وابعاد

---

(١) Warburg G. , The Sudan Under Wingate, P.168 .

(٢) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم في السودان ، ص ٦٥.

تأثيرهم على تلك القبائل لتسهل عملية السيطرة عليها وبالتالي اخضاعها لسلطة الحكومة .

وهكذا يبدو من الواضح أن الحكومة الاستعمارية قد شغلت لفترة طويلة بالعمليات العسكرية للحملات التأديبية التي كانت ترسلها تباعا بهدف اخضاع القبائل في الجنوب والسيطرة عليها ، ولذلك لم تعمل على القيام بنشاط حقيقي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية لتنمية تلك المناطق في الجنوب ، سوى أنها اهتمت بنشاطات شكلية في المدن الرئيسية وبضعة مراكز ، كادخال بعض السلع البريطانية الى السوق ، ومحاولة ادخال العملة في المعاملات بدلا من المقايضة ، ونشر المساحيق لابادة الذباب والناموس بالاضافة الى منع صيد الحيوانات التي يخشى انقراضها كفرس النهر والخرتيت (وحيد القرن) ، ومنع الاتجار في الاسلحة والبارود ، ومحاولة تحسين وسائل النقل النهرى (١) . ويلاحظ أن هذه الأنشطة تخدم الوجود الاستعمارى البريطاني أكثر مما هي في خدمة الأهالي ، حيث أن هناك نشاطات أخرى أكثر فائدة كالصحة والتعليم وغيرها.

- نتائج الحملات العسكرية لاخضاع وتأديب القبائل في الجنوب :

١ - لقد بات واضحا أن الحملات العسكرية المسلحة ضد القبائل في الجنوب قد رسخت لدى الاهالي فكرة التمرد على السلطة والنظام ، كما اعتادوا النفور من الحكومة ، ومقاومة كافة أشكالها وذلك نتيجة لسياسة العنف المسلح والقسوة في التعامل معها منذ ادارة بيكر وغيره من البريطانيين .

---

(١) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم في السودان ، ٢٧٦ - ٢٧٧

٢ - ويبدو أن ذلك الأسلوب قد أشاع نوعا من رهبة السلطة في نفوس الأهالي الى حد ما الا أنه لم يأت بالنتائج المرجوة كاستقرار الأهالي واقتناعهم بالادارة الجديدة ، ثم زيادة الانتاج وسداد الضرائب ، خاصة بعد أن شعرت الادارة الجديدة بأن الاسترسال في استعمال القسوة امر غير مقبول (١).

٣ - ويعد أسلوب الحملات التأديبية المسلحة ضد الأهالي مرحلة في الاتجاه نحو تطبيق السياسة البريطانية في جنوب السودان ، فالواجب الأول الذى كان على الحكام البريطانيين أداؤه في الجنوب قد تم انجازه خلال تلك المرحلة ، ويتلخص في الهيمنة على مقاليد الأمور في الجنوب ببسط السيطرة على المنطقة وذلك بممارسة سياسة القبضة الحديدية تمهيدا لما يعرف بالسياسة الجنوبية (٢).

٤ - أدت سياسة الحملات العسكرية للحكم البريطاني في الجنوب ، واقامة المراكز المسلحة الى تفكك المجتمع القبلي وانهياره دون أن يكون هناك بديل مناسب ، مما جعل بعض الحكام والاداريين البريطانيين يفضلون أن تترك تلك القبائل وشأنها بدلا عن الصورة المتدهورة التي يسير نحوها المجتمع القبلي في الجنوب نتيجة لتلك السياسات الخاطئة (٣).

---

(١) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٢٥٧ .

(٢) سعودى ، عبد الغنى ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٨١ ، فيما يتعلق بالسياسة الجنوبية ، راجع الفصل الثالث ، ص ٣٠١ .

(٣) Warburg G., THe Sudan Under Wingate , P.20 .

٥ – ان تأجيل التنمية الاقتصادية ، واهمال مرافق التعليم والصحة في الجنوب ، قد ترتبت عليه آثار ضارة بحياة المواطنين هناك، مما أدى الى تأخر تلك الجهات وزيادة الفوارق بينهم وبين الشمال فالحكومة البريطانية لم تقدم أي مساعدات مالية الى تلك الجهات كما أن جباية الضرائب لم تعد أكثر من سياسة ثانوية بسبب امتناع معظم القبائل عن دفعها ، ولم تعد الادارة البريطانية بعد ذلك تهتم بالقيمة الفعلية للضرائب ، وكانت عملية الاهتمام بأمرها وسيلة تريد عن طريقها أن تؤكد سيادتها وسيطرتها على المنطقة ، وكانت تنتظر من مديريات الشمال تقديم الدعم المالي اللازم(١). ويلاحظ هنا تناقض السياسة البريطانية التي لم تكن تنظر الا الى مصالحها فقط ، فبالرغم من أنها تعمل على ابعاد الشماليين عن الجنوب وتسير نحو سياسة هدفها فصل الجنوب عن الشمال وتمهد لذلك بزرع الشكوك والكراهية بين المنطقتين ، تنتظر من مديريات الشمال تقديم الدعم المالي اللازم لتنمية الجنوب ، وهي سياسة طيبة اذا كانت الادارة البريطانية تعمل في اطار السودان الموحد، كما أنها نفس السياسة الاستعمارية التي اتبعتها في ابعاد الشق الشمالي من وادى النيل فبينما كانت تعمل جاهدة على وقف التأثير الاسلامي والعربي القادم من مصر نحو السودان كانت تنتظر الدعم المالي منها .

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate , P.186 .

٦ – مقاومة الأهالي من القبائل لتلك الحملات المسلحة ، فمع أنهـــــا كانت مقاومة مدفوعة بعوامل ومفاهيم قبلية (١)، فهي في جوهرهـــا رفض لكل أشكال التسلط والقهر الاستعمارى وقد دل على ذلـــــك ماعثر عليه الاسقف قوين * Gwyune عند زيارتــــه لمنطقة الزاندى عام ١٣٣٠هـ/١٩١١م حيث عُثر على عبارات كتبـــت بلغة الزاندى عن الحكم البريطاني الاستعمارى في الجنوب تقـــول: (انكم أيها البريطانيون قد وضعتم المصريين في الواجهة عندمـــا أردتم القضاء على حكم الدراويش ** ثم وضعتم الدراويش من أمـــراء المهدية القدامى في قمة السلطة عندما احتليتم أراضينا ، والآن برجل واحد أو اثنين تتحكمون في مئات الناس في جميع أنحـــــاء السودان) (٢)

لاشك أن في هذه العبارات نظرة عميقة من الاهالى الجنوبيين الى تتبع السياسة البريطانية الاستعمارية وأسلوبها في التستـــر وراء الآخرين ، لتنسب اليهم الاخطاء التي يرتكبها الاستعمــــار، لتحقيق مآربه الاستعمارية من وراء ذلك .

---

(١) بشير ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ٧٠ .

(٢) Warburg G., THe Sudan Under Wingate , P.139 .

* قوين (Gwyune) أبرز أعضاء جمعية التبشير المسيحـــــي الانجلكانية الذين عملوا في السودان وهو اول رئيس للشمامســـة في السودان ، عين مساعد أسقف عام ١٩١٢م بعد أن انفصلت أسقفيـــة السودان الانجيلية عن الابرشية الا نجليلية في القدس ثم أصبح أسقفـا لكتدرائية السودان الجديدة بالخرطوم .

Warburg G., The Sudan Under Wingate , P.109

** يقصد أنصار الثورة المهدية .

المبحث الثالث

الادارة البريطانية وتجارة الرقيق في جنوب السودان :

بعد أن فرض الاستعمار البريطاني سيطرته على الأوضاع في السودان بشكل عام وفي الجنوب خاصة ، حاولت الادارة البريطانية التي تدير دفة الحكم في البلاد معالجة مسألة الرقيق ، التي لم تعد ظاهرة بارزة في المجتمع كما كان من قبل .

وكانت تجارة الرقيق بالجنوب قد توقفت قبل الغزو بفترة ليست بالقصيرة ، ويبدو أن عدة أسباب قد أدت الى ذلك منها مايعود الى الجهود التي بذلتها الحكومة الخديوية في مصر بهدف القضاء على نفوذ التجار ، ومنها مايعود الى ظروف التقلبات السياسية والاضطرابات التي صاحبتها بعد قيام ثورة محمد أحمد المعروف بالمهدى عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، وحتى الاحتلال البريطاني للسودان عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م ، ومنها مايتعلق بعامل الزمن حيث أن تبدل المفاهيم لم يعد يقبل بمثل هذه التجارة غير الانسانية .

وعلى كل حال فان موضوع الرق خلال تلك الفترة لم يتبق منه غير حالات قليلة تتمثل في استبقاء بعض الأفراد بالقوة وذلك بعد انتهاء المعارك التي تدور بين القبائل بالاضافة الى بعض الافراد الذين تم تملكهم في الايام السالفة ممن كانوا يعملون في الزراعة أو الرعي أو غيرهما (١).

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ص ٤٧-٥٠.

ومع كل هذا فان مسألة الرقيق ، والاتجار فيه قدمت من البريطانيين للعالم الخارجي كسبب من الأسباب المهمة لغزو السودان واحتلاله في بداية القرن الرابع عشر الهجرى / نهاية القرن التاسع عشر الميلادى(١).

وبينما كانت بريطانيا تسعى الى الاستئثار بالسلطة في السودان ، كانت هناك عقبة آخرى تقف في طريقها ، ساهمت بشكل مباشر في اثراء تجارة الرقيق ، وهي مايعرف بالامتيازات الأجنبية التي كفلتها الدولة العثمانية للأوربيين الأجانب في كافة ولاياتها بما فيها مصر والسودان ، وقد اقترن موضوع الامتيازات الأجنبية بمساوىء كثيرة ظهرت في استغلال الأجانب للحماية التي يتمتعون بها ، خاصة في فترة ازدهار تجارة الرقيق بالسودان (٢) ، حيث كان معظم الأوربيين المقيمين بالبلاد وبعض قناصل الدول الأوربية ممن سبق ذكرهم في الفصل الأول من هذه الدراسة(٣)، قد كونوا شركات للاتجار في الرقيق بل أساءوا معاملة الأرقاء وتشهد بذلك بعض الروايات التاريخية ، وأذكر منها ما أشار إليه المؤلف المجهول فيما ورد في كتابات الرحالة الامريكي بيادر تيلور ، الذى كان قد زار الخرطوم في عام ١٢٦٨-١٢٦٩هـ / ١٨٥١-١٨٥٢ م ، وقد قال: (ان الأوربيين المقيمين في السودان صاروا يعاملون

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٧ .

(٢) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٤٩٧ .

(٣) راجع الفصل الأول من هذه الدراسة ص ٥٢ .

الرقيق بوحشية مما دعا الحكومة الى اصدار قوانين تمنع الفرنجة من ضرب رقيقهم فأصبحوا ملزمين بتقديمهم الى القضاء ان أخطأوا) ، وقد أورد المؤلف حول هذا الأمر مجموعة قصص تحت عنوان قسوة الأوربيين في معاملة الرقيق (١) .

وكان السير افلين بارنج (اللورد كرومر فيمابعد) قد شكا كثيرا من الامتيازات الأجنبية التي وقفت حائلا دون انطلاق سياسته الاصلاحية في مصر ، وكان يريد أن يتخلص منها في السودان أيضا وذلك عقب توليه منصب القنصل العام في مصر عام ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣م (٢)، حيث أن فكرة الهيمنة التي تريد الادارة البريطانية فرضها على البلاد ، لاتتفق مع وجود الامتيازات الأجنبية مما يسمح باستمرار مساوىء الاوربيين الأجانب باستغلال تلك الامتيازات ، ويؤدى في نفس الوقت لمزاحمة الادارة البريطانية في فترة ادارتها للبلاد.

ـ تجارة الرقيق في ضوء الاتفاقيات بين الحكومة الخديوية وبريطانيا :

ويبدو أن موضوع الامتيازات وأثره فيما يتعلق بالرق قد دفع المسئولين البريطانيين الى متابعة قضية الرق التي أظهرت قبل الغزو على أنها احدى القضايا الأساسية الملحة ، حيث بادرت الادارة البريطانية الى متابعة مشروع اتفاقية الرق التي تمت عام ١٢٧٤هـ/١٨٧٧م بين الحكومة

---

(١) مجهول ، على تقدم العالم الاسلامي ، ص ٨٠

(٢) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٤٩٦

الخديوية في مصر وبين بريطانيا ، وكانت قد نصت بأن يتم ايقاف العمل بتجارة الرقيق في السودان عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠م وقد تأجل تنفيذ هذا الاتفاق نتيجة لقيام الثورة المهدية . كما حدث في عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢م الاحتلال البريطاني لمصر . وفي عام ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥م ، وقعت بريطانيا اتفاقا مع الحكومة الخديوية جاء تحت البند الثاني منه مسؤولية الحكومة في مصر عن اصدار قانون يوضح العقوبات التي تطبق على المتلبسين بتجارة الرقيق ، وقد أصدرت الحكومة الخديوية ذلك القانون في العام التالي . وفي عام ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م وبعد فترة وجيزة من الاحتلال البريطاني للسودان أعلنت الادارة البريطانية أن تجارة الرقيق تصرف مخالف للقانون كما كونت ادارة لقمع تجارة الرقيق (١).

وعندما تم توقيع مشروع الحكم الثنائي عام ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م ، تضمنت المادة الحادية عشرة منه مايلي :

يمنع منعا باتا ادخال الرقيق الى السودان أو تصديره منه وسيصدر منشور بالاجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن (٢).

ويفيد النص آن الجنوب لم يكن المصدر الأساسي للرقيق بل كان يأتي من الخارج ليتم تصريفه عبر الحدود .

كان الوضع بالنسبة لهذه التجارة معقدا في حدود مديريتي النيل الأزرق والنيل الأبيض وذلك نظرا لقربهما من آثيوبيا حيث كان الرقيق نظاما معترفا به ، وقد استمر الاتجار بالرقيق على الحدود

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate , P.170.

(٢) بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٢٢٧.

الأثيوبية حتى عام ١٣٢١ هـ / ١٩١٢م بل ظلت هذه التجارة مزدهرة برغم كل مابذل في مقاومتها لعدة سنوات لاحقة (١).

كما كان الرقيق يستورد أيضا من الكنغو الفرنسي ،حيث تم ادخال الرقيق الى الجنوب عبر الحدود مع السودان . ويبدو أن الادارة البريطانية قد أخفقت في الحد من هذه التجارة في تلك الجهات ويعود ذلك الى عدم كفاءة الوسائل التي تستخدمها فضلا عن الرقعة الواسعة التي كان يجب السيطرة عليها (٢) . بالاضافة الى أن مصادرها لم تكن ضمن الأراضي السودانية التي تقع تحت سيطرة الادارة البريطانية .

هذه التطورات في تجارة الرقيق جعلت الادارة البريطانية وخاصة اللورد كرومر يكتفي في مشروع اتفاق الحكم الثنائي السابق ذكره بالنص على تحريم تصدير الرقيق وتوريده من والى السودان وهذا بالتالي يفيد بأن تجارة الرقيق قد انتهت كتجارة منظمة في منطقة الجنوب . ولكن غارات القبائل بعضها على البعض ثم احتجاز بعض الأفراد بهدف تشغيلهم بالقوة وليس بيعهم كما كان يحدث من قبل استمرّ يحدث من وقت الى آخر(٣) .

وهنا يمكن القول بأن تقديم تجارة الرقيق ومكافحتها للعالم الخارجي كسبب من الأسباب الآساسية لغزو بريطانيا للسودان ثم احتلاله

---

(١) مرقص، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ١٠٤ .

(٢) Warburg G., The Sudan Umder Wingate ,P.170-71 .

(٣) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٨ .

بما فيه الجنوب أمر لم يكن صحيحا وانما كانت بريطانيا تبحث عن مبررات لوضع يدها على السودان والجنوب خاصة لتحقيق هدف يخدم سياستها الاستعمارية في المنطقة. وبذلك يكون التسليم بأن موضوع تجارة الرقيق كان سببا ضمن الأسباب الأساسية لذلك الغزو فذلك الأمر لايتفق مع واقع الحال حيث ان المؤسسات الادارية التي أنشئت لمكافحة هذه التجارة قد تقلصت ، وأحيل موظفوها الى ادارات أخرى في الوقت الذى ادعت فيه بريطانيا أن مسألة الرقيق هي أحد الأسباب الأساسية التي دفعتها لغزو السودان .

وكانت مصلحة مكافحة تجارة الرقيق التي بدأت عملها عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م تتخذ من القاهرة مركزا لها وتتبع نظارة الداخلية في مصر وذلك حتى عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م حيث تم الغاؤها وأحيل عملها الى مصلحة خفر السواحل ، وتم تكليف الشرطة بمراقبة البلاد في الداخل ولذلك خفضت ميزانيتها ، وبعد أن تم اخطار الادارة البريطانية في السودان بذلك ، رأت من جهتها الاستعانة ببعض الأعيان العرب من رجال القبائل لتكوين فرق أهلية لمساعدة الحكومة في مراقبة الحدود في شرق السودان نتيجة للحروب المستمرة بين القبائل في الحبشة وبيعهم رقيقا على الحدود السودانية (١) .

---

(١) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم في السودان ، ص ١٢٤ - ١٢٦

وقد حاول ونجت باشا الحاكم العام آنذاك بعد أن انتقلت اليه مصلحة مكافحة الرق من نظارة الداخلية من القاهرة الى الخرطوم أن يطالب بزيادة المبلغ المعتمد وكان ١٥٠٠٠ جنيها ولكن تم رفض ذلك الطلب مما جعله يقوم بنقل العاملين في هذه المصلحة وتحويلهم الى شرطة المديريات باعتبارهم عمالة زائدة وذلك في عام ١٣٢٩ -١٣٣٠هـ / ١٩١١م (١). بل ان موظفي ادارة الرق تم نقلهم الى ادارة الخدمة المدنية وقررت السلطات بجانب ذلك الحد من أنشطة تلك الادارة وذلك بدمج قوات الشرطة الخاصة بها ضمن قوات الأمن العام التابعة للمديرية (٢).

وهذا بالتالي يؤكد أن واقع الحال كان قد تحسن كثيرا ومنذ زمن فيما يتعلق بتجارة الرقيق ، خلافا للضجة التي تثيرها بريطانيا لترسم صورة مزيفة تبرر شرعية وجودها في ذلك الوقت بالسودان والجنوب بشكل خاص .

وقد عبر الدكتور محمد عمر بشير عن الوضع المترتب على ما تم اتخاذه من اجراءات نتيجة لذلك الواقع ، لأن بريطانيا لم تجد أمامها في ذلك الوقت سوى ماخلفه الزمن من نظام الاسترقاق حيث توجد مجموعات من الرقيق يعملون في الزراعة والرعي وغيرها (فكان على الادارة البريطانية أن تختار بين أمرين فاما أن تعترف وتسلم بذلك واما أن تقوم بتحريض الرقيق على ترك سادتهم وكان هذا الخيار الاخير كفيلا بنشر الخراب الاقتصادى العاجل وذلك نتيجة لترك المزارع وضياع الكثير من حيوانات

---

(١) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم في السودان ، ص ١٢٦

(٢) Warburg G., The Sudan Under Wingate ,P.174-75

المراعي وموت عدة آلاف من الابرياء ممن لم يكن لهم يد في نشاتهم في ظل نظام اجتماعي لاترضى عنه الافكار الغربية ، بالرغم من آنه مقبول لدى الأهالي ويعتبر ضروريا بالنسبة لاستمرار حياتهم اليومية ، فضلا عن آن اطلاق الرقيق بتلك الكيفية قد يؤدى الى وجود عناصر في المجتمع ينقصهم الاحساس بالالتزام الاجتماعي وقد يشكلون خطرا على الأمن العام والأخلاق العامة)(١) .

وهنا يمكن ادراك شيء من الحكمة التي جعلت الشريعة الاسلامية تتريث وتتدرج من فكرة عتق الرقيق لأن موضوع الالتزام الاجتماعي آمر مهم تجب مراعاته ، حتى لايكون الشخص الذى نال حريته بالفداء أو العتق شاذا في سلوكه نتيجة لانتقاله من مرحلة العبودية الى مرحلة الحرية وهذا الأمر يجعله يدرك آن الحرية التي سيقدم عليها لها حدود وواجبات ينبغي الالتزام بها في اطار المجتمع .

أما الامر الثاني الذى اهتم به الاسلام آيضا من منطلق التريث والتدرج في آمر اطلاق الرقيق هو مسئولية المجتمع في تأمين الحياة الكريمة للرقيق بعد آن ينال حريته وذلك بتأمين المصادر التي تهيىء له آسباب الرزق ، ولاشك آن ذلك يعني تحرير الرقيق من داخله ، حيث يجعله يتقبل الوضع الجديد بصورة طبيعية متزنة تدريجيا .

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ص ٤٧/٤٨ .

ـ اعتراف الادارة البريطانية بواقع الأمـــــر :

يبدو أن الادارة البريطانية قد استوعبت الحكمة السابقة وأدركت أن الأسلوب الذى تم اتخاذه في السابق للتعامل مع الرق لم يكن مناسبا وأن أسلوب اللطف والمهادنة هو الأفضل فلم تعمل على تنفيذ فكرة اطلاق الرقيق دفعة واحدة بقرار كما كان متوقعا، وانما تريثت في الأمر وأخضعته للدراسة مما أدى الى تغيير وضع الرقيق تدريجيا وذلك وفقا للخطوات التالية :

- استبدل نظام الرقيق بنظام العمل ذى الاجر المدفوع ، كما دبرت الحكومة مجالات عمل للذين سرحوا في السودان وضلوا طريقهم في العودة الى بلادهم (١).
- حرمت الحكومة السادة من حقهم في استخدام القوة لاعادة الرقيق الذين يقررون ترك سادتهم ، وسعت في الوقت نفسه لاغراء أعداد منهم بالبقاء مع سادتهم اذا كانوا راضين عن وضعهم ولايلقون أي معاملة سيئة . كما أمرت الحكومة مفتشيها بدفع ثمن الفدية كاملا اذا رغبوا في تحرير أحد الأرقاء (٢) .
- تأسس في عام ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦م مكتب خاص للعمل داخل اطار ادارة الاستخبارات لسد الحاجة المتزايدة للعمالة والناتجة عن قيام المشاريع التنموية من الرقيق المحررين مما ادى لتنظيم مسألة العرض والطلب بالنسبة للعمل لاستيعاب الرقيق الذين قد

---

(١) مرقص، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .
Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.175 .

(٢) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٨ .
Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.175 .

يؤدى تخليهم عن أسيادهم الى تمزق وتصدع البنية الاجتماعية والاقتصادية في البلاد(١) .

وبالرغم من أن هذه السياسة كانت معتدلة في معالجة مسألة الرقيق الا أنها لم تجد قبولا من بعض الجهات في بريطانيا وكان سالسبورى رئيس الوزراء قد انزعج من تصريحات اللورد كرومر عندما زار السودان بعد الاحتلال وأعلن في خطابه آن احكام الشريعة الاسلامية سوف تكون مرعية فيه * ، واعتبر المسئولون في لندن أن هذا الوعد الذى قطعه كرومر على نفسه خطوة غير موفقة ماكان يجب اتخاذها لانه من المستحيل أن تتدخل الادارة البريطانية لتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية على الرقيق (٢).

ويبدو أن جمعية محاربة الرق في بريطانيا قد نما الى علمها الاجراءات الأخيرة التي اتخذتها الادارة البريطانية في السودان والتي كانت تتفق الى حد ما مع تعاليم الشريعة الاسلامية مما دفعها في عام ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩م بعد نهاية الحرب العالمية الاولى الى مهاجمة الادارة البريطانية في السودان وأعدت مذكرة وجهت فيها نقدا شديدا الى الحكومة

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P. 180-81

(٢) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥١٧

* كان من عادة معظم الاستعماريين البريطانيين عدم اظهار عدائهم للقيم المحلية للشعوب التي يحكمونها وقد اطلق كرومر ذلك التصريح من قبيل تهدئة مخاوف المواطنين في السودان بعد القضاء على الثورة المهدية التي كانت لها توجهات اسلامية .

زعمت فيها مايلي :

١ – اعادة السلطات للرقيق الهارب الى أسيادهم بالقوة .

٢ – يستحوذ ملاك الرقيق كلمايحصل عليه رقيقهم من اجر نظير عملهم للمخدمين .

٣ – المعاملة الوحشية القاسية للرقيق .

٤ – يرهن بعض الملاك رقيقهم وفقا لنظام العمل المتبع هناك

وهي مجرد مزاعم [١] كان الغرض منها ممارسة الضغط على الادارة البريطانية لتغيير سياستها في الاجراءات الاخيرة التي لم تكن تلك الجمعية راضية عنها ، هذا اذا تم استبعاد فكرة أنها ذات صلة بالتعاليم الاسلامية فانه من جهة أخرى لاتتفق تلك السياسة مع راى الجمعية في التخلص من الرق بقرار حاسم وفورى ، واذا اخذنا بحسن النية لدى الجمعية اذا كان متوفرا في هذه الطريقة فانه يكون قد فات عليها مايترتب على المجتمع في تلك الطريقة من سلبيات ومخاطر سبق ذكرها .

وقد تخللت تلك الفترة أحيانا بعض الاساليب الفظة من بعض العناصر في الادارة البريطانية والمبشرين ادت الى نوع من التخريب المتعمد مما ترك آثارا سلبية في نفوس الاهالي بالجنوب نتيجة لتلك الأساليب غير المسئولة . والدليل على ذلك ماكان يقوم به سلاطين النمساوى الذى كان يتولى ادارة الاستخبارات في فترة حكم ونجت حيث كان يصدر

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate P. 170

عقوبات جماعية ضد القبائل المتمردة ، فكان يأمر بالقبض على عدة أفراد من تلك القبيلة بصورة عشوائية بالرغم من براءة بعض الأفراد ويتركهم في الحبس حتى تقوم تلك القبيلة بدفع الغرامة. هذا بجانب أنه كان يعتقد أن أفضل طريقة لردع تلك القبائل هي فرض الاحكام العرفية. وقدد أدت هذه الطريقة الى النفور من الحكومة التي يستقر مركزها في الشمال وتستخدم بعض الجنود الوطنيين هناك لتنفيذ خططها(١).

كما حرص بعض المبشرين الذين يعملون في الجنوب من جهة أخرى على اعادة ذكرى المتاجرة في الرقيق الى أذهان التلاميذ الجنوبيين كلما سنحت لهم الفرصة ، وذلك أثناء تعليمهم لدروس الدين والتاريخ في مدارس الارساليات وقد ذكر أن هناك شجرة ضخمة في أحد مراكز التبشير بذلت الجهود للابقاء عليها قيل ان عرب الشمال كانوا يجرون صفقاتهم تحت ظلها (٢).

ولاشك أن هذه الأعمال المشينة قد أدت الى نتائج سلبية أيضا تفاقمت بمرور الزمن وانعكست على العلاقة بين الشمال والجنوب بشكل سيء في مستقبل الأيام .

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate P. 52-3

(٢) يشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٥٠.

المبحث الرابع

الادارة البريطانية والحرب على الاسلام واللغة العربية في جنوب السودان

يبدو أنه قد أصبح من الثابت تاريخيا أن وجود الاسلام والعروبة بمثابة التحدى الحقيقي التي واجهت عمليات السيطرة الاستعمارية الغربية على القارة الافريقية ، خلال القرن الرابع عشر الهجرى ، وأواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين .(١)

فالاسلام واللغة العربية قد وفرا عنصرا من عناصر الوحدة في تلك المناطق ذات النظام القبلي نظرا لافتقادها له ، حيث نشأت روابط جديدة بينها منحتها القوة والاتحاد ، الأمر الذى ساعد على بروز تيار اسلامي رافض للغزو الأوربي النصراني نتيجة لانتشار الاسلام واللغة العربية(٢) وهو بالتالي مفهوم يجسد العلاقة التاريخية بين الشرق والغرب والتي سادت لأمد طويل في العصور التاريخية الماضية .

ومن هنا بدء الغرب الأوربي أكثر حرصا على محاصرة الاسلام واللغة العربية أينما ظهرت في أفريقيا خاصة المناطق البدائية حيث كان يسعى الى منع انتشارهما في المناطق التي لم تشهد ذلك الانتشار الواسع الذى يمكن أن يكون عقبة في وجه الاستعمار ، وتعتبر منطقة جنوب السودان مثال حي لجهود الاستعمار البريطاني في وقف تقدم الاسلام واللغة العربية ،والتي كان قد تأكد للادارة البريطانية أن تجاهلها سيؤدى الى ذات النتائج التي أدت لانتشار الاسلام واللغة العربية في شمال السودان .

---

(١) خليل ، عماد الدين ،مأساتنا في أفريقيا ،ص ٥٨.

(٢) سعودى ،عبد الغني وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ،ص ٦٦.

ومما يؤكد آن السياسة البريطانية كانت تسعى لوقف التقدم العربي الاسلامي نحو الجنوب ، وأن تلك الفكرة كانت تسرى في أذهان المسئولين البريطانيين حتى قبل سيطرتهم على السودان الجنوبي تماما (١)، ماورد في المذكرة التي كتبها كتشنر باشا أول حاكم بريطاني في الحكم الثنائي على السنودان عام ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م والتي جاء فيها : ﴿ آنه اذا لم تحتل القوى المسيحية المراكز الملائمة في آفريقيا فسوف يتولى العرب المسلمون هذه المهمة ﴾ (٢) .

هذه الفقرة من مذكرة كتشنر تدل على النيات المبيتة التي آتى بها البريطانيون الى السودان ضد الاسلام والعروبة ، وهي بالتالي نتاج طبيعي للمرحلة السابقة التي شهدت جهود المستكشفين والاداريين البريطانيين وغيرهم من الاوربيين والافكار التي خرجوا بها عن تلك المناطق الملائمة في جنوب السودان والتي تمت الاشارة اليها في الفصل الماضي (٣) .

ومن الجدير بالذكر هنا هو أن المخططات الاستعمارية ضد الاسلام والعروبة في الجنوب بقيت سرية ولم تبرز بشكل واضح حتى نهاية العقد الأول من القرن العشرين ، وكان بعض المسئولين البريطانيين حريصين على

---

(١) سعودى ، عبد الغنى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٦٨ – ٦٩ .

(٢) غير معروف " قراءة حول جذور مشكلة الجنوب " السودان الحديث ، ص ٣ العدد ، الخرطوم ، ١٣/٢/١٤١٠هـ – ١٤/٩/١٩٨٩م .

(٣) راجع من هذه الدراسة الفصل الاول ، ص ٨٥ – ٩٠ .

على عدم اثارة الشعور العام في السودان بشيء من ذلك فيما اورد اللورد كرومر القنصل العام لبريطانيا في مصر عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م ردا على حاكم السودان حول تساؤلاته بشأن النشاط التنصيرى في جنوب السودان ، قال كرومر : (دع الأمور تسير ثم تولى الاختيار بعد ذلك ، فبالرغم من أن سياستك الحالية تبدو مقنعة في الوقت الحاضر ، بيد أنها ستتوقف عند نقطة خطيرة ، وعليك وقتها أن تختار بين العربية والقرآن أو بين الانجليزية والانجيل ، واذا قام المبشرون الانجليز بتحمل تبعاتهم في هذا الشأن فسوف يحلون لك المشكلة)(١) .

فمن الواضح أن كرومر يرمي الى عدم اثارة أى شبهة حول الأمر ، وأن تدخل السلطات في هذه القضية قد يلفت النظر الى تلك السياسة ضد الاسلام واللغة العربية ، ولذلك فضلت الادارة الجديدة احاطة هذه السياسة بالسرية التامة الى أن يحين الوقت المناسب لاعلانها .

ولكن يبدو أن تلك السرية قد استمرت الى حين ، حيث برزت الى الوجود عدة مصاعب اثر ضم حاجز اللادو عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م وقد كان مؤجرا الى دولة الكنغو البلجيكي الحرة وتمت اعادته الى السودان بعد وفاة الملك ليوبولد ملك البلجيك وذلك حسب الاتفاق المبرم بينه وبين الحكومة البريطانية (٢) .

---

(١) N.R.O., Cairint 4/1/4 FromCromer toWingate 13 Feb 1905
سعودى ،عبد الغنى وآخرون ،مشكلة جنوب السودان ،ص ٨٣ .

(٢) هولت ، ب . م . ، المهدية فى السودان ، ص ٢٥٣ ، لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ص ٢٢٠١ .

وقد تمثلت تلك المصاعب في مطالبة المبشرين (المنصرين) بابعاد تأثير السودانيين الشماليين عن منطقة حاجز اللادو التي تم استردادها حديثا ، وذلك بالابقاء على يوم الأحد ، كيوم للعطلة الاسبوعية في تلك المنطقة كما كان عليه الحال عندما كانت خاضعة للبلجيك في دولة الكنغو الحرة [١] .

مثل هذا الاجراء من الصعب اخفاؤه عن الشعور العام للمواطنين خاصة المسلمين في منطقة مديرية منقلا ، التي ضمت منطقة الحاجز اليها.

<u>- عطلة الأحد :</u>

وقد أدت تلك القضية الى اثارة الجدل بين الحكومة وفئات المبشرين حول ما اذا كان من الممكن ان يستمر يوم الاحد يوما للعطلة الأسبوعية كما كانت تحت حكم البلجيك ، أم تخضع تلك المنطقة للنظم السائدة في سائر أنحاء مديرية منقلا التي ضمت اليها ،حيث ان يوم الجمعة هو يوم العطلة الرسمية في تلك المديرية بل في بقية أنحاء القطر[٢].

وقد كان يساند الرأى الاول بالطبع فريق من المبشرين ،يتعاطف معهم حاكم عام السودان ريجنالد ونجت R. Wingat المعروف بميوله الشهيرة نحو ابعاد أى تأثير اسلامي عن الجنوب [٣] .

---

(١) Collins R., <u>The Sudan</u> . P.27

(٢) سعودى ، عبد الغنى ، وآخرون ، <u>مشكلة جنوب السودان</u> ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) بشير ، محمد عمر ، <u>جنوب السودان</u> ، ص ٨١ .

وسبق له أن اقترح بتخصيص يوم الأحد يوما للعطلة الأسبوعية في المناطق البعيدة الواقعة في مديريتي بحر الغزال ومنقلا بالرغم من علمه ان ادخال اللغة الانجليزية وعطلة الاحد المسيحية ربما يثيران حفيظة المسلمين ، الا أنه يقول : (يجب ألا ننسى بأن السواد الاعظم من المواطنين في كلتا المديريتين هم من غير المسلمين ، وأن دولة أوغندا بكاملها قد تقبلت الديانة المسيحية دونما تذمر ،) (١) هذا ويبدو أن السير ريجنالد ونجت كان يأمل أن تتم هذه الخطوات بكل هدوء ، ودون أن يحس أحدا بأنها سياسة القصد منها محاربة الاسلام والعربية في تلك المديريات ، الجنوبية ، والحد من تأثيرها على أهالي الجنوب بقدر الامكان وذلك عندما استطرد يقول : (اذا ساد النظام الجديد بهدوء ودقة ودون أى اضطراب ودون وضع النقاط على الحروف بصورة دائمة فلربما تتحقق الأمنية دون أن يعلم أحد أن تغييرا قد طرأ) (٢) .

أما الرأي الثاني فكان يسانده الحكام البريطانيون للمديريات الجنوبية حيث كان موقفهم يقضي بالابقاء على يوم الجمعة يوما للعطلة الاسبوعية في مديرياتهم ، على الاقل في الوقت الحاضر ولم يكن تمسكهم ذلك بدافع الحرص على مصالح المسلمين والعرب هناك ، وانما كان خشية من قضية اضطراب الامن في المنطقة ففي اعتقادهم أن أي تغييرات في هذا الوقت قد تؤدى الى الفوضى (٣) .

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate , P. 121-22

(٢) N.R.O. Int.Dep. 1/5/31 ,From R. Wingate,G.G., to Owen G. of Bhr ElGazal ,Mangalla,19.12.1910 .

(٣) سعودى ، عبد الغنى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٨٤ – ٨٥ .

وكانت حكومة السودان تتعرض لضغوط صحفية في بريطانيا بسبب موقفها الذى يدعو الى الحد من نشاط المبشرين في شمال السودان وفي الجنوب بتحفظ ما أمكن ، حتى لايؤدى ذلك النشاط الى اثارة أي شكوك حول مسلك الحكومة في بلاد مثل السودان . وكانت حكومة السودان تخشى من اتخاذ أي خطوات في صالح المبشرين يمكن أن تفسر على أنها معادية للاسلام ، أو قد تؤدى الى اثارة الشك في نفوس المسلمين في هذا البلد ، ولذا فانها فضلت أن تظهر في الوقت الحالي نوعا من التريث في تقديم العون للمبشرين الذين قدموا الى تلك البلاد(١) ، الأمر الذى أثار حفيظة الجهات المعنية في لندن ودفع مجلة المبشرين العالمية Missionary review of the World Vol.28 عام ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥م الى أن تتخذ من مسألة العطلة الاسبوعية المقررة يوم الجمعة في السودان موضوعا يمكن أن تبدى من خلاله استياءها من موقف حكومة السودان تجاه النشاط التنصيرى في تلك البلاد ، فكتب ج.س واطسون G.S.Watson مقالا جاء فيه الآتي :

(لاشك أن الرأي العام في بريطانيا لايرضى بالسياسة التي تتبعها حكومة السودان والتي تغلق المكاتب في يوم الجمعة بينما يستمر العمل يومي السبت والأحد)(٢) .

جاء هذا القولفي الوقت الذى كانت تفكر فيه الحكومة لايجاد نوع من الموازنة بين رغبتها في التغيير ، وبين الحفاظ على أمن

---

(١) Trimingham S., The Christian Approach to Islam in the Sudan , P.20 London ,1948 .
بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٥٣ .

(٢) Missionary Review of the World Vol,28, 1905 .
نقلا عن بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٦٠ .

البلاد من أي اضطرابات يمكن أن يثيرها موقف كهذا ، مما يعتبر ضغطا على الحكومة للتخلي عن السرية التي تتوخاها في هذا الامر واتخاذ سياسة أكثر ايجابية في نظر الرأي العام البريطاني والمبشرين نحو تغيير الأوضاع السائدة في الجنوب .

وقد أدت حادثة في أحد مراكز مديرية منقلا في أثناء هذا الجدل الدائر حول قضية الحاجز ، أدت الى اثارة الاضطرابات في ذلك المركز، ومقتل ستة من جنود الحكومة ، وقد جعلت تلك الحادثة آوين Owen حاكم مديرية منقلا يكتب الى الحاكم العام البريطاني في الخرطوم ريجنالد ونجت بالعدول عن اتخاذ يوم الاحد للعطلة الأسبوعية مشيرا الى أن (المسلمين المتعصبين الموجود دائما عدد منهم بين الضباط بمن فيهم الأئمة ورجال كل فرقة سودانية ،سوف يسببون المتاعب اذا عملوا يوم الجمعة) ثم أكد أنه (لسوء الحظ ان الجيش عبارة عن مؤسسة كبيرة يقوم الائمة فيه بتعليم القرآن . هذا الى جانب مايمكن أن يثيره هذا العمل لدى جماعات الوطنيين في مصر والذين يعترضون على احتلالنا على أساس أنه تدخل من جانبنا في شئون عقيدتهم) ثم اقترح تجربة العطلة يوم الأحد في مركز لوكا Loka وكاجلو Kajlo وذلك لأن المبشرين النصارى يعملون بنجاح في تلك الأماكن (١) .

ان قضية الحاجز وما يتبعها من جدل أدت الى خروج المسئولين البريطانيين بالتعامل فيما يتعلق بموقفهم من الاسلام واللغة العربية

---

(١) سعودي ، عبدالغني وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٨٥

N.R.O. Int. Dep. 1/5/31 Telegram From Owen, G.of Bhr ElGazal to Wingate G.G., Mangalla 21.10.1910 .

في الجنوب من نطاق السرية الى محاولة التفكير في اتخاذ تدابير معلنة تجاه المؤثرات الاسلامية والعربية ، وذلك عندما يحين الوقت والظروف المناسبة . وهو مافعله أوين Owen حاكم مديرية منقلا عندما أوصى في خطابه الى حاكم عام السودان الذى سبق الاشارة اليه في بعض مراكز المديرية التي حددها ، بالعدول عن اتخاذ يوم الاحد عطلة رسمية عدا مراكز لوكا وكاجيلو .

وفي وقت لاحق من عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م عادت عطلة الأحد الى منطقة اللادو كما كانت من قبل ، كما أصبحت هي العطلة الرسمية في بعض المناطق التي نجح المبشرون في السيطرة عليها[١] ، ولم يتم الاعتراف بيوم الأحد يوما للعطلة الرسمية في كافة المناطق الجنوبية الا في عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م . ويظهر أن هذه الخطوة قد ارتبط اتخاذها بتكوين الفرق الاستوائية في الجنوب ، وهي فرق عسكرية خاصة يشترط ان يكون أفرادها من أهالي الجنوب ، كما تزامن ذلك الحدث بمغادرة آخر جندى في الفرق العسكرية الشمالية للجنوب بعد انشاء الفرق الاستوائية وذلك في عام ١٣٣٦هـ/ أواخر عام١٩١٧م . بمعنى آخر ، ان عطلة الأحد لم تتقرر رسميا في جنوب السودان الا بعد أن تم التأكد من أنه قد تم التخلص من المعارضة المتوقعة لهذا الاجراء والتي تتمثل في الجنود من السودانيين الشماليين العاملين في المناطق الجنوبية ، مما يوحي بأن الأمر تم وفق مخطط مرسوم ومنسق في الوقت والظروف المناسبة كما أشرت الى ذلك من قبل .

---

(١) Warburg G. The Sudan Under Wingate , P. 122 .
Collins R., The Sudan , P.28 .

- الفرق الاستوائية :

تطلبت الحالة الأمنية في الجنوب في بداية الحكم الثنائي تواجدا عسكريا يكفي لردع القبائل الخارجة على سلطات الحكومة ، واخضاعها عن طريق الحملات التأديبية المتواصلة ، كما تطلب ذلك وجود كتائب من أفراد الجيش المصرى والجنود الشماليين في الجنوب مما أتاح للاسلام واللغة العربية فرصة الانتشار في وسط قوة الجنوب العسكرية ومن ثم الى أهالي الجنوب (١) .

وقد تسبب هذا الأمر في اثارة نوع من القلق للسلطات البريطانية الحاكمة في جنوب السودان ، حيث كانت تعتقد بأن وجود المسلمين والعرب في القوة العسكرية بالجنوب كفيل باثارة الاضطرابات واعاقة الخطط التي سيتم تنفيذها في المستقبل القريب بالجنوب (٢) .

وهكذا بدأ التفكير في التخلص من العناصر العربية المسلمة بين أفراد القوة في الجنوب ، ولكن تلك الخطوة يصعب اتخاذها قبل أن يتم ملء الفراغ الذى سيحدث نتيجة لهذا الاجراء (٣) .

وقد جاءت أول مبادرة تخدم هذا الغرض من أوين Owen حاكم مديرية منقلا واقليم لادو بعد استعادته وضمه اليها عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م ، حيث كتب الى الحاكم العام يقول : ((نظرا لما للجيش من أثر حضارى

---

(١) Warlurg G., The Sudan Under Wingate , P.122 .

(٢) سعودى ، عبدالغنى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٨٨

(٣) Godfery Morrison: The Southern Suddan andEritrea (aspects of Wider African Problemes) P. 28 . London , 1973,

عظيم ، ونظرا لحرص العسكريين السودانيين ، على أن يكون كل المجندين من المسلمين ، حيث يقوم الامام بالقاء تعاليمه اليهم من القرآن) فانه يقترح الآتي : تشكيل فرقة استوائية للخدمة في الجنوب يكون جميع أفرادها من أبناء جنوب السودان ، تلقى فيها الأوامر باللغة الانجليزية وتقام فيها الشعائر المسيحية (١) . ثم أضاف حاكم منقلا في اقتراح لاحق من عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١م تاكيدا لما ذكره سابقا للحاكم العام (بأن تلك الفرقة من الجنوبيين سيكون ضباطها من البريطانيين حيث يمكن بذلك التخلص من القوات الشمالية في تلك الجهات ، ومن ثم تتخذ الخطوات اللازمة لايجاد عدد كبير من المسيحيين يمكن ربطهم بأوغندا ويكونون في نفس الوقت حاجزا ماديا يمنع انتشار الاسلام نحو الجنوب الذى يمكن أن يمتد في أي وقت في موجة تعصبية) (٢) .

وقد وافق الحاكم العام ونجت على مقترحات اوين حاكم مديرية منقلا بتكوين وحدات من الجيش المحلي في الجنوب ووجه المسئولين بالمحافظة على سرية هذا النبأ وذلك بعدم الاشارة الى الجانب الديني، ثم تم الاتفاق على أن تكون الاسباب التي دعت الى تكوين فرق عسكرية جديدة في الجنوب هي أسباب مالية واقليمية (٣) ، هذا وقد ورد في بعض المراجع أن تلك الاجراءات وغيرها لم تكن اجراءات مدروسة لتخدم قضية فصل الجنوب عن الشمال وذلك حتى عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠م على أساس أن النظرة

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٨٠.
N.R.O., Int. Dep. 1/5/31
From Owen To Wingate 21.12.1910

(٢) N.R.O., Int. Dep., 1/5/31 Memorandum by Owen G. of Bhr Egazal , Mangalla, 29.3.1911 .
سعودى ، عبد الغنى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٨٩ .

(٣) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.117 .

الرسمية الى تلك الاجراءات ترمي الى التطور بالادارة المحلية تنفيذا لسياسة الحكم غير المباشر واتاحة أقصى مايمكن من الاستقلال والاكتفاء الذاتي لكل مديرية اذ لم يكن جل حكام الجنوب من راى اوين او في مثل حماسته (١) .

ويهمنا هنا من بين تلك الاجراءات التي تم اتخاذها الاجراء الذي يتعلق بتكوين فرق محلية للجيش ، فبالرغم من أن النظرة الرسمية ترمي الى التطور بالادارة المحلية تنفيذا لسياسة الحكم غير المباشر ، فان هناك نظرة أخرى تتعلق بالجانب الديني ، وجه الحاكم العام ونجت موظفيه بالسكوت عنها ، تحقيقا للهدف الاساسي وهو خدمة قضية الفصل ، اذ أنه مامن خطوة أخطر من هذه يمكن أن تسهم بفعالية كبيرة في تلك القضية . ثم ان تلك النظرة الرسمية التي ترمي الى تطوير الادارة المحلية وتحقق اقصى مايمكن من الاكتفاء الذاتي لكل مديرية ، لاتعني التخلص من المسلمين لاتاحة الفرصة لأكبر عدد من المسيحيين ويمكن بذلك أن تلقى فيها الاوامر باللغة الانجليزية وتقام فيها الشعائر المسيحية كما جاء في التصريحات السابقة ، اذ أن هنالك من أبناء الجنوب من المسلمين في هذا القطاع من القوات العسكرية وهم في هذه الحالة أصحاب حق حسبما يتمشى وتلك النظرة الرسمية . ومما لاشك فيه أن جل حكام الجنوب من رأي أوين حاكم منقلا في هذا الاجراء طالما انهم من البريطانيين اذ ليس في مصلحتهم تشجيع الاسلام والعربية في الجنوب ، ولكنهم ربما لم يكونوا في مثل حماسته وفي هذه الحالة يكفي الحماس الذى أبداه أوين لتحقيق

---

(١) بشير ، محمد عمر ، <u>جنوب السودان</u> ، ص ٨٢ .

ذلك الفرض لانهم في المقابل لم يعارضوا اجراء كهذا . وفي النهاية تكون مثل تلك الاجراءات خاصة الاجراء الذى يتعلق بتكوين فرق محلية في الجيش اجراء مدروسا ومخططا له سيما وأن تنفيذه يتوقف عليه تنفيذ اجراءات أخرى تتطلب وجوده ومن الصعب أن تتحقق دون أن تثير ضجة أو اضطرابات غيرمرغوب فيها أصلا ، والدليل على ذلك أن عطلة الأحد لم تتقرر رسميا الا بعد استكمال انشاء الفرق الاستوائية المحلية للجيش ومغادرة جميع المسلمين الشماليين منهم لأراضي الجنوب .

وفي هذه الحالة من الممكن أن تكون الاسباب التي أدت الى انشاء الفرق الاستوائية هي كما يلي :

١ – أن الجنود الشماليين لايمكن الاطمئنان الى ولائهم دائما – في نظر الادارة البريطانية – خاصة اذا طلب منهم قمع حركات اخوانهم في الدين ، وذلك نتيجة لعمق المشاعر الاسلامية لديهم ،ورد ذلك في الرسالة التي بعث بها أوين حاكم منقلا الى ونجت وذلك في عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م .

ولما كان هؤلاء الجنود المسلمون هم المسئولين عن المحافظة على الأمن في الجنوب ، فقد رأت الحكومة أن انشاء جيش محلي بالجنوب تحت قيادة ضباط من البريطانيين أمر تقتضيه الحاجة في الوقت الذى يرغب فيه ونجت بتعصبه المسيحي، الحد من انتشار الاسلام في جنوب السودان [1] .

---

(1) N.R.O., Int. Dep. 1/5/31 Owen to Wingate ,21.12.1910
بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٨٠

(2) Collins R, The Sudan , P. 27 .

٢- ألا تتكرر تجربة انتشار اللغة العربية بين أفراد الجيش من الجنوبيين عن طريق العرب من الجنود الشماليين وبعض أفراد قوات الجيش المصرى (١) .

٣ - ان أبناء الجنوب الوثنيين من رجال القبائل يعدون في نظر كل من المبشرين والادارة البريطانية عناصر صالحة لاعتناق دين جديد هو المسيحية (٢). وتقبل لغة جديدة هي الانجليزية ، بل تقبل حضارة الغرب بشكل عام ، وبذلك تكون الفرق النظامية هي أول مايمكن البدء به .

٤ - وقد أشار مرجع آخر الى أن تلك الخطوة المتعلقة بتكوين الفرق الاستوائية قد اتخذت بهدف خلق التوازن داخل الجيش السوداني، وذلك لأن غالبيته كانت من الشماليين المسلمين ، ولذا بدأ الشروع في تكوين حامية الاستوائية والتي يتكون جنودها من الجنوبيين الذين يدينون بالمسيحية (٣) .

واذا وضع في الاعتبار أن تلك الفرق قد بدأ انشاؤها منذ عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م فان فكرة خلق التوازن في الجيش تؤكد أن الادارة البريطانية لم تكن تعمل منذ تلك الفترة في اطار السودان كقطر موحد وانما على آساس

---

(١) N.R.o. Int, Dep. 1/5/31 Southern Governors Meeting , Mangalla ,1920 .
بشير ،محمد عمر ،جنوب السودان ،ص ٨١ .

(٢) أحمد ،حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية ،ص ١٨ .

(٣) Balance E.The Secert in the Sudan , P.39 .

أن البلاد تتكون من شقين شمال عربي مسلم وجنوب وثني ، وهذه النظـرة انعكست في ذلك الوقت على تكوين الجيش الوطني حيث أرادت الادارة البريطانية خلق التوازن داخله ، في الوقت الذى لم يكن فيه هنالك أي سبب يدعـو لذلك التوازن سوى في خطط الادارة البريطانية ، التي لم تكن تهـدف لغير فصل الجنوب عن الشمال .

وهكذا مضت الحكومة في انشاء وتكوين الفرق الاستوائية ، فعملت على قبول دفعة من ثلاثين طالبا من أبناء الجنوب في دورة تدريبية مـن ثلاثة أعوام بغرض رفع كفاءة الضباط الجنوبيين ، وتطورت تلك الخطـة لانشاء مدرسة عسكرية دائمة في الخرطوم ، كما بذلت الحكومة جهدا كبيـرا لاستبدال الموظفين المصريين المسلمين العاملين في الجيش بالسودانيين من أبناء المديريات الجنوبية (١) .

وعندما جاء عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م كانت هناك خمس كتائب استوائية قـد اكتملت ، وانخفضت تبعا لذلك وحدات الجيش المصرى ، وبالرغم من ذلـك فان الحكومة حتى ذلك الوقت لم تكن قد حققت مبتغاها في التخلص من الضباط المسلمين العاملين في الجيش بالجنوب ، نتيجة للقصور الواضح في استكمال ذلك العدد من الضباط البريطانيين أو المتعلمين من أبناء الجنـوب وتعطلت تلك الجهود المبذولة من الادارة البريطانية لاستكمال بقيـة الفرق الاستوائية من الجنوبيين ، وابعاد العناصر المسلمة بسبب قيـام الحرب العالمية الأولى ١٣٣٣ – ١٣٣٧ هـ / ١٩١٤ – ١٩١٨م بالاضافة الى حدوث

---

(١) Warbrug G. The Sudan Under Wingate , P. 20 .

تمرد بعض جنود الفرق الاستوائية الجديدة في منطقة يامبيو لأسباب قبلية في عام ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥م . ولكن الحكومة نجحت في اقصاء الوجود الاسلامي في كل من منطقتي غندكرو ونيمولي وكان قد تم ضمهما منذ عهد قريب في اتفاقية لتسوية الحدود مع اوغندا (١) ، ثم استؤنفت عملية انشاء تلك الفرق ، حتى اكتملت في عام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧م حيث غادرت جميع العناصر الشمالية المسلمة منطقة الجنوب في نفس العام ، وظلت الفرق الاستوائية هي القوة العسكرية الوحيدة في الجنوب بعد ذلك (٢) .

وبناء عليه يتضح أنه لم تكن هنالك فرصة كافية ليتم التفاعل والتمازج الكامل بين أفراد الجيش السوداني في الجنوب بعد أن تم بناء وحداته العسكرية على أساس حدود اقليمية متنافرة (٣) ، الأمر الذى جعل منه سببا يساهم بقدر كبير في حدوث التمرد العسكرى بالجنوب تحت قيادة جنود من نفس تلك الوحدات في عام ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م .

- محاربة التعليم الاسلامي :

عنيت الادارة البريطانية في هذه المرحلة ايضا وفي اطار اهتمامها بالقضاء على الوجود الاسلامي العربي في جنوب السودان بازالة البنيات

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate , P.115 .

(٢) N.R.O., Int. Dep., 1/5/31 From Owen, G. of Bhr ElGazal to Private Secratary to G.G. Mangalla, 3.1.1918 .

(٣) عجوبة ، مختار ، " مشكلة جنوب السودان وآثرها على مستقبل العلاقات العربية والافريقية" ، ص ٦٤ ، المستقبل العربى ، العدد ٨٨ بيروت ١٩٨٦

Collins R., The Sudan , P.28 .

الأساسية لذلك الوجود والمتمثلة في التعليم الاسلامي ، باعتباره من أخطر المؤثرات الثقافية - في نظر السلطات البريطانية - التي ستعمل لصالح الاسلام والعروبة في هذه المنطقة من السودان مستقبلا.

لذلك قامت السلطات البريطانية بعد عمليات الغزو مباشرة ، بتصفية تلك المؤثرات الاسلامية العربية التي أنشئت ، وأقبل عليها الأهالي كالخلاوى والكتاتيب * التي يدرس فيها القرآن الكريم واللغة العربية وتأتي هذه الخطوة بناء على المعلومات التي تجمعت لدى المخابرات بالاضافة الى تقارير بعض المستكشفين التي أوردها كل من الاب مكاى Mackay جفسن ، Jephson واستانلي Stanley والتي تشير الى أن الجنوب منطقة وثنية وحقل بكر للتبشير المسيحي (١) .

ويبدو أن المبشرين النصارى رأوا أن الوجود الاسلامي بالجنوب سيفسد عليهم مخططهم المرسوم باعتباره منافسا قويا بحكم انه سبقهم الى المنطقة وباشر فيوضع اللبنات الأساسية لذلك الوجود ولم يعد هنالك من سبيل أمام المنصرين سوى العمل على ازالة تلك اللبنات والتخلص منها حتى تتمكن حركات التنصير من مزاولة نشاطها في المنطقة دون أن يعوقها أو يشوش عليها منافس آخر .

---

* - الخلاوى : مدارس شعبية لتعليم القرآن واللغة العربية .
الكتاتيب : مدارس اولية من ثلاثة فصول .

(١) مدثر ، فيصل محمد ، "الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان تحت الادارة البريطانية" ص ٧٥-٧٦ ، مجلة دراسات افريقية العدد ١ - الخرطوم ، ١٤٠٥هـ .

وقد عمدت تلك السلطات البريطانية الى هدم خلاوى القرآن الكريم واحراقها في بعض المناطق مثل ديم زبير ، راجا ، وكافيا كنجي في منطقة بحر الغزال وكذلك مناطق الرجاف وجوبا وانادى بالمديرية الاستوائية كما شملت تلك التصفية زعماء القبائل الذين ساهموا في هذا العمل ودعموه حيث تم قتلهم وملاحقة أتباعهم وآحفادهم (١) . وذلك حتى لاتتم اعادتها وليكونوا عبرة للآخرين .

أما فيما يتعلق بأمر المدارس التي كانت قد أنشئت لتعليم أبناء الجنود السودانيين والمصريين العاملين بالجنوب ، فقد واجهت تلك المدارس حربا شعواء من السلطات البريطانية ، حيث قامت بوقف الصرف عليها ، ولم تبد أي اهتمام بمطالبها وعملت على نقل معلميها كما لم تسمح لها السلطات بفتح فصول جديدة ، وكانت تنظر الى الموجهين المعنيين بالتربية الاسلامية في تلك المدارس العسكرية على أنها جرثومة خطيرة (٢) ، ينبغي التخلص منها .

وقد جاءت تلك الخطوات بعد أن ثبت فشل كل الوسائل السلمية التي كانت تسعى الى تعطيل التعليم الاسلامي ، في الوقت الذى حقق فيه الاسلام انتشارا ملموسا في بعض المديريات ، مثل مديرية بحر الغزال ، مما اضطر حاكمها البريطاني الى وقف مجرد تعلم القراءة والكتابة ،

---

(١) Awad, Karamalla, The Adminstration of the Sudan Since 1898, P.98 University of Khartoum ,1957 . Collins R. , The Sudan , P. 32 .

(٢) موسى ، فيصل محمد ،" الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية" ص ٧٥ – ٧٦ مجلة دراسات آفريقية ، العدد ١ .

وحتى مبادىء الحساب ، وقد أشار أحد المراجع الى أن جيمس كرى J. Curri مدير ادارة التعليم ، رفض أى مشروع يتعلق بفتح مدرسة لتعليم أبناء المديرية وقرر أن يتلقى الأبناء تعليمهم في الخرطوم وذلك فى عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤ م هذا وقد كان الانتشار النسبي للاسلام الذى تحقق فى مديرية بحر الغزال قد أدى الى التآلف بين العرب المسلمين وبين الأهالي فى تلك المديرية ، فازدادت رغبة الاهالي تبعا لذلك فى تعليم ابنائهم في المدارس القائمة ، وقد انزعجت السلطات البريطانية لذلك وجعلت السيرلي ستاك Lee Stack مندوب السودان فى القاهرة آنذاك يعتقد بأن السيطرة التى فرضتها الادارة البريطانية الاستعمارية على البسطاء فى الجنوب بقوة السلاح وسلم بها الوطنيون كأمر واقع ، قد ساعدت على التعايش مابين الشماليين المسلمين وبين الجنوبيين الوثنيين وأدت الى دخولهم فى الاسلام .

والواضح هنا أن السيرلي ستاك ممثل حكومة السودان البريطاني في القاهرة يبدى أسفه على تفريط حكومته التى سمحت بالتعايش السلمي بين العرب من الشمال وبين الاهالي فى الجنوب ، مما أدى الى أن ينتشر الاسلام بينهم بسرعة لم تكن متوقعة ، وكانت السلطات تريد أن تحل بينهم جفوة وعداء، العداء الذى زعم ستاك انه تقليدى دون أن يوضح ستاك ذلك ولكنها فى الغالب ربما تكون اشارة خفية منه الى دور العرب في

تجارة الرقيق وهو نوع من الطعن اعتاد المسؤولين البريطانيين استخدامه في السودان لاثارة الفتنة بين أبناء الشمال والجنوب ، وهذا يؤكد من جهة اخرى ان العداء لم يكن موجود اصلا بدليل التعايش السلمي السائد بين الفريقين في تلك الفترة والذى شهد به ستاك نفسه في الإقرار السابق ، كما يفيد هذا الاعتقاد ان الادارة البريطانية تريد أن تفتعل ذلك العداء ليخدم اغراضها واهدافها ، لأن مثل هذه الأفكار قد تعمل على تعبئة مشاعر الأهالي في الجنوب تجاه العرب المسلمين في الشمال وتترك أثرا في نفوسهم وذلك حسب طبعهم وسجيتهم البسيطة بأن العرب فعلا اعداء لهم خاصة اذا كانت صادرة من مسئولين كبار في نظر الأهالى بالجنوب ، في الوقت الذى يجهلون فيه اهدافهم البعيدة ،ولاشك أن المسئولين في الادارة البريطانية بمثل هذه الأعمال غير المسئولة يتجاهلون قصدا دور الاوربيين في تجارة الرقيق ويداورون عليها باتهام الآخرين كالعرب مثلا .

وبناء عليه فقد قام جيمس كرى مدير ادارة التعليم بمعاتبة حكام المديريات الجنوبية في وقت لاحق على مبادرتهم بانشاء مدارس في الجنوب تساعد على نشر الاسلام هناك ، رغم أن تلك المدارس يستفيد منها الاهالي من خلال الخدمات التعليمية التي كانت تقدمها الحكومة للوحدات العسكرية في الجنوب ، في ذلك الوقت (١). ولم يتم انشاؤها لخدمة الأهالي بشكل مباشر .

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate , P. 116-17 .

وكانت أول مدرسة لتعليم أبناء الجنود والاداريين في الجنوب قد أنشئت في منطقة واو عام ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣م الا أن جيمس كرى مدير التعليم آنذاك رفض اعتمادها ومنحها ميزانية باعتبارها ستكون أداة لاسلام التلاميذ الجنوبيين. في الوقت الذى كانت فيه وجهة نظر مدير بحر الغزال البريطاني المستر برلينوس Brilinos أنها أساسا لابناء المسلمين ، وفي النهاية تم التصديق على انشاء المدرسة من قبل حاكم عام السودان ونجت ، الا أنه تراجع عن ذلك عندما زارها في العام التالي ووجد ناظرها مسلما وهو الاستاذ أحمد ثروت وأن جميع تلاميذها البالغ عددهم تسعة وعشرون مسلمون وقد تبين له ذلك من أسمائهم، فأمر فورا بضمها الى الكنيسة الكاثوليكية عام ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥م(١).

وكان ونجت في عام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤م قد أشار الى حاكم مديرية بحر الغزال بعدم جواز تعليم اللغة العربية لغير المسلمين في منطقة بحرالغزال ، بحجة أنها لم تكن أصلا لغة القبائل هناك ، بالاضافة الى أنها تحوى دائما عبارات فيها ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والغريب في الأمر أنه طالب باستخدام اللغة الانجليزية لتصبح هي لغة التعليم في المنطقة (٢). ووجه الغرابة في هذا الأمر هو أن اللغة الانجليزية أيضا لم تكن أصلا هي لغة القبائل هناك ، وبالتالي فان

---

(١) أحمد ،حسن مكى محمد ،السياسة التعليمية ، ص ١٧ ، عبد الله ،على حسن ، الحكم والادارة فى السودان ، ص ١٧٧ ، دار المستقبل العربى ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

(٢) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٦٨ .

الحجة الأولى التي ذكرها غير مقبولة منطقيا طالما أنه سيستخدم لغة أخرى تحمل نفس العلة ، والواضح أنه بفضل استخدام اللغة الانجليزية لأنها لاتحتوىعلى عبارات فيها ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وبالرغم من ذلك فقد بقيت العربية هي التي تستخدم في العملية التعليمية كوسيلة فعالة ، على أساس أنها الأوسع انتشارا فضلا عن أنها لغة التجارة ، وتتحدث بها أكبر القبائل ، الدينكا والشلوك في بحر الغزال وأعالي النيل .

وفي عام ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧م أصبح من سياسة الحكومة ، أن يتعلم الأهالي من خلال لغتهم ، وتدريسهم بالاضافة الى ذلك قدرا من اللغة الانجليزية ، تمهيدا لتكون الانجليزية هي لغة التعليم ، ومع ذلك لم تختف العربية في حينها ولم تسد الانجليزية على الفور (١) .

وتعتبر سياسة التخلي عن اللغة العربية ، واحلال الانجليزية كلغة بديلة في التعليم ، مرحلة هامة جدا من مراحل الانفصام بين الشمال والجنوب (٢) . وهي في نفس الوقت سياسة مقصودة ضد الاسلام في الجنوب ، وذلك بالقضاء على وسيلة هامة من وسائل انتشاره بسرعة هناك .

وكلما تقدمت السنوات أصبحت اللغة العربية تتلقى الضربة تلو الأخرى فيمحاولة لازاحتها عن الساحة ، ففي عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م منح أبناء

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٦٨

(٢) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم في السودان ، ص ١١١ .

الجنوب الذين يتكلمون الانجليزية الأفضلية في وظائف الحكومة على من يتكلمون العربية (١) ، كحافز يساعد كثيرا في اهمال اللغة العربية وبالتالي الى زوالها بينما يزداد في المقابل الاهتمام باللغة الانجليزية لانها ارتبطت بالوظيفة ، وبالمستقبل .

وهكذا وفي خلال فترة وجيزة لم تتجاوز العام تقريبا بدأت اللغة الانجليزية تعد كوسيلة للاتصال في الجنوب (٢) .

ولعل أكبر الضربات التي وجهت من السلطات البريطانية للتعليم الاسلامي في الجنوب ، عندما قررت ترك مهمة التعليم برمته الى مدارس الارساليات التنصيرية ، وذلك نتيجة لعزوف التلاميذ والاهالي عن التعليم ، بالرغم من التيسيرات التي منحت لهم ، وكان فشل المسؤولين بالجنوب في تخريج موظفين من أبناء الجنوب خلال السنوات الاولى من الحكم الثنائي (٣) ، عاملا آخر ثبط همة الادارة البريطانية في مواصلة الجهود لتحمل التبعات المتعلقة بالتعليم ، وشجعها بالتالي لاسناده الى الارساليات التنصيرية في الجنوب التي رحبت به بلا شك ترحيبا كبيرا واعتبرته خطوة كبيرة في صالح التبشير النصراني . غير أنه في الحقيقة خسارة بنفس القدر للتعليم بشكل عام والتعليم الاسلامي بشكل خاص ، وذلك لأن الارساليات ستستخدم نفوذها على التلاميذ وتعمل بصورة مضادة للاسلام ، في الوقت الذى كان من الممكن أن يبقى فيه التعليم بشكله العام

---

(١) بشير ،محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٧٠ .

(2) Warburg G., The Sudan Under Wingate , P. 122 .

(٣) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ،مشكلة جنوب السودان ، ص ٩٠ .

بالجنوب تحت رعاية الحكومة ، بمنأى عن ذلك التوجه على أقل تقدير .

ـ موقف الحكومة من التجار الشماليين في الجنوب :

كان للتغلغل التجارى دوره الفعال في عملية انتشار الاسلام بين سكان المديريات الجنوبية في خلال الفترة الماضية ، ويبدو أن وصول الاسلام وتباشيره الاولى الى تلك الجهات قد تم على يد التجار كماهي الحال بالنسبة لتاريخ انتشار الاسلام في بعض المناطق التي تبعد عن جزيرة العرب مثل جنوب شرق آسيا وشرق ووسط افريقيا (١) ،فالاستقرار النسبي الذى ساد في تلك الجهات في عهد محمد على باشا وخلفائه من أسرته ممن حكموا في مصر امتدت سلطتهم حتى شارفت منابع النيل في الجنوب ، قد هيأ فرصة للقادمين من الشمال الاسلامي لممارسة التجارة ، وجلب البضائع التي يحتاجها الاهالي في جنوب السودان حيث كانت تتم عمليات التبادل التجارى بينهم في السلع التي اشتهرت بها المناطق الجنوبية ، في الوقت الذى فضل فيه عدد من اولئك التجار الشماليين البقاء والاستقرار بصورة شبه دائمة كما شغل بعضهم وربما أبناؤهم وظائف ادارية ، واختلطوا بالسكان من الجنوبيين وتركوا اثرا في حياتهم الاجتماعية وطرق معيشتهم اليومية ، كما اهتم بعضهم بتقليد الشماليين في عبادتهم وأداء الشعائر الاسلامية ، وبذلك تكون عملية انتشار

---

(١) أرنولد ،توماس ،الدعوة الى الاسلام ، ص ١٢٩ ، ترجمة حسن ابراهيم وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧ ,.Trimingham S
Islam in The Sudan , P.250 .

الاسلام على أيدى التجار قد قطعت شوطا لابأس به خاصة في المراكز الادارية وبعض المدن الناشئة (١) .

ومنذ بداية الاحتلال البريطاني للسودان في بداية القرن الرابع عشر الهجرى / نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، بدأت سلطات الادارة البريطانية في السودان التفكير في مديريات الجنوب الثلاث تفكيرا مختلفا عن الشمال ، كما ترددت الشائعات بانه من الافضل ضم هذه المديريات او الحاقها بالبلدان الافريقية المجاورة ، مع اقامة حاجز من الزنوج المسيحيين يقف ضد الشمال المسلم ، ولذلك اتخذ قرار في سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م بمعاملة الجنوب معاملة منفصلة عن الشمال على اعتبار انهما هويتان مختلفتان في مراحل التقدم والتطور (٢) .

وازاء هذا التوجه للادارة الجديدة ، منح ونجت حاكم عام السودان صلاحيات كبرى في مواجهة التجار الذين يروجون للاسلام في المناطق الوثنية في الجنوب ، وبناء عليه فقد أصدرت الحكومة أوامر صارمة تحد من نشاط التجار الشماليين في الجنوب وذلك بموجب تراخيص تجارية تصدرها الحكومة ، وتبع ذلك اقتراح اخر من الحكومة يقضي بتشجيع شركات بريطانية لممارسة التجارة في الجنوب (٣)، وربما

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate ,P.116 .

(٢) Balance E., The Secret War in the Sudan , P. 28

(٣) Warburg G., The Sudan Under Wingate ,P.30/ 117 .

لملء الفراغ الذى ينجم من حرمان التجار الشماليين من ممارسة التجارة أو في حالة ابعاد هؤلاء التجار عن ممارسة التجارة هناك لاى سبب من الأسباب في المستقبل .

وكان هؤلاء التجار قد اتخذوا من تجمعات الجنود الشماليين في بعض الوحدات العسكرية بالمراكز الادارية ،سوقا رائجة للسلع والبضائع التي يتمكنون من استجلابها من الشمال على اعتبار انها تلبي احتياجاتهم التقليدية وتناسب مقدراتهم الشرائية (١) .

ونتيجة للتغيرات التي شهدتها الاوضاع في الجنوب مع بداية الاحتلال البريطاني للسودان ، وتنفيذا للسياسة التي تقررت في عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م بابعاد المؤثرات الاسلامية العربية من الجنوب ، اتخذت سلطات الاحتلال عدة اجراءات كان من بينها التخلص من الجنود الشماليين وغيرهم من المصريين في الفرق والوحدات العسكرية بالجنوب ، ومن الطبيعي ان يتم التخلص من التجار الشماليين تبعا لاخوانهم من الجنود الذين شملتهم تلك السياسة طالما أنهم يشكلون خطرا في نظرهم ويتمثل في نشر الاسلام واللغة العربية بين الجنوبيين . وقد تأكدت تلك الحقيقة فيما كتبه اوين حاكم مديرية منقلا الى القائم باعمال الحاكم العام في الخرطوم وذلك في عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨م مشيرا الى أنه قد نجح في ابعاد كافة المتعصبين من الجنود والتجار كما أبدى رغبته في آلا يعودوا مرة أخرى

---

(١) سعودي ، عبد الغني وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٩٢

ويشير ذات المرجع الى أن المزاوجة في ذكر التجار والجنود الشماليين هنا تفيد تتابع خروج هؤلاء في أعقاب أولئك [١]. وبالرغم من ذلك فان مجموعات من التجار ظلت باقية في الجنوب ، مما اضطرت السلطات بعد ذلك اتخاذ اجراءات أكثر صرامة لاخراجهم كما سيتضح فيما بعد.

- ابعاد الاداريين المصريين عن الجنوب :

شهدت السنوات التي تلت عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م محاولات عدة من قبل سلطات الحكومة لصد واعاقة تقدم الاسلام في الجنوب ، واستهدفت السلطات فئة المآمير * المصريين ، على أساس أنها ذات تاثير اسلامي عربي ولذلك تقدم السكرتير الادارى بونهام كارتر Bonham Carter باقتراح للتقليل من سلطات المآمير المصريين في المراكز التابعة لهم ، وأشار الى أن أفضل طريقة للتخلص منهم هي أن يقف الطرفان اصحاب المصلحة الحقيقية وجهالوجه ، (يقصد بذلك البريطانيين والسودانيين) ويستبعد المصريون الذين يعتبرهم مجرد وسطاء [٢] .

وتصادق ان قام الاسقف قوين بجولةفي المديريات الجنوبية في عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م ويبدو أنه قد لمس خلال هذه الجولة أثر هؤلاء المآمير على السكان ودورهم في تقدم الاسلام واللغة العربية هناك ، وربما شعر من جهة أخرى بأن هؤلاء المآمير قد يشكلون رقابة صارمة عليهم قد تقيد تحركاتهم وتعمل على افشال مخططاتهم ، وعلى أي حال فان الاسقف قوين اقترح

---

(١) N.R.O., Int. Dep. 1/5/31 From Owen, G.Bhr ElGazal to Nortchcote, Acting G.G., Mangalla 10.1.1918 .
سعودى ،عبد الغنى وآخرون ،مشكلة جنوب السودان ، ص ٩٢ .

(٢) بخيت ،جعفرمحمد على ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان ، ص ٤٨ .

* المآمير جمع مأمور وهو الموظف المسئول عن الادارة والأمن في ذلك الوقت.

على السلطات في الادارة البريطانية اجلاء هؤلاء المآمير المصريين والاعتماد على عناصر من الشرطة المحلية مكانهم (١)، ويجب ألا يستغرب أبدا من جرآة الأسقف قوين التي جعلته يتدخل في عمل سلطات الادارة البريطانية ، ذلك لأن المبشرين النصارى أحسوا بان الحكومة في السودان قد بدأت في الاعتماد عليهم للقيام ببعض الانشطة في مجال الصحة والتعليم مثلا ، الأمر الذى يجعل منهم مكملين لدور السلطات البريطانية في الجنوب وفقا للخطط التي تسير عليها في جنوب السودان .

وفي عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م تردد آن الحاكم العام يفكر في أمر تحويل سلطات هؤلاء المآمير الى أندادهم من السودانيين الذين سيخضعون لاشراف شامل من المفتش البريطاني (٢)، مما يوحي بأن وجود هؤلاء المآمير في الجنوب قد سبب ازعاجا للسلطات البريطانية الحاكمة في السودان . ويبدو أن مخاوف البريطانيين قد أخذت في الازدياد نتيجة للاوضاع السياسية الجارية في مصر والتي انتهت بقيام ثورة عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م ، الوطنية ضد الاحتلال البريطاني وقد كانت لها انعكاسات مباشرة على الوطنيين السودانيين سيما وأن المستعمر واحد وهو بريطانيا (٣).

وعندما وصلت بعثة بريطانية في نفس العام للتحقيق في أسباب الثورة والبت في مستقبل المصريين لم يكن موضوع السودان من بين ما أوكل للجنة اختصاص النظر فيه ، ولكنها رأت من غير المعقول تجاهل

---

(١) Warburg G, The Sudan Under Wingate , P. 117

(٢) بخيت ،جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٤٨ .

(٣) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فىالسودان ، ص ٥٦ .

مستقبله ، وطلبت من مندوبين لها القيام بزيارة السودان ووضع تقارير حول تلك الزيارة التي تمت في الفترة مابين ١٣٣٨ – ١٣٣٩ هـ / ١٩١٩ – ١٩٢٠م [١]، وعندما نشرت تقارير لجنة ملنر Milner تبين بوضوح أن بريطانيا تستبعد مصر من السودان ، وتبعا لذلك قررت سلطات الادارة البريطانية في الخرطوم تخفيف قبضة الاداريين المصرين عن الادارة الحكومية . ومن الجدير بالذكر هنا أن تقرير اللجنة قد تضمن مايشير الى خوفها من انتشار الاسلام بين الاجناس غير العربية في السودان وهي اشارة واضحة الى جنوب السودان ، ولذلك فقد اوصت اللجنة في تقريرها بفصل الزنوج عن الأراضي العربية ، بالرغم من ان هناك تلميحات وردت في ثنايا التقرير تنوه بصعوبة الفصل بين السودان الشمالي والجنوبي ، وعلى أي حال فان فكرة فصل السودان عن مصر وفصل جنوب السودان عن شماله قد برزت بشكل واضح بعد قيام الثورة ضد الاستعمار البريطاني في مصر عام ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩م والتي امتدت لتحرك الشارع في السودان ضد المستعمر ، وربما استمرت هذه الثورة في الاتجاه جنوبا لتشتعل ايضا ضد الغزاة في بحر الغزال والاستوائية وأعالي النيل من مديريات الجنوب [٢]. وربما أدركت السياسة البريطانية ذلك من خلال الحقيقة التي تم الاشارة اليها من قبل وهي أن الاسلام والعروبة عقبات كبيرة ضد الاستعمار في افريقيا ، فضلا عن آن منفذ وادى النيل يعتبر في

---

(١) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٥٢ـ ٥٣ .

(٢) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٣٨ .

نظر الاوربيين من أخطر المنافذ التي يمكن أن يسرى فيها تيار الاسلام والعروبة بشكل أسرع مما هو في جهات اخرى من أفريقيا ، ولذلك فان فكرة فصل مصر عن السودان وفصل جنوب السودان عن شماله برزت أيضا في هذه الفترة لتضع حدا لأماني وآمال شعوب المنطقة في وادى النيل والتي بدأت تتساند ضد الاستعمار البريطاني ، وعليه فقد أوصت تلك اللجنة بالتركيز على فكرة الفصل بين مصر والسودان وبين السودان الشمالي والجنوبي (١) .

وبناء عليه فقد اقترحت السلطات البريطانية الحاكمة في الخرطوم اقامة خط فاصل يربط مابين السوباط والنيل الابيض وبحر الجبل كحد يفصل السودان الشمالي عن الجنوبي ، وأتبعت الادارة البريطانية ذلك الاقتراح بمذكرة تقول فيها : (ان حكومة السودان سوف تكون آكثر استعدادا للاندماج في حكومات املاك افريقية اخرى مثل أوغندة وشرق أفريقيا ، اذا كان الأمر يخص الزنوج ، أما المديريات العربية فهي تحتاج الى معاملة مختلفة ، وعلى ذلك ستبحث مسألة اقامة اتحاد لوسط أفريقيا تحت الادارة البريطانية (٢) ، يضم بالطبع

---

(١) يحيى ، جعفر محمد علي ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ، ص ٥٤

(٢) يؤكد ذلك التصور البريطاني المقترح للخريطة السياسية للمنطقة بعد الحرب العالمية الأولى ،والتي وردت في وثيقة بريطانية وهي عبارة عن خطاب من المفوض البريطاني ويلفرد تسجير الى السير ريجنالد ونجت حاكم عام السودان آنذاك ،حيث اشارت الى امكانية ايجاد منفذ لتجارة السودان الجنوبي عبر منطقة سيدامو ونهر الجوبا في الصومال الحبشي ، وهو نفس المشروع الذى عارضته (=)

زنوج السودان)(١) .

وفي تطور لاحق للسياسة البريطانية تجاه الجنوب أورد الدكتور مدثر عبدالرحيم أنه في عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠م أصدرت لجنة ملنر مذكرة تقول فيها :

(ان من سياسة الحكومة الحفاظ بقدر الامكان على جنوب السودان بعيدا عن التأثير الاسلامي ، ففيه يتم توظيف المأمورين السود ،وعندما يكون من الضروري ارسال كتبة من المصريين فيختار الأقباط)(٢) وكان هؤلاء الاقباط والمسيحيون اللبنانيون هي العناصر التي اعتمدت عليها الادارة البريطانية كمستخدمين في السودان الى حد كبير (٣) . وفي الاجتماع الذي عقده حكام المديريات الجنوبية البريطانيون في عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠م تقرر استبعاد موضوع نشر الاسلام بالجنوب والا يحظى بأي تشجيع ، كما تقرر اقصاء المآمير المصريين والسوريين المسلمين تدريجيا ليحل بدلا عنهم مفتشين بريطانيين، ويعتمد على الكتبة من أبناء الجنوب في أكثر الأحيان (٤) .

(=) السياسة البريطانية عندما حاولت الحكومة الخديوية ربط المديرية الاستوائية بنهر الجوبا في الصومال في فترة ادارة غردون للمديرية الاستوائية مما يشير الى ان السياسة البريطانية تراعي مصالحها الاستعمارية أولا وليس مصلحة أهالي المنطقة كما يعتقد.

فليفل ،السيد على أحمد ، القوى الخارجية والاتجاهات الاقليمية في السودان ، ص٦٧-٦٩ ،مركز الحضارة العربية للاعلام والنشر، ط ١ ،القاهرة ، ١٩٩٠م .

(١) سعودى ،عبد الغنى وآخرون ،مشكلة جنوب السودان ، ص ٢٧٧ .

(٢) Abd Elrahim ,M., The Development of the British Policy in the Southern Sudan ,P. 7 .

(٣) Warburg G., The Sudan Under Wingate , P.82 .

(٤) بخيت ، جعفر محمد على ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٦٣ .

وهكذا سارت سياسة الادارة البريطانية بعد هيمنتها على الأوضاع في السودان ككل وعلى الجنوب خاصة ، نحو الاهتمام بازالة كل ما يتصل بالاسلام والعرب في منطقة الجنوب ، ولم تكن الخطوات السابقة التي تم اتخاذها في هذا الصدد سوى مقدمات قصد بها تمهيد الارض للتفرقة بين الهويتين الشمالية التي تمثل الاسلام والعرب ، والجنوبية التي تمثل الوثنية والزنجية ، كما تعمدت تلك السياسة التخلص من العناصر الاسلامية العربية في الجنوب بالرغم من أنها كانت ستدفع بالنماء والتقدم الى الأمام ، ولكن الادارة البريطانية الاستعمارية أحست بأن الاسلام قد بدأ يشق طريقه من خلالهم بشكل ملموس نتيجة للتمازج والاختلاط الذى تم بين المسلمين من العرب وغيرهم من الجنوبيين الوثنيين ، دون أن يكون بين تلك الفئات قدر من الشعور بالجفوة أو العداء بسبب التباين العرقي أو الاجتماعي فيما بينهم ، بل ان التعايش السلمي والالفة اصبحت هي السمات الحقيقية المميزة لتلك الفترة مما ساعد على نشر الاسلام ، وباتت اللغة العربية هي وسيلة الاتصال بين مختلف الفئات بالجنوب ، وحتى بين القبائل الجنوبية ذاتها . هذا التقدم الذى تحقق للاسلام واللغة العربية في الجنوب ، لم تنظر اليه الادارة البريطانية الاستعمارية بعين الرضا ، حيث بدأ يراودها احساس بأن مصير الجنوب هو أن يعم فيه الاسلام وتنتشر فيه اللغة العربية وربما منه الى أنحاء افريقيا بحكم موقع الجنوب الاستراتيجي المؤثر ، مالم تتخذ الحيطة لذلك . وبذلك تكون تلك السياسة التي تم اتخاذها في الفترة منذ بداية الاحتلال وحتى عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م ماهي الا تمهيد لفكرة الفصل بين الجنوب والشمال التي صرح بها المسؤولون في الادارة البريطانية في النهاية ، وهي سياسة بدأت تشعر أهالي الجنوب

أن ثمة شيء بينهم وبين الشماليين ، وبمساندة الارساليات التنصيرية لتلك السياسة ظهرت العداوة وبدأت الجفوة بين الجانبين .

وفي تلك الفترة من عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠م كانت المشاورات تتم بين ادارة الاستخبارات والسكرتير الادارى عن طريق السكرتير الخصوصي فيما يمكن اتخاذه من اجراءات ادارية بشأن القبائل السوداء في الاقاليم الجنوبية من السودان في السنوات القادمة ، وقد أشارت الوثائق الى أن المشاورات انتهت بالتركيز على الجانب الأمني على أساس ان السياسة في البلاد ستمر بفترة انتقالية قد تستلزم الصدام مع القبائل أو بعض موظفي الحكومة (١).

وفي تطور آخر فقد تقرر أيضا في نفس العام ، بأن يجتمع مديرو المديريات الجنوبية وحدهم في الجنوب ، خلافا لما كان يحدث في اجتماعات المديرين التي كانت تعقد سنويا في الخرطوم ، وطلب اليهم بجانب ذلك أن يكونوا على اتصال بمديرى المديريات في كل من كينيا ويوغندا (٢).

هذه التطورات أدت فيما بعد الى اتخاذ اجراءات اكثر صرامة فيما يتعلق بالتمهيد لفصل الجنوب حيث تعتبر الخطوة التي تم اتخاذها في عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م خطوة عملية فاعلة نحو تحقيق الفصل الكامل للجنوب عن الشمال في السودان .

---

(١) N.R.O., Intelligence 2/3/254. Director of Intelligence to the private Secretary, S. G., No. 108 dated 26.6.1920. Private Secretary to Director of Intelligence, Strictly Confidential dated 30.6.1920.

(٢) عبدالرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٤٠-٤١ .

المبحث الخامس

أبعاد السياسة البريطانية في الهيمنة على جنوب السودان

- أحكام السيطرة على القبائل :

كانت الادارات السابقة قد نجحت الى حد ما في اقامة بعض المراكز الادارية في مناطق متفرقة من جنوب السودان ، وذلك في عهد محمد علي وآسرته خاصة في فترة حكم الخديو اسماعيل ١٢٥٦ - ١٢٩٨ هـ / ١٨٤٢ - ١٨٨٠م تقريبا الا أن تلك الجهود لم تتوج باقامة حكومة منظمة كما كان عليه الحال في الشمال لاسباب من أهمها أن الجنوب كان على درجة كبيرة من التأخر. هذا فضلا عن أن المجتمع القبلي في الجنوب كانت قد مزقته هجمات الغزاة المتتالية ابان فترة الاداريين البريطانيين وغيرهم من الأوربيين ، في الوقت الذى اعتمدت فيه قوات الاحتلال البريطاني منذ عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠م على اقامة المراكز العسكرية بالجنوب وارسال الحملات التأديبية الى هناك أكثر مما حدث في الشمال . ولذلك لم يكن المجتمع قادرا على النهوض مرة أخرى على الاقل كما كان في السابق، كما أن الهيمنة التي تريد السلطات البريطانية فرضها على القبائل ،مع ضعف بنيتها الاقتصادية والاجتماعية كانت تتطلب أولا اعادة بناء البلاد ، بحيث يتوقف ذلك على تهدئة الأحوال فيما بينها ،ومحاولة توطينها من جديد ، لضمان ولائها للحكومة الاستعمارية الجديدة (١) . ولكن الادارة البريطانية لم تع هذه الحقيقة منذ بداية الامر واستخدمت وسائل مختلفة لتحقيق السيطرة الكاملة بما يحقق الهيمنة على الامور في المنطقة ،

---

(١) Warburg , G., The Sudan Under Wingate , P. 137.
Collins R., THe Sudan , P.13 .

وكانت تفضل أن تكون تلك الوسائل بأقل حد ممكن من التنظيم الادارى وادنى حد من التكلفة المادية (١)، حيث عولت كثيرا على أسلوب الحملات التأديبية بهدف اخضاعها (٢).

ويبدو أن معارضة فرض الضرائب ومقاومة الغزاة ، قد أصبحت القاسم المشترك لثورة هذه القبائل وعصيانها (٣)، خاصة وأن تلك القبائل قد داخلها الارتياب فلم تعد تطمئن لهؤلاء الغزاة الاجانب ، حيث كانت السلطات تتدخل أحيانا بين القبائل الجنوبية عسكريا ، لفض النزاعات القبلية ، الأمر الذى دفع بعض زعماء القبائل الاقوياء الى مقاومة الحكام الجدد ، بكل ما أوتوا من قوة ، وعندما تتغلب عليهم الحكومة يحل محلهم رجال لهم شخصيات ضعيفة فيتولى مسؤول بريطاني القيام بالمهام الادارية للقبيلة ، كما حدث لقبيلة الشلك في أعالى النيل ، وقبيلة الزاندى في الاستوائية ، وذلك في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجرى / نهاية العقد الاول من القرن العشرين مما ترتب عليه انهيار الزعامة القبلية في القبيلتين ، نتيجة لضعف الزعامات القائمة ،وهكذا أضحت فكرة اقامة المراكز العسكرية بديلا لسياسة الادارة في الجنوب من جديد ، بينما استأنف المجتمع القبلي عملية التمزق مرة أخرى ، واستمر لمدة تجاوزت الخمسة عشر عاما بقليل قياسا بعمر الحملات التأديبية التي دأبت عليها سلطات الادارة البريطانية في الجنوب ، وقد أدت لازدياد التفكك والضعف في غياب الادارات المدنية أو التقليدية (٤) .

Collins R., The Sudan , P.13 .Warburg G., The Sudan Under (١) Wingate, P.17.

(٢) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٥٦

(٣) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ، ٦٨

(٤) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٦٣ .

وبالرغم من أن السلطات البريطانية قد أدركت أن عملية الاخضاع الكامل للقبائل التي لم تألف صورة مستقرة للنظام والسيطرة ،يعتمد على تحسين وسائل المواصلات للوصول الى المناطق البعيدة ،كما يعتمد أيضا على محاولة جادة للاتصال الوثيق بالزعامات ورؤساء القبائل (١)، فانها لم تلجأ الى الوسائل السلمية الا أحيانا .

وهكذا فقد تميزت السنوات الأولى للاحتلال البريطاني في الجنوب بالاستبداد العسكري ، الذى أحكم قبضته على زمام الحكم خاصة في الجنوب ، وهيمن على الأوضاع فيه بشكل عام ، ساهم في ذلك قصور الاداريين العسكريين من البريطانيين في الحكم ، فضلا عن صعوبة بقائهم في الخدمة لمدد أطول(٢).

ويبدو أن أراضي الجنوب الشاسعة الممتدة ، بالاضافة الى العجز في وسائل المواصلات ، والظروف المناخية القاسية بالنسبة للأجانب ، قد جعلت الاقبال على الخدمة المدنية في تلك المناطق أقل منه في الشمال، ونتيجة لذلك أصبح الوجود العسكرى للادارة في الجنوب أكثر هيمنة ،حيث كان الحكام ومعظم المفتشين من الضباط البريطانيين ، وبذلك فقد أتيح للعسكريين احتكار الوظائف الحكومية الثابتة نتيجة للعجز المالي والادارى في مناطق الجنوب (٣) .

---

(١) بشير ،محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٦ - ٤٧ .
Collins R., The Sudan , P. 18

(٢) N.R.O. Int. Dep. ,1/9/31 Southern Governers Meeting, Civil Secretary ,March 1922 .

(٣) المحامى ، أحمد خير ، مآسى الانجليز فى السودان ، ص ٢٦، الخرطوم ١٩٤٦م
Warburg G., The sudan Under Wingate, pP. 73-4

والأمر الذى ينبغي الاشارة اليه هنا ، هو آنه لم تكن لبريطانيا أي مسئوليات مالية تجاه السودان ، حيث لم تتضمن النظم المالية في السودان تلك الفترة أي مشاركة من قبل بريطانيا في نفقات البلاد وبقيت تلك السياسة مستمرة بالرغم من مطالبة حكومة السودان بمساهمة بريطانيا التي كانت تعتبر أن مسؤولية النظام المالي في السودان يقع على عاتق الحكومة في مصر . في الوقت الذى لم تكن فيه الحكومة في مصر تقوم بأي دور فاعل في سياسة الحكم بالسودان في ذلك الوقت على الأقل من واقع مشاركتها في العمليات العسكرية للسيطرة على البلاد عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م مما يدل على مدى الهيمنة التي كانت تمارسها السلطات البريطانية في السودان بشكل عام ، بغض النظر عن مسؤولياتها الكاملة عما يجرى في البلاد .

وقد كانت مديريات الجنوب أكثر مناطق السودان تضررا من سياسة الحكومة المالية حيث أدت نظم البلاد المالية الىتقليل الدخل السنوى(١) مما ترك أثرا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للاهالي البسطاء في الجنوب ، وذلك لأن الادارة البريطانية لم تضع في دائرة اهتمامها في تلك الفترة سوى احكام السيطرة على الأوضاع والقبائل في الجنوب ،وارتكبت بذلك خطا فادحا انعكس على حياة السكان فيما بعد . وفي ضوء تلك السياسة تبين أن الحكومة لم تكن تعير متطلبات حياة الناس في الجنوب الاهتمام المطلوب ، بدليل امتناعها عن المساهمة في الانفاق على تحسين

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate , P. 73-74/ 23
المامى ، أحمد قير ، مآسى الانجليز فى السودان ، ص ١٨٦

الأوضاع في البلاد ، بينما أولت مصالحها الاستعمارية كل اهتمامها من خلال الهيمنة التي فرضتها على السودان وخاصة منطقة الجنوب .

وقد كان من بين أهداف بريطانيا الرئيسية من التدخل في السودان تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية ذات الأهمية البالغة عبر مصر وقناة السويس ،فالسودان هنا جزء من استراتيجية كبرى والسيطرة عليه من قبل بريطانيا أمر ضروري ، حيث أن استيلاءها على السودان يكسبها قوة ضاغطة على مصر تستخدم عند الحاجة من خلال السيطرة على مياه النيل مصدر الحياة لمصر (١). ويعتبر جنوب السودان هنا حلقة مهمة ، من تلك الاستراتيجية فأراضيه الشاسعة تضم مجموعة كبيرة من الفروع التي تغذى نهر النيل بالمياه ، هذا فضلا عن قربه من المنابع الرئيسية للنيل .

- مواجهة الادارة البريطانية للوجود العربي الاسلامي في الجنوب :

من ناحية أخرى فان الوجود العربي الاسلامي في مناطق الجنوب قد بات يشكل خطرا كبيرا في نظر السياسة البريطانية بهذه الجهات ، على أساس أنه العامل الوحيد الذى سيهدد الهيمنة التي فرضتها الادارة البريطانية في المنطقة ، وربما يكون عقبة أمام الخطط التي تنوى تلك الادارة تنفيذها في المستقبل هناك ، هذا فضلا عن أن تنظيم عمليات المقاومة ضد الهيمنة الاستعمارية ستكون من أولويات جهود العرب المسلمين في مناطق الجنوب ، كما أن الاسلام قد ينتشر بسرعة في هذه المناطق الوثنية ،وقد يبلغ منطقة

---

(١) سلفستر ،آنتوني ،السودان في عهد نميرى ،ص٥٦،سعودى ،عبد الغني ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٧٠.

البحيرات حيث المنابع الرئيسية للنيل ، وقد يتركز ويتسع في منطقة تعد من الناحية الجغرافية ملتقى للقبائل في :وسط آفريقيا من الشرق والجنوب والغرب ، وبالتالي فان الاسلام سيعم وينتشر في أجزاء واسعة من القارة الافريقية ، وقد يفوت بذلك على الاستعمار فرصة السيطرة على هذا المد الاسلامي الزاحف من الشمال الى داخل القارة ، مالم يتخذ آى اجراء لعرقلته ووقف تقدمه .

وتحسبا لمثل هذه النتائج التي قد لاترضى الادارة البريطانية الاستعمارية ،فان نظرتها الى جنوب السودان جاءت نظرة مختلفة وآضحى من أهداف الحكومة الاستعمارية في السودان ،وقف انتشار الاسلام حتى لايزداد عدد المسلمين في المديريات الجنوبية ، وقد ورد ذلك في خطاب بعث به حاكم مديرية بحر الغزال الى ونجت عام ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧م موضحا ان تلك الخطوة تعتبر من آولويات الادارة البريطانية في السودان التي تم تحديدها . ولذلك وضعت مبررات متعددة لفكرة الفصل التام للجنوب عن الشمال، وكان من بينها أن ذلك الانفصال أمر مطلوب من آجل التقدم الاقتصادى للمنطقة (١). ولاشك في آنه تبرير غير منطقي لان الجنوب كان يعتمد على الشمال ومازال ، ولن يتمكن من ذلك حتى يصل الىالمرحلة التي يعتمد فيها على الموارد الذاتية التي تمكنه من النهوض اقتصاديا ، والادارة البريطانية تعلم ذلك تماما ، وبالرغم من ذلك فانها تسعى لتحقيق الفصل تحت أي تبرير

---

(١) Warburg G., <u>The Sudan Under Wingate</u>, P.121_122 .

وأي منطق ، لأنها تريد محاصرة المد الاسلامي العربي في الشمال مما يتيح لها فرصة تشكيل منطقة الجنوب بالصورة التي تود أن يكون عليها بعيدا عن التأثير العربي الاسلامي .

وبناء عليه فان الادارة البريطانية كانت قد شرعت عقب الاحتلال في اتخاذ العديد من الاجراءات (١) في منطقة الجنوب تشير بوضوح الى أنها تمهد بذلك لفكرة الفصل بين الشمال العربي المسلم وبين الجنوب الزنجي الوثني . وذلك على الرغم من أنه قد وردت أقوال مفادها ان تلك الاجراءات قد حدثت بصورة عشوائية ولعبت فيها الصدفة دورا غير مقصود، مشيرا الى أن الادارة البريطانية لم تحدد أهدافها من تلك الاجراءات بوضوح (٢).

وينبغي أن يكون معلوما أنه لاينتظر من الادارة البريطانية أن تعلن أهدافها من اجراءات اتخذتها وتصب جميعها في اتجاه واحد يستهدف العربية والاسلام في الجنوب ، الأمر الذى قد يتسبب لها في اضطرابات ومتاعب هي في غنى عنها ، خاصة وأن البلاد قد خرجت لتوها من حرب دينية نجمت عنها خسائر كبيرة في الارواح وتضررت منها بريطانيا بالذات ، ويبدو أن الادارة البريطانية من باب التعقل والمراوغة أيضا رأت أن تحتفظ لنفسها بالأهداف الحقيقية التي من أجلها اتخذت تلك الاجراءات وتعلن أهدافا أخرى لتفوت بذلك الفرصة على أى معارضة متوقعة . وأيا كانت الأهداف فان جميع تلك الاجراءات تستهدف الوجود العربي الاسلامي وتعمل على التخلص منه في منطقة الجنوب، حيث تم استبعاد القوات الشمالية وأفراد قوات

---

(١) راجع المبحث السابق (الحرب على الاسلام واللغة العربية في الجنوب) ص ٢٤٨

(٢) Warburg , G., The Sudan Under Wingate, P.188 .

الجيش المصري العاملة في الوحدات العسكرية بالجنوب ، وهي في نظرهم عناصر مروجة للاسلام واللغة العربية كما تم تكوين الفرق الاستوائية من العناصر المحلية فقط عام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧م وفي مطلع العام التالي تقررت عطلة الآحد الاسبوعية بدلا عن عطلة الجمعة التي تخص المسلمين والتي يسري العمل بها في جميع أنحاء السودان ، كما استبعدت التربية الاسلامية واللغة العربية من مجال التعليم في الجنوب وتعرضت دور القرآن للحرق والتخريب ، وواجه بعض الموجهين والمدرسين والعرب المسلمين في مدارس الجنوب مضايقات قصد بها عرقلة جهودهم ، وهي نفس المضايقات التي صادفت التجار الشماليين المسلمين في بعض مناطق الجنوب وشملت تلك السياسة أيضا عناصر المآمير المصريين في الجنوب بهدف التخلص منهم . وقد تمت الاشارة الى أن الادارة البريطانية في السودان كانت تريد المضي قدما في هذه التدابير بهدوء ودون أن يعلم آحد بأن تغييرا ما قد طرآ (١).

- الادارة البريطانية وتطور قضية فصل الجنوب :

لم تكن فكرة فصل الجنوب عن الشمال في السودان بجديدة على السلطات الادارية البريطانية ، فقد نفذت اداريا من قبل حينما فرض غردون على الخديو اسماعيل عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م فصل المديرية الاستوائية عن حكمدارية السودان واستقل بادارتها حتى أصبح حكمدارا للسودان في عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م

---

(١) سعودي ،عبد الغني وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ،ص ٢٥٢ ، بخيت ، جعفر محمد علي ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٦٣ ،راجع من هذه الدراسة ، ص ٢٥٢ .

حيث أعادها الى حظيرة الحكمدارية مرة أخرى (١) ٠ ثم بزرت هذه الفكرة مرة اخرى في أثناء حصار الخرطوم عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥م عندما عرض ليوبولد ملك البلجيك على غردون فصل مديريات الجنوب وضمها لدولة الكنغو الحرة وانتهى المشروع بمقتل غردون في نفس العام٠ وقدم ليوبولد العرض نفسه الى الدكتور أمين الألماني حاكم مديرية خط الاستواء في العام التالي،ولكن الفكرة ماتت في مهدها (٢) ٠ كما نادى أمين باشا نفسه بفكرة فصل الجنوب أثناء فترة ادارته للمديرية الاستوائية لصالح الاستعمار البريطاني (٣) ٠ وقد سعى الملك ليوبولد مرة آخرى ولكن هذه المرة لدى الحكومة البريطانية في لندن عام١٣١٣ هـ / ١٨٩٥م وطلب منها أن تتنازل له عن الجنوب ليتم وضعه تحت حكمه ، ولكن الحكومة البريطانية رفضت ذلك الطلب ولم تأبه له (٤) ٠

كل هذه الخطوات تؤكد أن فكرة فصل الجنوب عن الشمال في السودان لم تكن جديدة على البريطانيين وغيرهم من الأوربيين ،ولكن سياسة الادارة البريطانية بمحاربتها للوجود الاسلامي العربي في الجنوب جعلت الخط السياسي العام لهذه الادارة يتبنى تلك الفكرة حيث رسخت لدى البعض الشائعة التي تقول أن الشمال والجنوب هويتان مختلفتان ٠

---

(١) فوزى ، ابراهيم ،السودان بين يدي غردون وكتشنر ،جـ ١ ،ص ١٧ ٠
راجع من هذه الدراسة ص ١١٦

(٢) عبيد ،جميل ،المديرية الاستوائية ،ص ٢٥٦ ،راجع من هذه الدراسة ص١٤٨/١٤٩٠

(٣) محمد ،محمد سيد" المديرية الاستوائية" ،ص ٣١٤ مجلة البحث العلمي ، العدد، ٧ ،راجع من هذه الدراسة ،ص ١٤٢٠

(٤) شبيكة ،مكي ،السودان عبر القرون ،ص ٤٢٧/٤٢٨ ،راجع من هذه الدراسة ص١٩٤٠

وتابعت الادارة البريطانية الاهتمام بهذه الفكرة واتخذت عدة تدابير عقب الاحتلال بهدف القضاء على الوجود العربي الاسلامي ، في الجنوب تمهيدا لفصله عن الشمال ولم تصرح بهذا الهدف بشكل واضح . ويبدو أن تلك السياسة التي كانت تتبعها الادارة البريطانية في السودان في تلك الفترة كانت معروفة لدى بعض السياسيين في بريطانيا ، الامر الذى دفع أحد أعضاء البرلمان البريطاني في لندن بتوجيه النقد الى سياسة الادارة البريطانية في جنوب السودان وذلك في عام ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧م حيث طالب ذلك العضو الادارة البريطانية في السودان بالتخلي عن العمل بسياسة الفصل ووقف تقدم النشاط التنصيرى للارساليات في الجنوب ، وذلك على اعتبار أنه لم يكن على الصورة التي ستفيد المنطقة وأهلها على الوجه المطلوب ولكنه من الواضح أن سياسة الادارة البريطانية في السودان لم تتأثر كثيرا بالنقد الموجه لها في بريطانيا وذلك نتيجة للمواقف السلبية لحكومة الملكة في بريطانيا ازاء الدعم المالي للادارة البريطانية في السودان ، والتي لم تكنتتوقع ممارسة أي ضغوط تؤثر على سير سياستها الرامية الى الاتجاه نحو فصل الجنوب في السودان . خاصة وأن الحاكم العام ونجت باشا كان قد طلب العون من بريطانيا للمرة الثانية خلال الحرب العالمية الاولى لمقابلة النفقات الاضافية التي سيتحملها السودان تجاه منطقة لادو التي استعيدت من الحكومة الحرة في الكنغو عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م ولكن وزارة الخزانة البريطانية رفضت ذلك الطلب (١) .

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate, pP.122-3

فالأمر الذى جعل الادارة البريطانية في السودان تبدو أكثر حرصا في المضي قدما نحو التمهيد لسياسة الفصل في ظل الهيمنة القائمة هو خشيتها من التأثيرات الاسلامية العربية القادمة من الشمال • فالتحركات الوطنية التي ظهرت في مصر والمتمثلة في ثورة عام ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩م انعكست آثارها على الاوضاع في السودان لدرجة أن الادارة البريطانية ، توجست من أن يحدث في شمال السودان ماجرى في مصر (١). ويبدو أن خوفها بدأ يزداد من تأثر الاوضاع في جنوب السودان بما سيجرى في الشمال ، وبالتالي سينتابها الكثير من القلق حيال ترابط الاحداث السياسية بين مصر وشمال السودان وربما الجنوب ، وعليه فان فكرة اللجوء الى فصل هذه الاجزاء عن بعضها قد يمثل حلا مناسبا بالنسبة لها في هذا الوقت وللمستقبل أيضا•

وهكذا نجد أن لجنة ملنر التي جاءت من بريطانيا الى مصر،للتحقيق في حوادث ثورة ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩م والبت في أمر الاستقلال بالنسبة للمصريين قد خرجت بتوصيات تلبي رغبات حكومة السودان ، بعد أن توصل أعضاؤها الذين زاروا السودان على أنه بلد يختلف كليا عن مصر وسيتطور أيضا مستقلا عن مصر ، ونبهت اللجنة الى أمر انتشار الاسلام بين الأجناس غير العربية (٢) .

---

(١) الحاردلو ، ابراهيم ، الرباط الثقافى بين مصر والسودان ، ص ٣٢، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ، ١٩٧٧ ، المحامى ، أحمد خير، كفاح جيل ، ص ١٩ • ط ٣ ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ١٩٩١م •

(٢) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٥٢ – ٥٣، المحامى ، أحمد خير ، مأسى الانجليز فى السودان ، ص ١٩ •

وتعتبر هذه التوصيات خطوة كبيرة فيما يتعلق بمسألة التمهيد لقضية فصل الجنوب عن الشمال ، باعتباره سندا من لجنة متخصصة أوفدتها الحكومة البريطانية في لندن ، ولذلك فان سلطات الادارة البريطانية في الخرطوم شرعت في اتخاذ المزيد من التدابير والاجراءات التي يمكن أن تدفع بفكرة فصل الجنوب الى الأمام .

آكد ذلك وضاعف من آثاره أن الادارة البريطانية كانت قد أطلقت يد الارساليات التنصيرية في الجنوب ، حتى هيمنت الكنيسة وبشكل واضح على كل مناطق النفوذ التي منحت لها ليس دينيا فقط بل ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا كذلك ، بحيث اصبح كل اقليم منها منطقة نفوذ مقفولة لمذهب مسيحي معين[١] الى جانب تغذيتها صدور أبناء الجنوب بسموم الحقد تجاه اخوانهم من أبناء الشمال [٢].

ولذلك فان البعض يعتقد بأن سياسة الادارة البريطانية الدينية قد مهدت لظهور افكار انفصالية فيما بعد ، وادت لبروز المشكلة في الجنوب [٣] ، آي بمعنى أن الادارة البريطانية في السودان سمحت للارساليات بتجاوز حدودها وزرع الفتنة التي أدت لبروز فكرة فصل الجنوب وبروز المشكلة .

وفي النهاية يمكن أن يكون البعد الحقيقي لكل هذا هو اقامة حاجز يمنع انتشار الاسلام نحو الجنوب [٤] . ثم توغله الى داخل قارة افريقيا بعد أن يجعل من منطقة جنوب السودان قاعدة انطلاق يعبر منها الى العمق

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ٧٧ – ٨١

(٢) التقرير الختامي لمؤتمر الحوار الوطني في الخرطوم ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٣) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.188 .

(٤) سعودي ، عبد الغني وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٨٩ .

الأفريقي . وكان اوين حاكم مديرية منقلا قد اقترح في عام ١٣٣٠ هـ/ ١٩١١ م من جانبه خطة لمجابهة انتشار الاسلام في الجنوب ، تقضى بتجمع طائفة مسيحية كبيرة يكون لها ارتباط بأوغندا وقد اشار الى أن مهمة هذه الطائفة هي آن تشكل حاجزا يقف في وجه انتشار الاسلام (١) ، وبالتالي فان تكثيف الوجود المسيحي في الجنوب كما جاء في هذا الاقتراح سيسد الطريق أمام الاسلام ويحول بينه وبين التوغل في أفريقيا ، بل سيجعل من منطقة جنوب السودان شبيهة الى حد كبير على ضوء تنفيذ هذا المقترح بفكرة المناطق الأمنية التي تتم اقامتها في هذه الايام لوضع حد للتوترات الاقليمية في المناطق الحدودية .

ومن هنا يستشف مقدار الحيطة والحذر تجاه الوجود الاسلامي في الجنوب كما يستشف ايضا التعصب الديني الذى يعكسه مثل هذا العمل في مقابل التسامح الديني الذى استقبل به المسلمون الرواد الاوائل من المسيحيين الذين وصلوا الى هذه المناطق في السابق . وقد أكد هذه الحقيقة آلان مورهيد في كتابه النيل الابيض فقال : (ان المسيحية نفذت الى افريقيا الوسطى تحت حماية الاسلام ، ومما تجدر ملاحظته ان المسلمين استغرقوا وقتا طويلا ليتبينوا ماكان يجرى ، فكانوا في الايام الاولى لايكادون يحجمون عن مساعدة المنصرين والرحالة المستكشفين ، وكانوا يرحبون بهم كرفاق متمدينين في بوادى الهمجية الافريقية الشاسعة ولم يتحولوا الى السلوك العدواني (يقصد المسلمين) الا اخيرا في نهاية السبعينات من القرن التاسع عشر حين ايقنوا انهم يواجهون الهلاك او الخضوع على الاقل ، على

---

(١) بشير محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٨١.

N.R.O., Int. Dep. 1/5/31 ,Memorandum by Owen, G. of Bhr ElGazal, Mangalla 29.3.1911 .

آيدي المسيحيين) (١) ، وذلك بالطبع في المرحلة التي بدأت فيها الهيمنة البريطانية على وادى النيل وقد اتيح فيها للمؤسسات التنصيرية نفوذ كبير جعل بعض جمعيات التبشير النصرانية تؤكد من جهتها أن المسيحية كانت الدين السائد بين أهالى السودان طوال عدة قرون ماضية وأن اعادة السلطات في ظل هذه الهيمنة القائمة فرصة لاعادة المسيحية الى منطقة كانت تنتمي اليها منذ البداية (٢) .

هذا القول بدون أدنى شك يشير الى ممالك النوبة المسيحية (٣)، التي سادت في اقصى شمال السودان حتى نهاية الربع الاول من القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى (٤). والدور الذى أدته كحاجز قوى استطاع أن يوقف تقدم المد الاسلامي الى داخل السودان فترة طويلة تجاوزت الستة قرون تقريبا ٢٣-٧٢٣ هـ / ٦٤٣ - ١٣٢٣م . والشاهد ان الاسلام لم يتمكن من اختراق تلك الممالك المسيحية طوال هذه الفترة الا بعد زوالها ، وتحققت بعد ذلك عملية الانتشار في أرجاء البلاد تدريجيا. فهذا الدور الذى قامت به تلك الممالك طوال هذه الفترة هو الذى ترغب جمعيات التبشير أن تعيد صياغته في منطقة الجنوب من السودان لوقف تقدم الاسلام جنوبا الى عمق القارة الافريقية وهو ذات الهدف الذى آشار اليه آوين حاكم مديرية منقلا.

---

(١) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض ، ص ٣٥٧ .
(٢) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٥٤ ، سعودى ، عبد الغنى ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٤٨ .
(٣) للمزيد حول ممالك النوبة المسيحية انظر مصطفى محمد مسعد ، الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
(٤) القوصى ، عطية ، دولة الكنوز الاسلامية ، ص ٩٤ - ٩٥ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على ، البيان والاعراب عن ما بأرض مصر من الاعراب ، ص ١٣٠ ، تحقيق عبد المجيد عابدين عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦١ ، حسن ، يوسف فضل ، مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فى السودان ، ص ٩ - ١٠ ، ط ٢ ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ١٩٨٩م .

وقد هيأت السياسة البريطانية للارساليات التنصيرية هذه الفرصة وفتحت الباب على مصراعيه أمام المؤسسات الكنسية التنصيرية بمختلف اتجاهاتها لتؤسس في جنوب السودان كيانا مسيحيا يؤدى نفس الدور الذي قامت به ممالك النوبة المسيحية في شمال السودان في العصور الماضية .

وهكذا تتضح أبعاد السياسة البريطانية في الهيمنة على جنوب السودان في هذه الفترة التي تعتبر مرحلة تمهيدية لتنفيذ فكرة فصل الجنوب عن الشمال وهي فترة تميزت بتعمد وضع الموانع والعقبات أمام التمازج والاندماج بين أبناء الوطن، الامر الذى ترك أثرا على المدى البعيد في العلاقات بين الشطرين الجنوبي والشمالي في المستقبل.

...

الفصل الثالث

الفصل الثالث

* سياسة بريطانيا الاستعمارية ومساعى فصل الجنوب عن الشمال *

١٣٤١ - ١٣٦٦هـ - ١٩٢٢ - ١٩٤٦ م

المبحث الأول

** السياسة البريطانية المعادية لابناء الشمال فى جنوب السودان :

بينما كانت الأدارة البريطانية فى السودان تمضى قدما فى السياسة نحو التمهيد لفصل الجنوب عن الشمال ، بشكل تدريجى ، فان بعض الأصوات بدأت ترتفع من جهات مختلفة تنادى بأتخاذ اجراءات ادارية من شأنها أن تساعد فى تنفيذ فكرة فصل الجنوب عن الشمال بصورة تامة ، وخطوات مؤكدة ، وقد كان من بين تلك الأصوات الميجور ستجاند (* Stigand حاكم مديرية منقلا وقد طالب الأدارة الأستعمارية فى السودان عام ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩م بضرورة أتخاذ اجراءات ادارية قبل الشروع فى تقديم أى مشروعات تهدف الى التطوير فى منطقة الجنوب ثم طالب بفصل الأقاليم الزنجية فصلا تاما عن الأقاليم العربية (١) .

كما نادى اللورد ملنر Milner فى مذكرة الى الحاكم العام عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م تناول فيها فكرة أتخاذ ترتيبات ادارية قد تمكن فيما بعد من دمج الاقاليم الزنجية بالسودان فى ادارة ممتلكات بريطانيا الاخرى مثل يوغندا وشرق أفريقيا ، حيث يجرى بحث امكان انشاء اتحاد فدرالى فى أفريقيا الوسطى يكون تحت الادارة البريطانية يضاف اليه السودان الزنجى

(*) قتل فى تمرد لبعض قبائل الدينكا بجنوب السودان فى ذلك الوقت .

(1) National Record Office, Khartoum, South 1/18/164, Extracts from Notes by Major Stigand, Governor of Mongalla Province.

فى الوقت المناسب طبقا (١) وتتفق هذه السياسة مع رأى جماعة الفابيان(*) Fabian البريطانية ، حيث تعتقد أنه لجميع الاعتبارات يتحتم ألا يضم جنوب السودان الى منطقة العرب فى الشمال ، لأنه ينتسب الى قلب أفريقيا التى تحده جنوبا (٢) :

قانون المناطق المقفولة أو (الفصل الأدارى) :

يبدو أن الادارة البريطانية ، استجابة منها لتلك الأصوات قد قامت باصدار قانون المناطق المقفولة وهو قانون يعطى الحق للادارة البريطانية الاستعمارية فى منع السودانيين والأجانب من الدخول فى مناطق محددة أو البقاء فيها مالم يكن هنالك ترخيص من السلطات الحاكمة ، والمعروف أن القانون يهدف فى الاساس الى منع الشماليين أو المسلمين بشكل عام من الدخول أو البقاء فى الجنوب خشية تأثيرهم على الأهالى ، وكان أهم ماجاء فى نص القانون مايلى :

" عملا بالسلطة المخولة لى بمقتضى المادة ٢٢ من قانون الجوازات والرخص

---

(١) عبدالرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٤٠

(٢) المحامى ، أحمد خير ، مآسى الانجليز فى السودان ، ص ٢٤

(*) جمعية انجليزية أنشئت عام ١٨٨٤م يسعى أعضاؤها الى نشر المبادىء الاشتراكية وتمثل من جهة أخرى مجموعة مفكرى وفلاسفة حزب العمال البريطانى الذين يرسمون السياسة النظرية للحزب زالتى يقوم الوزراء بتنفيذها عمليا . البعلبكى، منير قاموس المورد تحت كلمة Fabian ، المحامى ، أحمد خير ، مآسى الانجليز فى السودان بدون دار نشر ، ص ٢٤ دار الوثائق القومية الخرطوم ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م -

لعام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م أنا الميجور السير لى ستاك Stack (*) حاكم عام السودان ، آمر بما يأتى ، ان الجهات المبينة بهذا الامر تعتبر جهات مقفلة بمعنى أنه لايجوز لأى شخص من غير أهالى السودان أن يدخلها أو يبقى فيها الا اذا كان حاملا رخصة بذلك تؤخذ من السكرتير المدنى أو من مدير المديرية الواقعة فيها الجهة المقفلة ، وبمعنى أنه يجوز منع أى شخص من أهالى السودان من دخول تلك الجهات أو البقاء فيها بواسطة السكرتير الادارى أو بواسطة مدير المديرية المختصة " (١) .

وبالرغم من أن القانون قد أستثنى بعد ذلك موظفى الحكومة وضباط الجيش المصرى الذين سيدخلون هذه المناطق أو يبقون فيها بغرض أداء المهام الرسمية المكلفين بها ، الا أن الحد من الآثار العربية الاسلامية القادمة من الشمال كانت هى المقصودة ، سواء كانت من السودانيين الشماليين أو المصريين خاصة بعد التطورات والتحركات الوطنية التى رافقت ثورة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م فى مصر وآثارها التى بدأت تظهر فى شمال السودان ، هذا فضلا عن أن ذلك القانون

(١) . Sudan Goverment, Laws of The Sudan, P.149 Khartoum 1941

(*) شغل منصب وكيل حكومة السودان بالقاهرة وهى مصلحة المخابرات التى أسستها الادارة البريطانية فى القاهرة عام ١٩٠٨م وكانت مهمتها رصد النشاط المعادى للأدارة البريطانية فى مصر والسودان شغل ستاك هذا المنصب من ١٩٠٨ – ١٩١٤م ثم أصبح حاكم عام السودان ١٩١٨م الى أن قتل فى عام ١٩٢٤ بالقاهرة . اكارلي ابراهيم ، الرابط الثقافى بين مصر والسودان ، ص ٤٨

قد خول الحاكم العام أو من ينوب عنه فى المراكز والاقاليم من مديرين ومفتشين سلطة الغاء التصريح الممنوح لأى شخص ترى هذه السلطات أنه تعمد الاخلال بالشروط المذكورة فيه ، الأمر الذى يترتب عليه سحب التصريح ومغادرة الشخص للمنطقة على الفور (١) .

ولاشك أن عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م ، يعتبر منعطفا تاريخيا فى سياسة الادارة البريطانية بالجنوب ، نتيجة تنفيذ قانون المناطق المقفولة كسياسة متقدمة جدا فى التمهيد لفصل الجنوب ، حيث تم بذلك فصله فصلا اداريا عن الشمال العربى المسلم ، الامر الذى مكن فى السنوات التالية من اتخاذ اجراءات ادارية أكثر صرامة واجحافا نحو التأثيرات الاسلامية العربية داخل المناطق الجنوبية المقفولة التى لم يكن من اليسير السيطرة عليها دون اتخاذ تلك التدابير .

كما أن هذا الاجراء يعتبر صورة مشابهة تماما تعيد الى الاذهان القرارات التى أصدرها غردون عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م عندما كان مديرا لمديرية خط الاستواء التى تم فصلها من ناحية ادارية عن حكمدارية السودان بناء على طلب غردون (٢) خاصة القرار الذى يحظر دخول أى فرد الى المديرية الاستوائية دون تذكرة من حكمدارية عموم السودان فى الخرطوم ، مصدقا عليها من سلطات المديرية فى غندكرو (٣) الأمر الذى يجعل من سياسة الفصل الادارى تلك ماهى الا تطور موسع لفكرة مضى عليها مايقارب نصف قرن تقريبا ، وضعت نواتها الاولى الادارة

---

(١) عبد الرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٤٢ – ٤٣ .

(٢) فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدى غردون ، ج ١ ، ص ١٧ .

(٣) محمد ، محمد سيد ، " المديرية الاستوائية " ص ٣١١ مجلة البحث العلمى العدد ٧ .

البريطانية أيضا فى السابق .

وقد رافقت الاجراء الخاص بسياسة المناطق المقفوله عدة أحداث مهمة فى الشمال من وادى النيل ، ألقت بظلالها على منطقة الجنوب وكان فى مقدمتها الاستقلال الذى انتزعته مصر من الاستعمار البريطانى عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م فى اثر نمو الحركة الوطنية ونشاطها ، ثم تأثر الأوضاع فى شمال السودان بما يجرى فى مصر ، وقيام ثورة عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م الوطنية فى السودان (١) ، وبالاضافة الى ذلك مقتل حاكم السودان العام السيرلى ستاك فى القاهرة (٢) هذه الحوداث فى مجملها جعلت الادارة البريطانية أكثر حرصا فى محاربة الاتجاة الذى يعاديها فى السودان وبادرت فى الشمال بتجميد التعليم فى جميع مراحله وزادت المصروفات ، وخفضت الوظائف الحكومية ، وفصلت بعض الموظفين ، كما قللت من فرص العمل والتعليم المجانى ، وحاربت الصحف المصرية وطردت المدرسين المصريين (٣) .

وفى هذا الجو الخانق رأت الادارة البريطانية المحافظة على سياستها فى الجنوب وتشديد قبضتها ، بآتخاذ سياسة تعمل على حماية الجنوب من تلك التأثيرات المعادية للادارة البريطانية .

---

(١) المحامى ، أحمد خير ، كفاح جيل ، ص ٤٥ .

(٢) الحاردلو ، ابراهيم ، الرباط الثقافى بين مصر والسودان ، ص ٢٨ .

(٣) راضى ، نوال عبد العزيز مهدى ، رياح الشمال ، ص ٤٥ ، المطبعة التجارية الحديثة ، المكان بدون ، ١٩٨٥م .

وفى عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م أنهى السير جون مافى الحاكم العام فى السودان مشاوراته ليكتب الى القاهرة حول السياسة الجديدة التى ينوى القيام بها فى جنوب السودان ، وملخصها كما يلى :

(١) تشغيل الموظفين من غير المسلمين فى الادارة بهيئاتها الكتابية والفنية .

(٢) الاصرار على تعلم الموظفين البريطانيين لمعتقدات وعادات ولغات القبائل التى يقومون بادارة مناطقها .

(٣) التحكم فى هجرة التجار الشماليين .

(٤) اتخاذ سياسة تعليمية محددة (١) .

وكانت الحكومة فى بريطانيا قد وضعت عدة اعتبارات حول تلك السياسة منها الالتزام بتوفير نسبة كبيرة من الاداريين البريطانيين الذين يسبب تشغيلهم اذا أريد الحصول على كفاءات ممتازة - صعوبات لاتتناسب ومتطلبات الوضع الراهن ، أو اللجوء الى استيعاب المعلمين السودانيين الذين تدربوا فى مناطق الشمال المسلم ، وبالطبع ان الوسيلة أو الخيار الاخير ، يتعارض مع السياسة العامة التى تنتهجها الحكومة اذ انه يعمل على ادخال الاسلام بصورة علنية (٢) ، وفى هذا الصدد كان السير جون مافى J. Maffey قد بعث برسالة

---

(١) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ،مشكلة جنوب السودان ، ص١٠٣ ، راجع الفصل الرابع من هذه الدراسة ، ص ٤٠٦ .

(2) F.O., 407/210, Enc. in No. 187, From J.Maffey Governor General of the Sudan, to P. Lorain High Commissioner in Cairo, Khartoum, December 17, 1929.

الى السير برسى لورين P.Loraine عبر فيها عن سروره لهذا الاتجاه فى سياسة الحكومة فقال :(انه مما يبعث على الارتياح فى نفسى أن المبدأ العام لسياسة هذه الحكومة وبالتحديد ، فرض قيود ربما تكون عملية ومبررة ضد أنتشار الاسلام بالجنوب بدلا عن تشجيعه .. وقيام المؤسسات الوطنية ، اذ ينبغى أن يلقى هذا المبدأ تأييدا من كل من خلفكم ، حكومة جلالته) (١) هذه التصريحات كانت تنبىء عن رغبة الأدارة البريطانية باعلان سياسة جديدة فى الجنوب ظهر الأتفاق حولها .

** السياسة الجنوبية :

وبناء على ماسبق من توجيهات فقد أتفقت الأطراف السياسية الأستعمارية فى القاهرة ، والخرطوم ، ولندن على تبنى السياسة التى خرجت بها مذكرة السكرتير الأدارى هرولد ماكمايكل H. Mc. Michael السرية فى عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م الى مديرى المديريات الجنوبية ، ومديرى المصالح الحكومية والتى تحددت فيها السياسة الجنوبية التى ستسير الحكومة على تنفيذها فى مناطق الجنوب لعزلهم عن أخوانهم فى الشمال ، وكانت هذه السياسة تتلخص فى بناء سلسلة من الوحدات القبلية العنصرية المحلية ، التى تقوم على أسس من القيم التقليدية الموروثة والعقائد المحلية ، والعرف السائد فى الجنوب(٢)

---

(1) F.O., 407/210, Enc. in No. 187 .
(2) N.R.O., C.S., I.C.I, South 1/18/168, Civil Secretary to Governors of Southern Provinces and Directors of Department, Dated 25.1.1930.

وكانت الوسيلة الى تنفيذ ذلك ، هى الأعتماد على فئة من الموظفين والعاملين من غير الناطقين بالعربية ، والحد من هجرة التجار الشماليين وتشجيع التجار الأجانب (غير المسلمين) ، والحرص على استخدام اللغة الانجليزية مع الأهتمام باللغات المحلية التى أوصى مؤتمر الرجاف بأستخدامها فى مجال التعليم (١) ٠

وتجمع المراجع على أن تلك السياسة كان القصد منها ابعاد النفوذ العربى الاسلامى عن الجنوب (٢) ، بدليل أن المذكرات التى بعث بها السكرتير الادارى للمفتشين تشير بأن عليهم تنفيذ سياسة بسيطة شكلا حتى لاتلفت انتباه الشماليين أو المصريين من الاداريين (٣) ٠

كما صدرت تعليمات من الخرطوم الى المديريين فى الجنوب بالامتناع عن الاشارة بشكل مباشر الى تلك السياسة ولامانع من الايحاء اليها بشكل غامض تحت ستار الاستعراب (٤) ٠

---

(1) N.R.O. ,South 1/18/168,

(٢) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٢٠٨ ، عبد الرحيم مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٨٣ ، سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٠٦ ٠

(٣) أحمد ، عبد الغفار محمد ، " السودان وديناميكية التنوع " ص ١٠٥ ، المستقبل العربى ، العدد ٨٣ بيروت ، يناير ١٩٨٦م ٠

(٤) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٢١٠٠

** تطبيق السياسة الجنوبيـــة :

فى ظل قانون المناطق المقفولة الذى صدر ونفذ منذ عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢ م ، تهيأ المناخ فى الجنوب لتنفيذ السياسة الجنوبية التى قررت الأدارة البريطانية تطبيقها منذ شهر يناير عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م ، وكانت أولى الفئات التى استهدفتها تلك السياسة فى الجنوب هى ، فئة التجار الشماليين (الجلابة) (*) باعتبارها أنشط الفئات و أكثرها تأثيرا فى نقل الطابع العربى الاسلامى ، وكان رأى الادارة البريطانية حول هؤلاء كما ورد فى الوثائق أن يتم التقليل بصورة تدريجية من عملية منح الرخص التجارية لهذه الفئة من التجار الشماليين للحد من نشاطهم وتأثيرهم دون أن يكون الأمر ملفتا للنظر ، كما يفضل أن تمنح هذه الرخص الى أقلهم خطرا وهم الذين ينحصر اهتمامهم فى التجارة فقط دون غيرها (١) .

وفى مقابل ذلك شجعت الادارة البريطانية فئة التجار الأجانب من النصارى(٢) وذلك بالرغم من أنها كانت تدرك بصعوبة الاستغناء عن التجار الشماليين، لأن معظم التجارة فى مديريات الجنوب بأيديهم ، و ليس هنالك من الجنوبيين من يملأ الفراغ الناجم عن طردهم (٣) — وفضلت السلطات جمع هؤلاء التجار من

---

(١) N.R.O. ,South ,1/18/168 .

* الجلابة ،هم الشماليين الذين يعملون فى تجارة بالجنوب وجلب السلع والبضائع .

(٢) مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية ، ص ٩١ — ٩٢ .

(٣) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٢١٢.

الجلابة فى المراكز ، والطرق الرئيسية للتقليل من عملية التقائهم بالاهالى بشكل مباشر (١) ، وامعانا من الادارة البريطانية فى الحد من أثر التجار على الأهالى فى الجنوب ، وكنوع من التعجيز وضعت الادارة ضمن شروطها أن تكون الرخص التى يتطلبها هؤلاء التجار فى العبور بين مديريتى كردفان ودارفور وبين مديريات الجنوب محررة باللغة الانجليزية (٢) ، وفى مديرية بحر الغزال تم طرد خمسمائة فرد مسلم من منطقة غرب أفريقيا من الذين هاجروا الى المديرية وأقاموا فيها لمزاولة التجارة ، وغيرها منذ فترة طويلة ، فى مركز كافياكنجى حيث تم قفل رئاسة المركز وظل مهجورا الى أن تهدم ، وأشعلت النار فى المسجد وتم احراقه ، وجعلت المنطقة أرضا محايدة بين دارفور وبحر الغزال وغير مسموح بعبورها ، كما أجبرت رئاسة مركز منطقة راجا والارسالية الكاثوليكية على الانتقال غربا حسب رغبة سلطات الأدارة البريطانية وترتب على ذلك انتقال مدينة راجا وتحولها عن مكانها ، وكان القصد من كل ذلك هو رغبة السلطات الاستعمارية فى ازالة المسجدين الذين كانا فى منطقتى راجا وكافياكنجى حيث يوجد

---

(1) N.R.O., South 1/18/169, S.C.R., I.C.6, Report from Governor Bahr El Gazal Province to the Civil Secretary 29.1.1930.

(٢) عبدالرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٤٧ .

بهما نسبة كبيرة من المسلمين الذين حرموا من السكن فى الموضعين السابقين (١)

وتفيد الدراسات الى أن الادارة البريطانية قد سعت الى ترغيب التجار الشماليين للنزوح الى الشمال بغرض التخلص منهم ، وذلك بأن جعلت المسئولين البريطانيين فى الجنوب يقومون فى حذر بتحسس مدى رغبة التاجر بالنزوح من الشمال ، وطلب من هؤلاء المسؤولين عرض مساعدة الحكومة على التاجر الذى يذكر أن الأفلاس يحول دون رحيله ، أما الذين كانت ترى الادارة البريطانية أن ثمة أسباب وجيهة فى نظر السلطات لابعادهم ، وأن هنالك ضرورة ملحة ، للتخلص منهم فان الادارة فى الخرطوم تقترح ذكر أسباب غير مباشرة للتموية مثل (المتجر خال من البضائع) أو (لايؤدى أى عمل) (أو الشخصية رديئة) الى اخره (٢).
وكنتيجة لهذه الاسباب التعسفية ضد التجار الشماليين فقد تناقص عدد التجار بمرور الوقت فى الجنوب ، ويمكن تتبع ذلك فى الجدول التالى :

السنوات	١٣٤٦هـ ١٩٢٧م	١٣٤٩هـ ١٩٣٠م	١٣٥٠هـ ١٩٣١م	١٣٥١هـ ١٩٣٢م	١٣٥٢هـ ١٩٣٣م	١٣٥٣هـ ١٩٣٤م	١٣٥٥هـ ١٩٣٦م	١٣٥٧هـ ١٩٣٨م
عدد التجار	٧٩٥	٦٣٢	٥٨٠	٤٦٦	٤٧٩	٤٣٥	٤١١	٤١٦

---

(1) Karamalla Awad, The Administration of the Sudan Since 1898 , Typewritten , p. 18. Faculty of Low, University of Khartoum, 1957.Vide also Collins R., **The Sudan** , P.26 .

(٢) عبدالرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

والجدول السابق يوضح التناقص فى عدد التجار للفترة من ٤٦ - ١٣٥٧ هـ ،
٢٧ - ١٩٣٨ م (١) .

وبالقاء نظرة على هذا الجدول يتضح أن الفارق بين عدد التجار عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م وعددهم عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م قد أنخفض الى مايقارب النصف ، بالرغم من أن الوثائق تشير الى أن الدوائر الرسمية لم تكن تتوقع أن يستمر الانخفاض بهذه السرعة ، الأمر الذى يدل على مدى فعالية السياسة الجنوبية ضد هذا القطاع - وتنسب السلطات هذا الانخفاض الى مديرية أعالى النيل التى سجلت فى عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م زيادة فى عدد التجار الشماليين بمقدار ١٣ تاجرا عن العام السابق ، وهذه الزيادة ناتجة عن عدم تهرب التجار هذه المرة عن التسجيل كما حدث فى المرة السابقة لأسباب تتعلق بضريبة التجارة ، وتشير الوثيقة الى أن الوضع فى مديرية أعالى النيل يمثل عائقا استثنائيا نظرا لصلة هذه المديرية المباشرة بالسودان الشمالى (٢) .

أما الأنخفاض فى عدد التجار من ٥٨٠ تاجرا عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م الى ٤٦٦ تاجرا فى عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م فقد عزى الى الظروف الاقتصادية نتيجة للأزمة العالمية وأنعكاسها على ركود التجارة ، حيث ترك عدد من التجار الشماليين المناطق الوسطى والغربية لمديرية بحر الغزال بسبب عجزهم عن الاستمرار فى اعمالهم (٣)،

---

(١) F.O.407/217, Enc., in No. 148, from J.Maffey Governor General of the Sudan to Mr. Campell acting High Commissionor for Egypt, Khartoum, April 24,1933. Vide also F.O.,407/219 Enc. in No. 177 , from Symes Governor General of the Sudan to Lampson High Commissioner in Cairo, Khartoum, March 13,1936.

(٢) P.R.O., F.O., 407/217, Enc., No. 148,

(٣) سعودى ، عبدالغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١١٩

بعد الزيادة الكبيرة فى تجارة الفلفل والتى كانت قد شهدتها هذه المناطق فى السابق (١) .

وبما أن السلطات فى الأدارة البريطانية كانت ترغب فى التخلص من أكبر عدد ممكن من هذه الفئة والتى تعتقد بأنها تنزع الى ممارسة تأثير ضار على النظام القبلى الذى يتمثل فى الاقامة الدائمة لهؤلاء التجار الشماليين فى المديريات الجنوبية خاصة فى أعالى النيل ، وذلك بتكوين أسر وعائلات سواء عن طريق الزوجات الشماليات أو الجنوبيات (٢) ، لذلك فان سلطات الخرطوم قد منحت حاكم تلك المديرية صلاحيات تمكنه من اعلان الجزء الشمالى من المديرية الذى كان يعد منطقة يكثر تواجد الشماليين فيها ، باعتبارها منطقة يشملها قرار المناطق المقفولة والذى صدر عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م ، للحد من هجرة التجار الى هذه المديرية قدر الامكان ، وقد ساهم ذلك القرار فى اعطاء حاكم تلك المديرية صلاحيات أوسع للتخلص من المزيد من التجار (٣) .

واستمر تناقص عدد التجار حتى استقر فيما يزيد قليلا عن الاربعمائة فى عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م - بزيادة خمسة تجار عن العام السابق وهى نسبة طفيفة

---

(1) F.O., 407/217, Enc. 1, in No. 136, from Symes Governor General of the Sudan , to Lampson High Commissioner in Cairo, Khartoum, April 14, 1934.

(2) F.O. 407/217, Enc. in No. 177,

(٣) سعودى ، عبدالغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٢٠

لم نجد لزيادتها تبريرا فى المصادر أو المراجع ولكنها ربما تكون نتيجة للتهرب من التسجيل فى الكشوفات الخاصة بالضرائب ٠

وهكذا فقد سارت السياسة الجنوبية فى التخلص من التجار الشماليين وفق الخطة المرسومة ٠ وأدت الغرض المطلوب بنجاح فاق التصور ٠

*** التخلص من اللغة العربية ومايرتبط بها :**

لقد ادرك اعداء الاسلام من النصارى والمستعمرين مااللغة العربية من مكانة وأهمية بالنسبة للاسلام والمسلمين ، فبالاضافة الى كونها لغة كتابهم القرآن الكريم ، وتراثهم الدينى الكبير ، فان لها القدرة على توحيد المسلمين وجمع كلمتهم ، فضلا عن انها الجسر الذى يصل بين المسلمين وبين علومهم الدينية من تفسير وفقه وحديث وتاريخ ولذلك وضعت فى أولويات الخطة فى السياسة الجنوبية التى اتفقت عليها الاطراف الاستعمارية (١)، حيث كتب السير جون مافى حاكم عام السودان الى السير برس لوريت المندوب السامى لبريطانيا فى القاهرة فى عام ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩م ما يأتى : (ينبغى أن يختفى استخدام اللغة العربية فى أوساط الجنوبيين ، فيما ينبغى فى ذات الوقت أن تعمل السياسة العامة التى فرضت بشكل نظرى لعدة سنوات والتى تجعل اللغة الانجليزية لغة الدواوين الحكومية) (٢) ٠

---

(١) أبو عباءة ، ابراهيم "لغتنا العربية والضرب فى العمق" ص ٩ ، المسلمون السنة ٧ ، العدد ٣٥٣ ، ٢ جمادى الاولى ١٤١٢ هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٩١م ، ، سعودى ، عبد الحق وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٩٨ -

(٢) F.O., 407/210, Enc. in No. 187 .

وقد جاءت هذه الخطوة الاستعمارية فى الوقت الذى كان الاهالى فى الجنوب ينظرون الى اللغة العربية كلغة عصرية حديثة ، بدأت تأخذ مكانها بين القبائل ذات اللهجات المتعددة ، كاداة اتصال تصلح للتخاطب فيما بينها ، ولكن التعاون بين الأدارة البريطانية والارساليات التنصيرية قد حاولت تعطيل التطور الطبيعى لها كلغة مشتركة (١) .

ويبدو أن الانتشار الكبير للغة العربية فى الجنوب قد جعل تصريحات بعض المسؤولين فى الادارة البريطانية تنم عن يأس واضح فى سبيل الوصول الى نتائج ايجابية ترضى طموحاتهم للتخلص من وجودها كلغة لها صفات حضارية ملموسة وقد عبر عن هذا اليأس السكرتير الادارى ماكمايكل فى قوله : (أنه ليس من السهل أن تنتشر فى منطقة واو مجموعة اللغات المحلية فالسكان لاينتسبون الى قبيلة محددة كالدينكا أو الزاندى ، وأنا أشك فى أنهم سيستخدمون لغة أخرى كبديل للغة العربية) (٢) .

كما يعكس هذا القول نقطة الضعف فى استخدام اللهجات المحلية كلغة بديلة أسوة باللغة الانجليزية التى انحصرت فى خريجى مدارس الارساليات التنصيرية (٣) .

---

(١) مصطفى ،محمد فوزى ،الثقافة العربية ،ص ٩٤.

(٢) N.R.O., South 1/18/169,

(٣) مصطفى ،محمد فوزى ،الثقافة الغربية ،ص ٩٥.

ولذلك فان تقارير المسؤولين حتى عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ، لم تسجل أى تقدم يذكر بالنسبة لازالة اللغة العربية ومنعها من الانتشار ثم استخدام اللغة الانجليزية واللهجات المحلية بدلا عنها (١) ٠

وعليه فان الخطة التى تضمنتها السياسة الجنوبية فيما يختص بالتخلص من اللغة العربية واستخدام الانجليزية واللهجات المحلية كبديل مناسب هى بذل المزيد من الجهد لاتمام هذه الخطوة ، حيث صدرت الأوامر الى مفتشى المراكز فى الأقاليم الجنوبية وخاصة اقليم بحر الغزال أن يقوموا بمطالبة التجار باستخدام الأنجليزية واللهجة المحلية فى معاملاتهم ، والامتناع عن استخدام اللغة العربية ، وفى هذا الصدد فقد تم ابلاغ جميع التجار بأنه يتوقع مبادرتهم الى تعلم اللغة الانجليزية ، بمن فيهم وكلاء الفروع التجارية الذين يجيدون التحدث باللهجات المحلية (٢) ٠

كما تقرر أيضا أن تكون اللغة الانجليزية هى اللغة المتداولة فى المكاتب الرسمية (٣) ، حيث شهدت السنوات الاربع الأولى بعد تطبيق السياسة الجنوبية بداية تعليم اللغة الانجليزية فى أوساط الجيش والشرطة ، وتشجيع استخدامها

---

(١) موسى ، فيصل محمد ،" الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية" ،ص ٨١ – ٨٢ مجلة دراسات أفريقيا ، العدد ١ ، ١٤٠٥هـ ٠

(٢) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٢١١– ٢١٢٠

(3) N.R.O. ,SOuth, 1/18/168 .

بواسطة الموظفين والعاملين فى المكاتب المحلية للحكومة الاستعمارية (١) وقد أشار الحاكم العام سايمز Saymes فى تقريره لعام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م حول تقييمه للجهود المبذولة فى هذا الأمر فقال : (انه بالرغم من الأنبهار والجاذبية نحو ماهو جديد ، فان ذلك لم يعد عاملا مهما ، لأن الرغبة فى تعلم اللغة الانجليزية متحققة بدرجة كبيرة فى المديرية الاستوائية ، وبعض المناطق الأخرى ، حيث لاتوجد لهجات محلية تستخدم كلغة تخاطب فى أوساط العمال الصغار والمجندين ، ويبدو أن تقدما ملحوظا سوف يستمر مع تبسيط اللغة الانجليزية وتركيز الجهود) (٢) ، ولكن التفاؤل الذى ظهر فى تقرير الحاكم العام أثبتت الوثائق الصادرة فى عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م أنه مرهون بالافتقار الى المدرسين المدربين ليتسنى اتمام المشروع الذى يهدف الى ادخال الانجليزية بين أفراد الشرطة ، والجيش وتشجيع استخدامها بواسطة موظفى الدولة المحليين (٣) .

وللحد من أنتشار اللغة العربية فى الجنوب فى اطار خطة السياسة الجنوبية ، فقد رأت الادارة البريطانية أن يكون نهر (بحر العرب) حدا فاصلا بين قبائل البقارة (*) وقبائل الدنيكا النيلية (٤) .

---

(1) F.O.407/217, Enc.1, in No. 136,
N.R.O. South 1/18/167, from Brock Governor Bahr El Ghazal Province to Secretary for Education and Health, Wau 11.3.1930
(2) F.O., 407/217, Enc., 1. In No. 136,
(3) F.O., 407/219, Enc.1 in No. 177,
(٤) مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية ، ص ٩١
(*) من القبائل العربية الرحل فى اقليم كردفان ودارفور وتعتمد على رعى الابقار

بجانب ذلك فقد أجريت العديد من التعديلات بالنسبة لحقوق الرعى لحرمان العرب من التلاحم والاتصال بالاهالى فى الجنوب (١) ، وتبعا لذلك فقد أتخذت اجراءات لمحاربة التأثيرات الناتجة عن الاتصالات السابقة بين العرب فى الشمال والأهالى فى الجنوب مهما صغرت ، حيث صدرت الأوامر الى التجار والرؤساء والاهالى بايقاف بيع وشراء وصناعة واستخدام الملابس العربية ذات الطابع الشمالى فى عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م ، بعد مضى حوالى سبعة أشهر من منشور السكرتير الأدارى الخاص بالسياسة الجنوبية (٢) ، ولامانع من أن تكون ذات فتحة أمامية أو على الطريقة الأوربية (٣) مما يدل على أن تدخل الادارة البريطانية قد بلغ حد حرمان الأهالى حتى من الزى العربى الذى ألفوه .

كما صدرت أوامر أيضا الى زعماء القبائل وأتباعهم بأن يتخلوا عن الأسماء العربية ويتخذوا أسماء محلية (٤) ، وفى حالة ظهور أى تردد فى ذلك خلال فترة محددة فان الفرد يمنح رقما كبديل لاسمه العربى أو تفرض له الكنيسة اسما مثل فيليب ، أو جيمس (٥) .

---

(١) بخيت ،جعفر محمد علي ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٢١٣ .

(2) N.R.O., South 1/18/177, 16.B.2., District Commissionor, Western District to the Governor B. El Ghazal, 8.8.1930.

(٣) بخيت ، جعفر محمد علي ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص٢١١-٢١٢

(4) N.O.R., South 1/8/177, op.cit.

(5) Awad, Karamalla, The Adminstration of the Sudan, P.18 .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه غير مسموح للشماليين بالتزوج من النساء الجنوبيات ، وسلطات الأدارة البريطانية فى الجنوب كانت لاتجيز ذلك الا فى حالات نادرة ويجب الحصول فيها على اذن خاص من مفتش المركز ، وفى هذه الحالة يكون هنالك التزام من الزوج بتبعية الأولاد للأم فى المستقبل (١) ، وهذا الاسلوب يكشف عن مدى رغبة الاستعماريين للحد من انتشار الاسلام ، واللغة العربية وكل مايرتبط بها فى حياة الناس ، ومعيشتهم دون مراعاة لأبسط حقوق الانسان فى أن يعيش طالما أنه لم يخالف شرعا أو قانونا .

** استبعاد الموظفين الشماليين من الجنوب :

كان ضمن اطار تنفيذ خطة السياسة الجنوبية التى وضعها السكرتير الأدارى ماكمايكل ، استبعاد الموظفين من الكتبة والاداريين والفنيين من السودانيين والمصريين من جنوب السودان (٢) ، لما لهم من آثر فى نشر الاسلام واللغة العربية وهو آمر يتفق مع الخطة الرامية فى المستقبل الى فصل الجنوب فصلا تاما عن الشمال المسلم واضافته الى دول وسط وشرق آفريقيا الاستوائية (٣) ولذلك فقد كان استبعاد الموظفين الشماليين خطوة مهمة فى سياسة الجنوب الا ان استبعادهم لايمكن أن يتم دفعة واحدة لكفاءتهم وخبرتهم العالية ، وليس هنالك بديل مناسب من الجنوبيين يمكن أن يملأ الفراغ بدلا عنهم ، كما أن الازمة الاقتصادية العالمية لاتسمح بتوفير عدد من البريطانيين لرواتبهم العالية ،وعليه

(١) بخيت ،جعفر محمد علي ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٢١٥ ،
مصطفى ،محمد فوزى ،الثقافة العربية ،ص ٩١..

(2) N.R.O., South 1/18/168 ,

(٣) عبدالرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٤٠ .

فان التخلص من الموظفين الشماليين ، فى تلك الفترة لم يكن سياسة عملية (١) فالمصلحة الاستعمارية فى الوقت الحاضر كانت تتطلب التخلص منهم تدريجيا أسوة بالتجار الشماليين وهى سياسة تتمشى مع رغبة الادارة الاستعمارية فى الخرطوم بعدم اشارة انتباه الاخرين لما يجرى فى الجنوب ضد العرب المسلمين الشماليين ومن خلال الجدول التالى يمكن متابعة هذه السياسة ، التى تهدف الى استبعاد الموظفين الشماليين تدريجيا من الجنوب •

الموظفين	١٣٥٠هـ ١٩٣١م	١٣٥١هـ ١٩٣٢م	١٣٥٢هـ ١٩٣٣م	١٣٥٣هـ ١٩٣٤م	١٣٥٥هـ ١٩٣٦م
(أ) الاداريين :					
جملة الاداريين بالجنوب	٦٦	٥٧	٥٥	٥٤	٥٢
جملة غير المسلمين	٥٢	٤٣	٤٣	٤٤	٤٣
النسبة المئوية لغير المسلمين	٧٩٪	٧٥٪	٧٨٪	٨٢٪	٨٣٪
(ب) الكتبة :					
جملة الكتبة بالجنوب	١٣٦	١٦٠	١٦١	١٤٧	١٤٨
جملة غير المسلمين	٦٥	٧٢	٧٩	٧٨	٨٥
النسبة المئوية لغيرالمسلمين	٤٨٪	٤٥٪	٤٩٪	٥٤٪	٥٧٪
(جـ) الفنيين :					
جملة الفنيين بالجنوب	١٩٢	٢٤٥	١٦١	١٧٥	٢٢٦
جملة غير المسلمين	٧١	١١٨	٧٢	٧٧	٩٤
النسبة المئوية لغيرالمسلمين	٣٧٪	٤٨٪	٤٥٪	٤٤٪	٤١٪

---

(١) F.O., 407/210, Enc. in No. 187 .

والجدول السابق يوضح سياسة استبعاد الموظفين الشماليين من الجنوب للفترة مابين ١٣٥٠هـ/١٩٣١م الى ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م (١) .

ومن الجدول السابق يمكن متابعة تنامى نسبة غير المسلمين بشكل عام فى تقلد الوظائف الادارية والكتابية والفنية بالجنوب ، وهى سياسة تقررت وفقا لمرسوم السكرتير الادارى للسياسة الجنوبية عام ١٣٤٩/١٩٣٠م ، باحلال غير المسلمين كمستخدمين فى الجنوب بدلا عن الشماليين (المسلمين العرب) وبذلك يلاحظ فى الجدول أن النسبة المئوية لغير المسلمين فى السلك الادارى بالجنوب قد أرتفعت من ٧٩٪ عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م الى ٨٣٪ فى عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م بينما يلاحظ أيضا انخفاض العدد الكلى لجملة الاداريين بالجنوب لتلك الفترة ، الأمر الذى يؤكد انخفاض نسبة المسلمين من الشماليين بنسبة مئوية تعادل ٤٪ تقريبا أما بالنسبة لفئة الكتبة من الموظفين بالجنوب فانه يلاحظ من الجدول أن النسبة المئوية لغير المسلمين قد أرتفعت من ٤٨٪ عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م الى ٥٧٪ عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ، مما يشير الى انخفاض فى نسبة المسلمين من الكتبة بالجنوب بمقدار ٨٪ تقريبا فى تلك الفترة ، وينسب التباطؤ الذى حدث عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م فى تقدم هذه السياسة بالجنوب الى رغبة الادارة البريطانية فى تخفيض النفقات فى شمال السودان ، مما أدى الى فقدان الوظائف الشاغرة التى كان من الممكن نقل الشماليين من الجنوب اليها (٢) ، ثم وضع غير المسلمين مكانهم .

---

(1) F.O., 407/217, Enc. No. 148.
Vide also F.O., 407/219, Enc. 1 in No. 177,

(2) F.O. 407/217, Enc.1 No. 148,

أما فيما يختص بقطاع الفنيين العاملين فى الجنوب فيتضح من الجدول ارتفاع نسبة غير المسلمين من ٣٧٪ عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م الى ٤٨٪ فى عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ثم انخفاضها بالتدرج حتى استقرت فى عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م عند ٤١٪ ويعود ذلك الى أساب منها :

- أولا :

أنه كان قد أضيف فى عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م مجموعة من المراكبية ، وعمال البواخر ورجال خطوط البرق الى جملة الفنيين فى الجنوب فأرتفع العدد كما هو فى الجدول من ١٩٢ حتى عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م الى ٢٤٥ حتى فى عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م وتم حذفهم من الاحصاء فى العام التالى وكان معظمهم من الجنوبيين (١) ٠

- ثانيا :

أشارت الوثائق الى أن الانخفاض فى نسبة الفنيين الذين يتم توظيفهم من غير المسلمين يعود الى ضباط الصحة ومعظمهم من مواطنى الشمال وكانت الحاجة الى توظيفهم مازالت مستمرة حتى تتمكن السلطات من تدريب مواطنى الجنوب فى وقت لاحق بتقلد هذه الوظائف (٢) ٠

---

(١) سعودى ، عبدالغنى ، وآخرون ، _مشكلة جنوب السودان_ ، ص ١١٥

(2) F.O., _497/219_, Enc. 1 in No. 177,

- ثالثا :

تنامى الحاجة الى فئة المساعدين الطبيين من الفنيين الذين ترى الادارة أن استبدالهم بالجنوبيين يجب أن يكون بطئ نسبيا فى هذا المجال (١) .

وبذلك يتضح أن انخفاض نسبة المسلمين من الفنيين بلغت ٤٪ تقريبا فى تلك الفترة ، وهكذا فقد سارت السياسة الجنوبية فى تنفيذ مخططها نحو احلال غير المسلمين فى الوظائف بالجنوب بشكل أثر على الوجود العربى الاسلامى الى حد ما وذلك بالرغم من الاضطراب الذى حدث فى السنوات الاولى لتطبيق هذه السياسة عقب عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م ، كما هو فى الجدول ، ويعود ذلك الاضطراب الى رغبة الادارة البريطانية فى استبقاء نسبة من الشماليين بالجنوب والتدرج فى استبعادهم ، للمحافظة على حد أدنى من الفعالية فى الأداء الوظيفى على الأقل (٢)

ويمكن أن نخلص فى النهاية الى أن السياسة الاستعمارية لبريطانيا كانت تهدف من وراء خططها المعادية للشماليين فى جنوب السودان الى التخلص من وجودهم ، وازالة آثارهم العربية الاسلامية ، وذلك من أجل تحقيق اكبر قدر ممكن من العزلة لجنوب السودان عن أى روابط أو صلات ثقافية نحو شطره الشمالى وبذلك تصبح عملية التمهيد لفصل الجنوب قد تقدمت خطوات كبيرة جدا تحت مظلة

---

(1) F.O., 407/217 , Enc. No. 136,

(2) F.O., 407/217 , Enc. No. 148,

قانون المناطق المقفولة الذى أعلنه السير لى ستاك عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م ومنشور ماكمايكل الخاص بالسياسة الجنوبية عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م الذى توخت فيه السياسة البريطانية سرية تامة حتى لاتثير مشاعر السودانيين الشماليين ضدها نتيجة لمواقفها من الوجود العربى الاسلامى فى الجنوب فهل أفلحت فى ذلك ، هذا ماسيرد عنه الجواب فى المبحث القادم ٠

* * *

* المبحث الثانى *

الموقف فى الشمال من السياسة البريطانية فى الجنوب

واجهت الادارة البريطانية فى السودان ، منذ الاحتلال ، وحتى قيام الحرب العالمية الأولى عدة حركات معارضة ، متفرقة فى أجزاء مختلفة من البلاد وكانت معظم هذه الحركات بهذه المعارضة تعبر عن رفضها للاستعمار الأجنبى .

وقد كانت المعارضة فى الشمال تحدث فى اطار جماعات قبلية صغيرة تهدف لمقاومة الادارة الجديدة فى السودان من خلال مفاهيم دينية خاطئة ترتبط بادعاء المهدوية فى أغلب الاحيان ، وكانت تستغل موضوع الجهاد فى الاسلام فى معظم الأحوال (١) ، أما فى الجنوب فقد انحصرت المعارضة فى تمرد القبائل الجنوبية انطلاقا من مفاهيم قبلية بعدم الخضوع لأى سلطة أجنبية (٢) ، ولم يكن من حركات المعارضة السابقة سواء فى الجنوب أو الشمال صدى فى أرجاء القطر أو تأييد شعبى عام ، بحكم أنها حركات قبلية صغيرة يعوزها التنظيم والتخطيط السليم بجانب أنها تفتقر الى الشمول الذى يمكن أن يستنفر كافة الهمم ، ويساعد بالتالى فى تحقيق الهدف .

وقد أقدمت الادارة البريطانية فى السودان على اخماد تلك الحركات فى فترة حكم كتشنر ورجنالد ونجت بأقصى درجة من الصرامة والعنف (٣) ، مما

---

(١) بشير ،محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ،ص ٧٢ — ٧٥ .

(٢) مرقص ،يواقيم ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٥٤

(٣) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فىالسودان ، ص ٨٢ .

أدى الى فشلها وزوالها ، ولكن المعارضة لم تتوقف وانما تغير الأسلوب ، حيث ظهرت على الساحة حركات للمعارضة اكثر شمولا وتنظيما ، وذلك فى بداية عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م ٠

والدليل على شمول تلك الحركات هى أنها بجانب اهتمامها بسوء الأوضاع فى الشمال من جراء وظلم الاحتلال البريطانى ، كانت تهتم من جهة أخرى بالاوضاع المتردية فى الجنوب ، والذى يعمل الاستعمار البريطانى على عزله ومعاملته بشكل منفصل عن الشمال ، وقد وجدت صيحات المعارضة التى انتظمت فى الشمال صدى وتجاوبا لها فى الجنوب ، مما كان له نتائج ايجابية بشكل كبير ، وهو دليل قوى على عمق الروابط بين الشمال والجنوب ، وكانت الادارة البريطانية ترغب فى فصم هذه الروابط قدر الامكان ٠

وقد تميزت حركات المعارضة الوطنية فى الشمال بظاهرة ايجابية تجاه الاستعمار البريطانى فى منطقة وادى النيل بشكل عام ، أدت الى دعم هذه المعارضة فى جميع أنحاء البلاد دون أن يكون هنالك استثناء لمناطق الجنوب التى حاولت الادارة البريطانية عزلها عن أى مشاركة للشمال وبشكل خاص فى المقاومة للاحتلال البريطانى ٠

وقد تمثلت هذه الظاهرة فى التنسيق بين حركات المقاومة المصرية وحركات المقاومة السودانية فى الجنوب والشمال ضد الاحتلال البريطانى فى وادى النيل رغم محاولات الاستعمار تعكير صفو هذه العلاقات واستمراريتها ، فالسودان منذ القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى كان يعتبر من الناحيتين

الثقافية والسياسية بمثابة امتداد عربى لمصر الاسلامية وهو امتداد متوغل داخل الحضارات الزنجية لأفريقيا الاستوائية (١) .

ومصر على الرغم من استقلالها رسميا فى عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م فانها كانت فى تلك الفترة لاتزال كالسودان تحت السيطرة البريطانية الحقيقية وهى بالتالى حليف طبيعى بالنسبة للسودان ضد العدو المشترك ، وقد فضلت حركات المقاومة السودانية أن تشرك نفسها فى التنسيق مع المصريين للحصول على دعمهم وتأييدهم (٢) ، ثم الاستفادة من تجربتهم فى هذا المجال .

وبالرغم من أن ولاء السودانيين قد أنقسم منذ تلك الفترة بين فريقين فريق مؤيد لبريطانيا ، وينتظر منها أن تعمل لاعداد السودانيين للاستقلال وفريق آخر يرى فى الوحدة مع مصر فرصة للحصول على الاستقلال ، وعلى الرغم من ذلك فان التخلص من فساد ومساوىء الاستعمار البريطانى كان محل اتفاق بين الفريقين نتيجة للاضرار الحقيقية الناجمة عن السياسات الاستعمارية فى شمال السودان وجنوبه ، اذ أن ارتفاع الاسعار والضرائب واحتكار الحكومة للسكر وسوء نظام الترقية فى الحكومة المدنية ، وسياسة الاراضى المتعلقة بمشروع الجزيرة (٣) ، فضلا عن تردى الاوضاع فى الجنوب نتيجة للسعى الى فصله عن شمال

---

(١) المحامى ، أحمد خير ،كفاح جيل ، ص ٣٧ ، بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ١٧ .

(٢) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ١٠٣ .

(٣) بشير ،محمد على ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ٩٥ ،المحامى، أحمد خير ،كفاح جيل ،ص ٢٠ - ٢١ .

البلاد ، كانت جميعها سياسات خاطئة تستوجب الكفاح للتخلص من الاستعمار الذى تسبب فيها .

وكان المنشور الذى وزعه كاتب مجهول عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م عن طريق البريد الى عناوين بعض الشخصيات القيادية المعروفة فى الشمال بتوقيع (ناصح وطنى أمين) بمثابة تعبير حقيقى للموقف فى الشمال من الادارة البريطانية وسياستها فى السودان ، بما فيه الجنوب ، وقد تضمن المنشور مآسى الحكم البريطانى فى السودان بكامله دون استثناء ويمكن تلخيص ماورد فى المنشور فى النقاط التالية :

١) السياسة البريطانية قائمة على مبدأ فرق تسد .

٢) ان الادارة البريطانية صادرت الأراضى من ملاكها لصالح الشركات الاجنبية .

٣) ادعى البريطانيون أن فتحهم للسودان كان بغرض القضاء على تجارة الرقيق لكن ذلك كان كذبا وبهتانا لأنه لم تكن هنالك تجارة للرقيق بل كان هناك رسل للحضارة من جانب الادارة التركية المصرية الى ابناء الجنوب لأن الاتراك والمصريين مسؤولين عن ادارة البلاد .

٤) أجبر السودانيون بواسطة البريطانيين على دفع ضرائب باهظة ، وأجبر أبناء السودانيين على دراسة المسيحية ، كما أجبر الجنوبيون على اعتناق المسيحية . (١) .

---

(١) بشير محمد سعيد ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ٩٤ ، عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان . ص ٩٢-٩٣

وناشد كاتب المنشور السودانيين الى توحيد الصف مع المصريين لتحرير مصر والسودان من الاحتلال البريطانى ، ولماوقع المنشور فى أيدى السلطات البريطانية وترجم الى الانجليزية وأرسلت صورة منه الى اللورد أللنبى Allenbey المندوب السامى فى مصر الذى أرسلها بدوره الى أعضاء الادارة البريطانية فى لندن ، وقد كشف المنشور مدى تأثر السودانيين بحركة المعارضة فى مصر (١) كما كشف من ناحية اخرى نمو الوعى السياسى فى البلاد (٢) . وبداية التطور لحركة المعارضة من ناحية الاسلوب ، والشمول لكل قضايا الوطن فى الشمال والجنوب .

ويعتبر ابرز مافى هذا المنشور فيما يتعلق بالجنوب المقارنة غير المقصودة لدور كل من الادارة المصرية فى الجنوب فى فترة الحكم التركى المصرى ، وبين الادارة البريطانية فى الفترة التى تلتها فبالرغم من أن الادارة التركية السابقة ، كانت تمثل دولة اسلامية ، فانها لم تفكر أبدا فى فرض الاسلام على الجنوبيين الوثنين بل أتاحت لهم الفرصة للتعرف على الاسلام من خلال وجودها فى المنطقة ، كما أنها لم تمنع الجنوبيين من اعتناق المسيحية بدليل أنها تسامحت معالارساليات التى كانت تدعو بعض الجنوبيين الى النصرانية (٣) ، وذلك بخلاف دور الادارة البريطانية فى الجنوب حيث استغلت هيمنتها على الاوضاع فى

---

(١) عبدالرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٩٢ .

(٢) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ٩٦ .

(٣) Grav R., Ahistory of The Southern sudan, P. 25

الجنوب ، وفرضت النصرانية على الجنوبيين وتحيزت ضد المسلمين من الشماليين والجنوبيين وحاربتهم فى معيشتهم وأطلقت الحرية للكنائس النصرانية والارساليات بممارسة سياسة غير مسؤولة تجاوزت فيها كل الحدود والاعراف الانسانية باستغلال الجنوبيين لتحقيق أهدافها فى الحرب على الاسلام (١) ، والمنشور فى هذا يدافع عن حقوق الجنوبيين فى ممارسة حقهم الطبيعى فى ألا تفرض عليهم النصرانية وبالتالى فان الحرية الدينية من الناحية الاخلاقية يجب ان تكون مكفولة للجميع كما تدعى العديد من الهيئات النصرانية الغربية ، ويعتبر هذا تطورا بارزا لحركة المعارضة فى الشمال ضد السياسة البريطانية وقد مهد هذا المنشور بروز تطور اخر على الساحة جسد فكرة التضامن بين الجنوب والشمال بصورة أوضح ضد السياسة البريطانية تمثل فى حركة اللواء الابيض .

** حركة اللواء الأبيض :

تعتبر حركة اللواء الابيض ، احدى الحركات السرية التى نشأت فى تلك الفترة ، ويعود تأسيسها الى الملازم على عبد اللطيف (*) عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٨١

(*) ولد على عبد اللطيف فى مدينة حلفا فى شمال السودان عام ١٨٩٢م ويعود اصله الى قبيلة الدينكا وهى احدى القبائل النيلية الكبرى فى جنوب السودان ترك والده كتائب الجهادية والتحق بالجيش المصرى وانتقل مع والده الى الخرطوم حيث اتم تعليمه الابتدائى والتحق بالمدرسة الحربية وتخرج منها سنة ١٩١٤م برتبة ملازم ثانى ،ثم انتقل بعد ذلك اثناء الخدمة كادارى فى الجيش المصرى بالسودان حتى نال رتبة نائب مأمور وأشتهر بطيب المعشر ودماثة الاخلاق والشجاعة والمروءة ، وقاده ذكاؤه الى القيام بمهمة نشر الوعى السياسى بين زملائه دون تمييز للجنوب والشمال ، وكان منزله ناديا للسمر والمناقشة فى الامور العامة وبرزت شهرته السياسية عام ١٩٢٢م وأسس حركة اللواء الابيض فى العام التالى . شبيكه ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ٥٢٤/٥٢٥ . ضرار، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٢٤٠ .

وتعود أهمية هذه الحركة الى أن مؤسسها مسلم وينتمى الى منطقة الجنوب الذى كانت تعمل سياسة الادارة البريطانية على فصله عن الشمال ، فى الوقت الذى تبنت فيه تلك الحركة بقيادة مؤسسها الجنوبى فكرة بعث الوعى السياسى ضد السياسة البريطانية فى السودان ، وعندما اكتشفت السلطات توجه الحركة الخطير بالنسبة لها صادرت جميع المستندات الخاصة بها (١) ، وتبع ذلك طرد مؤسسها من الجيش عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م نتيجة لخلافه مع أحد الضباط البريطانيين الذى أبدى نوعا من التعالى فى التعامل معه ، ولم يثن ذلك على عبد اللطيف عن عزمه فى التقدم الى صحيفة محلية هى (الحضارة) كانت تصدر انذاك ، بمنشور يعتبر مناهضا للسياسة البريطانية وطالب بنشره تحت عنوان (مطالب الامة السودانية) وقد وقع المنشور فى يد السلطات الحاكمة فأمرت باعتقاله ، وحكم عليه بالسجن لمدة سنة واحدة خرج بعدها ليؤسس حركة اللواء الأبيض فى عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م .

ولاشك أن انشاء تلك الحركة فى ذلك الوقت يعد بمثابة انتصار لوحدة الشعب السودانى الذى تسعى الادارة البريطانية الى تفتيت تماسكه فى الجنوب بشكل خاص ، وقد اكد ذلك اتخاذ الحركة لشعار يجسد هذه الوحدة فى المنطقة وكان هذا الشعار هو علم أبيض رسم عليه وادى النيل ووضع فى احدى زواياه علم مصر الاسلامية * (٢) ، كتأكيد للتضامن بين الشعوب الاسلامية فى المنطقة .

---

(١) الحامى ، أحمد خير ، كفاح جيل ، ص ٢٨ .

(٢) عبدالرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٩٣ — ٩٤ .

* علم مصر الاسلامية كانت أرضيته خضراء وفى وسطه هلال وثلاث نجوم

وقد ساعد على نجاح الحركة أنها تمكنت من تكوين عدة فروع سرية لها فى المدن الكبرى من السودان الشمالى ، وضمت الحركة نخبة من ضباط الجيش وموظفى الحكومة وبعض الطلاب والتجار ، وخلال فترة وجيزة كسبت الحركة عددا كبيرا من المتعاطفين والمؤيدين كما قبلت الحركة عضوية بعض الوطنيين المصريين بصورة سرية والذين كانوا يلتزمون بحضور بعض الاجتماعات مع قادة الحركة (١) .

وهكذا فقد برز على عبد اللطيف بقيادته لتلك الحركة كبطل وطنى فى نظر فئة المثقفين تمكن من تنظيم حركة شعبية ضد الأوضاع السائدة فى الجنوب والشمال ولما كانت قوة الحركة ممثلة فى مجموعة من ضباط الجيش الجنوبيين والشماليين ثم فئة المثقفين خريجى كلية غردون بالخرطوم ، فقد بدأت السلطات فى الادارة البريطانية تشعر بالقلق خاصة بعد أن أحست بأن ثمة رابطة سياسية هامة تجمع بين المصريين فى السودان ، وبين صفوة المتعلمين والمثقفين فى تلك الفترة (٢) وهذا بالتالى يؤدى الى تزايد مخاوف السلطات فى الادارة البريطانية من توجه هذه الصفوة نحو أقامة علاقات أوثق مع مصر .

** ثورة عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م :

حققت الحركة شهرة واسعة فى مختلف أنحاء البلاد وبدأ التذمر ضد مساوىء الادارة البريطانية فى الريف والاقاليم الجنوبية حيث ظهرت بوادر التوتر التى يدعمها ضباط الجيش وبعض التجار من الشماليين تضامنا مع حركة اللواء الأبيض

---

(١) بشير ، محمد عمر ، الحركة الوطنية فى السودان ، حتى ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) يحيى ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٤١

وفى عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م تقدمت الحركة باحتجاج الى السلطات البريطانية ضد ما أطلقت عليه " الطرق الخفية التى تتبع لفصل السودان عن مصر " (١) فما كان من السلطات الاستعمارية الا أن شرعت فى اتخاذ الاجراءات بهدف القضاء على حركة اللواء الابيض ، وقبضت على زعيمها على عبد اللطيف حسب نصيحة مكتب المخابرات قبل أن يتمكن من الحصول على أى دعم من المصريين والقيام بأى تحركات قد تربك الادارة البريطانية ، ثم حكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات (٢) ، وكان قد تولى الدفاع عنه أحد المحامين المصريين (٣) .

ولاندرى اذا كان ذلك الاحتجاج الذى تقدمت به الحركة قد تضمن سياسة الفصل الذى تعمل الادارة البريطانية فى التمهيد لها بين شمال السودان وجنوبه بحكم أنها سياسة باتت معروفة لدى الشماليين فى اثر صدور قانون المناطق المقفولة فى عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٢م ، وماترتب عليه من سياسة متعمدة لابعاد الشماليين والمصريين عن الجنوب ، لانهم من العرب المسلمين ، وهى فئات لاترغب سلطات الادارة البريطانية تواجدها فى الجنوب ، أم أن ذلك الاحتجاج اقتصر على فصل السودان عن مصر ، وهو أمر كانت تقتضيه أولويات كانت لها أهمية خاصة وربما أن هذه الأهمية لدى الحركة كانت تمليها ضرورة (تكتيكية) حيث أن فصل السودان عن مصر يكاد يكون قد وقع بالنسبة الى السياسيين السودانيين وذلك

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ،ص ١٠٣ .

(٢) بخيت ،جعفر محمد على ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٩٥.

(٣) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٩٥ .

باعلان استقلال مصر رسميا فى عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٢م دون أن يصدر من البريطانيين مايفيد بشأن مستقبل السودان ، هذا فضلا عن أن مصر كانت تمثل ركيزة أساسية فى دعم المقاومة والكفاح بالنسبة الى حركة اللواء الابيض فى ذلك الوقت بدليل أن الثورة التى أنتظمت فى مدن السودان عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م بما فيها مدن الجنوب ، وجهت فيها الادارة البريطانية اللوم الى العناصر المصرية فى السودان (١) ٠

وقد أثار نبأ اعتقال على عبد اللطيف وسجنه زملاءه طلبة المدرسة الحربية الذين خرجوا بأسلحتهم فى التاسع من أغسطس الذى يوافق عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م الى الشارع العام واتجهوا الى منزل على عبد اللطيف ثم الى المسجد ، حيث انضم اليهم عدد من المواطنيين المؤيدين فى تظاهرات كبيرة الى السجن ، ونادوا بحياة على عبد اللطيف والتزام الكفاح مع مصر ضد الاستعمار البريطانى ثم عاد موكب المتظاهرين الى المدرسة الحربية مرة أخرى فوجدوها قد حوصرت بقوة عسكرية من الجيش البريطانى حيث أمروا بتسليم أسلحتهم وتم اعتقال قادتهم (٢)٠

وأنتشرت التظاهرات بعد ذلك فى مختلف مدن السودان وتحركت الثورة فى منطقة شندى وملكال والابيض وأم درمان ، ودنقلا لمدة ثلاثة أشهر متتالية (٣)وكان مكتب المخابرات قد حذر من خطر الثورة بين الوحدات السودانية بحاميات الجيش

---

(١) بخيت ،جعفر محمد على ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ١٠٦ ،
المحامى ،أحمد خير ، كفاح جيل ،ص ٥٧ ٠

(٢) راضى ،نوال عبد العزيز مهدى ،رياح الشمال ،ص ٤٥ ٠

(٣) بشير ،محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ،ص ١١١ ٠

المصرى ، وكانت تصفهم بالضباط السود المنحدرين من سلالات الرقيق وتعتبرهم العنصر الأكثر تأثرا سياسيا أو ذوى الخطر سياسيا من المفصولين وهى اشارة واضحة الى الجنوبيين من الضباط الذين ينتمون لحركة اللواء الأبيض فى الشمال وعلى عبد اللطيف واحد منهم (١) •

وقد أصبحت هذه النغمة سياسة مألوفة من البريطانيين للتفرقة بين الشماليين والجنوبيين خاصة فى تلك المرحلة من المقاومة للاستعمار البريطانى •

ويعتبر دور الوحدات العسكرية فى التضامن مع ثورة عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م •• فى كل من منطقة واو بمديرية بحر الغزال ومنطقة ملكال فى مديرية أعالى النيل نوعا من التجاوب مع المقاومة فى الشمال لتوحيد الكفاح ضد الاستعمار ، وكان الضباط المصريون والسودانيون فى الوحدة العسكرية بمدينة واو فى منطقة بحر الغزال قد أعلنوا استنكارهم على طريقة رفع العلم المصرى النحو الذى يعتبر فيه اساءة لمصر ، واعتبرت المخابرات أن الضباط الذين ينتمون الى حركة اللواء الأبيض وراء حوادث الاثارة والعنف ، وربما أن هنالك خطة موحدة لاثارة حوادث مماثلة لتكون دليلا على أن الجنوب كالشمال فى تذمره من الاستعمار البريطانى (٢) وعلى كل فقد تم اتهام ستة من الضباط ، وفى محكمة عسكرية شكلت لمحاكمتهم تقرر

---

(١) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان ، ص ٩٦

(٢) دياب ، أحمد ابراهيم ،" دور الوحدات العسكرية السودانية فى ثورة عام ١٩٢٤م " ص ١٦٩ – ١٩٢ المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١٧ ، القاهرة ٢١٩ •

نقلهم الى القاهرة (١) ، أما الوحدة العسكرية فى منطقة ملكال بمديرية أعالى النيل فقد وقعت بها أحداث خطيرة أثناء احتفال أقيم بعيد الأضحى وكان الاحتفال قد تحول الى مظاهرات صاخبة لما يعتبرونه اهانه لقائدهم الاعلى فى الجيش وهو الملك فؤاد الاول ملك مصر ، وانضم المواطنون الى المظاهرات التى أدت الى سقوط بريطانى راحد واعتقال خمسة من الضباط المصريين والسودانيين مما أدى الى تهديد قائد الوحدة البريطانى بالقتل ، وجرت محاولة لحرق منزله وطلبت السلطات تعزيزات من القوات البريطانية للسيطرة على الاوضاع فى منطقة ملكال ، وتم توجيه اللوم الى الضباط السودانيين فى الوحدة العسكرية ومجموعة الموظفين بمصلحة الرى المصرى (٢) .

كما وقعت حوادث ايضا فى منطقة تالودى بجبال النوبا فى كردفان ونسبت المخابرات الى زين العابدين عبد التام من أعضاء حركة اللواء الابيض البارزين تهمة اثارة تلك الحوادث (٣) .

وتفيد المراجع أن تنظيما يتكون من الضباط السود فى الجيش قد برز الى الساحة السياسية فى الشمال تحت اسم (اللواء الأسود) عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م (٤)

---

(١) بخيت ،جعفر محمد على ، بخيت ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ١٠٥ .

(٢) دياب ،أحمد ابراهيم ،" دور الوحدات العسكريةفى ثورة عام ١٩٢٤" ، ص ١٨٠ - ١٨١ ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١٧ .

(٣) بشير ،محمد عمر ،تاريخ الحركة الوطنية في السودان ،ص ١١٦ - ١٢٠ .

وهو بلاشك تنظيم عنصرى فى مواجهة حركة اللواء الأبيض التى تضم ضباط ومدنيين من الشمال والجنوب ،ومثل هذا التنظيم لاينتظر أن يقدم الى حركة المقاومة ضد السياسة البريطانية أى نتائج ايجابية ، وربما كانت وراء ذلك التنظيم ادارة المخابرات البريطانية فى السودان لطبيعته المعادية للعرب وبروزه فى ذلك الوقت غير المناسب لمثل هذه العداءات العنصرية بين أبناء الوطن الواحد ولكنه انتهى فى خلال فترة قصيرة كتنظيم سياسى بالبلاد (١) ، ورأت سلطات الادارة البريطانية كاجراء وقائى انه لابد من اجلاء جميع القوات الحربية المصرية من البلاد على وجه السرعة لضمان اعادة الأمن والاستقرار فى السودان وصرح السير لى ستاك الحاكم العام مخاطبا مكدونالد رئيس الحكومة العمالية فى لندن أنه مالم توقف مصر التخريب ومالم تشرع فى الحفاظ على هيبة وسلطة بريطانيا فى السودان فمن الافضل فى هذه الحالة أن ينفرد البريطانيون وحدهم بالحكم فى البلاد (٢) ٠

وفى عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م انتهت المفاوضات المصرية البريطانية باختلاف وجهات النظر حول مستقبل السودان ، وجلاء القوات البريطانية عن مصر ، وأعلنت الحكومة فى لندن وضع السودان تحت الوصاية البريطانية ، وبناء عليه فقد تلقت مصر تحذيرا من بريطانيا بأنها لو أستمرت فى استخدام رعاياها فى السودان

---

(1) Balance E, The Secret War In the Sudan ,P.32 .

(٢) بخيت ، جعفر محمدعلى ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ١٠٣ ، شبيكة مكى ، السودان عبر القرون ، ص ٥٢٩ ٠

لاثارة القلاقل ضد الامن والنظام ، فان بريطانيا رغم احترامها لتلك الاوضاع فانها لن تسمح بتكرار ذلك ، كما شدد الحاكم العام فى السودان على ضرورة انفراد بريطانيا بالحكم فيه (١) .

وفى تطور اخر فى نفس العام أذيع نبأ مصرع السيرلى ستاك فى أحد شوارع القاهرة مما أدى الى توتر العلاقات المصرية البريطانية ، وعليه فقد طلب اللورد ألنبى المندوب السامى البريطانى فى مصر من سعد زغلول رئيس الوزارة فى مصر ، دون أن يقوم بمشاورة الحكومة فى بريطانيا ، انسحاب جميع الضباط المصريين والوحدات المصرية من السودان فى خلال ٢٤ ساعة ، كما أفاده برغبة الادارة البريطانية فى السودان بزيادة المساحة المروية فى مشروع الجزيرة (*) ، وسلمه أنذارا بذلك اختتمه بلهجة تنم عن التهديد بأن حكومة بريطانيا قادرة على اتخاذ ماينا سبها من الاجراءات لحماية مصالحها فى مصر والسودان (

(١) ضرار ،ضرار صالح ،تاريخ السودان الحديث ،ص ٢٤٢ ، بخيت ،جعفر محمد على ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان ،ص ١٠٤ .

(٢) طه ،عبد الرحمن على ، السودان للسودانيين ، ص ٢٠ ،عبد الرحيم ،مدثر الامبريالية والقومية فى السودان ، ص٩٦ .

(*) المعنى بزيادة المساحة المروية لمشروع الجزيرة هو استهلاك قدر اكبر من مياة النيل التى توجد اتفاقية بين مصر والادارة البريطانية فى السودان حولها ، حيث يعتبر مشروع الجزيرة أضخم المشاريع لزراعة القطن فى السودان ويغطى المساحة التى تمتد فى شكل مثلث بين النيلين الازرق والابيض من الخرطوم شمالا وحتى خط حديدى يصل مدينة سنار بمدينة كوستى،خاصة بعد أن تم انشاء خزان سنار فى عام ١٩٢٥م .

وقد رفضت الحكومة المصرية برئاسة سعد زغلول تنفيذ أمر الانسحاب ،كما اقتنع الجنود من جهتهم بعدم الخضوع لأى تعليمات مالم تكن صادرة من جهات مسؤولة فى حكومة القاهرة ، وشاطر ضباط وجنود الوحدات السودانية بما فيها الوحدات العسكرية فى الجنوب فى منطقة واو وتالودى فى كردفان ، بحكم أنهم يتبعون قوات الجيش المصرى ،و قد أقسموا بيمين الولاء على ذلك ، شاطروا اخوانهم المصريين موقفهم تضامنا مع القوات المصرية (١) ٠

وكانت السلطات البريطانية قد قررت الحاق الضباط والجنود السودانيين التابعين لوحدات الجيش المصرى ، بقوة دفاع السودان تحت امرة كبار الضباط البريطانيين حيث يكون الولاء للحاكم العام بدلا عن التاج المصرى ، وذلك يعنى فصل القوات العسكرية السودانية ، عن القوات العسكرية فى مصر فصلاً تاماً ،وقد أدت هذه التطورات الى اشتباك تحول الى معركة ضارية بين الوحدات السودانية فى الخرطوم ، وبين القوات الحربية البريطانية أستخدمت فيها القنابل ، وسقط فيها الكثير من القتلى ودمر نتيجة لذلك جزء من المستشفى العسكرى فى الخرطوم (٢) ، وكان من بين القتلى على عبد اللطيف زعيم حركة اللواء الابيض ٠

وفى أثناء هذه الحوادث صدرت الاوامر لرئيس الحكومة الجديدة أحمد زيور باشا التى تولت الوزارة بدلا عن الوزارة السابقة بالانسحاب وبدأت القوات

---

(١) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٩٦ ،عبد الرحيم مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٧٥ ٠

(٢) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ١٠٥ ٠

المصرية فعلا فى الانسحاب ، وأنتهت ثورة عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، باعتقال قادتها ومحاكمتهم حيث أعدم ثلاثة منهم رميا بالرصاص ، وحكم على البقية منهم بالسجن لمدد طويلة (١) .

وقد ترتب على انهيار المقاومة بعد الثورة نتائج مهمة فيما يتعلق بالسياسة البريطانية تجاه الجنوب حيث تمكنت الادارة الاستعمارية فى السودان من تخفيض الوجود المصرى فى السودان برحيل الجنود المصريين ، وتجلى ذلك فى الاحباط الذى أصاب أفراد المقاومة السودانية ، الأمر الذى فتح المجال لسلطات الأدارة البريطانية القيام بتنفيذ خطط استعمارية مهمة نحو فصل الجنوب فى الفترة التى تلت عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م (٢) ، حيث مضت فى تنفيذ قانون المناطق المقفولة بكل حزم وكان قد صدر عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م ، كما وضع السكرتير الادارى ماكمايكل مشروع السياسة الجنوبية عام ١٩٣٠م ، للاسراع فى فصل الجنوب عن البلادبمساعدة الارساليات التنصيرية فى ذلك ، والتى اتبعت من جهتها سياسة متعسفة من جهة ضد الاسلام واللغة العربية (٣) ، وبنهاية ثورة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وابعاد العناصر المصرية تكون المقاومة السودانية قد فقدت الدعم الذى استطاع من خلاله المثقفون السودانيون فى الجنوب والشمال بعث الوحدة والتعلم من تلك العناصر أفكار ووسائل العمل السياسى الحديث (٤) .

---

(١) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٩٦ – ٩٧ .

(٢) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ١٣٩ .

(٣) Collins R., The Sudan , P.30

(٤) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ٩٦ .

** الأهتمام بنشر الدعوة الاسلامية فى الجنوب :

يعود الفضل لحركة المقاومة الوطنية فى الشمال ضد السياسة البريطانية فى السودان أنها جعلت الرآى العام يقف على مساوىء الادارة الاستعمارية خاصة فى الجنوب ، ولفتت الانتباه الى الحماقات التى انطوت عليها تلك السياسة فى السودان الجنوبى ، ضد الوجود العربى الاسلامى خلال الفترة منذ عام ١٣٤١/١٩٢٢ م واتضح ذلك فيما جاء على لسان المفتش البريطانى لغرب بحر الغزال عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م عندما قال :(رغم أن السياسة (فى الجنوب) لاتزال سرية وأن (الأدارة البريطانية) فى الخرطوم لاتزال تخشى من أن يدمغ الرآى العام بالشمال تلك السياسة بأنها شائنة ، اذا كشفت له الحقائق أعمال الارساليات التنصيرية وغيرها من تصرفات الحكومة)

ويفيد هذا من جانب اخر أن الأدارة البريطانية ، حتى قيام ثورة عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م كانت تجهل اهتمام المثقفين فى الشمال بمساوىء الحكم الاستعمارى فى الجنوب أكد ذلك ما أضافة المفتش بقوله : (ان الاشخاص الذين لم يكونوا على علم بذلك اطلاقا هم الموظفون البريطانيون بالشمال)(١) خاصة بعد أن تبين أن الغاية من تلك السياسة فى الجنوب ،(أن يكون الاهالى من الجنوبيين يختلفون عن عرب البقارة أو الزعماء المسلمين المعروفين ، ما أمكن)(٢) .

---

(١) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ١٤٤

(2) N.R.O. South 1/18/181 From Govemnor B. El Gazal to Dist. Commissioner, Anote on the Southern Policy about 21.1.1935.

وكانت في تلك الفترة من عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤م قد بدأت مرحلة جديدة من اهتمام الطبقة المستنيرة فى الشمال بما يجرى من سياسة متعمدة تهدف لالحاق الضرر بالوجود الاسلامي العربي فى الجنوب ، حيث تم تعيين السيرجورج استيوارت سايمز J. S. Symes (*) حاكما عاما في السودان ، وكان خلافا للحاكم السابق جون مفى J. Muffey [1] قد أتخذ خطا جديدا فيما يتعلق بسياسة الادارة البريطانية تجاه الجنوب رغم أنه لم يبادر باتخاذ اى خطوات مخالفة لسياسة الادارة البريطانية المتبعة فى تلك الفترة ، ولكنه لم يكن متشددا في تطبيقها كسلفة جون مفي الذى لم يكن يميل الى تقوية الرابطة أو الاعتراف بالمصالح المشتركة بين الشمال والجنوب خاصة من ناحية التطور الاقتصادى للجنوب . واعتماده على الشمال فى ذلك ، والسعي لاهدار العلاقات المثمرة بينهما ، رغم أن ذلك يخالف تماما المفهوم الاساسي للسياسة العامة .

---

(١) F.O., 407/217, Enc. in No. 148 .

(*) جورج استيوارت سايمز ، ولد في عام ١٨٨٢ م وكان والده ضابطا في الجيش عمل سايمز في جنوب افريقيا وفلسطين وعدن ثم حضر الى السودان عام ١٩٠٨م شارك في الحملة ضد ثورة (ود حبوبه) فى النيل الازرق ، وكان مساعدا للحاكم العام في شئون الجيش ، ثم مساعدا لمدير المخابرات وسكرتير خاص لونجت باشا ، وشغل بعد ذلك منصب الحاكم العام لتنجانيقا فيما بين عام ١٩٣١ - ١٩٣٣م وصل بعد ذلك الى الخرطوم وشرع في احداث تغيرات جذرية وكان جوهر نظرته السياسية مخالفا تماما لمن سبقوه ، وكان يجيد العربية .
بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٢٣٢ ، بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ، ص ١٥٦ .

وفى هذه الناحية ، تمثل فترة جورج سايمز الحاكم العام بداية للمرونة فى سياسة الادارة البريطانية ، وان لم تسفر فى ذلك الوقت لأكثر من أنها أتاحت للرأى العام فيما بعد فرصة ممارسة النقد لتلك السياسة بصورة شبه علنية ، وتلك كانت صفة ايجابية تميزت بها فترة حكمه . خاصة وأنه كان يفترض بأن النقد ليس بالضرورة أن يكون نقدا معاديا .(١)

وقد اتاحت التغييرات التى طرأت فى عهد سايمز للشماليين معارضة السياسات الأدارية للحكومة فيما بعد (٢) ، بل وتقديم مطالب تتعلق بمصلحة البلاد وبشكل خاص فى الجنوب ، وذلك بالرغم من أن آراء سايمز حول السياسة فى الجنوب لم تجد طريقها الى التنفيذ الا فى عام ١٣٥٦هـ / ١٩٤٦م ، ولكنها من جهة أخرى ساعدت فى امتصاص غضب أفراد المقاومة فى السودان الشمالى .

ويبدو أن سايمز كان يأمل فى كسب ود المصريين ، عندما قام بتقديم الدعوة للبعثة التجارية المصرية لزيارة السودان عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م وهى المرة الاولى التى يأتى فيها وفد يحمل صفة رسمية من مصر ، بدعوة من الادارة البريطانية منذ خروج المصريين من السودان عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م (٣) ، وذلك فى اطار التغييرات التى كان يجريها سايمز خلال عهده .

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ١٥٦ .

(٢) مرسى ، فيصل محمد ، "الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية " ص ٨٦ مجلة دراسات افريقية ، [illegible]

(٣) امتى ، نوال عبدالعزيز مهدى ، رياح الشمال ، ص ٤٩ .

وكانت معاهده عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م بين الجانب المصرى والجانب البريطانى ، قد أعادت المصريين الى الساحة السياسية فى السودان ومهدت من جهة أخرى لبعض المؤسسات التى تعمل فى مجال الدعوة الاسلامية بالتعاون مع السودانيين فى الشمال ، لاتخاذ موقف تجاه النشاط التنصيرى فى الجنوب والقيام بالدعوة الاسلامية فيه ٠

وكانت أول خطوة تمت فى هذا الصدد ، قد قام بها قاضى قضاة السودان وكان مصريا ، حيث التقى بالحاكم العام ، وبحث معه امكانية ارسال بعثة للدعوة الاسلامية فى الجنوب وذلك بعد ثلاثة أسابيع من توقيع معاهدة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦ م ، حيث أن خطوة كهذه قد تساهم فى دعم الوجود الاسلامى فى الجنوب ، وعقب ذلك بشهر واحد تقريبا ظهر مقال فى جريدة السودان يتطرق الى الحرية الدينية ، ويطالب بضرورة ازالة القيود المفروضة على نشر الاسلام فى الجنوب ، وتعرض المقال بالنقد لسياسة الدعم التى تجدها الارساليات التنصيرية من الادارة البريطانية فى وقت كانت تفرض فيه القيود على الدعوة الاسلامية فيه (١) ٠

وفى تلك الفترة كانت فكرة التصدى للنشاط التنصيرى بقيادة علماء الأزهر فى مصر قد تبلورت ، بهدف مجابهة السياسات الاستعمارية المعادية للمسلمين والعرب فى السودان ، خاصة بعد معاهدة عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م (٢) ٠

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ٠

(٢) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى فى جنوب سودان وادى النيل ، ص ٢٧٧ ٠

وبناء عليه فقد أجرى الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر فى عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م اتصالات رسمية شملت الحكومة المصرية البريطانية ، قدم بموجبها عدة مطالب الى الادارة البريطانية فى السودان ، كان من بينها اصدار بيان بالموافقة على ارسال بعثات لنشر الدعوة الاسلامية فى جنوب السودان على أن تتمتع بنفس امتيازات الارساليات التنصيرية ، كما طالب أيضا بمصادقة السلطات على انشاء معهد اسلامى بمنطقة جوبا عاصمة المديرية الاستوائية ، كخطوة للتصدى لخطط الارساليات والمضى فى جنوب السودان

حيث خضعت هذه المطالب لمفاوضات مطوله كتب خلالها السفير البريطانى فى القاهرة السير مايلز لامبسون M.Lampson عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م الى سايمز فى الخرطوم يستفسر عن مدى امكانية تحقيق ذلك ، فيما اذا فتح الباب للدعوة الاسلامية فى الجنوب وعن مدى تعارضه مع اتفاقية عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م بين مصر وبريطانيا فى الجزء الذى يختص بالسودان ، ويبدو أن سايمز كان لايرغب فى اتخاذ خطوة كهذه ، بدليل أنه ربط هذه القضية بخطر اندلاع ثورة اسلامية مشابهة للثورة المصرية فى السابق ، بحجة أن الاوضاع الادارية غير مستقره فى البلاد (١) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن اتفاقية عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م تسمح بهجرة المصرين الى السودان ، الا أنها تستوجب اتخاذ اجراءات فيما يتعلق بدواعى الصحة والأمن (٢) ، وربما استفاد سايمز من هذه التحقيقات ،وأقحم موضوع

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ٧٨ .

(٢) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ٥٤٢ .

الثورة الاسلامية ، وعدم الاستقرار الاداري ، وهي تبريرات تستند الى حجج واهية اذ علمنا ان تلك الفترة كانت قد شهدت فيها البلاد هدوءاً تاماً زالت خلاله الازمة الاقتصادية ، الامر الذي فرض على الادارة البريطانية وضع نهاية لسياسة الكبت ، وتقييد الحريات التي اتخذت في عهدي جون مافي وكمايكل في اعقاب ثورة عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م (١) .

ومما يؤكد عدم رغبة الحاكم العام تنفيذ هذه الخطوة ، ابداء حرصه الشديد من جهة أخرى لاقناع المسؤولين في مصر بذلك عن طريق الاتصالات الشخصية وقد أعرب شيخ الازهر في وقت لاحق من عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ، عن صعوبة ارسال بعثات للدعوة الاسلامية في جنوب السودان باعتبار انها ليست مسألة سهلة وان العمل يتطلب امكانيات هائلة لمواجهة الحياة القاسية في تلك الاجزاء (٢) .

وهكذا بقي الباب موصدا أمام نشر الدعوة الاسلامية ، بشكل منظم في جنوب السودان ، ولكن المحاولات من جهة آخرى لم تتوقف ، الا أنها كانت من غير طائل بسبب اسلوب المماطلة في سياسة الاداريين البريطانيين في السودان ، لهذا الأمر ولا شك انها نتيجة طبيعية بل ومتوقعة من الادارة البريطانية التي تدعم النشاط التنصيري دعما حقيقيا ملموسا فكيف تسمح لفئات آخرى ترفع شعار التصدي لهذا النشاط فضلا عن القيام بالدعوة الى نشر الاسلام الذي تعمل سلطات الادارة البريطانية والارساليات بكل جد واجتهاد في القضاء عليه تماما .

---

(١) شبيكه ، مكي ، السودان عبر القرون ، ص ٥٤٠ ، المحامي ، احمد خير ، كفاح جيل ، ص ١٢ .

(٢) عكاشه ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ٧٨ ٢ .

* موقف مؤتمر الخريجين (*) من السياسة البريطانية فى الجنوب :

كانت الحياة السياسة فى شمال السودان عند قيام مؤتمر الخريجين فى عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م تتأرجح فى أوساط السودانيين بين الولاء لمصر والولاء لبريطانيا بناء على ماسبق من تطورات ، وكان الفريق الموالى لبريطانيا تقوده فئة الزعماء التقليديين الطائفين وعلى رأسهم عبد الرحمن المهدى زعيم طائفة الانصار(**) وأما الفريق الثانى الموالى لمصر فقد كانت تمثله طبقه من المثقفين الشباب بالاضافة الى نخبة من المتعلمين خريجى بعض المدارس من السودانيين فى تلك الفترة (١) .

وقد بعث النشاط السياسى من جديد بعد الانتكاسة التى أصابت السودانيين الشماليين فى أعقاب ثورة عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، باقامة مؤتمر لخريجى المدارس والمتعلمين فى السودان ، وكانت بداية تلك الفكرة قد نبعت من خلال نشاط الجمعيات الادبية التى أنتشرت فى العاصمة والاقاليم ، والتى رأت فى الاهتمام

(*) نشأة فكرة المؤتمر من خلال النادى الذى كان يجتمع فيه خريجو المدارس السودانية ومنها كلية غردون والذى تأسس فى أم درمان عام ١٩١٨م وقد شغل الخريجون بالامور الاجتماعية فى أول الامر ولم يتعرضوا للامور السياسية ثم نشأت رابطة ثقافية بين النادى فى ام درمان والأندية الأقليمية الأخرى حيث ،برزت فكرة تشكيل مؤتمر الخريجين العام والذى ظهر كتنظيم يضم خريجى كلّية غردون فى البداية ثم توسع ليشمل خريجى المدارس والمتعلمين من السودانيين عام١٩٣٨وقصر المؤتمر أغراضه على خدمة المصلحة العامة للبلاد والخريجين ولم يعلن الاستقلال كهدف حقيقى له وهى أهداف مرنه تسمح فى الوقت المناسب باستخدامها فى العمل السياسى المؤدى للاستقلال .

الشيخ ، رأفت غنيمى ،مصر والسودان فى العلاقات الدولية ، ص ٣٩١ – ٣٩٢ ،المحامى ، احمد خير ، كفاح جيل ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

---

(١) المحامى ، أحمد خير ، كفاح جيل ، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

** يقصد بهم الذين ناصروا ثورة محمد احمد المعروف بالمهدى عام ١٨٨١م.

بالادب والثقافة طريقا لمناقشة الأمور السياسية المحلية والعالمية (١) وكان أبرز مؤسسيه أحمد خير المحامى (٢) واسماعيل الازهرى ومكى شبيكة (٣) وغيرهم .

وكان مبدأ الانفصال وتجزئة وادى النيل ، هو السياسة (الاستراتيجية) للاستعمار البريطانى التى شعر بها الوطنيون فى مصر والسودان ، وهى سياسة كانت قد أقرتها لجنة ملنر التى زارت البلدين فى أعقاب ثورة عام ١٣٣٨/١٩١٩م فى مصر (٤) ، وقد لمس أعضاء المؤتمر حجم الفراغ السياسى الذى نجم عن خروج المصريين عقب ثورة عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م فى السودان ، مما أدى الى ركود حركة الكفاح ضد الاستعمار طيلة الفترة الماضية ، ومع قيام هذا المؤتمر وتجدد الروح المناهضة للاستعمار لدى الخريجين ، كانت الحاجة الى الدعم السياسى والمعنوى من مصر أمرا لازما بالنسبة الى الخريجين كفئة موالية لمصر ضد السيطرة الاستعمارية البريطانية ولأفشال السياسة الانفصالية التى تسير عليها السياسة البريطانية فى جنوب السودان من جهة ، ولتؤكد للمستعمرين ترابط شعوب وادى النيل فى مصر والسودان ، من جهة أخرى ومن هنا كان الترحيب كبيراً بزيارة على ماهر رئيس الوزارة المصرية عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م للسودان (٥) حيث احتفى به أعضاء المؤتمر ، وقدموا اليه مذكرة تضمنت عدة مطالب كان فى مقدمتها ، الاهتمام بالدعوة الى الاسلام فى الجنوب ، وقد ضمت الفقرة التى

---

(١) الشيخ ، رأفت غنيمى ، مصر والسودان فى العلاقات الدولية ، ص ٣٩١ .

(٢) شبيكة ، مكى ، السودان عبر القرون ، ص ٥٤٣ .

(٣) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ١١١ .

(٤) عبدالرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٥٢/٥٣ .

(٥) الشيخ ، رأفت غنيمى ، مصر والسودان فى العلاقات الدولية ، ص ٤٠٣ .

جاءت فى المذكرة بهذا الخصوص ، عرضا موجزا للاوضاع المتردية فى جنوب السودان ، مما يدل على حرص أعضاء مؤتمر الخريجين على ابراز اهتمامهم بالقضايا الأساسية الأخرى التى تعمدت الادارة البريطانية اهمالها تكريسا لفكرة الانفصال المقترحة من جانبها .

وكانت صياغة تلك الفقرة فى المذكرة كما يلى :

(يعلم الشعب المصرى أن الشطر الجنوبى من السودان ، لم يساير الشطر الشمالى مضمار الحضارة ، ولم يحظ بنصيب وافر من العمران والاصلاح وأن سكانه مازال جلهم على الفطرة على الرغم من المحاولات التى يقوم بها جماعة التبشير المسيحى (التنصير) ونحن نرى أن واجبنا نحو مواطنينا فى الجنوب يحتم علينا أن نساهم فى تمدينهم بشتى الوسائل كما نرى أن من واجب مصر أيضا أن تخصهم بنصيب من العناية فتلفت نظر الجمعيات الخيرية والمعاهد الدينية (الاسلامية) للعمل فى الجنوب من حيث الدعوة الى الاسلام ونشر اللغة العربية حتى يتسنى للجزء الجنوبى أن يتمشى فى ثقافته مع الجزء الشمالى) (١) .

أكدت هذه العبارات اهتمام مؤتمر الخريجين منذ قيامه بأمر الجنوب بدليل أنه وضع هذه الفقرة على رأس قائمة المطالب التى تقدم بها أعضاء المؤتمر الى على ماهر رئيس الوزارة المصرية عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م ،ومما يشير الى أن أمر الجنوب كان يجد اهتماما من كافة الخريجين حتى قبل أن ينشأ المؤتمر الذى كان فى طور الاعداد انذاك ،ذلك البرنامج الذى أعده خريجو مدينة بورسودان عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م من أربعة عشر بندا كان من بينها المطلب

---

(١) المحامى ، د.أحمد خير ، كفاح جيل ، ص ٢١٥ .

الخاص بالتخلى عن السياسة المؤدية الى فصل الجنوب (١) ، بحكم أنها سياسة ألحقت ضررا كبيرا بالجنوبيين والشماليين فى البلاد وهى سياسة المناطق المقفولة التى طالب الخريجون فى بورتسودان بالغائها .

وفى تطور آخر من عام ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م تقدم مؤتمر الخريجين نيابة عن السودانيين فى الشمال والجنوب بمذكرة مهمة فيما يختص بشأن الجنوب ، كنوع من الضغط على الادارة البريطانية لوقف السياسات الاستعمارية التى تتبعها بهدف فصل الجنوب (٢) ، وكانت أهم المطالب التى تضمنتها تلك المذكرة عن الجنوب بالاضافة الى المطالب الاخرى وهى :

(١) الغاء قانون المناطق المقفولة .

(٢) رفع القيود المفروضة على التجارة والتنقل .

(٣) الغاء الاعانات الممنوحة للارساليات .

(٤) توحيد البرامج التعليمية فى كل البلاد (٣) .

وقد واجهت الادارة البريطانية هذا التطور بشكل حاسم وجاف ، عكس خيبة أملها فى أعضاء مؤتمر الخريجين ، وقد فضل السكرتير المدنى دوجلاس نيوبولد D.Newbold اعادة المذكرة الى مصدرها وأرفق معها خطاب يفيد رفض السلطات للمذكرة فى لهجة حازمة وجافة جاء فيه :

(ان مؤتمر الخريجين فى ادعائه تمثيل جميع السودانيين ، ومحاولته تغيير ذاته الى هيئة سياسية وطنية ، لم يعد باستطاعته أن يحتفظ بالتعاون

---

(١) بشير، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ١٨ / ١٧٩ .

(٢) عبد الغفار محمد احمد ،قضايا للنقاش، ص ٣٩، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٨،

(٣) المحامى، أحمد خير ، كفاح جيل ، ٢١٩ – ٢٢٢ .

مع الحكومة فحسب ، بل لايستطيع أيضا أن يأمل فى استمرار الاعتراف به ، ان المؤتمر بمجرد تقديمه المذكرة التى هى موضوع هذا الكتاب بالالفاظ التى صيغت بها ، قد ارتكب ذينك الخطأين الذين حذرته منهما ، وبذلك خسر ثقة الحكومة ، ولايمكن استعادة تلك الثقة الى أن يعيد المؤتمر تنظيم اتجاه شئونه على نحو تستطيع معه الحكومة أن تركن الى أن رغباتها ستكون محترمة وتحذيراتها مرعية .....

وقد طلب منى صاحب السعادة الحاكم العام أن أضيف الى ماتقدم أنه هو ومستشاروه عالمون حق العلم بحاجات السودان ، وبرغبة السودانيين المستنيرين المشروعة فى زيادة اشتراكهم فى حكم بلدهم وفى تطويره .

لتحقيق هذه الغاية ، فان حكومة السودان تدرس باستمرار ، وتقوم بتنفيذ المشاريع المؤدية الى مشاركة السودانيين مشاركة أكبر فى توجيه شئونهم ولتحقيق الخير العام والتقدم المنظم لهذا البلد وشعبه » (١) .

والامر الذى تجدر الاشارة اليه هنا هو أن الادارة البريطانية حاولت بصورة خادعة أن تستفيد من معرفتها بتطلعات أعضاء مؤتمر الخريجين من خلال المذكرة التى تقدموا بها ، للمشاركة فى ادارة البلاد ، بأن تعكس الوضع الذى طالب أعضاء المؤتمر باصلاحه فى الجنوب لصالحها ، ولذلك نوه السكرتير المدنى نيوبولد Newbold فى نهاية رسالته وبلهجة تبدو ناعمة نوعا ما عما كان من جفاف فى العبارات التى صيغت بها الرسالة ، فى محاولة لاقناع أعضاء المؤتمر بأن السلطات فى الادارة البريطانية ، تعمل حقيقة لمصلحتهم

---

(١) المحامى ، أحمد خير ، كفاح جيل ، ص ٢٢٢ — ٢٢٤ .

وقد كانت النتيجة التى أعلنتها فى السنة التالية مخيبة بشكل كبير لامال أعضاء المؤتمر ، حيث ظهر أن المجلس الاستشارى لشمال السودان الذى أقرته السلطات البريطانية فى السودان ، لم يكن يخرج عن الاطار العام للسياسة البريطانية الاستعمارية المؤدية لفصل الجنوب عن الشمال وبشكل واضح لايقبل أى لبس أو مداراة .

* انشاء المجلس الاستشارى لشمال السودان :

ان فكرة انشاء مجلس استشارى لشمال السودان كواسطة وطنية للتشاور ليحل محل مؤتمر الخريجين الذى بدأ يتطلع أفراده للحصول على قدر أكبر من المشاركة فى ادارة البلاد (١) ، فكرة يمكن أن تحقق هدفين فى وقت واحد فى نظر الادارة البريطانية ، فهى من جهة يمكن أن ترضى طموحات السودانيين فى الشمال وتطلعاتهم الادارية فى البلاد ، سيما وأن ظروف الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م – ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م كانت تتطلب من الادارة البريطانية اتخاذ خطوات تتفق مع مقررات ميثاق الاطلنطى فى عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م والتى تم عقدها بين ونستون شرشل W.Churuchill رئيس وزراء بريطانيا ، وروزفلت Roosevelt رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، وما جاء فى تلك المقررات من حق تقرير المصير للشعوب المستعمرة فى نهاية الحرب العالمية ، والتى تعلقت آمالها فعلا بهذا الامر خاصة فى السودان ، الذى انضم جنوده الى معسكر الحلفاء ودخلوا الحرب الى جانب بريطانيا فى الحبشة ، وارتريا ، وبعضهم فى ليبيا ، فكانوا ينتظرون من بريطانيا أن تقدر لهم هذا الموقف (٢)، هذا

---

(١) عبدالرحيم ، مدثر ، الامبريالية و القومية فى السودان ، ص ١٢٠ .

(٢) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ١١٠

من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان بريطانيا بقصرها انشاء المجلس الاستشاري على شمال السودان ستدعم سياستها الرامية الى فصل الجنوب ، ظنا منها بأن السودانيين فى الشمال سينشغلون بالمجلس الجديد وتفوت عليهم الفرصة فى تبين ما حدث بالنسبة للشطر الجنوبى للبلاد ، دون أن تضع فى اعتبارها أن هذا المجلس أقل بكثير مما يطمح اليه تطلع السودانيين فى الشمال ، والذين يرون من جهتهم أن المكاسب المحدودة التى تحققت ضمن اطار مشاركة السودانيين فى البلاد ، كانت نتيجة طبيعية وغير مقصودة من الادارة البريطانية بهدف ابعاد المصريين ، كعناصر ، مؤثرة فى اتجاهات السودانيين السياسية آنذاك وقد أكد مخاوف السودانيين ماصدر من تصريحات للأدارة البريطانية فى الجنوب ، عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م تشير الى أن الاجراءات المتبعة تجعل انضمام الجنوب سياسيا الى الشمال مستبعدا من وجهة النظر الادارية فى الجنوب (١) .

وبناء على ما سبق فقد قوبل القانون الذى صدر فى عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م بانشاء المجلس الاستشارى (٢) ، من بعض الفئات بالمعارضة والنقد الشديد بحجة أنه أقصى الجنوب بشكل متعمد فضلا عن العيوب الأخرى التى ظهرت فى نظامه مما اضطر السير دوجلاس نيوبولد (*) بوصفه الناطق الرسمى للادارة البريطانية

(١) Awad ,Karamalla, The Adminstration , P.43 .
عبد الرحيم ، مدثر ،الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ١١٠/١٤٨.

(٢) التقرير لمؤتمر الحوار الوطنى بالخرطوم ١٩٨٩م ،ص ١٢ .

(*) تقلد منصب نائب رئيس المجلس الاستشارى وكان الرئيس الفعلى لهذا المجلس لان الحاكم العام كان مجرد رئيس فخرى يقتصر دوره على حضور حفلات افتتاح الدورات وقد توفى عام ١٩٤٤ وخلفه فى هذا المنصب السير جيمس روبرتسون انظر مدثر عبدالرحيم ، الامبريابية و القومية فى السودان ، ص ١٢١ .

فى السودان بالادلاء بتصريحات فى اذاعة أم درمان للدفاع عن المجلس الاستشارى وتبرير موقف السلطات البريطانية من استبعاد تمثيل الجنوبين فيه ، فقال " ان الاسباب التى جعلت هذا المجلس يقتصر على مديريات الشمال الستة قامت على اعتبارات عملية ، وليس على اعتبارات سياسية ، ويمكن القول ببساطة أن السودانيين الجنوبيين لأسباب تاريخية وطبيعية ، لم يصلوا بعد درجة الاستنارة والانسجام التى تمكنهم من ارسال مندوبين اكفاء لمجلس من هذا النوع كما أنه ليس هنالك سودانى من أبناء الشمال يستطيع أن يدعى بحق أن بمقدوره أن يمثل الجنوب (١) ، وبالرغم من ذلك فقد ذكر بأن هنالك اقتراح بأن يعين حكام المقاطعات من البريطانيين أو حتى المرسلون (المنصرين) ممثلين للجنوب فى المجلس الاستشارى ، الا أن صعوبات تتعلق بتنوع القبائل والعادات واللغات فى الاقاليم الجنوبية قد حالت دون ذلك .

وهو بالتأكيد بالنسبة للشماليين منطق غير مقبول اذ انه رأى فى الاجانب والمنصرين بديلا قياسيا للجنوبين فى المجلس اذا كان ذلك ممكنا لولا الصعوبات التى ذكرها (٢) .

ومن الطبيعى أن تعمل تبريرات نيوبولد السابقة الى تزايد المخاوف فى الشمال ، من أن السياسة البريطانية تتجه يقينا لفصل الجنوب ، بدليل أن بعض الذين قبلوا الانضمام الى المجلس الاستشارى قد كانوا على قناعة تامة بأن اقصاء المديريات الجنوبية من هذا المجلس يدل على عدم سلامة القصد (٣)

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ٢١٨ .

(٢) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ١٢٦ .

(٣) طه ، عبد الرحمن على ، السودان للسودانيين ، ص ٣٢ .

وهنا ينبغى الوقوف على التطورات الادارية للسياسة البريطانية فى الجنوب ، بحكم أنها تطورات حددت مقدرته ، وبالاصح تخلفه عن المشاركة فى المجلس الاستشارى الذى تم انشاؤه عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م على الرغم من أنها أقرت سياسة الحكم غير المباشر فى السودان ، كوسيلة تتبعها بريطانيا فى مستعمراتها للتدرج بها نحو الحكم الذاتى (١) ٠

---

(١) ا كمد ، محمد عبدالعزيز ، نهضة افريقية ، ص ٩٣

* المبحث الثالث *

الحكم غير المباشر وأثره على مستقبل الجنوب السياسى

* السياسة الادارية فى المستعمرات البريطانية :

لم تكن السياسة الادارية التى اتبعتها الادارة البريطانية فى الجنوب بأفضل من غيرها من السياسات الاخرى فى موقفها المعادى للوجود العربى الاسلامى بل ان نتائج تلك السياسات قد أنعكست على مستقبل الأهالى فى الجنوب ومدى قدرتهم على المشاركة فى الأنظمة (البرلمانية) للبلاد ، عندما بدأت تتجه نحو الاستقلال ، وكان الاستعمار البريطانى قد تعامل مع الجنوب من الناحية الادارية بطريقة مختلفة عن الشمال ، كبقية النواحى الاخرى .

وكانت خطة بريطانيا التى تتبعها فى ادارة مستعمراتها تقضى بأن تفرض على المستعمرات التى كانت تتمتع بشكل من أشكال الرقى أو الحضارة ، نظام الحكم غير المباشر ، حيث تمنح فيه الزعامات القبلية المحلية فرصة المشاركة الصورية ، وتبقى السلطة الكاملة فى يد الحاكم البريطانى الذى تكون نصائحه بمثابه الأوامر التى يجب تنفيذها (١) .

وكانت توضع هذه السياسة الادارية لهذا النوع من المستعمرات للتدرج بها الى الحكم الذاتى الذى يتطور بشكل مرحلى بطىء ، حيث يبدأ بتكوين مجلس استشارى يرأسه الحاكم العام ثم مجلس تنفيذى ، فجمعية تشريعية كتمهيد لانشاء (برلمان) (٢) .

---

(١) رياض ، زاهر ، استعمار أفريقيا ، ص ٢١٩ .

(٢) أ كمه ، محمد عبدالعزيز ، نهضة أفريقية ، ص ٩٣ - ٩٥

وفى أغلب الأحيان تترك السلطات البريطانية للوطنيين مهمة التشريع طالما أنه لن يتعارض مع النفوذ الحقيقى للاستعمار ، خاصة وأن المسؤولية فى نظام الحكم غير المباشر يتحملها الوطنيون فى المقام الاول (١) •

أما نظام الحكم المباشر فقد كان حسب النظام المتبع فى ادارة المستعمرات البريطانية ، يفرض على المستعمرات البدائية ، التى تفتقد الى التقاليد الادارية الموروثه ، وتكون السلطة التنفيذية والتشريعية فى هذا النظام للحاكم العام وأعوانه من المفتشين والمآمير ، الذين يتحملون كل المسؤليه (٢)

والعمل بهذا النظام فى هذا النوع من المستعمرات ، يقتصر على الاشارة لتحقيق هدف مبهم هو (أداء رسالة الرجل الأبيض) وهى فيما يزعم مهمة حضارية ، تنحصر فى تنصير الوثنيين ومدهم بالقليل من الغذاء والدواء الذى يمكن أن يدفع عنهم الجوع والمرض ، بجانب قدر ضئيل من التعليم والتدريب المهنى (٣) ، وبالتالى فان نظام الحكم المباشر هذا لايتيح للمواطنين الفرصة للتطلع الى حكم ذاتى لايعرفون ابسط متطلباته التى لم يمارسوها قط •

ويأتى الفرق هنا بين نظام الحكم المباشر وغير المباشر فى أن الثانى يفسح المجال لقيام هيئات وجمعيات ، قد تتطور الى أنظمة سياسية من خلال الزعامات القبلية أو الروحية •

---

(١) رياض ، زاهر ، استعمار افريقيا ، ٢١٩ .
(٢) د. كمر ، محمد عبدالعزيز ، نهضة افريقية ، ص ٩٣ـ ٩٥
(٣) رياض ، زاهر ، استعمار افريقيا ، ص ٢١٩

* الاهتمام بالادارة المحليـــة :

اقتصر اهتمام الادارة البريطانية حتى عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٢ م على تشجيع الادارة المحلية ولم يطبق نظام الحكم غير المباشر فى الشمال بصورة مكتملة (١) وذلك بالرغم من أنه كان يتمتع بادارة مركزية ، وطبقت فى مديرياته المختلفة نظم ادارية حديثه وتقليديه فى فترة حكم محمد على ومن حكم من أفراد اسرته فيما بعد حتى قيام ثورة محمد أحمد المعروف بالمهدى فى عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م (٢)، وبالتالى فان الجزء الجنوبى من باب أولى لم يكن ليشهد تطبيق نظام الحكم غير المباشر نظراً للتأخر الحضارى الذى يشمل معظم أجزائه ، فضلا عن ان الجهود الادارية السابقة وحتى عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م قد انتهت الى تنظيم التجارة واستتباب الامن ، واقامة المراكز على المداخل الرئيسية لطرق التجارة (٣) .

وربما كان عدم تطبيق نظام الحكم غير المباشر بصورة مكتملة بالسودان حتى عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٢م ، فى نظر الادارة البريطانية يعود الى الظروف الامنية والسياسية ، فالسودان كان قد تم اخضاعه حديثا ، وكانت عمليات التهدئه وفرض سلطة النظام الجديدة قد استمرت لازالة كل آثار المهدية التى ظلت باقية حتى بعد موت عبد الله التعايشى خليفه محمد أحمد ، حيث كانت البلاد بين حين وآخر تشهد ظهور ثائر يدعى أنه المهدى ويجمع حوله الاتباع ضد النظام الحاكم (٤) . واستمرت الاوضاع على هذا الحال بعد اخضاع دارفور عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م حيث لم تستقر الامور فى البلاد بشكل تام الا فى نهاية الحرب العالمية الاولى

---

(١) محجوب ، محمد احمد ، الحكومة المحلية فى السودان ، ص ٤٨ ، شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، المكان بدون ، ١٩٤٥م، بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ١٤٧ - ١٤٩ .

(٢) متولى ، عبد الحميد ، تطور نظام الحكم فى السودان ، ص ٢١٩/ ٢٢٦، سلاطين السيف والنار ، ص ٤٠٠ .

(٣) عبيد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، ص ١٠٤-١٠٦

(٤) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٤٤ .

بدأت بعدها الادارة البريطانية فى سياسة تهدف الى اشراك السودانيين فى الحكم كبديل للعناصر المصرية حيث افتتحت دورة لتدريب صغار المآميرالسودانين فى عام ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م ، وتبعتها بعد ذلك فى السنوات التى تلت تدريب السودانيين فى مجال الخدمات الطبية ، وبعض الحرف الزراعية ، بجانب اهتمام السلطات بانشاء بعض المجالس الاستشارية فى بعض المدن ، ولكن جميع هذه الانشطة قد اوقفت نتيجة لظهورالمعارضه بين الفئات المتعلمة من السودانيين للادارة البريطانية وقيام ثورة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م (١)

أما المديريات الجنوبية فقد انتظمت فيها الحملات التأديبية المسلحة التى مر ذكرها حتى عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م ، والتى اضطرت معها الادارة البريطانية الى استخدام الغارات الجوية ضد القبائل فى الجنوب ، حيث كان يقوم سرب من طائرات سلاح الجو الملكى البريطانى ، بمحاولة السيطرة على المناطق التى يصعب الوصول اليها كما حدث فى مناطق قبيلة النوير (٢) .

وكانت الاسباب التى أدت الى تطبيق مظاهرالحكم غير المباشر بصوره مرحلية بعد ذلك فى السودان تختلف فى الشمال عنها فى الجنوب ، فعندما بدأت الادارة البريطانية بدعم الادارة المحلية لشيوخ ورؤساء القبائل فى الشمال ، كانت تهدف بذلك الى ابعاد طبقة السودانيين المثقفين عن مجال الادارة ، نتيجة لخطورتهم السياسية ، واتخاذ شيوخ القبائل كحليف جديد من الممكن السيطرة عليه ، بينما جاءت مظاهر الحكم غير المباشر فى الجنوب ، مواكبه لما يعرف

---

(١) المحامى ، احمد خير ، مساوىء الانجليز فى السودان ، ص ١٦ .

(٢) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ٤٤ ، بخيت جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ١٩٧ .

بالسياسة الجنوبية بهدف التخلص من كل اثر عربى اسلامى فى الجنوب دون أن تتاح للقيادات المحلية القبلية أو بعض العناصر التى نالت حظا من العلم والثقافة سلطات بدرجة من الاتساع تمكنها من ممارسة الادارة بصورة عملية جادة خلافا لما حدث فى الشمال بعد ذلك .

وكانت الادارة البريطانية قد قامت فى عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م باعتماد القانون المحلى لسلطات شيوخ القبائل الرحل فى الشمال (١) ، كما وافقت فى نفس الوقت على انشاء محاكم رؤساء القبائل - لوكيكو Lukiku - لمعالجة القضايا الصغيرة فى الجنوب (٢) ، وكان مصدر هذه السلطات ، حاكم المديرية وذلك خلافا لما حدث فى عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م ، عندما صدر قانون جديد من الحاكم العام البريطانى ساهم بقدر كبير فى دعم وتعزيز سلطات شيوخ القبائل ومكانتهم فى المجتمع (٣) ، ويلاحظ ان هذا الدعم قد برز بشكل واضح فى الشمال فى اعقاب الحوادث التى تلت ثورة عام ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤م ، حيث ظهر للسلطات البريطانية بعد ذلك أن التوانى وعدم الاقدام على هذه الخطوة لم يكن له مايبرره ومن الطبيعى أن تكون المديريات الجنوبية أقل أداء بصورة نسبية فى هذا المجال عن مديريات الشمال نظرا لتخلفها ، مما أدى الى استثنائها عن قانون عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢م الذى بلور الادارة المحلية فى السودان بشكل عام .

ويبدو انه بينما كان الشيوخ ومحاكمهم فى الشمال يمارسون السلطات القضائية والادارية فان رؤساء القبائل ومحاكمهم فى الجنوب كانوا

---

(١) محجوب ،محمد احمد ، الحكومة المحلية فى السودان ، ص ٥٣ ، بخيت جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٦٦ .

(٢) للمزيد راجع يواقيم مرقص ،تطور نظام الادارة فى السودان ،ص ٢٦٦.

(٣) F.O.,407/209,Enc.in No. 246 Report from J. Muffey G.G. to Lord Lioyd High Commissionor for Egypt .
بخيت ، جعفرمحمدعلى، الادارة البريطانية والحركة الوطنية، ص ١٩٣ .

لايزالون فى المراحل الاولية لمعالجة القضايا التى تفوض اليهم من السلطات(١) رغم أنها أحرزت بعض النجاح حيث وفرت على المفتش البريطانى مهمة البت فى الكثير من القضايا البسيطة بين المواطنين الجنوبيين فى ذلك الوقت، وبالإضافة إلى هذه التطورات بدت الحاجة ملحة للادارة البريطانية للعمل على النهوض بالجانب الادارى فى الاقاليم الجنوبية ، ولكن التنظيمات الاجتماعية لتلك القبائل كانت عسيرة الفهم بل غامضة فى نظر الاداريين البريطانيين الذين أصابهم اليأس من احتمال وجود حلفاء وأعوان لهم من الاهالى للقيام ببعض المهام الادارية فى الجنوب ... ويبدو أن المشكلة فى البداية لم تكن فى الشكل الادارى المراد اقامته بقدر ماكانت فى حاجة هذه الاقاليم الجنوبية الى اخضاعها للسيطرة البريطانية تماما (٢) .

وكان المسؤولون فى الادارة البريطانية قد احسوا بنفور أفراد القبائل من النظام ، كما أظهر زعماؤهم عدم رغبتهم فى تحمل أى سلطات ادراية ليست فى طاقتهم فضلا عن أنها قد تجلب عليهم سخط القبيلة ،وهو أمر يتجنبه الرؤساء دائمًا ، ونتيجة لاتساع الرقعة الادراية فى الاقاليم الجنوبية ، فقد بات نفوذ السلطات البريطانية مقصورا على بعض المدن والمراكز الصغيرة ، وبقى جزء كبير من الجنوب خارج عن السلطة المركزية للادارة البريطانية (٣) .

---

(١) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ،ص ٧٣ – ٧٤ .

(٢) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ١٨٩-١٩٢.

(٣) F.O. ,407/209,Enc. in No. 246 .Collins R.,The Sudan , P.16 .

بخيت ، جعفرمحمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان ، ص ١٩٦/٦١ .

ويبدو أن السلطات البريطانية قد وجدت فى محاكم الرؤساء فرصة ومدخلا مناسبا لكسب الزعمات القبلية ، خاصة وأن تلك المحاكم لم تكن سوى تقليد متعارف عليه فى الجنوب لبعض النزاعات التى تنشأ بين الأفراد والجماعات القبلية ،ولم تفعل السلطات البريطانية أكثر من أنها قامت بتدعيم سلطة رؤساء تلك المحاكم وتنظيم اجراءتها ورسومها المقررة (١) .

وبقيت السلطة الادارية مركزه فى يد الحكام البريطانيين رغم أن السياسه المعلنه هى تأييد الزعامات القبلية ودعم سلطاتهم التقليدية الا آن تدخل الاداريين البريطانيين كثيرا ما أدى الى تحطيم سلطة الزعماء القبلية لاثبات سطوة وسيطرة الادارة البريطانية فى وقت من الاوقات ، أو لايقاف الصراع القبلى (٢) .

وبينما كان نظام الحكم غير المباشر قد قطع شوطا لابأس به فى الشمال وبالرغم من المآخذ التى شوهت صورته التطبيقية كما يعتقد ، فان الجنوب بقى فى اطار سياسة الحكم المباشر ، لم يخرج عنها (٣) .

وقد أقرت السلطات البريطانية بعجزها بالنسبة لتطوير محاكم الاهالى و المجالس المحلية فى الجنوب عندما اشارت الادارة البريطانية فى أعالى النيل بأن عدد الموظفين الذين توافروا لادارة المديريات كان ضئيلا الى

---

(١) Collins R., The Sudan , P.20 .
بخيت ، جعفر ، محمد على، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ١٩١ .

(٢) F.O.,407/209, Enc. in No. 246 .
بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٤٧ .

(٣) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٤٩ .

حد كبير ، لدرجة أن مشروع أنشاء محاكم محلية يعتبر محاولة لتغطية عدم المقدرة على توفير النصح والارشاد (١) .

ومن الجدير ذكره هنا أنه قد تم فى عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م الغاء جميع المحاكم الشرعية فى منطقة الجنوب وكان عددها عشر محاكم ، وكانت مراسيم الزواج والطلاق بالنسبة لمسلمى الجنوب تتم بيد المفتش البريطانى المسؤول فى المنطقة (٢) .

ومن المؤكد أن خطوة كهذة لايمكن أن تدعم فكرة التطور بالادارات المحلية الى نظام الحكم غير المباشر ، وانما قد تتراجع به وتحاصره فى نطاق ضيق كما حدث بعد عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م عندما نفذ مشروع السياسة الجنوبية .

* أثر السياسة الجنوبية فى تطور الادارة المحلية بالجنوب :

ان ابعاد الأثر العربى الاسلامى عن الجنوب لم يكن بطبيعة الحال فكرة جديدة للسياسة الجنوبية التى أقرها منشور السكرتير الادارى ماكمايكل عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م ، وانما جاءت هذه الخطوة كتأكيد للسياسة المتبعة فى اطارها السرى ، ولكنها ارتبطت هذه المرة بالتركيز على إقامة وحدات قبلية عنصرية فى الجنوب (٣) ، وقد ترتب على تنفيذ مشروع هذه السياسة فى السنوات التالية لاقرارها ، تخلف الجنوب من الوجهة الحضارية ، وتدهور الخدمات التى كان يشغل الوظائف فيها بعض السودانيين من الشمال ، وذلك بعد أن أتخذت سياسة موجهة

---

(١) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ١٩٩ .

(٢) المحامى ، أحمد خير ، مآسى الانجليز فى السودان ، ص ٢٦ .

(٣) N.R.O. , South , 1/18/168 .

ضد الوجود العربي الاسلامي ، بجانب تشجيع العادات والمعتقدات القبلية السائدة (١) .

وأصبحت الأوضاع في الجنوب في عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م أكثر حاجة للنهوض بالكثير من الاعباء في المجالات التربوية ، والصحية والزراعية والاقتصادية كنتيجة منطقية لابعاد الكوادر الاسلامية المدربة من الشماليين ، حيث انعكس ذلك الابعاد سلبا على حياة الجنوبيين ، فساد الجهل وانتشر المرض والفقر وسوء التغذية بين الوطنيين الجنوبيين بشكل كبير ، ولم تكن جهود الارسالية التنصيرية ذات أثر فعال في هذه المجالات لتركيزها على الجانب التنصيري كهدف محدد (٢) .

وقد بدت هذه النتيجة المؤسفة بالنسبة للمسؤلين كفشل حقيقي للادارة البريطانية في النهوض بالجنوب ، ومن الواضح ان الفشل في ايجاد ادارة فعالة قد ترتبت عليه هذه النتيجة ، اذ لم يتمكن الشيوخ وزعماء القبائل في الجنوب من الاندماج في الهيكل الادارى الجديد بالشكل المتطور للادارة الاهلية المحلية في نظام الحكم غير المباشر وبالتالي فان رئيس القبيلة وجد نفسه قد تحول من زعيم مستقل الى شخص أشبه برجل شرطه (٣) .

وفي تطور آخر حاولت السلطات البريطانية اللجوء الى استعمال أسلوب الوكالة ويتلخص في انابة اشخاص يتمتعون بالمركز المادى بين أفراد العشيرة

---

(١) راجع فيما بعد الملحق رقم (٤) من هذه الدراسة .

(٢) Awad, Karamalla, The Administration of the Sudan, P.69

(٣) مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الادارة فى السودان ، ص ٢٦٦ .

خاصة اذا كانوا يستطيعون التأثير على أفراد قبيلتهم عن طريق السحروالشعوذه واستخدموا طائفه أخرى من الوكلاء كعيون للادارة وكانوا يعرفون بصغار الوكلاء الاداريين على القبائل الصغيرة العدد ، وقد اكتفت الادارة من مؤهلاتهم بالخبرة والتدريب (١) .

ومن ناحية أخرى فقد بات من المستحيل تكوين وحدات كبيرة من الادارات المحلية التى كان من الممكن أن تنشأ بمقتضى العلاقات المتداخلة التى كان سيتيحها الوجود الاسلامى وتداول اللغة العربية ثم التبادل التجارى بين الشمال والجنوب ، وقد زاد من تفاقم المشكلة وجود الانقسامات القبلية التقليدية التى شجعت على استمرارها السياسة البريطانية (٢) .

وبناء عليه فقد اعتبر البعض أن نظام الحكم غير المباشر على هذه الصورة لم يكن أكثر من فلسفة تقليدية نفعية مؤقته فى نظرالادارة البريطانية التى كرست جهودها فى معظم الأحيان للمحافظة على المجتمع القبلى ثم المحافظة على الأمن والنظام ، دون أن توفر للمجتمع عدد من الموظفين المؤهلين ورؤس أموال يمكن أن تحقق السير فى طريق التقدم (٣) ، وهو مالا يتمشى وخطط السياسة الجنوبية التى أصبحت تهدف بوضوح الى فصل الجنوب عن الشمال بدلا عن تكوين وحدات قبلية تتمتع بالاكتفاء الذاتى (٤) .

ولكن سايمز الذى شهدت فترة حكمه عدة تغيرات قد لاحظ أنه لايمكن الدفاع عن تلك السياسة التى وضعت فى فترة حكم جون مفى السابقة ، وهى الاعتماد آساسا

---

(١) مرقص ،يواقيم ،تطور نظام الادارة فى السودان ،ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .

(٢) F.O., 407/209, Enc. in No. 246 .
بخيت ،جعفر محمد على ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية، ص ٢١٦ .

(٣) N.R.O., South 1.18/168 .
بخيت ، جعفر محمد على ،الادارة البريطانية والحركة الوطنية ،ص ٢٣٥ .

(٤) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١٠٢ .

على العناصر التقليدية والزعماء ومشايخ القبائل وحاول من جانبه اعطاء الفرصة فى التدرج الوظيفى للفئة المتعلمه كلما كان ذلك ممكنا (١) ، واتضح فى عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م ، أن سايمز يود بناء النظام الادارى فى الجنوب من القوى التقليدية بمساعدة موظفين من الجنوبيين تدفع لهم مرتبات تتناسب مع مستوى المعيشة المنخفض فى الجنوب (٢) ، والمعول على ذلك أن تنشط الارساليات فى تخريج ما يكفى من الدارسين لتسيير عملية الادارة المحلية من قبل المناصير الكنسية ولكن التطور كان بطيئا رغم الاعانات الضخمة من المسئولين على الارساليات التى فشلت أن تنفذ بصورة فعالة سياسة تربوية تعليمية ناجحة ، كما لم تستطع أن تجعل أثرا محسوسا فى مجتمع متخلف فى وقت قصير ، والتخلص من سياستها التنصيرية للأهالى ، مع العلم بأن الكثير من الارساليات لم تكن ترحب بنظام الحكم غير المباشر اذ كان فى رأيها يمثل اتجاها لايتفق مع تنصير الاهالى (٣) ، واستغلت الضعف الذى طرأ على الزعامات القبلية فى الجنوب فتكلفت من جهتها برعاية أبنائهم وتنشئتهم تنشئة تنصيرية حتى يكونوا سندا لها فى تحطيم العادات والتقاليد الوثنية الموروثه ، والتى كانت تتعارض مع تنصيرهم بحيث يتحول ولائهم بعد ذلك للكنيسة بدلا عن القبيلة التى نشأوا فيها (٤) .

وهكذا نجد أن السياسة الجنوبية التى قصد منها اعداد الاهالى لانشاء الوحدات القبلية بعد القضاء على الاثر الاسلامى العربى ، فان حصادها فى النهاية

---

(١) سلفستر ، أنتونى ، السودان فى عهد نميرى ، ص ٥٢ ، راضى ، نوال عبد العزيز مهدى ، رياح الشمال ، ص ٥١ .
(٢) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٥١ .
(٣) بخيت ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ٢٤٤ ، المحامى ، أحمد خير ، مساوىء الانجليز فى السودان ، ص ٥٢ ، بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١٥١/٤٤ .
(٤) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ١٩٢ .

كان اضعافا لكيان القبيلة ، ذلك أن الارساليات التنصيرية قد عملت على ازالة الكثير من الأعراف والتقاليد القبلية ، بل قللت من نفوذ السلطات القبلية التى كانت ستدعم الادارة المحلية الى حد ما (١) .

ومما لا شك فيه هو أن المبدأ العام للسياسة البريطانية، في الجنوب قد صرح به الحاكم العام البريطاني جون مفى في الرسالة التى بعث بها الى المندوب السامي لبريطانيا فى مصر السير برسى لورين منذ عام ١٣٤٨هـ /١٩٢٩م عندما قال : (ان المبدأ العام لسياسة هذه الحكومة هو بالتحديد ، فرض قيود ربما تكون عملية ومبررة ضد انتشار الاسلام في الجنوب)(٢). ومما لاشك فيه أيضا أن الأرساليات التنصيرية انطلاقا من هذا المبدأ قد استغلت هذه الفرصة لصالحها في الجنوب لتنصير الجنوبيين بتشويه صورة العرب المسلمين ، وبين هذه الأساليب وذلك المبدأ ضاعت الفرصة على الوطنيين الجنوبيين في الأستفادة من نظام الحكم غير المباشر الذى كان من الممكن أن يمهد لهم سبيل المشاركة فى الحكم عن طريق المجالس الادارية المحلية التى تحولت أهداف السياسة البريطانية عنها في التوجيه نحو فصل الجنوب عن الشمال وذلك بعد أن أطلقت الحرية للارساليات ولم تفرض عليها رقابة مسئولة تلزمها بالعمل فى اطار الاهداف الادارية المحددة ، دون أن تكون النتيجة فى النهاية هى الفشل .

---

(١) بخيت ، جعفر محمد على ، __الادارة البريطانية والحركة الوطنية__ ، ص ٢١٦ .

(٢) F.O., __407/210__ , Enc.in No. 187 .

وقد اعترف بهذا الفشل مأمور المراكز فى منطقة بحر الغزال الغربية عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م عندما ذكر بأن أكبر فشل منيت به السياسة المقررة للجنوب هو العجز ، طوال عشر سنوات ، عن ايجاد الاشخاص اللازمين لشغل المناصب الادارية من أبناء الجنوب (١) ٠

وهى بالتأكيد نتيجة طبيعية لتلك الممارسات تحمل تبعتها أهالى الجنوب بعد أن استندت الادارة البريطانية على هذه الحجة التى جعلتهم يتخلفون عن مشاركة اخوانهم فى الشمال فى أول مجلس استشارى عام بالبلاد والذى تم انشاؤه فى ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م ٠

* قبول مشاركة الجنوبيين فى الجمعية التشريعية :

ان نظام الحكم غير المباشر الذى فرضته السياسة البريطانية على الشمال والجنوب كمرحلة ادارية تمهيدية لمشاركة السودانيين فى حكم بلادهم ، وتم التعامل به من بعض الفئات السودانية ، لم يكن مقبولا به كنظام ادارى بصورته التى أقرتها الادارة الاستعمارية الحاكمة ، حيث وجهت اليه سهام النقد من الفئات المتعلمه واعتبرته سياسة رجعية الغرض منها تفتيت وحدة السودانيين وذلك بالتركيز على تنويع الناس حسب قبائلهم ، فضلا عن أنها خلوة استعمارية لبريطانيا تهدف من ورائها الى تكوين طبقة من الزعماء العشائريين الموالين لها ولحكمها ، وأشارت هذه الفئات الى أن محاولة تطبيق ملامح هذا النظام فى الجنوب ودعمه بالسياسة الجنوبية سياسة متعمدة لفصل الجنوب مستقبلا عن الشمال (٢) ٠

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١٠٢ ٠

(٢) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٢٤١ -

وعندما تم أنشاء المجلس الاستشارى لشمال السودان عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م ، ثارت حوله نفس الشكوك فيما يتعلق بفصل الجنوب ، ولذلك فقد بادر مؤتمر الخريجين العام ، وبعض الفئات الأخرى بمقاطعة المجلس الاستشارى ، كما اتخذت الحكومة المصرية موقفا مماثلا ، واعترضت على تلك السياسة (١) ، وقد أدت هذه المواقف وغيرها أن تضطر الادارة البريطانية الى اعادة النظر فيما يتعلق بالمجلس الاستشارى ونظامه .

ويبدو أن الادارة البريطانية فى السودان قد واجهت نقدا من الخارج فضلا عن النقد الداخلى الموجه الى هذه السياسة ، وكان المدير السابق للمعارف المستر كريستوفر كوكس C. Cox قد كتب الى الادارة البريطانية فى السودان ينتقدها فى آن سياستها فى الجنوب قد أدت الى تخلفه تخلفا متزايدا اذا ماقورنت بالشمال ، وذلك فى عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م (٢) ، الأمر الذى دفع المسؤولين البريطانيين الى اتخاذ سياسة أكثر ايجابية تجاه الجنوب لاسباب أدبية وأقتصادية كما ذكر السير دوجلاس نيوبولد (٣) .

وفى رسالة من الحاكم العام السير هوبرت هدلستون Hubert Huddleston الى المندوب السامى فى القاهرة لورد كيلرن فى أغسطس عام ١٩٤٥م/١٣٦٤هـ طرح فيها ثلاث نقاط بشأن مستقبل جنوب السودان وهى كالاتى :
أن يدمج الجنوب مع الشمال أو أن يدمج الجنوب مع شرق أفريقيا ، أو أن يدمج

---

(١) الشيخ ، رأفت غنيمى ، مصر والسودان فى العلاقات الدولية ، ص ٤١٢ .
(٢) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٣٦ .
(٣) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١١٤ .

أجزاء مع الشمال وأجزاء أخرى مع شرق أفريقيا (١) ٠

وكانت دول أفريقيا الشرقية مثل كينيا ويوغندا قد أخفقت فى اقامة أى علاقات تجارية مع السودان الجنوبى (٢) ، خاصة بعد أن اتضح أن تلك الخطط التى كانت قد وضعتها أفريقيا الشرقية لتحسين وسائل المواصلات بينها وبين الجنوب كانت خططا غير عملية فيما يختص بتنفيذها (٣) ، فضلا عن أن كينيا ويوغندا ذاتها كانت فى تلك الأونة تشهد بعض الاضطرابات التى قامت بها بعض الحركات الوطنية ضد الاستعمار البريطانى (٤) ٠

وبذلك يصبح الاقتراح الاول الذى تضمنته رسالة الحاكم هو الذى يمكن الاخذ به وباعتباره أفضل تلك المقترحات فى ذلك الوقت مع العلم بأن رسالة الحاكم العام السابقة لم تشر الى أن الجنوب يمكن أن ينهض فى المستقبل فى شكل دولة مستقله ذات حكم منفصل عن شمال السودان (٥) ٠

ان المشكلة التى أثارها وضع الجنوبيين وتمثيلهم السياسى فى المجلس الاستشارى بالاضافة الى الاسباب السابقة قد جعلت الادارة البريطانية فى وضع يتطلب منها أتخاذ موقف محدد وواضح يخرجها مما هى فيه من مأزق ٠

---

(1) N.R.O., S.C.R., ICI , South 1/18/188 from Civil Secretary to Governor of Provinces and Directors of Departments 16.12.1946.

(2) Collins R., The Sudan , P.38 .

(3) N.R.O., South 1/18/188 ,

(٤) سعودى ، عبدالغنى ، وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٧٩

(٥) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١١٤ ٠

حيث أن التوجه العام والسياسات السابقة للحكومة كانت تتجه نحو أنفصال الجنوب ، ثم ان وضع الجنوبيين فى مجلس أو جمعية وطنية موحدة مع الشماليين يعتبر تناقضا واضحا ، لا يرقى اليه الشك ازاء توجهات الادارة وسياستها نحو فصل الجنوب ، والامر بالتالى يحتاج الى اتخاذ خطوة ما قبل الشروع فى وضع أى سياسة جديدة تتعلق بمشاركة الجنوبيين فى مجلس أو جمعية مع أى جهة من الجهات المقترحه فى رسالة الحاكم العام السابقة .

ولقد جاءت تلك الخطوة بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٤٦م الموافق عام ١٣٦٥هـ فى مذكرة ج . و . روبرتسون J. W. Robertson السكرتير الادارى الذى خلف نيوبولد بعد وفاته حيث أعلنت رغبة الادارة البريطانية فى اتخاذ سياسة جديدة تجاه الجنوب تقوم على اعتبار أن الاهالى فى جنوب السودان شعوب أفريقية وزنجية بغير شك ، غير أنه لظروف اقتصاديه وجغرافية تجتمع كما يبدو الان ، لربط هذه الشعوب بالنمو المقبل لشمال السودان الذى تسوده اللغة العربية وحضارة الشرق الأوسط ، وعليه يجب أن يتم تطور هذه الشعوب عن طريق التنمية الاقتصادية والنهضة التعليمية ، ومدها بما يلزم من الامكانات ليكونوا متساوين فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية مع الشماليين الذين سيكونون شركاؤهم فى السودان مستقبلا (١) .

ويتضح من فحوى المذكرة اثر القلق الذى ولده موقف الحكومة والمأزق الذى وجدت نفسها فيه نتيجة لضغوط الساسة الشماليين بالاضافة الى الاسباب الأخرى التى أشرت اليها حيث حرصت المذكرة على تأكيد زيادة الاهتمام بمسألة الجنوب

---

(1) N.R.O., South 1/18/188

وضرورة بلورة السياسة التى تقررها فى أقرب وقت ممكن ، كما حرصت أن تكون هذه السياسة على صورة يمكن الدفاع عنها دون أن تكون ارضاء لساسة الشمال الذين لم يصلوا الى مرحلة النضج السياسى (كما أشارت المذكرة) ، وكان روبرتسون بهذا يخاطب أعضاء الحكومة فى الادارة البريطانية ، مديرى مديريات الشمال فى السودان ، بهدف التشاور معهم حول السياسة الجديدة المزمع اتخاذها تجاه الجنوب لينقلها الى الحاكم العام الذى سيضمنها تقريره الذى يرفع كل عامين الى الحكومة البريطانية فى لندن لاخذ الموافقه عليها واستبعاد اثنين من مقترحات الحاكم العام الثلاث التى سبق ذكرها (١)

وقد جاءت الردود التى كانت تنظرها الجهات الرسمية فى الادارة الرسمية فى الادارة البريطانية متباينة ولكنها تتفق فى الغالب مع السياسة الجديدة التى أعلنها السكرتير الادارى فى تلك المذكرة مع بعض التحفظات بشأن بقاء الاداريين البريطانيين فى الجنوب لمواصلة عملهم كضمانات لمساعدة الجنوب حتى يتمكن من النهوض والارتقاء (٢) ٠

وكان السكرتير الادارى فى عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م قد شكل لجنة لسودنه الوظائف فى الجنوب ، وقد قررت هذه اللجنة فى توصيتها بضرورة انهاء النظام الذى يقضى بمنح الجنوبيين أجورا أقل من أجور نظرائهم فى الشمال ، الامر الذى يعتبر فى حد ذاته ادانه قويه للسياسة الجنوبية التى وضعتها الادارة البريطانية من قبل (٣) ٠

---

(١) N.R.O. ,South 1/18/188 .

(٢) . بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١٩١ ٠

(٣) عبدالرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٦١ – ٦٢ ٠

وبينما كانت الامور تسير على هذا النحو فقد دعا الحاكم العام بعقد مؤتمر السودان الادارى ، وهو عبارة عن هيئة مؤلفه أساسا من موظفى حكومة السودان بينهم ثمانية من البريطانيين ، وكان الهدف الاساسى من المؤتمر هى دراسة العلاقة بين الشمال والجنوب من منطلق ادارى وسياسى ومحاولة اشراك السودانيين بصورة أوسع فى الحكومة المركزية .

وفى عام ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م فى شهر مارس جاء تقرير المؤتمر معبرا عن تأكيد اشتراك السودانيين فى الحكومة المركزية ، وكان ذلك التقرير قد سلم بالانتقادات التى وجهت الى المجلس الاستشارى فى السابق ، بحكم أنه مقصور على المديريات الشمالية فقط ، وأن صلاحياته استشاريه ومحددة ، بجانب أن أعضاءه لايستطيعون ادعاء تمثيل الشعب السودانى تمثيلا كاملا ، وأنتهى التقرير بعدة توصيات تدعو الى تشكيل جمعية تشريعية من أعضاء سودانيين منتخبين من جميع السودان ، بحيث تتمكن من ممارسة المهام التشريعية والمالية والادارية العامة بالاشتراك مع مجلس تنفيذى يحل محل مجلس الحاكم العام (١) .

وكانت هذه الخطوة الى جانب مذكرة روبرتسون السكرتير الادارى السابقة قد توجت جهود السودانيين فى الشمال من أجل الخروج بالجنوب من ممارسات السياسة البريطانية التى أدت الى تخلفه بشكل واضح عن الشمال طيله السنوات الماضية ومما يحسب من بين الايجابيات لهذا الموقف من الشماليين عن انها أتاحت لاخوانهم فى الجنوب فرصة التعبير عن آرائهم فى اطار السودان الموحد بصوت مسموع من خلال هذه الجمعية ، بجانب انها ستتيح للجنوبيين أيضا فرصة ممارسة

---

(١) عبدالرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ١٤٢ – ١٤٤ .

العمل السياسى والادارى لخدمة مناطقهم فى الجنوب ، وعرض قضاياهم بشكل موضوعى من أجل ارتقاء وتقدم أقاليم الجنوب .

ويتضح من ذلك أن موقف الشماليين تجاه اخوانهم فى الجنوب كان موقفا ايجابيا طوال الفترة التى شهدت ارتفاع شعارات الكفاح والنضال ضد الاستعمار البريطانى سواء كان ذلك بقيادة الحركات الوطنية أم التنظيمات الاجتماعية التى تحولت الى ممارسة مهام سياسية مناهضة للاستعمار (١) ، فهى فى جملتها مجهودات جديرة بالتقدير ، والاعتبار ، نظرا للتضحيات الكبيرة التى قدمتها والاهداف العظيمة التى تحققت منها ، الا أن مجاهدة الاستعمار الذى أستهدف القضاء على الاسلام واللغة العربية فى الجنوب وحاربهما حتى فى أبسط مظاهرهما باسم القومية والوطنية ، كان أمرا يجب أن يكون فيه نظرة أخرى غير تلك غير أن هذه المجهودات قد تمت من فترة ضعف الدولة الاسلامية وغياب وحدة المسلمين ، وكانت شعارات الكفاح والنضال باسم القومية والوطنية هى التى نشأت فى ظل الاستعمار الذى لم يزعجه كثيرا نمو تلك الشعارات طالما أنها أضحت بديلا للشعارات الاسلامية التى يهابها ويخشى نتائجها بخاصة عندما تتحول الى مجهود حقيقى ، وذلك لمجابهة النشاط التنصيرى على حساب الوجود الاسلامى فى الجنوب وحمايته من الاضطهاد الدينى الذى حدث بصورة حقيقية ضد مسلمى الجنوب ، وان لم يكن علنيا (٢) .

---

(١) مثل مؤتمر الخريجين ، راجع المبحث السابق ، ص ٣٤٤ .

(٢) Said ,Bashir,M., The Sudan Across Road of Africa, P.42 .

وليس المقصود بالمجابهة هنا الانتقام لمسلمى الجنوب بالمثل وانما المقصود هو الاهتمام بالدعوة الاسلامية ، ورعاية شئون المسلمين فى اطار تعاليم الشريعة الاسلامية التى تحث على ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ومراعاة شعور أهل الديانات الأخرى وهو أمر يشهد عليه التاريخ والملل أو الأمم التى عاشت فى كنف البلاد الاسلامية من قبل ٠

** ** **

الفصل الرابع

* الفصل الرابع *

النشاط التنصيرى فى جنوب السودان

١٢٣٦ – ١٣٦٥هـ / ١٨٢٠ – ١٩٤٥م

(١) أهداف التنصير *

يعتبر التنصير حركة دينية سياسية استعمارية ، بدأ ظهورها بعد فشل خطة الحروب الصليبية ، فرض النصرانية ونشرها بين الأمم فى دول العالم عامة والمسلمين خاصة بهدف أحكام السيطرة على هذه الشعوب ٠(١)

ويعتقد فى رأى بعض القائمين على التبشير النصرانى ، أن الباعث الحقيقى ، انما هو القضاء على الأديان غير النصرانية ، وذلك حتى يتم استعباد اتباعها ٠(٢) وفى نظرهم ، أن الوحدة الاسلامية التى تجمع آمال الشعوب الاسلامية وتعمل على التخلص عن السيطرة الأوربية ، يكون التبشير بالنصرانية هو الوسيلة المناسبة لكسر شوكتها وتحويل اتجاه المسلمين عن وحدتهم ٠ ذلك لأن المسلمين هم العقبة الرئيسية بالنسبة للاستعمار والنصرانية ٠ حيث وقفت فى مجابهتهم فى عدة أماكن من أفريقيا ٠(٣)

والمعروف أن الفرق المسيحية على خلاف فيمابينها من حيث الاهداف التى

---

* التنصير هى الترجمة العربية المناسبة للكلمة الانجليزية Evangelization أو الحماس للصليبية ٠ قاموس المورد ٠ دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ ٠

(١) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الاسلامى ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ص ١٥٩ ٠

(٢) الخالدى ، مصطفى وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، ص ٤٥ ، ط ٤ ، بدون دار نشر ، بيروت ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ٠

(٣) الموسوعة الميسرة فى الاديان والمذاهب المعاصرة ، ص ١٦١ ٠

تدعو الى التبشير بالنصرانية ، فالهدف من التنصير فى نظر البروتستانت ، هو تنصير المجتمعات غير المسيحية ، وفى بعض الحالات تحويل المجتمعات الكاثوليكية نفسها الى البروتستنتية ، بينما كان الهدف من التنصير عند الكاثوليك ، هو تحويل الذين لايؤمنون بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية اليها ، بمن فيهم المسيحيون الذين لايدخلون تحت نفوذ البابا.(١)

وفى اعتقاد البعض ان المعركة بين المنصرين وبين الأديان غير النصرانية ليست معركة دين ، بل هى معركة فى سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية . وذلك نتيجة لعداوة ظاهرة بين الفرق النصرانية المتباينة ، بينما تجتمع كل هذه الفرق النصرانية فى العداوة الشديدة للعرب والمسلمين ، ولاريب أن مرد هذه العداوة الشديدة يعود الى الحروب الصليبية ، حيث أجمع مؤرخو التبشير بالنصرانية على ذلك . وفى النهاية ان تلك العداوة دنيوية سياسية لاصلة لها بالدين الحق .(٢)

وتشير المراجع الى أن اتساع حركة التبشير بالنصرانية بين الشعوب غير الأوربية جاءت من نتائج الحروب الصليبية .(٣) ولذلك فقد جاءت تحمل نفس الاحقاد والضغائن التى رافقت اولئك أثناء حروبهم السابقة فى ثوب التبشير

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٢٠ .

(٢) الخالدى ، مصطفى وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار ، ص٣٦/٤٥ .

(٣) عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢١٥ .

بالنصرانية ، التى يتستر وراءها الغرب . بمعنى آخر أن الحركة الصليبية جاءت هذه المرة فى عباءة الدين وليست عسكرية مسلحة كما حدث من قبل .

وتأتى سياسة محاصرة الاسلام واللغة العربية فى أفريقيا كنتيجة حتمية للمعارضة الشديدة التى واجه بها المسلمون الأفارقة الاستعمار الأوربى عند محاولته السيطرة على افريقيا . والأمثلة على ذلك كثيرة فى شرق القارة وغربها ، حيث كان نشر النصرانية والحضارة الأوربية من أهم مقررات مؤتمر برلين الذى عقد فى عام ١٣٠٢/١٣٠٣هـ - ١٨٨٤/١٨٨٥م لتقسيم أفريقيا بين القوى الاستعمارية (١) .

وكانت الوسيلة التى يمكن ان تمهد لهذه الخطوة ، هى حركة التبشير بالنصرانية . لأن المبشرين هم أصابع أممهم وعيون بلادهم. فضلا عن أنهم يحاولون دائما اثارة الفتن والاضطرابات فى البلاد العربية والاسلامية ، واحياء الروح الطائفية ، والقوميات المندثرة لاذكاء العداوة والشحناء ، وذلك بغرض اضعافها لتسهل السيطرة عليها سياسيا واقتصاديا فيمابعد .(٢)

- أهداف التنصير فى جنوب السودان :

تعتبر أهداف التبشير بالنصرانية فى منطقة جنوب السودان ، جزءا من المخطط العام لسياسة التبشير بالنصرانية فى أنحاء أفريقيا، والذى يدخل فى الاطار الشامل للنظام التبشيرى الدقيق بالنصرانية الخاضع لحماية الدول الأوربية الاستعمارية ، والتى تمكنت من بسط نفوذها على أجزاء كبيرةفى أفريقيا

---

(١) حسن ، يوسف فضل ، " الجذور التاريخية للعلاقات العربية والافريقية" ص ٣٨ . ندوة العرب وأفريقيا ، ١٩٨٤م .

(٢) الموسوعة الميسرة فىالاديان والمذاهب المعاصرة ، ص ١٦٧ .

الاستوائية ، حيث كانت تلك الدول الاستعمارية والكنيسة ، جادة فى العمل على وقف توغل الاسلام واللغة العربية ، عند حاجز يخترق القارة من الشرق الى الغرب ، يوازى خط العرض ١٠° شمال خط الاستواء٠(١)

وقد أصدر البابا بندكت الخامس عشر ارادة بابوية فى عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩ م اتضحت فيها المرامى الاساسية للعمل التبشيرى بالنصرانية فى تلك الفترة كماتقتضيه الحاجة٠ وقد تركزت فى نقطتين :

الأولى ـ هى التوغل فى الأراضى ومواصلة العمل التبشيرى بالنصرانية ٠

الثانية ـ ضرورة تكوين أفراد يمكن أن يمثلوا طبقة من رجال الدين النصارى من المواطنين بحيث يتولون أمور الكنيسة فى بلادهم مستقبلا ٠(٢)

هذه الأهداف تزامنت مع السيطرة البريطانية على جنوب السودان واتاحتها الفرصة للمؤسسات الكنسية لتمارس نشاطها التبشيرى بالنصرانية فى جميع اجزاء الجنوب بحرية كافية ، مع الدعم والمساندة الكاملة من الجهات الرسمية المسؤولة على قمة السلطة فى السودان آنذاك ـ حدث هذا عقب النجاح الذى أحرزه الاسلام بالتوغل فى أفريقيا الزنجية وتمثل فى اقبال الوطنيين عليه ، الأمر الذى سبب الحرج للكنيسة المسيحية والفشل الذى واجهته فى تلك الجهات رغم الجهود المنظمة والمدعومة من الغرب ، ذلك لأن النتائج التى تحققت منها لم تكن توازى ماتوصل اليه الاسلام من تقدم دون ان تسنده دعوة منظمة فى تلك الاماكن ٠

---

(١) حسن، يوسف فضل ، " الجذور التاريخية للعلاقات العربية والافريقية " ، ص ٣٦ ٠ ندوة العرب وافريقيا ٠

(٢) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٢٢ ، خليل ، عمار الدين ، مأساتنا فى افريقيا ، ص ٧٩ ٠

وقد عبر عن هذا الحرج توماس آرنولد فى كتابه الدعوة الى الاسلام عندما قال :(لاشك أن الاسلام قد تقدم فى أفريقيا الزنجية تقدما جوهريا بسبب عدم كل احساس باحتقار الاسود . وفى الحق يظهر أن الاسلام لم يعامل الأسود قط على أنه طبقة منحطة ، كماكانت الحال ، لسوء الحظ ، فى كثير من الاحيان فى العالم المسيحى).(١)

وتتضح الأهداف البعيدة التى ترمى اليها حركة التبشير بالنصرانية فى الجنوب فيماكتبه سبنسر ترمنجهام أحد أعمدة جمعية التبشير المسيحى البريطانية فى السودان ، والذى جاء فيه :(بتطور الكنيسة المسيحية فى الجنوب فاننا مواجهون باللقاء المرتقب للمسيحية السودانية مع الاسلام السودانى. اذ بتحرر كنيسة الجنوب من عقدة الرق . بالرغم من وجود استيطان ابيض فان ظروفها ستكون مواتية ، حينما تصبح الديانة الرسمية للجنوب ، وانه لمن واجبنا فى الشمال الاعداد لذلك اليوم . (يعنى يوم اللقاء المرتقب) وسنسعى للاتى :

١ - تأسيس مراكز مسيحية فى كل مناطق الأراضى الحدودية التى للاسلام اتصال بالوثنيين فيها .

٢ - تأسيس مراكز مسيحية فى ديار الاسلام حتى تصير لمسيحية الجنوب نقاط ارتباط حينما تتدفق فى اتجاه الشمال)(٢)

هذه النقاط التى ذكرها ترمنجهام بوصفه أحد ركائز النصرانية الناشطة فى السودان آنذاك ، تؤكد الأهداف الحقيقية التى جاء التنصير لتحقيقها فى هذه الجهات ، والمتمثلة فى وقف تقدم الاسلام جنوبا وتكوين حاجز من المسيحيين يسد الطريق أمامه ، وذلك بتأسيس مراكز مسيحية فى المناطق

---

(١) توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٣٩٤ .

(2) J. Spencer Triningham, The Christian Approach to Islame in the Sudan, P.49 Oxford , 1948 .

الحدودية لمجابهة الاسلام فى الشمال ، حيث يقوم بتنفيذ ذلك الوطنيون من الجنوبيين بعد خروج الاستيطان الأبيض ، وذلك يتفق تماما مع ماذكر سابقا من أهداف وخطط المنصرين ، وهى التى أدت فيمابعد الى الفتنة واثارة الاضطرابات بعد ان أدخل الدين كعنصر يغذى الخلاف الذى يريده الاستعمار بين الجنوب والشمال ويضعهم فى مواجهة مفتعلة ومبيتة كماجاءت فى التصريح السابق • بين الاسلام السودانى فى الشمال والنصرانية السودانية فى الجنوب ،وهذا يؤكد تماما زيف الادعاءات من أن هناك خلاف حقيقى له صلة بالدين بين الجنوب والشمال فى الوقت الذى يظهر فيه الواقع أن جوهر الأمر كله مفتعل •

المبحث الثاني

التنصير بالجنوب فى فترة حكم محمدعلى وأسرته :

بعد زوال ممالك النوبة المسيحية فى شمال السودان ، وقيام الممالك الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى (١)، فقدت المسيحية صلتها بالسودان ، الى أن تم ضمه الى مصرفى عهد محمد على باشا وذلك فى عام ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م •(٢) وكنتيجة لقيام حكومة مركزية موحدة فى السودان ، ومانجم عن ذلك من استقرار فى البلاد شمل الأمن والنظام ، اجتذبت البلاد الارساليات المسيحية ، حيث أتى المبشرون لأداء مهمتهم التنصيرية ، ليس فى السودان فحسب ، وانما عن طريقه الى مختلف أنحاء أفريقيا •

ويعتبر السودان فى نظر المبشرين النصارى ، له أهمية خاصة ، نابعة

---

(١) حسن ، يوسف فضل، مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فى السودان الشرقى ، ص ١١٨ •

(٢) عبدالرحيم ، الخضر ، النشاط الكنسى فى السودان ، ص ٣٨ رسالة دكتوراه جامعة ام القرى ١٤٠٨ هـ •

من موقعه كملتقى للطرق التى تؤدى الى جنوب وشرق أفريقيا ، هذا فضلا عن أن أولئك المنصرين تتبلور نظرتهم الى السودان كمدخل الى أثيوبيا المسيحية للسيطرة على كنيستها التى كانت لاتزال تتبع الكنيسة القبطية .(١)

وقد تسامح محمد على مع النشاط التبشيرى للمنصرين ، بناءا على موافقة السلطان العثمانى فى تركيا ، استجابة لرغبة الامبراطور فرانز جوزيف Franz Joseph امبراطور النمسا، على منح الارساليات التنصيرية فى السودان نفس الامتيازات التى منحت لها فى سائر أنحاء الدولة العثمانية .(٢)

وكان الرحالة التشيكى بالمى Palmy أول من شجع على النشاط التنصيرى فى وادى النيل ، بعد أن زار السودان ، وأصدر كتابا بعنوان (رحلات فى كردفان ، عام ١٢٦٠ هـ/١٨٤٤م يشجع فيه الأوربيين على نشر النصرانية فى السودان قبل أن ينتشر فيه الاسلام .(٣)

وكان المدير الرسولى وأسقف كتدرائية مالطا قد نبه من جهته الى الامكانيات الجديدة فى السودان ـ ويبدو أنها اشارة منه الى عملية اختراق عقبة السدود فى النيل الأبيض على يد سليم قبودان ، والتى ساعدت على قيام رحلات استكشافيه على النيل الابيض جنوبا ـ وقد حذر ذلك الاسقف من خطورة انتشار الاسلام فى قلب القارة الافريقية (٤) .

وكانت الخطوة المتمثلة فى اختراق السدود والتوغل جنوبا على النيل

---

(١) بشير، محمد خير ، تطور التعليم فى السودان ، ص ٤٧ .

(2) Gray R., Ahistory of the Southern Sudan, P.25 .

(٣) ضرار ، ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، ص ٦٧

(٤) بشير، محمد خير ، تطور التعليم فى السودان ، ص ٤٩ .

الابيض ،من العوامل الرئيسية التى أعانت النشاط التنصيرى فى الاندفاع الى داخل القارة الأفريقية ،وقد أعتبر هذا الحدث فى القرن التاسع عشر
نتيجة لذلك الحدث الذى يتعلم بإزالة عقبة السدود من ذلك القرن أنه
من أعظم قرون التوسع المسيحى فى أفريقيا عند علماء اللاهوت . هذا بالاضافة الى أن الارساليات التنصيرية قرنت بين مسألة تبنى محاربة تجارة الرقيق ، وبين نشر الانجيل فى مناطق هذه التجارة ، الأمر الذى ترتب عليه انتقال البرامج التى وضعتها الحكومة البريطانية ، وجماعة محاربة الرق فى بريطانيا الى المنصرين ، الذين بدأو فى توجيه نشاطهم التنصيرى الى داخل القارة بهدف محاصرة الاسلام ، ووقف تقدمه الى منطقة البحيرات الاستوائية . (١)

وقد كانت هذه الاجراءات بمثابة الفرصة السانحة للارساليات التنصيرية للقيام بتنفيذ مهامها التنصيرية ، حيث بدأت قلة من فئات المنصرين مباشرة عملها بمناطق جنوب السودان عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م . (٢)

ويبدو ان الارساليات الكاثوليكية كانت أنشط الطوائف المسيحية لتحقيق هذا الهدف فى الاستجابة الى أمر البابا جريجورى السادس عشر – رأس الكنيسة الكاثوليكية – فى عام ١٢٦٣ هـ/١٨٤٦م ، والذى يقضى باتخاذ وسط افريقيا مقرا للنيابة البابوية ، وذلك آملا فى أن يعتنق الوثنيون هناك المسيحية مما ترتب عليه مسارعة الطلائع الأولى للمنصرين النمساويين الكاثوليك فى الوصول الى السودان عام ١٢٦٥ هـ/١٨٤٨م .(٣)

وفى عهد عباس الأول من عام ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م ظل المبشرون النصارى يتسللون خلسة الى مناطق أعالى النيل دون علم الحكومة فى مصر والسودان وذلك نتيجة

---

(١) عكاشة ،ابراهيم ،التبشير النصرانى ،ص ٣٧ – ٣٨ .

(٢) عجوبة ، مختار ،" مشكلة جنوب السودان " ، ،المستقبل العربى العدد ٨٨، ص ٧٠.

(٣) Trimingham J.S., The Christian Approach ,P.13 .

لاحتكارها للتجارة الخارجية وحرية الملاحة على النيل الأبيض ، حيث تم الغاء هذا الامر فيمابعد . (١)

وفى العام التالى لم يعد المنصرون فى حاجة الى تلك الأساليب بعد أن تم تأسيس مراكز تنصيرية فى كل من غندكرو ١٢٦٨هـ/١٨٥١م بالمديرية الاستوائية وفى مركز كاكا فى منطقة الشلك ١٢٧٩هـ/١٨٦٢ م (٢)

ولكن النشاط التنصيرى فى هذه المراكز لم يستمر طويلا نتيجة لعوامل متعددة ، منها ان الاهالى من الجنوبيين لم يرحبوا بوجود طائفة المبشرين النصارى البيض ، وأخذوا ينظرون اليهم بعين الشك والريبة لما اقترن فى أذهانهم بالادارة الأجنبية ، وتجارة الرقيق ، بالاضافة الى ظروف المناخ القاسية بالجنوب ، والتى أضحت عقبة حقيقية فى استمرار ذلك النشاط .(٣)

وتفيد الدراسات أن عددا من المنصرين قد فقدوا أرواحهم ، حيث كان حوالى خمسة عشر يموتون سنويا من بينهم دون أن تفلح البعثة فى تنصير نسبة ولو ضئيلة من الأهالى بالجنوب .(٤) ولذلك لم يتم ارسال منصرين جدد الى المنطقة ، كماتدنت المساعدات المالية للمنصرين نتيجة لانشغال ايطاليا التى يوجد بها المركز الرئيسى للتنصير الكاثوليكى بحروب خاصة بها ، الامر الذى لم يمكنها من متابعة مثل تلك الانشطة فضلا عن مساعدتها لتلك المراكز الفرعية

---

(1) Gray R., Ahistory of the Southern Sudan, P.24 .

(٢) عبد الرحيم ، الخضر ، النشاط الكنسى فى السودان ، ص ٤٨ ، عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٤٤ .

(٣) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ٥٢ .

(٤) مورهيد ، آلان ، النيل الابيض ، ص ٩٢ ، بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم في السودان ص ٥٩ ، عبد الرحيم ، الخضر ، النشاط الكنسي في السودان ، ص ٤٩

الناشئة فى أفريقيا الاستوائية .(١)

- مساندة صمويل بيكر وغردون للتنصير فى الجنوب :

على الرغم من أن النشاط التنصيرى للمبشرين قد توقف فى منطقة الجنوب التى ظلت خالية حتى عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م من ذلك النشاط المحدود فى تلك الفترة المظلمة (٢) فإن الاداريين البريطانيين اللذين اوكلت اليهما الحكومة الخديوية فى مصر ادارة منطقة الجنوب وهما صمويل بيكر، ومن بعده غردون ، قد أبدى كل منهما رغبة ملحة فى مناشدة الهيئات التنصيرية الأوربية للعمل فى جنوب السودان .(٣)

أما صمويل بيكر فقد ساءه ما آل اليه النشاط التنصيرى للمبشرين فى الجنوب ، فعلق مبديا حسرته على تلك الأوضاع :(ان عمل المبشر عسر ويكاد يكون مستحيلا ، فالوفد النمساوى قد أخفق ومقارهم قد هجرت ، وصار جهدهم الدينى ميئوسا من نجاحه ، و الاباء الاتقياء ماتوا على الأرض المجدبة) ثم استطرد يقول (ان الوقت لم يحن بعد لمشروع تبشيرى فى تلك البقاع ، ولكن فى الوقت ذاته يستطيع الرجل العاقل أن يقدم نفعا ببقائه بين المواطنين)(٤)

ولا أدرى ان كان بيكر يشير الى نفسه بهذا الكلام أم أنه يعبر عن ايمانه وتمسكه الشديد بضرورة النشاط التنصيرى فى هذه المنطقة ليتحول الجنوب بعد ذلك الى النصرانية ، وعلى كل فان ذلك يتفق مع النداء الذى توجه به الى

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ٥٢ .

(٢) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٤٤ .

(٣) عبد الرحيم ،الخضر ، النشاط الكنسى فى السودان ، ص ٥٠ .

(٤) Trimingham J.S., The Christian.. Approach to islam, P.1

الحكومة البريطانية حيث ← طالب بتدخل بريطانيا فورا لصالح النصرانية واستغلال الامكانيات الضخمة التى تبشر بها تلك المناطق قبل أن تضيع الفرصة على النصارى (١) .

أما الجنرال غردون فقد أبدى تمسكه الشديد هو الآخر بفكرة تجديد نشاط المبشرين النصارى في الجنوب ، واتفق فى الرأى مع بيكر فى أن هذا العمل بهذه الجهات يحتاج الى المخلصين فقط من المنصرين مما يؤكد مدى الحرص الذى يبديه كلاهما تجاه الفكرة نفسها ، وكان غردون قد كتب الى جمعية تبشير الكنيسة البريطانية اثناء فترة حكمداريته للسودان يشير الى أنه من الممكن انشاء ارسالية نصرانية فى منطقة أعالي النيل ، على الرغم من انها بلاد قاسية ، ويعتقد أن الاخلاص للنصرانية يتطلب تضحيات كبيرة حتى لوهانت الحياة في سبيل ذلك وانه لشيىء نادر في هذه الايام (٢) .

ولا يستغرب مثل هذا القول من غردون ، التى كشفت فترة ادارته السابقة للمديرية الاستوائية عن دعوته لجمعية الرومان الكاثوليك،وجمعية تبشير الكنيسه البريطانية للقيام بالنشاط التنصيرى في المديرية ، ولكن تلك الهيئات لم تتمكن من تحقيق تلك الرغبة لغردون في ذلك الوقت (٣) . مما يدل على أن تحركات غردون كانت تعمل في اتجاه معاكس لتقدم الاسلام في المنطقة الأمر الذى يتنافى مع رغبة الحكومة الخديوية التى يعمل تحت رئاستها .

---

(١) زلفو ، عصمت حسن ، كررى ، ص ٢٩ ، مطبعة التمدن المحدودة ط٢ ، الخرطوم ١٩٧٨م .

(٢) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ص ٥٠ – ٥١ .

(٣) بشير ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ص ٥٨ .

ويبدو أن محاولات غردون الرامية الى محاربة الاسلام ومساندة النشاط التنصيرى ظلت مستمرة ففى عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م وبعد ان استكمل سحب قواته العسكرية من يونيورو وغيرها من المراكز على الحدود الأوغندية بعث برسالة الى السكرتير الفخرى لجمعية تبشير الكنيسة البريطانية يطلعه على عملية الانسحاب ويطمئنه على سلامة المنصرين فى أوغندا التى باتت محل عناية الحكومة البريطانية والهيئات التنصيرية الكاثوليكية ٠(١)

وهذا من جهة أخرى بلاشك يؤكد ان غردون كان يقوم بمهمة حماية المصالح البريطانية ومصالح كنيستها النصرانية ، مساهمة منه فى القضاء على الوجود الاسلامى بالمنطقة تحت ستار محاربة تجارة الرقيق المهمة المعلنة التى انتدب غردون الى ادارة المنطقة من أجلها ٠ وقد ظهر اعتماد الحكومة البريطانية على غردون فى رعاية مصالحها فى المنطقة عندما اسندت اليه القيام بمهمة اخلاء السودان فى أعقاب ثورة السودانيين فى الشمال والتى كانت تحت قيادة محمد أحمد المعروف بالمهدى، حيث تم اغتيال غردون بعد فتح الخرطوم على أيدى الثوار عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م ٠(٢) كما ظهر اهتمام الهيئات التبشيرية للتنصير فى السودان بعد ذلك بشكل خاص ، اذ رأت فى غردون بطلا مسيحيا لقى حتفه فى سبيل الدفاع عن المسيحية (٣)، وذلك فى وقت ازدادت فيه رغبتها فى وقت انتشار الاسلام نحو قلب القارة الأفريقية، ثم تأييد الفكرة التى تدعو الى تكثيف نشاط الجمعيات التنصيرية بالمنطقة ٠

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٥٢ ٠

(٢) شبيكة ،مكى ،السودان عبر القرون ، ص ٣٥٢ ٠

(٣) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٥٨ ٠

ويتضح مماسبق ان الاداريين البريطانيين وغيرهم من الأوربيين قد مهدوا السبيل للهيئات والجمعيات التنصيرية لتقوم بنشاطها فى الجنوب ، وذلك باستبعادالعناصر العربية المسلمة من الاداريين والجنود المصريين بهدف تقليص نفوذ المسلمين وبسحب الحاميات من المراكز الحكومية ، واظهار سطوة الاداريين البيض الجدد بهدف ارهاب الاهالى والسكان ، ثم مناشدة الهيئات العاملة فى مجال التنصير للمسارعة الى المنطقة التى باتت فى نظرهم مهيأة تماما لتلقى النصرانية • ولاشك أن مثل هذاالعمل قد ساهم بقدر وافر فى وضع الفوارق الثقافية والحضارية ، كما أدى الى تعقيد الامور والعلاقات بين أبناء الشمال والجنوب ، ممايضيف قدرا آخر الى التراكم الذى خلفته السياسات التى ارتكبها الاداريون البريطانيون والمتمثلة فى العنف المتعمد الذى انعكس على حياة الاهالى فى الجنوب وأدى الى نفورهم وتمردهم على أى شكل من أشكال الاستقرار الحضارى فيمابعد •

* المبحث الثالث *

تعدد الارساليات المسيحية فى جنوب السودان :

ان تعدد الارساليات التنصيرية التى تعمل فى نطاق النشاط التنصيرى بجنوب السودان أمر ملفت للنظر ، حيث كان من المتوقع أن تكتفى سلطات الادارة البريطانية فى السودان بنشاط جمعية تبشير الكنيسة البريطانية Charch Missiomary Society والتى يرمز اليها ب C.M.S. فقط فى هذا المجال على اعتبار أنها تعبر عن سياسة الحكومة البريطانية فيما يختص بنشر المسيحية على المذهب الانجلكانى فيماوراء البحار والتى بدأت نشاطها فى السودان مع بداية الحكم الثنائى .(١)

وقد جاءت فكرة تعدد الارساليات المسيحية فى اثر اقتراح تقدمت به تلك الجمعية بالاضافة الى طائفة البروتستانت الى الادارة البريطانية لتقسيم المناطق جنوب خط عرض ١٠° الى ثلاثة أقسام . ولكن ، جميعة التبشير المسيحى البريطانية C.M.S. شغلت بالعمل فى الشمال ولم تلتزم بالعمل فى الجنوب مخالفة بذلك الاتفاق الذى كان قد أبرم بين كرومر وكتشنر فى السابق وبين هذه الجمعية التنصيرية ، فى أن تبتعد عن ممارسة نشاطها التنصيرى فى الشمال بين المسلمين وتبدأ العمل فى الجنوب بمنطقة قشودة ، ولكن بقيت ارساليتها فى أم درمان (٢) ، ولم تبدأ نشاطها فى الجنوب الاعام

---

(١) أحمد ،حسن مكى محمد ،جذور وأبعاد التبشير المسيحى فى العاصمة المثلثة ص ٥ ، المركز الاسلامى الافريقى ،شعبة البحوث والنشر ، الخرطوم ،بدون تاريخ .

(٢) Warburg G., The Sudan Under Wingate, PP. 109/118 .

١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م[١] وهو العام الذى أقر فيه السير ونجت حاكم عام السودان (١٩٠٢ — ١٩١٦م) ، السياسة الجديدة للنشاط التنصيرى فى جنوب السودان والتى تقضى بفكرة تعدد الارساليات المسيحية للقيام بهذا النشاط فيمايعرف بنظام مناطق النفوذ.

ولاشك ان تلك الخطوة المتعلقة بتقسيم امنطقة جنوب السودان الى مناطق نفوذ بين الارساليات التنصيرية قد ابتدعت لعدة اسباب منها :

(أ) رغبة الادارة البريطانية فى عدم اتاحة الفرصة للاسلام بالانتشار فى الجنوب ولذلك لم تخصص له أى منطقة من الممكن ان تمارس فيها الدعوة الاسلامية نشاطها أسوة بماخصصته من مناطق لنشاط الارساليات التنصيرى . ولاشك أن هذا الاجراء حرب حقيقية على الاسلام فى الجنوب ساند فيها الاستعمار البريطانى العمل التنصيرى دونما مراعاة لحقوق المسلمين فى الجنوب .

(ب) رغبة الادارة البريطانية فى تجنب العداء والتنافس التاريخى الذى يحدث بين الطوائف المسيحية فى أوربا ، والذى بدأت آثاره تظهر بين الارساليات المسيحية فى الجنوب .(٢) خاصة بعد أن اعلنت الادارةالبريطانية أن نشاط الارساليات يجب أن يكون مقصورا على الجنوب الوثنى دون الشمال المسلم ، مماجعل مجال هذا النشاط ضيقا بالنسبة للارساليات التى تم استنفارها فى تلك الفترة ، والتى جاءت للقيام بهذا النشاط لوقف تقدم

---

(١) Makki, Hassan Sudan The Christian Design, P. 60.

عكاشة ، ابراهيم، التبشير النصرانى ، ص ٧٧ .

(٢) Makki, Hassan, Sudan The Christian Design, P.60 .

الاسلام فى الجنوب ، وذلك رغم عدم قناعة الرأى العام فى بريطانيا وعدم اهتمامه بمسألة نشر المسيحية فى السودان كدين وانما كوسيلة لخدمة المصالح الغربية بشكل عام والبريطانية بوجه خاص فى صراعها مع الاسلام والدليل على ذلك ماكتبه محرر جريدة التايمز مستر ارنولد Arnold وقد ذكر الدكتور ابراهيم عكاشة أنه أشار الى ذلك وقال: (ان صراعنا الطويل ليس مع السود وانما مع العرب (يقصد المسلمين) أنصار المهدى الذين قتلوا غردون ، فكان لابد من شفاء هذه الضغينة .... وهذا ماكان ينشده المبشرون فى السودان)(١) ويبدو أنه ولهذا السبب كانت جمعية تبشير الكنيسة البريطانية C. M. S. هى الجمعية الوحيدة التى أبدت تبرمها من قرار الحكومة بقصر النشاط التنصيرى فى الجنوب ، ومن ناحية اخرى فقد خشيت الادارة البريطانية أن يؤدى ذلك التنافس والعداء بين الطوائف النصرانية الى كارثة ماحقة قد تلحق ضررا بالسياسات الادارية للحكومة وتؤدى الى اضطرابات مالم يتم تقسيم مناطق الجنوب فيما بينها.(٢) وبذلك تتفرغ هذه الارساليات جميعها للعمل يدا واحدة فى محاربة الاسلام. وهكذا نسيت الارساليات خلافاتها الدينية ومواقفها المبدئية فى الطعن ضد عقائد بعضها البعض ورضيت بتقسيم المناطق الجنوبية فيمابينها لازاحة عدوها المشترك من الساحة وهو الاسلام .

(ج) ان تقسيم الاقليم الجنوبى الى مناطق نفوذ بين الارساليات التنصيرية يضع حدا لنشاط الارساليات شمال خط عرض ١٠° شمال خط الاستواء ، وهى

---

(١) C.M.S Intelligencer, Vol.XLX, The Time Special Corresp-ondance at Omdurman , June, 1900, P. 470 . نقلا عن د عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٧٧

المنطقة التى تعتبرها سلطات الادارة البريطانية فاصلة بين نفوذ الاسلام فى الشمال ونفوذ الارساليات التنصيرية فى الجنوب • وذلك من ناحية أخرى يجسد فكرة التمهيد لقضية الفصل بين الجنوب الوثنى والشمال المسلم رغم التداخل السكانى بين الشقين • وقد حدثت بعض التجاوزات حيث سمحت الادارة البريطانية لارسالية السودان المتحدة Sudan United Mission والتى يرمز اليها بـ S. U.M عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م بممارسة نشاطها فى ملوط التى تقع شمال خط عرض ١٠° شمال ، وقد أحيط هذا العمل بسرية تامة ، خوفا من اثارة المسلمين فى الشمال ، ودون أن تتنبه الطوائف الكاثوليكية لذلك •

(د) تزامنت تنفيذ فكرة تقسيم الاقليم الجنوبي بين الارساليات المسيحية الى مناطق نفوذ عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م مع بداية رغبة الارساليات البريطانية العمل فى جنوب السودان ، وذلك بعد أن سبقتها الارساليات الكاثوليكية وغيرها الى العمل هناك (١) ، ولاشك ان هذه الخطوة جاءت كمبادرة من سلطات الادارة البريطانية لاعانة الارساليات البريطانية فى الحصول على مواقع مميزة فضلا عن أنها لاترغب فى أن يشغل هذه المواقع غير تلك الارساليات البريطانية ، سيما وانها قد تأخرت فى القيام بنشاطها التنصيرى فى الجنوب •

وقد اتضح تعاطف سلطات الادارة البريطانية مع هذه الارساليات حيث خصصت لها الأراضى التى يربط مجرى نهر النيل فيها بين أملاكهم فى مصر شمالا وبين

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ٨١

أملاكهم فى وسط وشرق افريقيا جنوبا. ممايدل على ان هذا التقسيم قد توخت فيه الادارة البريطانية مصالح الاستعمار البريطانى بالدرجة الاولى .(١)

انظر الخريطة (شكل رقم ٢) .

ومن هنا يتضح ان نظام مناطق النفوذ بين الارساليات فى الجنوب جزء من المخطط الذى يرمى الى ابعاد الاسلام عن الساحة وفصل الجنوب فيمابعد، خاصة وان بعض المصادر تشير الى ان السودان هو ارض المعركة التى ستواجه فيها النصرانية الاسلام ، وينبغى على النصرانية ان تكسب الوثنيين الى جانبها ومن خلالهم يمكن ان تؤسس قوة نصرانية كبيرة ، ورد ذلك فيماذكره و.و.كاش* عن جمعية تبشير الكنيسة البريطانية عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م. (٢)

وهذا بالتالى يؤكد ماأشرت اليه مرارا فى أن الارساليات التنصيرية بمساعدة الادارة البريطانية قد ظلمت الاهالى من الجنوبيين باستغلال بساطتهم وتسخيرهم لتنفيذ مخططات استعمارية لم تعد عليهم بخيربل بالعكس فقد جلبت عليهم شقاء مازالوا يعانون منه الى اليوم .

- أهم الهيئات والجمعيات التنصيرية فى الجنوب :

- جمعية تبشير الكنيسة البريطانية اوارسالية غردون ، ويرمز لها بـ C.M.S.

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ٨١

(٢) Makki, Hassan, Sudan The Christian Design ,P.63 .

* ولسن كاش W.Cash ، سكرتير جمعية تبشير الكنيسة البريطانية ، عمل منصرا بفلسطين سابقا ، وتصدى للحركات المعادية للمنصرين فى مصر، عين سكرتيرا لمجلس الارساليات عام ١٩١٩م، وسكرتير الجمعية البريطانية عام ١٩٢٦م، ومن اهم أعماله ترسيخ الثقة بين الجمعية والكنيسة الانجلكانية عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ١٨٩

حيث تعد هذه الجمعية من اكثر الجمعيات نفوذا ونشاطا فى مجال التنصير بالجنوب ، وذلك بحكم ارتباطها بكنيسة الدولة فى بريطانيا فضلا عن أنها تجد دعما من الاسرة المالكة هناك ، وكذلك رؤساء اساقفة كنيسة كانتر برى الرسمية.(١) ومن هنا استمدت اهميتها وتأثيرها فى توجيه سياسة الاوربيين البريطانيين فى السودان فيمايتعلق بنشاطها التنصيرى فى الجنوب ، حيث حظيت برعاية الادارة فى توزيع مناطق النفوذ والمساعدات المادية ، وبالرغم من ذلك لم تتفوق على الارساليات الايطالية والأمريكية فى مجال التنصير بالجنوب . ويبدوان انشغالها بالنشاط التنصيرى فى الشمال ومنطقة جبال النوبا كان سببا كافيا لذلك . (٢) وربما قلل من ادائها فى الجنوب اهتمامها فى أن تربط بين نشاطها فى الجنوب ونشاطها فى محمية اوغندا البريطانية .(٣)

- الارسالية الرومانية الكاثوليكية Roman Catholic Mission

ويرمز لها بـ R. C.M. وتعتبر هذه الجمعية من أوسع الجمعيات التنصيرية أثرا ونشاطا فى جنوب السودان ، حيث تستمد اهميتها وخبرتها من الامكانيات المادية والبشرية التى تتمتع بها ، نتيجة لارتباطها بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى ايطاليا (٤) . وقد كانت تعرف منذ بداية نشاطها الرسمى فى السودان عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م بالارسالية النمسوية بحكم الرعاية التى

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٣٣ .

(٢) موسى ، فيصل محمد ، " الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية " ص ٧٤ مجلة دراسات افريقية ، العدد ١ - ١٤٠٥هـ .

(٣) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P. 120 .

(٤) موسى ، فيصل محمد ، " الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية " ص ٧٤ مجلة دراسات افريقية ، العدد ١ ، ١٤٠٥هـ .

كان يضفيها امبراطور النمسا على الجمعية ، التى يوجد مقرها الرسمى فى فيرونا بشمال ايطاليا ولذلك عرف المبشرون الذين يعملون بها بآباء فيرونا.(١)

وهى أكثر هذه الجمعيات تأثيرا على الأهالى من حيث اهتمامها بالتنصير.

- الارسالية الأمريكية The American Mission

ويرمز لها ب A. M. حيث يرتبط نشاط هذه الارسالية بنشاط الكنيسة المتحدة فى أمريكا الشمالية المعروفة بكنيسة البرستارين Presbyterian. ولها نشاط فى مصر ، وقد تمكنت ارساليتها من مباشرة نشاطها فى الجنوب بعد تقسيم مناطق النفوذ للارساليات فى الجنوب ، ولم يشهد لها بالتوسع الكبير فى مراكز التنصير بالجنوب.(٢)

- ارسالية السودان المتحدة Sudan United Mission

ويرمز لها ب S. U. M. وكانت قد بدأت نشاطها بالجنوب عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م فى مديرية أعالى النيل ، ولم يكن لها نشاط كبير كالارساليات الثلاثة السابقة (٣).

- ارسالية السودان الداخلية Sudan Interior Mission

ويرمز لها ب S.I.M. وكانت قد بدأت نشاطها فى الجنوب عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م وذلك عندما رأت الحكومة البريطانية أن وجود المبشرين الكاثوليك فى السودان

---

(1) Warburg G., The Sudan Under Wingate ,P.113 .

(٢) موسى ، فيصل محمد ، " الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية " ص ٧٤ ، مجلة دراسات افريقية ، العدد ١ ، ١٤٠٥هـ .

(٣) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٦٩ – ٧٠ .

أمر غير مرغوب فيه ، وذلك ردا على السلطات الايطالية التى قامت بطرد المنصرين البروتستانت من الحبشة عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م عند نشوب الحرب العالمية الثانية حيث سمحت السلطات الادارية فى السودان لهذه الارسالية بملء الفراغ الذى نجم عن طرد المنصرين الايطاليين من منطقة الجنوب فى ذلك الوقت ، كما قامت كل من جمعية طبع الانجيل البريطانية ، وجمعية طبع الانجيل الامريكية بنشاط مكثف فى مجال التعليم ، وذلك بطبع الكتب المدرسية باللهجات المحلية وعقد المؤتمرات اللغوية .(١)

- مناطق نفوذ أهم الارساليات التنصيرية فى جنوب السودان :

بدأت الادارة البريطانية فى السودان بتوزيع مناطق النفوذ بين أهم الجمعيات والارساليات التنصيرية فى جنوب السودان ، ويبدو ان عملية التوزيع قد تمت بما يتفق واستعداد هذه الجمعيات لأداء هذه المهمة ، من حيث الامكانيات المادية والبشرية ، وكذلك الطوائف الرئيسية التى تمثلها هذه الارساليات والكنائس الرسمية التى تقف وراءها ، مثل كنيسة كانتربرى فى بريطانيا وكنيسة روما فى ايطاليا بالاضافة الى كنيسة البريسبتارين فى أمريكا الشمالية .

- منطقة نفوذ الارسالية البريطانية :

وتبدأ جنوبا من النقطة التى يتفرع منها النيل الأبيض ، وتنحدر حدودها الشرقية مع النيل حتى منطقة فنجاك ، وتنحرف شرقا الى الحدود مع الحبشة

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٣٢ - ٣٤

أما الحدود الغربية لهذه المنطقة فتنحدر مع بحر الغزال وتنحرف جنوبا نحو منطقة الحدود مع الكنغو .(١)

وهى تتوسط مجال نفوذ الارساليتين الرومانية الكاثوليكية والامريكية .(٢) وتمتد مع النيل الابيض جنوبا لتربط بين الاملاك البريطانية فى الشمال وبين أملاكهم فى وسط وشرق أفريقيا . اما منطقة حاجز لادو فقد جعلت منها السلطات البريطانية بعد استعادتها من ليوبولد الثانى منطقة حرة تمارس فيها جميع الارساليات نشاطها كماتريد .(٣) وبذلك تشمل منطقة نفوذ هذه الجمعية قبائل الدينكا والشلك اضافة الى قبائل البارى والانواك ، الزاندى. (انظر الخريطة).

- منطقة نفوذ ارسالية كنيسة روما :

تحد منطقة نفوذ الارساليات الكاثوليكية من الشمال بامتداد نهر بحر الغزال الى الحدود مع أفريقيا الوسطى ومن الشرق بحدود نفوذ الارسالية البريطانية من الشمال الى منطقة يامبيو فى الحدود مع الكنغو(٤) وتشمل هذه المنطقة بعض قبائل الدينكا والشلك . بالاضافة الى قبائل منطقة بحر الغزال، مثل الفرتيت والفورقى وكريش .

- منطقة نفوذ الارسالية الأمريكية :

تكون حدود منطقة نفوذ هذه الارسالية حرف C يعطى ظهره الى حدود منطقة

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٧٧ - ٧٨ .
(٢) عبد الرحيم ، الخضر ، النشاط الكنسى فى السودان ، ص ١٣٨ .
(٣) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٧٩ .
(٤) أحمد ، حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية ، ص ١٧ .

نفوذ الارسالية البريطانية ووجهه مع الحدود الجغرافية للحبشة . وتشمل هذه المنطقة قبيلة النوير والشلك وبعض القبائل الصغيرة فى منطقة نهر السوباط (انظر الخريطة ٢) .

وسمح فى المستقبل لبعض الارساليات الصغيرة بالعمل فى مناطق متفرقة من الجنوب ، حيث استمر هذا التوزيع حتى عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م .

- الارساليات التنصيرية وموقفها من الوجود الاسلامى فى الجنوب :

اتضح مما سبق ان الادارة البريطانية قد أهملت عن عمد الوجود الاسلامى فى الجنوب ، بعدم افساحها المجال للدعوة الاسلامية لممارسة نشاطها فيه ، ممايؤكد ان المقصود هو ابعاد الوجود الاسلامى ، وبما أن الاتفاق كان قائما بين الارساليات التنصيرية من جهة وبين الادارة البريطانية من جهة أخرى ، على أنه ينبغى التخلص من النفوذ الاسلامى فى جنوب السودان .(١) فقد وضعت الادارة البريطانية بعض الترتيبات ، تحسبا من استغلال الارساليات وجمعيات التنصير فى الجنوب لذلك الاتفاق . وضمانا لعدم قيامها بأية تجاوزات قد تسبب بعض المتاعب لسلطات الادارة البريطانية نتيجة لحماسها الزائد فى هذا المجال فقد عملت على اصدار بعض النظم والقوانين التى يمكن ان تلتزم بها جميع الارساليات التنصيرية العاملة فى مجال التنصير بالجنوب ، كماصدرت بعض التوجيهات لتلك البعثات التبشيرية بان تكون مسؤولة امام رؤسائها المحليين فى البلاد، كماطلب منها ايضا عدم اتخاذ أية قرارات الا بموافقة واذن الحاكم

---

(١) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ،ص ١٢٧ ، عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٩٥ - ٩٦ .

العام فى السودان .

أمافيمايتعلق بتعاملها مع المواطنين فقد منعت السلطات هذه البعثات فى أول الأمر ممارسة التجارة الابالقدر الذى يفى باحتياجاتها الضرورية ، كما أصدرت اليها تعليمات بألا تقوم بأدوار فيمابينها وبين المواطنين ويبدو أن الادارة البريطانية كانت تخشى من أن يفسد عليها حماس المبشرين خططها الرامية الى ابعاد الاسلام عن الساحة فى الجنوب حيث تصبح هذه الخطط مكشوفة للآخرين الأمر الذى سيتسبب لها فى الحرج الشديد .

ومع أنه لم يكن هنالك مايدعو لكل هذا الحذر الذى تبديه سلطات الادارة البريطانية ، خاصة من جانب المسلمين فى الجنوب ، الاأنها كمايبدو كانت تلتزم جانب الحيطة بسبب تلك المنشورات المعادية للنشاط التنصيرى فى الصحف المصرية (١) . وهو الأمر الذى لاترغب الادارة البريطانية فى تصعيده حتى لايأخذ شكلا آخر ربما ينعكس على الأوضاع فى السودان . ولكن عداء الارساليات وتعصب المبشرين ضد الاسلام كون لديهم فكرة ضحلة عن الاسلام ، ظهر التعبير عنها بكل وضوح فى مزاعم الاسقف قوين* Gwynne الذى عاش بين المسلمين وكانت له علاقات حميمة معهم – حيث لم يمنعه ذلك من أن يزعم بأن الاسلام هو العامل الرئيسى

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.119 .

* يعتبر قوين اول أسقف للكنيسة الانجلكانية المستقلة عن أسقفية القدس عام ١٩٠٣م وفى عام ١٩١٢م أصبح مطران كتدرائية الخرطوم الحديدة كما ان تطور هذه الكنيسة قد بات مرتبطا بشخصيته باعتباره أبرز أعضاء جمعية التبشير المسيحى البريطانية Warburg,G., The Sudan Under Wingate, P. 109.

فى تأخر تلك البلاد. (١) وهى ربما تكون اشارة من قوين الى الفترة التى سبقت الادارة البريطانية على السودان والتى شهدت تقدم الاسلام فى الجنوب بشكل ملحوظ حيث أراد بذلك أن يطعن الاسلام من الخلف وأن ينسب اليه مالم يكن له يد فيه وواقع الحال كان يشهد بعكس هذا الزعم لأن منطقة الجنوب فى تلك الفترة بدأت تشهد شيئا من الاستقرار النسبى قياسا بالصراعات القبلية التى كانت عليها من قبل فضلا عن رواج التجارة وانفتاح الجنوب على العالم الخارجى ، وقد حدث ذلك بفضل التجار المسلمين الشماليين وغيرهم من الاداريين والموظفين المصريين .(٢)

وبعد ان اطمأنت الادارة البريطانية الى أنه قد أصبح لكل ارسالية حمى لايسمح لأى جمعية تبشيرية أخرى بانتهاكه فى مجال العمل التنصيرى ، لم تجد السلطات الادارية بعد ذلك أية غضاضه فى ان يزور بعض المبشرين اتباعهم فى مناطق النفوذ الأخرى .

وقد جاءت هذه الخطوة من جانب الادارة البريطانية كتخفيف للقيود التى وضعتها لتنظيم عمل المبشرين فى مناطق النفوذ التى رسمتها فى السابق، وبالاضافة الى ذلك منحت الارساليات خصما بلغ ٥٠٪ من أجور نقل الركاب و٢٠٪ من أجور نقل البضائع وذلك على الخطوط الحديدية والنهرية (٣). وذلك بهدف مساعدتها على انجاز مهامها فى الجنوب فى يسر وسهولة.

---

(1) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.109 .

(٢) للمزيد راجع جميل عبيد ، المديرية الاستوائية ، ص ١٦٧ - ١٦٩ .

(٣) عبد الرحيم ، الخضر ، النشاط الكنسى فى السودان ، ص ٥٦ - ١٣٩ .

وّيبدو ان الادارة البريطانية فى ذلك كانت تسعى لكسب ود المنصرين فى جمعية التبشير المسيحى بشكل خاص ، سيما وأن الجمعية كانت قد أظهرت تبرمها من سياسة الحكومة التى حرمتها من القيام بأى نشاطات تنصيرية بين المسلمين فى الشمال ، فقد سبق وتزعمت حركة استغلال العاطفة الدينية والقومية التى نشأت فى بريطانيا بعد مقتل غردون على يد أنصار المهدية فى الخرطوم عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م ٠(١) ومع ذلك فقد ظلت عناصر المنصرين فى الارسالية البريطانية تمارس ضغطها على الحكومة فى السودان طمعا فى المزيد من التنازلات التى يمكن ان تجنيها على حساب الاسلام والمسلمين فى الجنوب ، عبر عن ذلك المقال الذى تم نشره فى مجلة الارسالية العالمية Missionary Review of the World فى لندن عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م والذى جاء فيه :

(ليس زنوج السودان الذين تتألف أغلبيتهم من غير المسلمين ،فى حاجة الى حافز يدفعهم الى اعتناق الدين المحمدى [الاسلامى] فالاسلام بمبادئه الأخلاقية المرنة ، ومايسمح به من تعدد الزوجات وتيسير الطلاق وبمايشجع عليه قبل كل شىء من الاستيلاء على مغانم الحرب ، يلقى استجابة طبيعية بين الزنوج كماكان امره دائما مع الشعوب البدائية ، وانه لمن أشد الامور خطرا على عقيدة أى زنجى من أى قبيلة تقطن جنوب الخرطوم ، أن يزور العاصمة لأى فترة مهما قصرت ، اذيكاد يكون من المؤكد انه سوف يعلن عند عودته أنه اعتنق الاسلام سواء كان ذلك قد تحقق بالفعل ام لم يتحقق ، وان المرء ليشعر بأسف شديد اذ يجد أن حكومة السودان [يعنى الادارة البريطانية فى السودان] تتخلى عن واجبها نحو العالم المسيحى ، وخاصة نحو شعب بريطانيا العظمى ، وأنها رغم

---

(١) موسى ، فيصل محمد ، " الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية " ص ٧٤ ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد ١ ، الخرطوم ، ١٤٠٥هـ .

علمها بمدى استعداد الزنجى الوثنى لاعتناق الاسلام بل وشوقه لاتمام هذه الخطوة ، ورغم علمها بأن العرب [ويقصد المسلمين السودانيين فى الشمال] ينظرون الى أراضى الزنوج على أنها مجالهم الشرعى لنشر الدين الاسلامى، يبدو أنها تبذل جهدا منظما ومقصودا لبسط سيطرة الاسلام على البلاد كلها).(١)

هذه العبارات تعكس مدى الضغط الذى كانت تمارسه جمعيات التنصير على الادارة البريطانية فى السودان ، أملا فى أن تسمح لها باستغلال المزيد من الفرص لمصلحة الارساليات فى الجنوب ، كما تعكس حماس المبشرين واندفاعهم للتخلص من أى وجود للاسلام فى الجنوب فى أسرع وقت ممكن واقامة كيان نصرانى .

وبالرغم من أن الارساليات نجحت بعد ذلك فى اقامة العديد من المراكز التنصيرية فى الجنوب فى اطار مناطق النفوذ التى منحت لها الا أن ذلك العمل ترتب عليه أثر سلبى نتيجة لتعدد الارساليات التى تعمل فى هذا المجال ، وهو تفرق الأهالى فى الجنوب بين الطوائف النصرانية المتناحرة ، الأمر الذى سيضيف للصراعات القبلية عنصرا آخر يغذيها ويشعل فتيلها من جديد ، وقد قال محمد فوزى مصطفى أنه (يعتبر ذلك النظام من جهة أخرى صورة مطابقة فى شكله وأهدافه لمجالات التأثير الكبرى التى صنعتها القوى الأوربية فى القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، فى تقسيماتها الادارية لافريقيا الوسطى حيث كان من آثر هذا التقسيم الذى يقوم على اختصاص كل ارسالية بمنطقة معينة أن ظهرت الانقسامات المسيحية المحزنة فى الجيل الاول للشعب الافريقى البدائى) (٢).

---

(١) Velin H." General Gordon and Education" inthe Sudan" Missiionary Review of The World ,Vol. 31 ,1908,PP.360-64

نقلاً عن بشير محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٥٦ - ٥٧

(٢) مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية ، ص ٩٩ - ١٠

المبحث الرابع

الاستعمار البريطاني ودعم النشاط التنصيري في جنوب السودان :

ربما يعتقد ان الاستعمار البريطاني لم يرحب منذ البداية بفكرة النشاط التنصيري في السودان ، وأنه أحجم عن تقديم الدعم والمساندة الى الافراد والهيئات التنصيرية التي طالبت في اثر عمليات الاحتلال بفتح البلاد شمالا وجنوبا لنشاط المبشرين النصارى . فأولا: وقبل كل شئ هناك أمران ويجب وضعهما في الاعتبار وهما :

١ - أن الادارة البريطانية أولت عملية ارساء القواعد الادارية والأمنية في البلاد التي خرجت لتوها من حرب دينية أهمية خاصة لتتمكن من السيطرة على البلاد .

٢ - التعصب والاندفاع الذي بدا واضحا على الهيئات والجمعيات التبشيرية في رغبتها لممارسة النشاط التنصيري بالبلاد .(١)

ولاشك ان الادارة البريطانية في ذلك الوقت كانت تنظر الى البلاد على أنها لم تكن مهيأة لاستقبال أي نشاط تنصيري باعتباره امر لايتفق وتلك الظروف

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٥١ .

السائدة.(١) وعليه فان سلطات الادارة البريطانية وان كانت قد أبدت اعتراضا فان ذلك لايعنى أنها قد حسمت الأمر بصورة نهائية وقاطعة . وانما هو اعتراض مؤقت تطلبته الظروف ، ويخدم مصلحة الادارة البريطانية من الناحية السياسية والعسكرية ، كماكان يخدم بنفس القدر مصلحة المنصرين والارساليات التنصيرية التى كانت تطالب بالسماح لها للقيام بذلك النشاط التنصيرى بشكل من العشوائية والتعصب.(٢) اذن فكيف يكون الاعتراض فى مصلحتهم طالما أنهم يرغبون فى ذلك وحقيقة الامر كمايأتى :

ان اعتراض المسؤلين فى الادارة البريطانية سيعطى الفرصة لاستقرار الأوضاع داخل البلاد من جهة ، ومن جهة آخرى سيقلل من حدة التعصب والاندفاع لدى المطالبين بفكرة التنصير وقتها ، وعامل الزمن كفيل بذلك ، مع سياسة التهدئة التى تتبعها الادارة البريطانية لامتصاص فورة الغضب والانفعال تدريجيا من تلك المؤسسات والهيئات التنصيرية فى بريطانيا ولو ببذل الوعود لها.

ويبدو ان تلك السياسة قد أدت الى اثارة حفيظة القائمين على أمر المؤسسات التنصيرية فى بريطانيا ضد الادارة البريطانية فى السودان، فاستمرت توجه لها نقدا حادا ولاذعا فى محاولة منها لاحراجها أمام الرأى العام البريطانى المسيحى ، ولاجبارها على الخضوع لرغباتها فى أسرع وقت ممكن .

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥١٧ – ٥٢١

(2) Warburg G., The Sudan Under Wingate ,P. 95 .

أن ذلك الاعتراض من جانب الادارة البريطانية يعتبر دعما حقيقيا منها لجمعيات التنصير البريطانية ، لم يكن من المناسب الافصاح عنه ، بشكل مباشر ، فى ذلك الوقت ، فالمؤشرات التى وردت تكفى لذلك وسنشير اليها فى حينها ٠(١) ولكن المؤسسات التنصيرية ، لم تكن تدرى مغبة تورطها فى تلك الخطوة ، ومدى الحرج الذى يمكن أن تسببه للسلطات ومايترتب عليه من ارتباك فى سياسة الحكومة ٠

وفيمايلى أتتبع تلك التطورات التى صاحبت دعم الاستعمار البريطانى للنشاط التنصيرى فى جنوب السودان :

كان اسقف الكنيسة الانجلكانية فى القدس الذى يمتد سلطانه على مصر والسودان – قبل فصلها عن تلك الأسقفية وتعيين الأسقف قوين كمساعد أسقف للكنيسة الانجلكانية فى السودان عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م – قد تحدث الى اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر عن ضرورة اتخاذ الوسائل التى تمكن من تنصير قبيلة الشلك ، ولكن كرومر اعتبر أن هذا الأمر سابقا لأوانه ، على أساس أن الشلك لايزالون متبربرين ، وأشار الى أنه من غير المناسب اتخاذ خطوة كهذه فى الوقت الراهن – وكان من رأيه آن الناس لايفرقون حتى الآن بين ماتقوم به الحكومة ومايقوم به أفراد عاديون – وهى اشارة الى المبشرين ولذلك فان السماح لرجال الكنيسة بمباشرة مهام تنصيرية ، سيكون اول مظهر ملموس من مظاهر السيطرة البريطانية على السودان ، وبعد ذلك يصبح من اليسير بالنسبة لهم الانتقال من هذا الظن الى اليقين بأن التنصير هو

---

(١) راجع فى هذا المبحث ص ٤٠٠ – ٤٠٥

سياسة الادارة البريطانية الاولى فى هذه البلاد .(١)

هذا الأمر دفع كتشنر حاكم عام السودان الى أن يبدى رغبته فى الاتخاذ خطوة كهذه حيث يمكن أن تسىء الى الادارة البريطانية فى السودان ، وقد تؤدى الى اثارة الشك حولها ، بعد أن زعم أن المصريين المقيمين فى السودان قد نشروا شائعات مفادها أن الاحتلال البريطانى قد جاء الى البلاد ليفرض النصرانية على السكان . وفى الوقت الذى كانت فيه الادارة البريطانية الاستعمارية فى السودان تحاول جاهدة أن تنفى عن نفسها كحكومة ، مساندة مثل هذا العمل ، فى ذلك الوقت فانها لم تتجرأ أبدا وتصدر اعلانا ينفى عدم مساندتها لمثل هذه الأفكار فى المستقبل ، مما يفيد بأن تلك التصريحات التى كانت تصدر من سلطات الادارة البريطانية فى مصر والسودان كانت مجرد مسكنات القصد منها تهدئة الأحوال فى البلاد فقط، ولكن الضغوط كانت توجه من وقت الى آخر نحو الادارة البريطانية فى السودان بل وعلى مستوى البرلمان البريطانى فى بعض الاحيان على شكل انتقادات حادة نتيجة لتلك السياسة الادارية وموقفها من قضية التنصير ، وكانت المذكرة التى وجهت فى عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م من أسقف كنيسة كانتربرى قدسلمت الى الحكومة البريطانية ، وكانت قد رأت فى مسلك الادارة البريطانية بالسودان انتهاكا لمبادىء حرية الاديان لبلد يهتدى بالمبادىء المسيحية (٢) .

مثل هذا الضغط جعل السير ريجنالد ونجت الذى تولى منصب الحاكم العام فى السودان خلفا لكتشنر يصدر تصريحا فيه شىء من المراوغة فبينما ذكر أنه

---

(١) شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥١٧ - ٥١٨ .

(٢) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٥٤ .

يمثل الخديو وأنه مسؤول امامه عن حماية مصالح المسلمين الخاضعين لحكمه فقد أبدى حرصه من جهة أخرى على اقامة توازن دقيق بين كافة رعايا السودان من مسيحيين ومسلمين مؤكدا عدم استعداده القيام بأى تصرف يؤثر على هذا الموقف. وهنا ينشأ تساؤل، أين هم المسيحيون الذين يريد أن يوازن بينهم وبين المسلمين، كما أن المتعارف عليه أنه ليس هناك وزن لأى وجود مسيحى يذكر فى السودان عدا نسبة ضئيلة من الموظفين الأجانب الأوربيين وغيرهم من الأقباط والسوريين، وهؤلاء كانوا أصلا يعيشون فى سلام ووئام مع غيرهم من المسلمين بل فى حالة معيشية أفضل منهم دون أن يحتاجوا الى مثل تلك الموازنات. ويبدو أن ذلك التصريح المراد به، هو أن يطئمن المهتمين بأمر التنصير بأن خطوات ستتخذ لدعم النشاط التنصيرى فى البلاد وأن المسألة تصبح مسألة وقت ليس أكثر.

ولايخفى أن نظرة الادارة البريطانية فى السودان تجاه الجمعيات والهيئات التبشيرية تنبثق عن مدى استفادة الحكومة نفسها من تلك الخطوة ومايمكن أن تقدمه لها من خدمات بغض النظر عن عقائدها، مع العلم بأن معظم المسؤلين البريطانيين موالون لكنيسة بريطانيا الانجلكانية.(١)

ويبدو ان جمعيات التنصير قد تلقفت مثل تلك التصريحات ومضت تؤكد أن المسيحية كانت الدين السائد بين سكان السودان لقرون خلت – وهى اشارة واضحة الى الممالك النصرانية، التى كانت فى الشمال والتى اندثرت منذ

---

(1) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.119 .

قرون مضت ـ وأن اعادة الفتح فرصة لاعادة النصرانية الى منطقة كانت تنتمى اليها فى السابق . ولم تكتف هذه الجمعيات بذلك بل طالبت الادارة البريطانية بالسودان بعدم التخلى عن مبدأ الحياد بين الأديان الذى دأبت الحكومة البريطانية على تطبيقه فى البلاد التى تقع تحت سيطرتها.(١)

وهكذا بدأت صورة الدعم الذى تنوى الحكومة تقديمه الى الجمعيات والهيئات التنصيرية تأخذ شكلا آخر ، بين تلك المزاعم ، فالحاكم العام البريطانى ينادى بالتوازن بين المسلمين والمسيحيين والجمعيات التنصيرية تطالب بالحياد بين الأديان وباعادة النصرانية لمنطقة كانت تنتمى اليها فى السابق ، وواضح من مثل هذه التعابيرأنه قد بدأ يفسح للتنصير مكانا بالبلاد وأن اطلاق مثل تلك العبارات ماهو الا تمهيد ليهيىء الآخرون مشاعرهم لتقبل مايحدث لاحقا باعتباره امرا واقعا لامفر منه . سيما وأن كرومر كان قد ذكر فى السابق ﴿ بأن مهمة السلطات البريطانية الحاكمة فى السودان هى كفالة التسامح الدينى لكل العقائد الأخرى وفقا للقوانين والقواعد المقبولة والتى تتبعها الكنائس فى تنصير الأفراد غير المسلمين فى البلاد العربية والاسلامية ﴾ ورد ذلك فى تقرير له عن سياسة الحكومة نحو التبشير المسيحى فى كل من مصر والسودان لعام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م (٢) .

وفى ذلك الوقت كانت مناطق النفوذ بين الارساليات التبشيرية فى الجنوب قد وزعت بين جمعيات التنصير، ولم يفسح المجال للدعوة الاسلامية ، بل واجه

---

(1) Trimingham J. S., The Christian .. P. 12.

(٢) موسى ، فيصل محمد ، " الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية " ص ٧٣ ، مجلة دراسات افريقية ، العدد ١ ، ١٤٠٥هـ .

المسلمون العديد من المضايقات ، ولم تراع أى حقوق لهم فى المنطقة ، وضاعت تلك العبارات الطنانة ، مبدأ الحياد، التوازن ، كفالة التسامح الدينى لكل العقائد، ويبدو أنها فى حقيقة الأمر كانت مجرد عبارات جوفاء قصد بها تهدئة الاحوال فقط ، وقد حدث ذلك بصدور توجيهات من كرومر باطلاق حرية التنصير للهيئات والجمعيات بالعمل فى الجنوب ٠(١) الأمر الذى يعد دعما ومشاركة فعلية من الادارة البريطانية الاستعمارية لسياسة التنصير التى تحدث فى جنوب السودان آنذاك ٠

وترتب على ذلك دعم معنوى آخر تمثل فى تهيئة المناخ العام لفئات المنصرين وارسالياتهم بالجنوب ، ليمارسوا عملهم فى هدوء واطمئنان، حيث شرعت الحكومة فى القضاء على كل المؤثرات الاسلامية والعربية فى منطقة الجنوب لتتفق مع نظام الارساليات ، فتغيرت عطلة الأسبوع من الجمعة الى الأحد تدريجيا ، وتم ابعاد العناصر المسلمة فى الجيش والادارة وكذلك التجار، من المصريين والسودانيين الشماليين عن الجنوب ، وشرعت بعض الجهات فى التعامل بالانجليزية بدلا من العربية ٠(٢)

وهكذا يتضح أن كل شئ قد أعد فى الجنوب لتنطلق سياسة التنصير التى تدعمها الادارة البريطانية فى السودان دعما حقيقيا ملموسا ٠

ويبدو أن الهيئات التنصيرية كانت ترغب فى المزيد من ذلك الدعم حتى تكسب اكبر مساحة ممكنة فى الجنوب على حساب الاسلام واللغة العربية، الأمر

---

(١) وكان كرومر قد منع تلك الهيئات من العمل فى الشمال المسلم، للمزيد راجع شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان ، ص ٥١٧

(٢) سعودى ، عبد الغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٨١ ــ ٨٣

الذى جعل الاسقف قوين يكتب فى عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م الى الحاكم العام ونجت يطلب من الادارة البريطانية أن تعمل على تشجيع استخدام اللغة الانجليزية كأداة يمكن من خلالها اتمام الاعمال والثقافات مع ابناء الجنوب ، ففي اعتقاده ان الحوافز ستمنح فرصة ولو ضئيلة امام المميزات التى يتمتع بها الاسلام في تلك الجهات (١) . وقداستجابت الحكومة لهذه المناشدة دعما منها لجهود جمعيات التبشير في الجنوب وقررت التعامل باللغة الانجليزية بصفة رسمية في الدوائر الحكومية - الامر الذى يعد دعما ادبيا للارساليات التنصيرية في الجنوب .

وحصلت الارساليات علىتسهيلات شملت المواصلات والنقل (٢) . وتنازلات آخرى فيما يتعلق بقوانين التجارة حيث منحت الفرصة في عام ١٣٣١هـ / ١٩١٢م لممارسة تجارة المقايضة ، وتم اعفاء الارساليات النمساوية من سداد الضرائب (٣) . وبذلك تكون الادارة البريطانية فى السودان قد أثبتت أنه لم يعد هناك تمييز بقدر كبير بين انشطتها وانشطة تلك الارساليات التى عمدت الى دعمها ومساعدتها ماديا وأدبيا ومعنويا ما أمكنها ذلك .

وهكذا فقد أصبح الدعم الذى تتلقاه الارساليات في الجنوب ، دعما متواصلا ، بل ان الامر قد تطور ليشمل ذلك الدعم التخفيف عن معاناة

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٧٠ .

(٢) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم في السودان ، ص ١٤٨

(٣) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P.119 .

الارساليات حتى ولوكان ذلك يتطلب تعديل القوانين واللوائح التى وضعتها الادارة البريطانية لنظام الارساليات التنصيرى فى الجنوب ، ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد فان تطورا كبيرا قد حدث برهن على أن الادارة البريطانية الاستعمارية قد دعمت هذه الجمعيات دعما معنويا وأدبيا كبيرا وذلك عندما قررت اسناد أمر التعليم والصحة اليها فى الجنوب بصفة رسمية ، وذلك بناء على توصيات الاجتماع الذى عقده مديروا المديريات الجنوبية عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م حيث ركزت الفقرة الأولى من توصياتهم على تشجيع الارساليات ومنحها مساعدات لممارسة أعمالها بشأن التعليم والصحة ، حيث تبنت الجكومة تلك التوصيات والتى تحولت الى سياسة الادارة الرسمية فى العام التالى .(١)

وهكذا فقد تدفقت المساعدات المادية والعينية على جمعيات التبشير المسيحية دعما لها ولنشاطها التنصيرى ، بلا حدود بعد ذلك من الادارة البريطانية فى السودان ، وسيأتى تفصيل ذلك فى المبحث القادم عند الحديث عن احتكار الارساليات للتعليم فى الجنوب .

---

(١) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٦٣ – ٦٤

* المبحث الخامس *

التنصير واحتكار التعليم فى جنوب السودان :

تشير الدراسات الى أن الادارة التابعة للحكومة الخديوية فى الجنوب قد أولت حقل التعليم فيه حيزا من اهتمامها ، وقدكانت هنالك محاولة لتحقيق هذا الاتجاه بانشاء مدرسة فى لادو وأخرى فى دوفيلى . ويبدو أن المواد التى كانت تدرس فيها تتفق والتوجه الذى تعمل به سياسة التعليم فى الشمال والذى كان ينحصر فى القرآن الكريم والنحو والحساب .(١) والمعروف أن معظم المدارس التى تم انشاؤها فى الجنوب فى الفترة التى سبقت الاحتلال البريطانى للسودان ، كانت قد خصصت لتعليم أبناء الجنود والاداريين الذين يعملون بالمنطقة ، ولم يكن هنالك مانع من استقبال أبناء الأهالى الراغبين فى تعليم أبنائهم بتلك المدارس النظامية المتقدمة (٢) ، والتى كانت تضم خليطا من أبناء السوادنيين شماليين وجنوبيين وغيرهم من أبناء العاملين المصريين (٣) ويبدو أن هذا الوضع الذى يقوم عليه التعليم فى الجنوب لم يكن يرضى الادارة البريطانية الاستعمارية ، وقد تجلى ذلك فى الزيارة التى قام بها الحاكم العام ونجت باشا سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م لمدرسة واو (٤)، ذلك بعد الاحتلال الذى تم عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م ، حيث عبر عن ضيقه لوضع التعليم بها ، وكان ومن رأيه قد لاحظ من زيارته للمدرسة تعدد الجنسيات فيها وكذلك الدين / ان مسألة التعليم فى المراحل الاولى يجب أن تراعى جيدا ، لأن ذلك يورط الحكومة فى

---

(١) عبيد ،جميل ،المديرية الاستوائية ، ص ١٥١ ، بشير ، محمد عمر ،تطور التعليم فى السودان ، ص ٤٥ .

(٢) بشير ،محمد عمر ،تطور التعليم فى السودان ،ص ٤٦ .

(٣) موسى ، فيصل محمد ، الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية ،ص ٧٦،مجلة دراسات افريقية ، العدد ١ ، ١٤٠٥هـ .

(٤) لمعرفة المزيد حول مصير هذه المدرسة راجع الفصل الثانى ،ص ٢٦٧ .

مشاكل هى فى غنى عنها ، وقد لاحظ ان كل الطلبة يتكلمون العربية الى جانب اللهجات المحلية ومعنى ذلك أنهم سيعتنقون الاسلام ولم يشك فى أنهم اعتنقوه بعد دخولهم المدرسة/ والمتقدأته اذا استمر الحال على هذا المنوال فسوف تخرج المدرسة تلاميذ يتحدثون العربية ويدينون بالاسلام، ولايحسنون الانكليزية، وهذا أمر يرفضه تماما ، لأن اللغة العربية لمعظم سكان بحر الغزال لغة أجنبية، كماهو الحال على اللغة الانكليزية ثم وجه ابعد ذلك أن يقتصر التعليم فى بحر الغزال على المرحلة الابتدائية فقط . (١) .

وبناء على رأى الحاكم العام السابق ، فقد تحددت المعالم التى ترى الادارة البريطانية ممثلة فى الحاكم العام أنه يجب ان تقوم عليها أعمدة التعليم فى الجنوب .

وكانت بعض الارساليات التنصيرية قد وجدت فى خوضها لتجربة العمل فى مجال التعليم بشمال السودان منذ عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م الفرصة لمشاركة المدارس الحكومية ومعاهد التعليم الاسلامى هذا المجال ، بتدريس ابناء غير المسلمين الأمر الذى مهد لها فكرة اقتحام نفس المجال فى الجنوب بل احتكاره ، خاصة وأن هنالك بعض المؤسسات النصرانية المختلفة التى كانت تعتقد بأن الجنوب منطقة وثنية ، تم تقسيمها بين الارساليات التنصيرية عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م لتتولى هى أمر التعليم فيها (٢) ، سيما وأن الادارة البريطانية قد شرعت فى ابعاد

---

(١) موسى ، فيصل محمد،" الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية" ص ٧٦ .
مجلة دراسات افريقية ، العدد ١ ، ١٤٠٥هـ .

(٢) بشير ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٠٧ – ١٠٩ .

التأثيرات الاسلاميــة عنها • (١)

وعليه فقد بادرت العديد من الارساليات الى اقامة المدارس والمؤسسات التعليمية الخاصة بها ، حيث افتتحت الارسالية الامريكية أول مدرسة لهــا عام ١٣٢٠هـ/١٩١٢م على نهر السوباط ، كما افتتحت الارساليات البريطانيــة أول مدرسة لها عام ١٣٢٤هـ/١٩١٦م في ملكال ، وهكذا توالت بقية الارساليات فى هذا العمل ، وعلى رأسها الارسالية الكاثوليكية الرومانية المعروفة بآباء فيرونا ، واتبعت كل ارسالية سياسة تعليمية خاصة بها (٢)• حيث كانت الاخيرة اميل الى التعليم الفنى الصناعى •(٣)

وهكذا وجدت الارساليات التنصيرية فرصة للعمل فى حقل التعليم بالجنوب دون منافسة ، وذلك بعد أن قررت الادارة البريطانية عدم اتاحة الفرصة لأى جهة أخرى ، بموافقة جيمس كرى James Curri مدير المعارف آنذاك الذى جعل التعليم فى المديريات الجنوبية محتكرا للارساليات التنصيرية •(٤)

ومن أهم الاسباب التى أدت لاحتكار الارساليات للتعليم بالجنوب :

١ – ان الادارة البريطانية لم تكن راغبة فى انتشار الاسلام واللغة العربية فى هذا الجزء من البلاد ولذلك قصرت هذه المهمة على الارساليات ، وعملت على ابعاد المؤسسات العربية الاسلامية الأخرى •

---

(١) راجع الفصل الثانى من هذه الدراسة ، ص ٢٤٨ ، ٢٥٣ •

(٢) عبد الرحيم ، الخضر ، النشاط الكنسى فى السودان ، ص ١٨٤ – ١٨٦ •

(٣) بشير ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١١١ •

(٤) عبد الرحيم ، الخضر ، النشاط الكنسى فى السودان ، ص ١٨٦ •

٢ - عدم رغبة الادارة البريطانية فى الانفاق على مجال التعليم فى الجنوب لذلك شجعت الارساليات وأسندت اليها العمل فيه على أنه مجهود ذاتى تقوم به الارساليات التنصيرية على نفقتها الخاصة ، ممايساعد فى تحقيق مآرب هذه الارساليات دون أن تفرض عليها من الجهات الادارية رقابة تحدد سياستها التعليمية • (١)

٣ - انصراف الادارة البريطانية الى الاهتمام بالشئون الادارية والعسكرية الاخرى ، وفرض سلطتها وسيطرتها على القبائل ، ومتابعة الحملات التأديبية المسلحة ، ومنح الأفضلية لنشر النظام ، واعادة الهيبة للحكومة الاستعمارية فى المنطقة •

ومما لاشك فيه ان اتاحة الفرصة للارساليات التنصيرية بالعمل فى حقل التعليم بهذه الصورة فى الجنوب ، يعد دعما حقيقيا للنشاط التنصيرى الذى كان يطمع فى المزيد من ذلك الدعم ، سواء كان دعما ماديا أومعنويا ، خاصة بعد أن واجهت تلك الارساليات العديد من العقبات والمصاعب ، منها مايتعلق بالاوضاع السياسية فى العالم بشكل عام ، مثل اشتعال الحرب العالمية الأولى حيث كان من بين الارساليات التى تعمل فى السودان طائفة آباء فيرونا وكانوا مجموعة من الالمان والنمساويين الكاثوليك ، وقد أصبح وجودهم يشكل قلقا للادارة البريطانية التى تخشى من أن يكونوا آداة للنشاط العدائى ضد بريطانيا ولذا فقد تقرر طردهم من البلاد عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م (٢)• وقد توقفت

---

(١) بشير، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٠٠ •

تلك الارساليات ولم تعاود نشاطها الابعد نهاية الحرب .

ومن بين الصعوبات الأخرى التى واجهت الارساليات فى مجال التعليم هى مشكلة اللغة التى يمكن أن تستخدم فى العملية التعليمية والتى توصلت الى أنه " لابد من دراسة اللغة المحلية كشرط جوهرى لاقامة وسيلة فعالة للتعليم والى ان يتم ذلك كان لابد من استخدام العربية أو الانجليزية كوسيلة يتم التعليم من خلالها ، حيث كانت العربية الدارجة اكثر اللغات انتشارا فى الجنوب "(١) . ولكن معظم موظفى الادارة البريطانية لايعرفون ولايفهمون تلك اللغة العامية ، كما أن الوطنيين فى الجنوب يتحدثون لهجات مختلفة.(٢) ولذلك كانت العربية هى الأفضل فى تلك الفترة باعتبارها لغة التجارة ، ويبدو أن كرومر قد تردد كثيرا فى الموافقة على هذه الخطوة ، اذكان يعتقد بأن النصوص الواردة فى المناهج الدراسية فى السودان قد أعدت لتشجيع الشعور الاسلامى ولذلك فقد طالب كرومر بالغائها جميعا .(٣)

ويتضح من هذا الاجراء ان أهم أهداف التعليم التنصيرى للارساليات هو محو الأثر الشمالى والثقافة العربية الاسلامية التى كانت تنتشر بشكل واسع فى تلك الفترة .(٤)

ومن هنا جاء اهتمام هذه الارساليات بانشاء المدارس والسيطرة على حقل

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٦٨ .

(2) F.O., 407/210, Enc. in No. 187.

(3) Warburg G., The Sudan Under Wingate P. 31 .

(٤) مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية ، ص ٩٧

التعليم بحكم انه المجال المناسب لنشر الانجيل والمسيحية فى جنوب السودان وعلى هذا الاساس تم فى البداية انشاء مرحلتين لمدارس الارساليات هى :

مدارس الاحراش – Bushes Schools

ويعتبر هذا الاصطلاح غير رسمى لهذا النوع من مدارس الارساليات التى يقوم بالتدريس فيها منصرون ومدرسون وطنيون تم تعميدهم وتنصيرهم للقيام بهذه المهمة ٠ ومن شروط اقامة هذا النوع من المدارس هى أن تكون المدرسة فى اطار منطقة نفوذ الكنيسة ، وبموافقة مفتش المركز وزعيم القبيلة على انشائها وفتحها كمدرسة تمهيدية لدخول المدارس الاولية ، فالدراسة بها غير منتظمة والتلاميذ ليسوا مقيدين بسن محددة والمادة التى تدرس فيها هى تلقين مبادىء الانجيل والالمام بالقراءة والكتابة وعليه فان هذا النوع من المدارس من أكبر وأخطر وسائل نشر النصرانية ذلك لأن الطفل ينشأ تنشئة نصرانية حتى اذا أكمل هذه المرحلة أعتبر رسميا نصرانيا، وأخذ اسما نصرانيا بديلا لاسمه القبلى أو العربى ٠

أما المرحلة الثانية فهى :

المدارس الاولية ، وتلى مدارس الأحراش ، وغالبا ماتوجد فى مركز تنصير ولاتتجاوز مدة الدراسة بها اكثر من أربع سنوات ٠(١)

وبمرور الزمن وتطور التعليم فى الجنوب وضعت الاسس والمناهج حيث كان

---

(١) موسى ، فيصل محمد ،" الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية ،ص ٧٨ ٠ مجلة دراسات افريقية ، العدد ١ ،١٤٠٥هـ – سعودى ،عبدالغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ٠

المنهج الذى إتبعته الارساليات فى حقل التعليم فيمابعد هو المعروف بالمنهج الجنوبي ، وقد طبق هذا المنهج على المدارس الحكومية أيضا بتوجيه من الادارة البريطانية ، حيث كان نظام التعليم يقوم على المدرسة الأولية التى تستخدم اللهجات المحلية ثم المدارس الوسطى التى تمثل اللغة الانجليزية فيها لغة التعليم .(١)

ولكن الامر الذى يؤسف له كثيرا ويعد تجاوزا وسوء تقدير للمهمة التى انيطت بهذه الارساليات فى تعليم الصغار هى تلقين التلاميذ من أبناء الجنوب فى هذه المدارس أن اخوانهم فى الشمال هم سبب شقائهم خاصة فى دروس الدين والتاريخ حيث تستغل كل فرصة لاحياء ذكرى تجارة الرقيق ، واعادتها الى أذهان هؤلاء التلاميذ الصغار .(٢)

---

(١) AbdElRahim, Muddathir, The Development of the British Policy in the Southern Sudan, P.16 .

(٢) Makki , Hassan , Sudan The Christian Design, P.76 .

- التعاون بين الارساليات والادارة البريطانية فى الجنوب :

ربما كانت السياسة التعليمية للارساليات فى الجنوب ، ماهى الا انعكاس للسياسة البريطانية فى منطقة السودان الجنوبى بشكل عام ومرآة لتطورها ، ففى الفترة السابقة لعام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م كانت سياسة الادارة البريطانية هى التمهيد لفصل الجنوب وان لم تعلن ذلك بشكل واضح ، فقد اطلقت الحرية للارساليات فى حقل التعليم بالجنوب دون أن تكون هنالك خطط أوأهداف محددة ، أوحتى رقابة على سياسة تلك الارساليات فى مجال التعليم (١)• وفى تلك السنة من عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م اعلنت الادارة البريطانية سياسة جديدة تبدى رغبة الادارة فى التعاون بشكل منظم مع هذه الارساليات لوضع خطط تسير نشاطها ، الامر الذى سيعجل بالفائدة المرجوة للادارة البريطانية نتيجة لذلك التعاون • وكانت لجنة المبادىء الموجهة للسياسة التعليمية فى المستعمرات البريطانية قد تقدمت بعدة توصيات لوزير المستعمرات فى بريطانيا ، وكان من أبرزها ، الحاجة للتعاون بين الحكومة والارساليات فى دائرة التعليم •(٢)

وكانت الادارة البريطانية فى السودان ترى أن التعاون المنشود بينها وبين الارساليات التنصيرية يمكن أن يحقق الفائدة بالطرق التالية :

١ - تقديم اعانات للارساليات تمكنها من استيعاب ابناء الرؤساء والسلاطين حسب ترشيح السلطات الادارية الاستعمارية فى مدارس داخلية والصرف عليها •

٢ - تنظيم فترة تدريبية فى اللغة الانجليزية مدتها سنتان ، لمن أتموا

---

(١) مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية ، ص ٩٦

(٢) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٣٥/١٣٦ •

تعليمهم من أبناء الجنوب ليحلوا محل الشماليين .(١)

ويلاحظ هنا أن هذا التعاون اوشك ان يبدأ بالدعم المادى والادارى باكتسابه لثقة المسؤلين فى الادارة البريطانية وبداية التعاون معها، حيث أنه قد تزامن مع اخطر قرارات سياسة الادارة البريطانية فى منطقة الجنوب والذى كانت قد اتخذته عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م عندما وضعت الجنوب بأسره فى منطقة مغلقة وهو الذى أشرت اليه بالفصل الادارى فيماسبق (٢)، وعليه فقد شهدت السنوات التى تلت هذا الاجراء المزيد من التعاون بين الادارة البريطانية والارساليات التنصيرية والتى تخللها ايضا المزيد من الدعم اللامحدود تحقيقا للأهداف البعيدة التى ترمى لفصل الجنوب - زيادة على الفصل الادارى الذى وقع عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م - فصلا نهائيا ووضعه مع مجموعة شرق ووسط افريقيا.(٣)

وللمزيد من التنسيق بين الجانبين فقد عقد مؤتمر بوزارة المستعمرات البريطانية عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م حضره مندبون عن الارساليات والادارة البريطانية فى السودان ، وقد ناقش المؤتمر المذكرة التى قدمتها لجنة التعليم، التى انبثقت من المؤتمر الممثل للهيئات التبشيرية فى بريطانيا ، واير لندا الى وزير المستعمرات فى لندن ، وكان أهم نتائج ذلك المؤتمر هى تكوين لجنة استشارية للتعليم الاهلى بأفريقيا الاستوائية التابعة لبريطانيا، مهمتها تقديم النصح والمشورة لوزير المستعمرات (٤)

---

(١) بشير ،محمد عمر ،تطور التعليم فى السودان ،ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) Sudan Goverment, Laws of the Sudan, P. 149 .

(٣) Abd,ElRahim ,Muddathir, The Development Of the, P.42

(٤) بشير ،محمد عمر ،تطور التعليم فى السودان ، ص ١٣٤ .

واستمر التنسيق والتعاون بين الجانبين حتى كان عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م حيث تم اعداد مخطط شامل بين الادارة الاستعمارية والارساليات التنصيرية ضمن لهـا خوض التجربة بمساندة ودعم الادارة البريطانية ، فى حقل التعليم ٠(١)وكانت الجهات المسؤولة قد أحجمت عن القيام بأى خطوة فى مجال التعليم بهذه المناطق حتى عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م عندما عينت مشرفا تعليميا للتعاون مع الارساليات بصورة رسمية (٢) ٠ وقد جاء هذا التعاون بناء على الاقتراح الذى كان قد قدم عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م والذى يقضى ، بتقسيم المدارس الخاضعة للارساليات فى الجنوب الى قسمين احداهما معترف به والاخر عير معترف به ، ويجيىءالاعتراف من الحكومة مشروطا بتحقيق مستوى معين يكفل للقسم المعترف به الحق فى الحصول على امتيازات التموين والمساعدة فى الحاجيات والمعدات ثم الترحيل للمعلمين مجانا ، بينما تلتزم هذه المدارس وفقا لتلك الشروط باتباع برامج محددة وتخضع فى نفس الوقت للتفتيش من مندوب المعارف ، وتعيين مدرسين من الأقباط اذا دعا الامر ، وبجانب ذلك يجب أن يكون موقع المدرسة مناسبا ،وكذلك عدد التلاميذ بها ٠(٣)

وهكذا فقد شهد عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م مشاريع واسعة فى الجنوب تسلمت بموجبه بعض الارساليات اعانات ضخمة قياسا بتلك الفترة لتنفيذ تلك المشاريع وكمثال

---

(١) Abd Elrahim, Muddathir, The Development of the British Policy in the Southern Sudan, PP. 15-16

(٢) عبد الرحيم ،الخضر ،النشاط الكنسى فى السودان ،ص ١٨٦ ٠

(٣) بشير ،محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٢٧ – ١٣٨ ،عكاشة ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ١٩٥ ٠

لتلك الاعانات فقد كانت الحكومة تدفع مبلغ ١٥٠ جنيها سنويا للارسالية ،ومبلغ ١٥٠ جنيها أخرى للمدرسة الاولية ، ومبلغ مائة جنيه لكل مدرسة جديدة كاعانة تأثيث ، ومبلغ مائة جنيه ارتفعت بعد فترة الى ٢٠٠ جنيه لكل مدرسة فنية ثم مبلغ ١٥٠ جنيه لكل مدرسة كاعانة ترحيل بالعربات ، ثم مبلغ ١٥٠ جنيه تدفع مقابل الخدمات الطبية وتمنح الارسالية قطعة أرض لاقامة مباني المدرسة عليها ٠

بالاضافة الى تخفيض أجور السفر على البواخر النيلية والسكك الحديدية (١) ويترتب على عدم تنفيذ الشروط التى سبق ذكرها سحب الاعانة المالية فى العام التالى ٠(٢) وتفيد الدراسات ان جميع الشروط التى يتم بموجبها التصديق على تلك الاعانات ترتبط جميعها بالنواحى التعليمية فقط ، وتخلو تماما من الشروط التى يمكن ان تعد تدخلا من الحكومة فى العمل الفنى الخاص بالنشاط التنصيري ، الامر الذى اتاح للمنصرين فرصة العمل بحرية تامة ٠وقد عبر كاش ــ Cash عن سروره بهذه الفرصة قائلا:(ان شروط اعانات الحكومة للارساليات فى مجال التعليم لاتنص على أية قيود نحو نشاطنا التنصيري، وعليه فاننا فى أسعد المواقع لسيطرتنا على تعليم هؤلاء البدائيين ،لكوننا أحرارا فى تنصيرهم الى أقصى مانمتلكه من قوة)(٣) ذكر ذلك محمد عمر بشير -

وهكذا تظهر النوايا كماينكشف التعاون اللامحدود بين تلك الارساليات

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٣٩/١٤٠ ٠
(٢) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ١٨٧
(٣) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٤٨ ٠

والادارة البريطانية فى الجنوب ، والذى استثمرته الاساليات لصالحها فـــي مجال التعليم بعد ان اصبحت جميع المدارس في الجنوب تحت يدها ، وحتى مدرسة السير لى ستاك التذكارية ، باعتبارها المدرسة الحكومية الوحيدة التـــى انشئت عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٥م من التعويض الذى دفع لمقتل السير لى ستاك بالقاهرة حيث تم تسليم تلك المدرســة فيما بعد للارسالية الكاثوليكيـــة بـــواو عام ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م (١) .

- مؤتمر الرجاف عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨م :

في اطار التعاون الذى أخذ في التطور بين الحكومة والارساليات فـــي مجال التعليم ، فقد كان اهتمام الحكومة منصبا حول مشكلة اللغة التـــى ترتبط بالعملية التعليمية فى الجنوب ارتباطا وثيقا منذ عام١٣٤٣هـ/١٩٢٤م . وكان انتشار اللغة العربية واسعا ، وهو امر لم تكن ترغب فيـــد الادارة البريطانية والارساليات مما تسبب فى ازعاج لهم بدليل ان الحاكم العــــام جون مفى عبر عن ذلك فى عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م ، قائلا :(تنتشر اللغة العربيـــة الركيكـــة انتشـــارا واســـعا فـــى المحافظــــات الجنوبيـــــة ، وهـــذا يعـــود الـــى انتشـــار العنصـــر المصـــرى واستخدامـــه في الدواوين لعـــدة ســـنوات هذا الى جانـــب الحاجـــة الى بعـــض وســـائل الاتصـــال التى يصعـــب ســـدها عن طريـــق اللهجـــــات المتعـــددة ، وتدهـــورت اللغـــة العربيـــة بحيـــث أصبحـــت صعبــــة الفهـــم مما يدعو الى اعادة تدريسهـا ، والسياسة العامة بفرض قيود علـــى انتشـــار الاســـلام تستبعد هذه المسالة) (٢) .

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص [illegible]

(٢) F.O., 407/210, Enc. in No. 187 .

ويبدو أن هذا الاهتمام فيمايتعلق بمشكلة اللغة العربية وانتشارها قد دفع الحكومة الى عقد مؤتمر بالرجاق عام ١٣٥٧هـ/١٩٢٨م برئاسة مدير مصلحة المعارف ، وممثلين للارساليات التنصيرية ، وبعض الشخصيات من الاقطارالمجاورة مثل الكنغو ويوغندا بالاضافة الى الدكتور وسترمان Westerman مندوب المؤسسة الدولية للغات والثقافة الافريقية ·(١) والجدير ذكره انه لم ترد أى اشارة بتوجيه الدعوة الى أحد من الشماليين فى السودان لحضور هذا المؤتمر · ومن جهة أخرى فقد تبنى المؤتمر توصيات فيمايتعلق بالهجاء الموحد وتطوير مجموعة من اللهجات المحلية ، كماوافق المؤتمرون على استمرار العمل بنظام مدارس الارساليات ، وقد اشار السير جون مفى J. Moffey حاكم عام السودان فى رسالةبعث بها الى السيربرسى لورين P. Lorain المندوب السامى البريطانى فى القاهرة عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م (أن مؤتمر الرجاق يعتبر مؤشرا لمرحلة التقدم فى سياستنا التعليمية بالجنوب ، وانه لولا تعاون القائمين على تلك المدارس لماكان تحقيق تلك الاهداف امرا ميسورا)(٢) ·

وهذا بالتالى يؤكد سعى الادارة البريطانية والارساليات للتغلب على العقبة التى تعترض العملية التعليمية فى الجنوب ، والمتمثلة فى مشكلة اللغة للوصول الى نتائج مشجعة ، وقد خرج المؤتمر بخطة محددة فى الاتجاه نحو الاهداف المطلوبة جاءت كمايلى :

---

(١) بشير، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٤٤ ·

(٢) F.O., 407/210 Enc. in No. 187

١ – العمل على أحكام الخطة التجريبية للاعوام السابقة .

٢ – زيادة حجم المنح التعليمية للارساليات خلال العامين القادمين .

٣ – اعداد كتب النصوص المدرسية بالهجاء الجديد للغات المتعددة .

٤ – انتداب خبير لغوى عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م للاستعانة به فى وضع اللغة ومفرداتها بالنسبة للموظفين المسؤولين والارساليات .(١)

وتعتبر مشكلة اللغة التى ستكون وسيلة للتعليم فى الجنوب والتى تم كل هذا الحشد لها من الناطقين بالانجليزية مسألة جد معقدة وذلك نتيجة لتعدد اللهجات المحلية فضلا عن تعدد الارساليات المسيحية العاملة فى هذا المجال .

ولاشك أن سعى الادارة البريطانية فى استخدام اللهجات المحلية كبديل للغة العربية فى مجال التعليم بالجنوب امر باهظ التكلفة فى ضوء المؤتمرات واللجان التى تعقد من وقت الى آخر والدراسات التى يحشد لها الخبراء وغيرهم حيث كان من الممكن كسب الوقت للارتقاء بالجنوب وتطوير الخدمات التعليمية والطبية وتوفير الجهد والمال والمضى فى التعليم باللغة العربية التى كانت تحقق انتشارا ملموسا فى ذلك الوقت – ولكن هذا العمل من جانب الادارة البريطانية كان يخفى وراءه اهدافا سياسية ، ترمى الى التخلص من الوجود العربى الاسلامى فى مناطق الجنوب .(٢) مهماكان الثمن ولوعلى حساب الاهالى البسطاء واستغلالهم . هذا وقد أورد الدكتور ابراهيم عكاشة ما يفيد بأن السكرتير الادارى ماكمايكل قد قال فى عام١٣٤٧هـ/١٩٢٨م :

---

(١) F.O., 407/210, Enc. in No. 187,

(٢) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ١٩٦

(أن هناك هوة كبيرة بين الشمال والجنوب ، وأن ذكريات تجارة الرقيق لازالت ماثلة للجنوبيين ، الاآن الذكريات تموت ولايزال يوجد وعى للخلاف فى وجهة النظر بين العرب والسود ، فان العرب ينظرون للسود بأنهم عبيد وأن الاذكياء من الزنوج يدركون ذلك • أما البسطاء فينظرون للعرب كطبقة ارستقراطية (راقية) مهذبة ، وعندما ينتقل الواحد منهم من بيئته القبلية حيث يكون عرضة للاستسلام لكل ماهو عربى ثم يعتنق الاسلام ويتعلم بانه ليس هناك اله سوى الله وان محمدا رسول الله ، يمكن ان يتعلم ايضا أن الذين لايؤمنون بهذه المبادىء كفار وان حكامهم عقوقيون وان نعيم الآخرة ينتظر خصومهم • ان هذه الدروس يكون امتصاصها اسهل فى وقت السلم والرخاء ، وتأتى ثمارها فى أوقات التوتر

ان الخطر المحدق أيضا ذو حدين ، من حيث انه ليس فقط فى امكان العرب فى حالة الثورة أن ينشدوا مساعدة الجنوب فان نفس عرب الشمال وأهل الفكر فى المدن سوف لايفشلون فى طرح العاطفة الدينية التى يمكن أن تحدث ارتباكا للحكومة) وبما ان الادارة البريطانية تريد أن تكون أسبق فى كسب الجنوبيين الى جانبها ضد العرب المسلمين فى الشمال لغرض فى نفسها وليس لمصلحة الجنوبيين فان السكرتير الادارى ماكمايكل اكمل حديثه قائلا:(من الحكمة بل من الافضل والآمن ان نأخذ بالاتجاه الأبعد نظرا ونقوم بتشجيع موظفينا البريطانيين باستيعاب اللغات المحلية والعادات والنظم القبلية وبهذه الطريقة سنظهر للمواطنيين الجنوبيين باننا اصدقاء لهم وبمرور الوقت سنجنى ثمار مكاسبنا)(١) •

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ١٩٧ - ١٩٩

وبذلك تتضح الابعاد الحقيقية لمؤتمر الرجاف ، والمتمثلة فى الخط الواضح للادارة البريطانية فى مواصلة حربها على الاسلام واللغة العربية فى منطقة الجنوب واستخدام الجنوبيين وسيلة بكسبهم الى جانبها لتحقيق هذا الهدف .

وبالرغم من أن الرأى السائد لدى الارساليات عموما هو أن استخدام اللغة المحلية افضل طريقة للتعليم ، فقد ترتب على هذا المنهج التعليمى أثر سىء انعكس على تطوره وانتشاره ، وذلك نتيجة لعدم وجود مايكفى من الكوادر المؤهلة فى اللغات المحلية بجانب انعدام الكتب الدراسية بتلك اللغات .(١) وقد انتهى المؤتمر باختيار ست من اللغات المحلية بقبائل الدينكا والنوير والبارى واللاتوكا والشلك والزاندى ، لوضع كتب مدرسية بتلك اللغات ورفض المؤتمر فى مقابل ذلك استخدام العربية التى ستسمح للاسلام بالانتشار وتؤدى الى تعريب الجنوب .(٢)

- أثر مؤتمر الرجاق على السياسة العامة فى الجنوب :

اجتمع الحاكم العام جون مفى مع السير برس لورين المندوب السامى البريطانى بمصر وذلك فى مدينة الاسكندرية فى العام التالى لانعقاد المؤتمر(٣) وجرت بينهما محادثات حول السياسة العامة وتقدير الصعوبات المتعلقة بتقييم درجة التأثير الذى أحدثه الاسلام واللغة العربية فى الماضى ، الامر الذى ترتب

(١) بشير محمد سعيد ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٤٢/١٤٣ .

(٢) F.O. 407/210, Enc. in No. 187,

(٣) N.R.O., South 1/14/134 Report of the Rajaf Language Conferance 1928.

عليه اهتمام الحاكم العام فى القيام بعمل دراسة احصائية للاعوام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م – ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م – ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) وتشمل هذه الدراسات :

١ – عدد الموظفين من غير المسلمين بالنسبة لاجمالى موظفى الحكومة فى القطاعات الادارية والكتابية والفنية .

٢ – عدد الموظفين البريطانيين المؤهلين والملمين باللغات المحلية .

٣ – عدد التجار المتجولين من عدة جنسيات من الشمال .

٤ – عدد مدارس الارساليات الابتدائية والمتوسطة والفنية .

٥ – عدد المدارس الحكومية .

٦ – المبالغ التى أنفقت على التعليم بما فى ذلك دعم مدارس الارساليات .

٧ – عمل تقدير يوضح تضاؤل اللغة العربية وسط قوات الشرطة والقوات العسكرية .

٨ – ملاحظات عن تقدم استخدام اللغة الانجليزية .

٩ – التقدم الذى تحقق من جراء اعداد كتب النصوص المنهجية باللغات المحلية التى تستخدمها الارساليات فى التعليم .(١)

وبناء على ماسبق وتتبعا للاهداف التى تسعى لتحقيقها الادارة البريطانية بعث الحاكم العام مافى الى لورين برسالة تتضمن أهم الخطوات التى تم اتخاذها لوقف أثر المسلمين والعرب من الشماليين فى عدة اتجاهات بالجنوب وذلك عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م وهى :

---

(١) N.R.O. ,South,1/14/134 Report of the Rajaf Language Conferance 1928 .

١ ـ استيعاب موظفين من غير المسلمين فى الجهاز الادارى والكتابى والفنى ٠

٢ ـ الاصرار على الموظفين البريطانيين ليأقلموا انفسهم على معتقدات وعادات ولغة القبائل التى معهم ٠

٣ ـ التحكم فى حركة التجار القادمين من الشمال ٠

٤ ـ اتخاذ مايناسب من اجراءات لمواجهة المشاكل المعقدة فى مجال التعليم٠(١)

وفى الفترة من ١٣٥٠هـ/١٩٣١م الى عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م تمت طباعة عدة كتب باللغات المحلية ليتم تدريسها فى مدارس الارساليات وقد ورد فى تقرير الحاكم العام انه قد تم طبع كتابين بلغة الزاندى واربعة كتب بلغة الدينكا وكتابين بلغة البارى وكتاب واحد بلغة النوير وكريش ، ومورو واللوتوكو٠ ثم ذكر التقرير قاموسا للغة الشلك قدتم انجازه بواسطة بعض الارساليات ٠(٢)

كما اشار تقرير الحاكم العام سايمز Symes عن السياسة التعليمية فى الجنوب فى عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م الى ترجمة الجزءين الثانى والثالث من كتب : المطالعة والاجزاء الثانية والثالثة والرابعة من كتب الحساب الى مختلف اللهجات ، كما وضع قيد الاستعمال كتب للمطالعة والتدريب الرياضى وكتب للجغرافيا والتاريخ بلغات الدينكا والزاذى والبارى ٠

وتمت ترجمة مجموعة كبيرة من الكتب الدينية التى تمت طباعتها ونشرها بواسطة الارساليات التبشيرية ـ وساهمت مطبعة فيرونا بطبع كتاب القواعد

---

(١) N.R.O. South 1/14/134 , Report of the Rajaf Language Conferance 1928 .

(2) F. O., 407/217, Enc. in No. 148 .

بلغة الشلك كما صدرت كتب مماثلة بلغة البارى والنوير ، واشار التقرير الى وجود قواميس للغات محلية آخرى يجرى العمل فيها بواسطة الارساليات .

وبجانب ذلك تم اعداد بعض الكتب الانجليزية ليتم التدريس بها في مدارس الإرساليات ، ورغم ذلك لم تأت هذه الجهود بثمار سريعة وان كانت على المدى البعيد قد أتت .(١)

- السياسة الجنوبية ، وآثرها على حقل التعليم في الجنوب :

يبدو أن هناك اتفاق عام فى وجهات النظر من جانب بعض المسؤولين في الادارة البريطانية حول تهيئة المناخ فى الجنوب للارساليات لتتمكن من اداء مهامها فى أفضل الظروف وذلك بتقليل اثر العرب المسلمين الشماليين على المنطقة . وقد كان هذا هو الشعور السائد لدى بعض المسؤولين من خلال المكاتبات الرسمية التى صدرت فى تلك الفترة من عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م ، حيث ذكر الحاكم العام جون مفى في رسالته الى المندوب السامي البريطاني في القاهرة مايأتي (ينبغى أختفاء استخدام اللغة العربية فى أوساط المواطنين الجنوبيين .... وينبغى أن تحل اللغة الانجليزية مكانها بحيث تصبح اللغة المستخدمة لدى قوات الشرطة أو القوات العسكرية مما يساعد على هيمنتها) .(٢)

كما أشار الحاكم العام جون مافي في معرض رسالته الى لورين في نفس

---

(١) F.O., 407/210 ,Enc. in No. 187 .

(٢) سعودى ، عبدالغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٢٦ .

العام (أنه ينبغى أن ينتهى استخدام اللغة العربية فى أوساط المواطنين أنفسهم)(١) ، أما السكرتير الادارى هرولد ماكمايكل صاحب فكرة (السياسة الجنوبية) ومنفذها ، فقد اعد مذكرة عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م تناول فيها ابعاد السياسة التعليمية فى الجنوب وقرر أن فتح الجنوب للمؤثرات الاسلامية والسياسية غير مرغوب فيه ٠(٢)

هذه التصريحات من جانب المسؤولين فى الادارة البريطانية كانت بمثابة الارهاصات التى سبقت تقرير فكرة (السياسة الجنوبية) عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، الامر الذى يعكس اهتمام المسؤولين فى الحكومة بدعم نشاط الارساليات فى مجال التعليم بالجنوب ، مما أدى الى المزيد من التحكم والتعاون والفاعلية وطور نظام المنح التعليمية للارساليات التى تعمل فى الجنوب ، كما أدى الى تعيين بعض مديرى التعليم التابعين لحكومة بريطانيا فى المديريات الجنوبية (٣) وتشير إحدى الدراسات الى أن حقل التعليم يعتبر من أنجح مجالات السياسة الجنوبية التى تقررت رسميا عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م ٠ والتى كانت ترمى الى تخلص الحكومة من التجار الشماليين ، ثم توفير الموظفين غير المسلمين فى الوظائف الادارية والكتابية والفنية وتشجيع استعمال اللهجات المحلية واللغة الانجليزية ٠(٤)

وهكذا فقد باتت (السياسة الجنوبية) التى خطط لها ماكمايكل فرصة

---

(١) F.O., 407/210, Enc. in No. 187,

(٢) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ٣٠ـ٤٠

(٣) F.O., 407/210, Enc. in No. 187

(٤) Makki, Hassan, Sudan The Christian Design, P.78.

للارساليات لتكريس جهودها التنصيرية ودعم المخطط الاستعمارى للادارة البريطانية ووضع الجنوب فى طريق الانفصال عبر مسالك متعددة فى مقدمتها الجانب الدينى وثقافة تتعارض مع الشمال العربى المسلم ٠ (١)

وقد أكد هذه الحقيقة سكرتير جمعية التبشير المسيحى البريطانية سبنسر ترمنجهام J.Spencer Trimingham عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م عندما قال (وكما استطاعت الارسالية المسيحية فى أوغندا وقف انتشار الاسلام بين أهالى أوغندا ، فان الارساليات المسيحية فى جنوب السودان بمساعدة السياسة الجنوبية التى وضعتها حكومة السودان ستوقف تغلغل المسلمين ، وتمنعهم من اكتساح القبائل الجنوبية المتماسكة ومن احتواء بعض القبائل مثل المورو) ٠ (٢)

وهكذا فقد شهدت السنوات التالية نشاط مكثف من جانب الادارة البريطانية فى الجنوب والارساليات التنصيرية بهدف تحقيق مرامى السياسة الجنوبية وقد تمثل ذلك فى عقد مؤتمرات سنوية كان من ابرزها المؤتمر الذى عقد بجوبا عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م برئاسة مدير المعارف بالتعاون مع الارساليات لتوفير نوعا من التعليم هدفه محاربة المؤسسات الاجتماعية لقبائل الجنوب من الانحراف عن حياتها الطبيعية (٣) ، وهو اسلوب يتفق مع نهج السياسة الجنوبية التى

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٥٠

(2) Trimingham J. S., The Christian . P. 37.

(٣) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٥١ ٠

وضعتها الحكومة والتى تدعو للمحافظة على الطبيعة البدائية للاهالى فى الجنوب (١) • ولاشك ان هذا الاسلوب الاستعمارى قد تعمد الابقاء على تخلف الجنوبيين مماتسبب فى اتساع الفارق الحضارى بينهم وبين الشماليين بشكل واضح •(٢)

وفى عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م تم عقد مؤتمر آخر فى جوبا تحت رئاسة سكرتارية التعليم والصحة حضره حكام المديريات وبالطبع رؤساء الارساليات التنصيرية بالاضافة الى ممثلين لمختلف المدارس التبشيرية • وتعرض المؤتمرون للسياسة التعليمية مع التركيز على أهمية الجانب الاجتماعى فى الجنوب ودراسة اللغة التى يرتبط بها التعليم •(٣)

وفى عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م تم عقد مؤتمر مماثل للمؤتمر السابق كان أبرز ماجاء فيه الفكرة التى خرج بها المؤتمرون عن مجال العمل فى التعليم الذى بدأ يحرز نجاحا تمثل فى المضى قدما نحو الاعتماد على اللغات المحلية ، وابعاد التأثيرات العربية الاسلامية بفضل جهود الارساليات التنصيرية والمبشرين النصارى •(٤)

ويتطلب الامر هنا الوقوف على بعض الاحصائيات التى وردت فى الوثائق

---

(١) بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية ، ص ٢٠٦

(٢) وهنا يمكن أن يطرح التساؤل التالى: أين هى رسالة الرجل الابيض وتفانيه فى نقل المدنية والحضارة الاوربية الى مجال افريقيا البدائية من هذا •

(3) F.O., 407/217, Enc. 1 in No. 136,

(٤) سعودى ، عبدالغنى ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٣١ – ١٣٢

الرسمية ، وتحليلها لاستجلاء الحقائق .

جدول يوضح أنواع مدارس الارساليات بالجنوب وعدد التلاميذ بها .(١)

نوع المدارس الارسالية	١٩٣٢	١٩٣٣	١٩٣٤
المدارس الخاصة (الاحراش)	١٨٩	٢٦٣	٣١٠
مدارس البنات الاولية .	٥	١١	١٦
مدارس البنين الاولية .	٣٢	٣٢	٣٤
المدارس المتوسطة .	٣	٣	٣
المدارس الفنية .	٣	٣	٣
مدارس المعلمين .	١	٢	٢
المجموع .	٢٣٣	٣١٤	٣٦٨

يلاحظ فى هذا الجدول تزايد عدد المدارس الخارجية (مدارس الاحراش)، غير النظامية ـ مع العلم بأن الوضع يحتم عدم فتح او استمرارية المدارس الخارجية دون تصديق ومساعدة مندوب المديرية (٢) . ولاشك أن التوسع فى مثل هذا النوع من المدارس من جانب الارساليات التنصيرية كان الهدف منه هو احتواء اكبر عدد ممكن من التلاميذ وتلقينهم مبادىء المسيحية لينشأوا عليها خاصة وأن شروط الاستمرار بهذه المدارس التخلى عن الاسماء العربية واعتناق المسيحية فى المقام الاول .(٣)

---

(١) الجدول من تقرير الحاكم العام سايمز عن السياسة التعليمية فى الجنوب عام ١٩٣٤م.

(٢) F.O., 407,217, Enc. in No. 136,

(٣) راجع فى هذا المبحث شروط اقامة مدارس الاحراش ، ص ٤١١

ويلاحظ فى هذا الجدول ايضا التفاوت الواضح بين نسبة المدارس المتوسطة من جهة والمدارس الخارجية (مدارس الاحراش) والمدارس الاولية من جهة أخرى وهذا أمر يدل على رغبة القائمين على أمر التعليم فى الاكتفاء بقدر معين من خريجي المدارس المتوسطة وهى الفئة التى تحتاجها الجهات المعنية لاداء مهام وظيفية فقط وبالتالى قصر الوعى على هذه المرحلة لهذه الفئة وبهذه النسبة البسيطة مع عدم الاهتمام بالتعليم الثانوى بدليل انه لاتوجد مدارس فى هذا الجدول من هذا النوع ، وذلك مع كبر حجم المساعدات التى تقدم الى الارساليات فى شكل هبات مالية ، حيث أكد تقرير الحاكم العام سايمز لعام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م هذه الحقيقة ٠

جدول يوضح حجم الانفاق على مدارس الارساليات فى الجنوب بالجنية الاسترلينى٠ (١)

السنوات التى تم الانفاق فيها	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
الجهة التى تم الانفاق عليها	١٩٣٠م	١٩٣١ م	١٩٣٢م	١٩٣٣م	١٩٣٤م	١٩٣٥	١٩٣٦م
اعانات مدارس الارساليات	٧٩٢٥	٨٣٥٠	٧٨٠٥	٨٢٤٥	٩٠٨٥	(٢)	١٠٠٣٥
تكاليف هيئة التدريس	٢٢٣٩	٢٥٥٨	١٣١٥	١٩٣٤	١٦٥٩	؟	٢٥١١

يلاحظ فى جدول الانفاق على التعليم فى الجنوب من جانب الادارة البريطانية التقارب الواضح فى حجم الانفاق على مدى ست سنوات متتالية بل يلاحظ انها

---

(1) F.O., 407/217, Enc. 1. in No. 136

(٢) لم توضح التقارير الانفاق فى هذه السنة ٠

آخذة فى التزايد فعندما تم اقرار مشروع السياسة الجنوبية فى مجال التعليم عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م كانت الميزانية تعتمد بمبلغ ٧٫٩٢٥ جنيها استرلينيا، وصلت فى عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م الى ١٠٫٠٣٥ جنيها ، أى بزيادة ٢٫١١٠ جنيها، وذات الشىء ينطبق على تكاليف هيئة المشرفين التعليميين فى الجنوب ، وان لم يكن الفارق فى الانفاق كبيرا كماهو عليه الحال بالنسبة لاعانات مدارس الارساليات فى الجنوب ، فبينما كانت تكاليف الهيئة فى عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م قد بلغت ٢٫٢٣٩جنيها نجد هذه التكاليف قد بلغت ٢٫٥١١ فى عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م أى بزيادة ٢٧٢ جنيها وهى زيادة طفيفة بالنسبة الى حجم الانفاق بشكل عام .

وهكذا يلاحظ أن جملة الانفاق على تعليم الارساليات فى الجنوب والتى كانت تتم فى شكل اعانات وهبات على حساب المال العام فى خزينة البلاد يعد امرا باهظ التكلفة خاصة اذا علمنا ان تعليم الارساليات كان يهدف الى تركيز التعليم الدينى بغرض تنصير التلاميذ وتنشئتهم على ثقافة تتعارض مع هوية الشمال العربى المسلم .

وقد جاء تبرير الحاكم العام فيمايختص بهذا الانفاق الكبير والتصاعد الواضح فى عملية الانفاق على تعليم الارساليات بأنها تعود الى الزيادة فى الهبات المقدمة الى مدارس الارساليات نتيجة للتوسع الكبير فى هذا المجال مما أدى الى زيادة المخصصات وزيادة تكاليف النقل .(١) وهى تبريرات من الممكن ان تعد معقولة فى حالة الوصول الى نتائج مقبولة تتحقق فى مجال التعليم.

---

(1) F.O., 407/217, Enc, 1 in No. 136

وتتضح جدواها بالنسبة لمحصول التلاميذ العلمى الأمر الذى سينعكس بالتالى على حياة الناس وبيئتهم لان العبرة بالنتائج الآن الانفاق الذى أشرت اليه لم يكن يتناسب مع تلك النتائج التى انتهت اليها الأوضاع التعليمية فى المنطقة ، ومن فداحة الامر آن هذا الانفاق قد استمر طيلة الفترة التى تلت فكرة تطبيق السياسة الجنوبية فى مجال التعليم الذى كانت تحتكرة الارساليات التنصيرية ، حتى وصلت جملة الانفاق فى عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م الى ١٩٫٢١٨ جنيهـا فى السنة.(١) ولاشك انه انفاق كبير على الارساليات فى الحنوب قياسا بالظروف والأحوال المعيشية فى تلك الفترة ، كما آنه انفاق لم يؤد الى نتائج ايجابية ملموسة تخدم المواطن والمنطقة .

- أهم التطورات التى صاحبت احتكار الارساليات للتعليم فى الجنوب :

كان لابد من ظهور تطورات على الساحة التعليمية فى الجنوب فى ظل أعمال بعثات الارساليات التنصيرية والسياسة الدولية ، هذه التطورات هى :

أولا: طرد آباء فيرونا والمبشرين الكاثوليك من الجنوب وذلك عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ، عند غزو ايطاليا للحبشة، ردا على الاجراء الذى اتخذته الحكومة الايطالية بابعاد المبشرين التابعين للارسالية البريطانية فى الحبشة ، وبقيت مدارس الارسالية الايطالية الكاثوليكية معطلة حتى عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م حيث بدأت عودتهم بالتدريج بعد نهاية الحرب العالمية الثانية .(٢)

---

(١) F.O., 407/217, Enc. 1 in No. 136

Mukki Hssan, Sudan the Christian Design , P . 79.

وتشير المصادر ان الدعم المرصود لتعليم ابناء المسلمين فى الشمال فى الميزانية التى أعدت عام ١٩٤٦م كان بمقدار ٢٫٢٠٠ جنيها بينما كان المال المرصود لمدارس الارساليات فى الجنوب فى نفس الميزانية ٣٩٫٠٣٦ جنيهـا

العباس ، أحمد خير ، مآسى الانجليز فى السودان ، ص ٥٢ .

(٢) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٩٤ ـ ٩٥ .

ثانيا:فصل اسقفية السودان عن آسقفية مصر التابعة للكنيسة البريطانية

وقد تم ذلك الاجراء بموافقة ملكية من الحكومة البريطانية عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م ، حيث يعتقد بأن السودان أصبح يشكل هدفا المتراتيجيا بالنسبة للارساليات اكثر من مصر، وبذلك شرعت الكنيسة البريطانية فى اعداد اساقفة جنوبيين ليتسلموا المهام الكنسية فى الجنوب .(١) خاصة وأن الاتجاه السائد فى تلك الفترة كان هو وضع الترتيبات لفصل الجنوب والامر هنا يقتضى تأهيل كوادر من الجنوبيين ، وقد تولت ادارة المعارف التى ذكر مديرها عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م انه من العبث الفصل بين التعليم والدين ، ولما كانت المسيحية اصلح لأهالى الجنوب من الاسلام ، فانه يتحتم على الحكومة ارسال النجباء من الطلبة فى الجنوب الى مدارس وكليات اوغندا ، ومنها كلية مكريرى حيث يزداد تمسكهم بالمسيحية .(٢)

وهكذا يتضح ان جميع التطورات التى صاحبت تنصير الارساليات فى الجنوب كانت ترمى الى فصله عن الشمال على المدى البعيد .

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٢٣٣ / ٢٥٦ .

(٢) المحامى ، احمد خير ، مآسى الانجليز فى السودان ، ص ١٧٧ ، تمام ، تمام، همام ، السياسة المصرية فى السودان ، ص ٨٥ – ٨٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٩م .

* المبحث السادس *

اثر النشاط التنصيرى فى جنوب السودان :

من الواضح ان الادارة البريطانية فى السودان قد مكنت الارساليات التنصيرية من العمل فى الجنوب وفتحت لها المجال واسعا لتنفيذ اهدافها وأغراضها التعصبية ضد الاسلام واللغة العربية ، خاصة فى مجال التعليم الذى اعتبرته الارساليات فيمايبدو أقصر هذه الطرق تحقيقا لمراميها ٠مع أن بعض القبائل لم تكن ترحب دائما بنشاط الارساليات فى هذا المجال ، حيث يعتقد بعض الزعماء أن هذا النوع من التعليم المسيحى قد يصرف ابناءهم عن التمسك بصلاتهم بالعشيرة اوالعائلة ٠(١) مما أدى الى أن يعرب بعض الجنوبيين عن عدم رغبتهم فى التعاون مع هذه الارساليات الى الدرجة التى وصلت الى مرحلة المقاومة والتصدى ، ويتجلى ذلك فى ظاهرة الحرائق التى كانت قد تعرضت لها مراكز التنصير الخاصة ببعض الارساليات منها مركز تنصير مالك ١٣١٩هـ/ ١٩٠١ م ، ومركز تنصير واو ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م ومركز تنصير لاو ١٣٣٣هـ/١٩١٤م بالاضافة الى تعرض بعض المنصرين للاعتداء ومحاولات الاغتيال من جانب بعض الجنوبيين انتهت بمقتل بعضهم ٠(٢) الامر الذى كشف مدى مقاومة الاهالى فى الجنوب للغزو الاوربى المسيحى وتمسكهم بعقائدهم الوثنية حيث لم يكن فى رغبتهم استبدالها بالنصرانية ٠

وكان فى مقابل هذه المقاومة اصرار من جانب الارساليات والمنصرين على تحقيق هدفهم المتمثل فى وقف تقدم الاسلام نحو الجنوب يتضح ذلك من

---

(١) بشير، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ١١١ ٠

(٢) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٢٥٣

التصريح الذى اطلقه المنصر البريطاني كاش والذى جاء فيه :(اليوم الفرصة سانحة لكسب القبائل الوثنية ، وهى فرصة سنفتقدها فى السنوات القليلة القادمة مالم نعمل الآن ، ان ارسالياتنا فى أوغندا استطاعت صد تقدم الاسلام فى افريقيا الوسطى منذ خمسين سنة مضت ، أماتسرب الاسلام عن طريق تنجانيقا وأفريقيا الوسطى فقد تصدت له قوة هائلة من المدد من النمسا ان اضعف نقطة لنشاطنا هى جنوب السودان فاذا ماسمحنا للاسلام بان يرسخ نفسه حول الحدود الاوغندية ، فان هذا يعنى اضعاف ارساليتنا التبشيرية ، وبالتالى سيكون فى النهاية من الصعب انشاء كنيسة افريقية كبرى ، وعلينا أن نضع فى الاعتبار انه اذا ماانتشر الاسلام فان دواوين الحكومة ستمتلئ بالمواطنين المسلمين الذين سيكونون دعاة لدينهم ، أما اذا ماتقدمنا الان فيمكننا ان نقدم للمصالح الحكومية مسيحيين متحمسين لعقيدتهم ، وستصبح الكنيسة الافريقية حقيقة واقعية)(١)٠ ولاشك ان ذلك أسلوب واضح يؤكد طريقة الارساليات والمنصرين فى استغلال الاهالى منذ تلك الفترة لتحقيق مآرب تخدم مصالحهم ومصالح الاستعمار الذى سمح لهم بذلك ٠ وعلى هذا النحو جرت العديد من الممارسات التى تعمل على مسح هوية الاهالى فى الجنوب بدءا بتغيير اسماء التلاميذ الى أسماء مسيحية ، وانتهاءا بالافكار والمعتقدات الخاطئة ، مهماكان ذلك مجافيا للمثل العليا التى كان ينبغى ان تهدف الى تحويلهم ليكونوا اعضاء ينتفع بهم المجتمع القبلى ٠(٢)

وقد انعكس ذلك العمل فى المدى البعيد على الصعيد السياسى والاجتماعى

---

(١) Cash, W. Down in the Sudan, C.M.O. ,Vol. LVI, Mar, 1929 , P. 91 . نقلاً عن ، عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ١٩٠ - ١٩١

(٢) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ٢٢٣ ٠

حيث لم يكن للحوادث العالمية صدى استطاع أن يترك اثره فى شكل حركات سياسية او قومية مهما كانت ضخامته التى قد تهتز لها المناطق المجاورة للجنوب اوحتى شمال السودان ، كالحرب العالمية الثانية مثلا ، الامر الذى يدل على عزلة الجنوب عن أى تأثيرات خارجية .(١) بمافى ذلك الاحوال السياسية والاجتماعية التى قد تطرأ وتؤثر على أحوال الناس فى العالم أجمع الامر الذى يمكن أن يعد تعديا على حقوق الاهالى فى تلك الجهات من الناحية الانسانية .

- آثر التنصير فى مجال التعليم :

جاء اهتمام الارساليات بمجال التعليم فى الجنوب باعتباره اكثرها ملاءمة لتحقيق اهدافها التنصيرية وتبعا لذلك فقد اهملت المجالات الاخرى التى يمكن ان تساعد على تحقيق قدرا من النمو فى اطار الفرد والمجتمع فى الجنوب . أما العناية بالصحة والعلاج فانها لم تتخذ كوسيلة من وسائل التنصير بالنسبة للارساليات فى الجنوب الابشكل محدود، ويبدو انها لم تعول عليه كثيرا رغم اهتمام الحكومة بانشاء بعض المستوصفات العلاجية الصغيرة التى كانت تلحقها ببعض مراكز التنصير ، بالاضافة الى مستشفى لوى التابع لجمعية تبشير الكنسية C.M.S.

وفى اطار النقد الموجه الى الارساليات من قبل القائمين على أمر التعليم فى الادارة البريطانية يمكن أن يلمس الاثر السلبى الذى بات واضحا

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ٢٢٣ .

لديهم بعد اشرافها المباشر على التعليم فى الجنوب ، حيث وصفت ارساليات كنيسة روما الكاثوليكية بانها تهدد بالخطر الحياة القبلية ونظمها هذا فضلا عن ان علاجها الطبى تعليمها الاولى ضعيف وانها لاتعدو ان تكون وسيلة ضعيفة فى مجال التنصير . أما الارسالية الامريكية ، فقد وصفت بانها حقيرة وذات مستوى منخفض . كماوصفت ارسالية السودان المتحدة بانها عنوان الفشل من جميع الوجوه .

ويعتقد بعض الاداريين ان سياسة الارساليات التعليمية قد احدثت نوعا من الانفصام بين الاهالى حيث ينشأ المواطن الجنوبى امامقلدا للاوربيين أو مجموعة من الافندية الذين يحتقرون بنى جلدتهم . وقد نسب الحاكم العام جون مافى عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م هذا التقصير الى أن الارساليات لم تبذل جهدا ملائما للاستفادة من الفرص التى أتيحت لها ، وفى ذلك ينقصها بعد النظر، فضلا عن تحيزها ضد العادات الاجتماعية ، والاحوال الشخصية للاهالى .(١) وهو بلاشك اتهام واضح موجه من الحاكم العام الى الارساليات التى عولت على التنصير على حساب المهمة التعليمية التى أوكلت لها للاشراف عليها .

ويبدو ان الارساليات لم تكن راغبة عن تلك السياسة بدليل أن نائب مدير المعارف س.هـ. وليم اشار فى تقرير له عام ١٣٥٥هـ /١٩٣٦م الى الاخطاء الرئيسية فى تنظيم التعليم بالجنوب على يد الارساليات التنصيرية ومنها تمسك الارساليات باعتبار التنصير عاملا كافيا لتأهيل الجنوبيين لفهم الحضارة الحديثة وملاءمة انفسهم مع الافكار والظروف الجديدة .(٢)

---

(١) بشير، محمد عمر، تطور التعليم فى السودان ، ص ١٤٩/١٥٠ .

وبما ان الارساليات لم تكن ترى فى التعليم الابتدائى ضرورة ملحة (١)، فقد عجزت من ناحية آخرى عن تخريج جنوبيين مؤهلين أكفاء لملء الوظائف فى الجانب الادارى والتنفيذى ، ولكنها نجحت الى حد كبير من خلال هذه المهمة التعليمية المنوطة بها فى أن تخلق فئة من المثقفين المعادين للاسلام ولابناء الشمال فى السودان دون ان تجعل منهم جنوبيين غيورين على وطنهم. (٢)

وقد أدت هذه السياسة الى فصم عرى التلاحم بين الشمال والجنوب على الاقل فى نظر هؤلاء المتعلمين الجنوبيين ، كماثبتت جذور الفتنة وترعرت فى ظل نشاط الارساليات والمنصرين لينعكس اثرها المباشر على مستقبل البلاد .

وقد حذرت من الاثر الضار لدور الارساليات التنصيرية فى التعليم بالجنوب الطبقة المتعلمة من الشماليين وبعض الضباط السياسيين بالاضافة الى فئة من الاداريين عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ، بألاتستمر الارساليات فى أداء هذه المهمة بالجنوب ، وقد دعم أحد اعضاء مجلس الحاكم العام وهو الدكتور براى/ Bray ذلك الاعتراض وحذر من انفاق المزيد من المصروفات على تعليم الارساليات بالجنوب ، خاصة وأن الشمال هو الذى يتحمل هذه الاعباء المالية (٣) ، التى يمكن أن يكون لها نتائج وخيمة ، واشار الى أنها سياسة غير مبررة ، وذلك

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٢٠٦ .

(٢) أحمد ، عبد الغفار محمد ، " ديناميكية التنوع " ص ٦ - ١ ، المستقبل العربى ، العدد ٨٣ بيروت ، ١٩٨٦م .

(٣) كانت وزارة المعارف تدفع مايوازى ٩٨٪ من نفقات المدارس التنصيرية وذلك من اموال مسلمى الشمال التى كانت تنفق على تنصير ابناء الجنوب .
ص ١٢٥-١٢٦
خليل ، عماد الدين ، مأساتنا فى افريقيا ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ/ بيروت ١٩٨٨م .

بعد ان رأت ادارة المعارف بالجنوب أن الارساليات فى حقيقة الامر لم تنجح الافى تخريج بعض الكتبة من ذوى المستوى المنخفض لملء الوظائف الصغيرة وقلة من الزراعيين وخبراء الغابات ، وموظفى البريد والبرق وبعض الممرضين وحفنة من نظار المحطات الذين لاسلطات لهم ولاوضع ، ومجموعة من نظار المدارس الرديئيين وذلك عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م . (١)

- أثر التنصير فى المجالات الأخرى :

على الصعيد الاجتماعى كانت حياة افراد الاسرة والقبيلة الواحدة تواجه نوعا من عدم الانسجام وذلك من جراء تقسيم الجنوب الى مناطق نفوذ بين الارساليات التى تنتمى الى قوميات ومذاهب نصرانية مختلفة والتى قد تنشأ فى بعض الاحيان صعوبات قد تؤدى الى الاختلاف والشقاق فيمابينها. الامر الذى سينعكس على حياة الاهالى فى شكل نزاعات ، سيما وأن الادارة البريطانية وكنيستها الانجلكانية كانت تتخذ من ذلك النظام ستارا للحد من تنصير الجنوب على المذهب الكاثوليكى .(٢)

ومن ناحية أخرى فقد تدهورت اللغة العربية الدارجة التى كانت تنتشر فى الجنوب انتشارا واسعا والتى تعرف (بعربى جوبا)(٣) وتنسب بعض الوثائق ذلك الانتشار الى العنصر المصرى واستخدامه فى الدواوين الحكومية بالجنوب عدة سنوات (٤). ثم تداولها الجنوبيون نتيجة لحاجتهم الى بعض وسائل الاتصال

---

(١) بشير ، محمد عمر ،تطور التعليم فى السودان ، ص ٢١٩ .

(٢) عكاشة ،ابراهيم ،التبشير النصرانى ، ص ١٦٤ .

(٣) أحمد ،عبد الغفار محمد ،قضايا للنقاش ، ص ١٨ .

(٤) F.O., 407/210, Enc.1, in No. 187

التى يصعب سد الحاجة اليها عن طريق اللهجات المحلية المتعددة ، ويعتقد المسؤولون فى الادارة البريطانية انها اصبحت صعبة الفهم بالدرجة التى تدعو الى اعادة تدريسها ، ولكن الرسالة التى بعث بها الحاكم العام جون مافى الى المندوب السامى فى القاهرة السير برس لورين عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م ، تشير الى أن السياسة العامة التى تحدد فرض قيود على انتشار الاسلام فى الجنوب تستبعد هذه المسألة .(١)

ومن أهم اثار التنصير فى الجنوب أيضا هى حرمان ابناء المسلمين من التعليم فى المدارس التى تشرف عليها الارساليات والتى لايسمح نظامها التعليمى لغير المسيحين الانتظام فى الدراسة ، شهد بذلك احد المثقفين الجنوبيين (٢) عندما ذكر بأن المسيحية كانت تقدم فى مدارس الارساليات على أنها اسمى من الديانات الاخرى ، فى وقت كانت هى الديانة الوحيدة المتاحة كمالايسمح بنشر الاسلام فى قرى الجنوب ، كماهو الحال بالنسبة للمسيحية .(٣)

وهكذا قد أدت السياسات التنصيرية للارساليات الى المزيد من الانفصام بين الشمال والجنوب كما أدت الى التباعد بين ابناء الشطرين ، وخلقت جوا من التوتر كانت له آثار بعيدة فى المستقبل .

---

(١) F.O., 407/210, Enc. in No.187 .

(٢) هو، بونا ملوال ، وقد عمل وزيرا للثقافة والاعلام فى فترة سابقة .

(٣) Makki Hassan, Sudan the Christian Design, P.80 .

الفصل الخامس

الفصل الخامس

أهم النتائج التي ترتبت على سياسة بريطانيا في جنوب السودان

(١٣٦٧-١٣٧٦هـ) (١٩٤٧-١٩٥٦م)

المبحث الأول

مؤتمر جوبا :

يعد مؤتمر جوبا من أهم النتائج التي ترتبت على السياسة البريطانية في جنوب السودان ، لا من حيث النتائج الايجابية التي توصل اليها فحسب ، وانما لأن مجموعة من الاداريين البريطانيين في الجنوب هي التي سعت في الدعوة الى عقده ، بهدف انشاء مجلس استشارى للجنوب ،تمهيدا لتثبيت حكم محلي أسوة بما تم في السابق بالشمال ، وبالتالي تطوير السودان الجنوبي كدولة ، بعد أن فشلت السياسة البريطانية في ضمه الى اوغندا او الكنغو (١).

ولم يكن جميع السياسيين في الادارة البريطانية خاصة في الجنوب على قناعة تامة بالطرح الذى جاء في مذكرة روبرتسون السابقة عام ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م ، والتي دعت الى اعادة النظر في السياسة البريطانية تجاه الجنوب فيما يتعلق بارتباطه بالشمال . وهو أمر طبيعي ان يكون هنالك شيء من التردد في الأخذ بما جاء في المذكرة وقبوله بسهولة من جميع الاطراف لسياسة ظلت مفروضة على الجنوب سنوات طويلة جدا من عمر الزمن .

---

(١) الزبيدى : عبد اللطيف كريم ،مشكلة جنوب السودان ،ص ١٦٩ - ١٧٠،رسالة ماجستير الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

ورغم أن تلك السياسة قد واجهت النقد الشديد من بعض الاداريين والسياسيين البريطانيين في الفترة الاخيرة وقبل اتخاذ القرار بالتخلى عنها ، الا أن اعتراض مجموعة من البريطانيين في الجنوب ممن تربوا على اقرار هذه السياسة والايمان بها ، والدفاع عنها يعتبر رد فعل معاكس تماما لما يجرى (١).

وكان اربعة عشر اداريا بريطانيا في الجنوب قد قاموا بتقديم مذكرة في ١٠ مارس ١٩٤٧م / ١٣٦٧هـ عبروا من خلالها عن قلقهم ازاء التوجه الجديد للسياسة البريطانية التي ظهرت في مذكرة السكرتير الاداري ، وتوصيات مؤتمر السودان الاداري الذى عقد عام ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦م (٢) ،وكان قد انتهى الى الغاء المجلس الاستشاري لشمال السودان ، وانشاء جمعية تشريعية بدلا عنها تمثل فيها المديريات الجنوبية والمديريات الشمالية على السواء (٣). وكان رأيهم أن تمثيل الجنوب في الشمال باثنين من مديرى المديريات الجنوبية في المؤتمر الادارى الذى أقر ذلك ، لم يكن كافيا لمعرفة آراء المتعلمين من أبناء الجنوب ، وطالبوا بعقد مؤتمر ادارى خاص بالجنوب (٤). تناقش فيه عدة نقاط تضمنتها مذكرة هؤلاء الاداريين ، وبالرغم من أن مذكرتهم قد سلمت ببقاء السودان بلدا موحدا في أول الامر ولكنها ركزت في بقية النقاط على المحافظة والابقاء على التوجهات الاجتماعية والسياسية بمعزل عن

---

(١) سعودى ، عبدالغنى وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٣٩

(٢) N.R.O. South, 1/18/196, Note on proposed Southern Conference Juba, June 1947, ByD.C. Aweit,10.5.1947.

(٣) عبدالرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٦٨

(٤) Collins R. The Sudan PP.39-40 .

الشمال متمسكة باعذار واهية ، وهي اختلاف العنصر والتقاليد والعادات واللغة وهي أمور لاتبرر كل هذا النفور من الشماليين وتتناقض في نفس الوقت مع رغبة هؤلاء الاداريين في أن يبقى الشمال والجنوب شريكين يضمهما مجلس تشريعي واحد في المستقبل ، حسب ماجاء في تلك النقاط ، الأمر الذى يجعل هذا العمل يقوم على الشك وسوء التقدير .

وكانت النقاط التي اقترح الاداريون مناقشتها كما يلي :

(١) أن تقوم السياسة على آساس بقاء السودان بلدا موحدا .

(٢) نتيجة لاختلاف القسمين في العنصر والعادات والتقاليد واللغة وآسلوب التفكير مع مرورهما بمرحلتين مختلفتين من الناحية السياسية والاجتماعية ، فيجب معاملة كل منهما معاملة خاصة والنظر اليهما كشريكين .

(٣) لن تتحقق تطورات سياسية سليمة في الجنوب الا بمراعاة الفوارق السابقة وهذه المشاركة بين الاقليمين .

(٤) حاجة الجنوب السياسية الى اقامة الحكم المحلي والتنمية على نطاق واسع وسريع .

(٥) تشكيل مجلس استشارى للجنوب ، وعدم تطبيق التشريعات التي تصدر من المجلس في الشمال على آمور تهم الجنوبيين الا بعد موافقة الحاكم العام ومشاورة المجلس في الجنوب . ، والذى يكون من حقه تقديم مشروعات قوانين خاصة بالجنوب .

(٦) يكون الهدف من المجلس الاستشارى في الجنوب ، كمرحلة لتكوين مجلس تشريعي واحد لجميع السودانيين يمثل فيه الجنوب بشكل كامل

وكاف (١) .

وهكذا يتضح من خلال تلك النقاط ان مذكرة الاداريين البريطانيين قد سلمت من حيث المبدأ بالطرح الذى جاء في مذكرة السكرتير الادارى السابقة كما وافقت أيضا على قبول توصية المؤتمر الادارى .

وبناء عليه فقد طمان السكرتير الادارى الاداريين المعترضين بأنه لم يتخذ بعد القرار النهائي في الأمر ، وأن توصيات المؤتمر الادارى ليست أكثر من تعبير حر وواضح من الشماليين حول السياسة الجديدة المقترحة (٢). واستجاب لرغبتهم بعقد مؤتمر ادارى اجتمع في جوبا في ١٣ يونيو ١٩٤٧ م (١٣٦٧هـ) برئاسة السكرتير الادارى وحضور حكام المديريات الجنوبية الثلاث و ١٧ من زعماء الجنوب ، وستة من الشماليين ، وكان الهدف من عقد هذا المؤتمر معرفة راي الجنوبيين ومدى رغبتهم في المشاركة بممثلين في الجمعية التشريعية المقترحة أم أنهم يرغبون في انشاء مجلس استشارى خاص بالجنوب كما حدث في الشمال سابقا (٣).

وقد جرت مناقشات طويلة تطرقت الى معظم جوانب الموضوع ، ركز خلالها الجنوبيون على الضمانات اللازمة لحمايتهم من الظلم ، مما اضطر رئيس الجلسة في المؤتمر ان يبدى أسفه للشكوك المتبادلة بين الشمال والجنوب . اذ كان يخشى الشماليون أن يكون الجنوبيون راغبون في الانفصال عن الشمال

---

(١) راجع نص المذكرة فى محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، ص ٢١٥ .

(٢) عبد الرحيم ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٦٩ .

(٣) الزبيدى ، عبد اللطيف كريم ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٦٥ .

وأن الحكومة تقف وراء ذلك ، بينما كان يخشى الجنوبيون أن يحاول الشماليون السيطرة عليهم [١] . وهذا بالتالي يدل على أن الجنوبيين لم يكونوا واثقين من أن آراءهم ستعطي الاهمية والاعتبار الكافيين ، في وقت كانوا يتلقون فيه التوجيهات والاوامر من الاداريين البريطانيين [٢] ومن الطبيعي فيمثل هذا الحال أنتساور الشكوك الشماليين في المؤتمر .

وعلى أي حال فقد توصل المؤتمر بعد مناقشة عدة نقاط الى الآتي :

(١) موافقة أعضاء المؤتمر منالجنوبيين باستثناء اثنين من الزعماء على الوحدة السياسية مع الشمال .

(٢) معارضة الجنوبيين للانفصال عن الشمال اذ انه مضر بمصلحتهم السياسية والاقتصادية في المستقبل ، وأعلنوا رفضهم الاتحاد مع اوغندا .

(٣) أعلن أبناء الجنوب عن رغبتهم بالاشتراك في الجمعية التشريعية الموحدة مع الشمال وفي نفسالوقت المضي في تنمية الحكم المحلي بالجنوب [٣] .

الا أنه منالمؤسف حقا أن يتضح من خلال جلسات المؤتمر مايفيد بأن هنالك أزمة ثقة بين الطرفين [٤] ، ولاشك أنه امر ليس من المستغرب حدوثه بعد الممارسات الاستعمارية غير المسؤولة خلال السنوات الطويلة الماضية فهي اذن مجرد انعكاس طبيعي لدسائس السياسة البريطانية التي أصيبت بخيبة أمل كبيرة بسبب نتائج مؤتمر جوبا ، بعد آن آرست القواعد الأساسية

---

(١) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٢٣٣ .

(٢) الزبيدى ، عبد اللطيف كريم ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٣) راجع اعمال ذلك المؤتمر فى محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، ص ٢١٧— ٢٤٦ .

(٤) سعودى ،عبد الغنى وآخرون ،مشكلة جنوب السودان ، ص ١٤٠ .

لفصل الجنوب عن الشمال ، رغم انه لم يكن متوقعا أن تتم عملية الفصل من خلال هذا المؤتمر بشكل مباشر ، وذلك لان الجنوب لم يكن قد تهيأ بعد لاتخاذ هذه الخطوة . لانه لم تكن هنالك كوادر ادارية كافية من أبناء الجنوب للقيام بالمهام الادارية الجديدة وحتى لو قامت الادارة البريطانية بتغطية هذا العجز فان الجنوب لم تكن فيه موارد اقتصادية تكفي لادارة الامور في البلاد فضلا عن التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت محل اهتمام الادارة البريطانية مؤخرا وتتطلع اليها الفئات الجنوبية المتعلمة . والانفصال قد يحرم الجنوب من اعتماده على مشاركة الشمال في الانفاق عليه من الخزينة العامة ، ومعلوم بأن الادارة البريطانية لايمكن أن تلزم نفسها بالانفاق على الجنوب خاصة وأنها لم تفعل ذلك من قبل . ومن جهة أخرى فان الحرية والاستقلال في الشمال ستجعل الادارة البريطانية التي ستبقى لادارة الامور في الجنوب في مواجهة مباشرة مع الجنوبيين تتحمل كل التبعات الناجمة عن التخلف في الجنوب الذى يطمح للحاق بالشمال وبذلك تنكشف ألاعيب ودسائس السياسة البريطانية للجنوبيين لذلك فان الانفصال المباشر من خلال هذا المؤتمر لم يكن في مصلحة الجنوب أو الادارة البريطانية التي ترغب في استغلال الوضع في الجنوب بالشكل الذى يمنع تقدم الاسلام فيه قدر الامكان .

والامر الذى اضفى على المؤتمر اهمية أخرى هو أنه كان اول مؤتمر من نوعه تتاح فيه الفرصة للشماليين والجنوبيين على السواء ، بالالتقاء والجلوس معا للبت في امر يخصهم وحدهم (1) .

---

(1) محجوب ، محمد أحمد ، الديمقراطية في الميزان ، ص ١١٥ ، دار النهار للنشر ، ط ٣ بيروت ، بدون تاريخ .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا هو أن المؤتمرين في جوبا قد أوصوا بانتخاب ممثلي الجنوب في الجمعية التشريعية من خلال مجالس المديريات ، وليس من قبل مجلس استشارى يتم انشاؤه في الجنوب ، كما أوصوا بالاهتمام بتشجيع التجارة وتحسين المواصلات بين شطرى البلاد ثم وضع سياسة تهدف الى توحيد السياسة التعليمية في الجنوب والشمال (١) .

وشرعت الادارة البريطانية بعد ذلك في وضع مقررات مؤتمر السودان الادارى الذى عقد في عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م بالخرطوم موضع التنفيذ ،خاصة بعد أن تم تأكيد مسألة وحدة البلاد في مؤتمر جوبا في العام التالي ، وصدر القانون الخاص بالجمعية التشريعية وتم افتتاحها رسميا في ١٥ ديسمبر ١٩٤٨م الموافق ١٣٦٨هـ بحضور ١٣ عضوا من الجنوب و ٧٦ عضوا من الشمال وستة بريطانيين حيث صار مجموع أعضاء الجمعية ٩٥ عضوا (٢).

ولاشك أن بعض الاداريين والسياسيين البريطانيين في الجنوب كانوا ينتظرون أن يخرج مؤتمر جوبا بغير النتائج التي انتهت اليها جلسات المؤتمر ليكون تتويجا للسياسة البريطانية التي عملت من أجل فصل الجنوب سنوات طويلة جدا . وبالرغم من أن تلك السياسة قد منيت بالفشل في تحقيق مراميها فيما يختص باقامة مجلس استشارى خاص بالجنوب كخطوة متممة لفكرة الفصل ، الا أنها تركت أثرا سيئا انعكس على العلاقة بين الشمال والجنوب فيما بعد .

---

(١) عبد الرحيم ، مدثر ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٧٠ – ٧١ .

(٢) عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ص ١٥٢ – ١٥٧ ، الزبيدى عبد اللطيف كريم ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٧١ .

المبحث الثاني

التخلف الاقتصادى والاجتماعي في الجنوب وآثاره :

مما لاشك فيه ان التخلف الاقتصادى والاجتماعي للجنوب يعتبر من أهم وأبرز نتائج السياسة البريطانية ، فلو لم تعمد السياسة البريطانية على ابقاء الجنوب متخلفا في هذين المجالين ، فلربما لم يتحقق لها ماتحقق فيما يتعلق بابعاد الجنوبيين عن الشماليين والسعي الى الفصل بينهما ، وتكفى في هذا الموضع شهادة المسؤولين البريطانيين أنفسهم على ذلك التخلف في الجنوب الذى اعترف به المستر كريستوفر كوكس مدير المعارف السابق ، والسير دوجلاس نيوبولد السكرتير الاداري (١) .

وعليه فان سياسة الادارة البريطانية لم تكن تعمل على تطوير الجنوب الا في السنوات الأخيرة للادارة البريطانية ومع ذلك فان هذا التطور كان يسير ببطء شديد وبشكل مختلف عن التطور الذى يحدث في الشمال(٢). وذلك نتيجة لضغط المقاومة الوطنية في الشمال بدليل أن السكرتير الادارى نيوبولد قد ذكر وهو يعدد الأسباب التي أدت الى التفكير في اتخاذ سياسة ايجابية تجاه الجنوب قوله : (ان انظار مصر والسودان الشمالي مركزة على الجنوب ، وكانت سياستنا في الجنوب ـ أو عدم وجود سياسة لنا ـ موضع نقد شديد في القاهرة وأم درمان على السواء ، وهنالك

---

(١) راجع من هذه الدراسة الفصل الثالث ، ص ٣٥٨/٣٦٣ .

(٢) راضى ، نوال عبد العزيز مهدى ، سقوط حكومة الازهرى ، ص ٤٨ ـ ٤٩، دار الانصار ، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

أجزاء من هذه السياسة لايمكن أن يرضى عنها أبناء شمال السودان ، وكانت بعض أوجه نقدهم مما يصعب الرد عليه ، وإذا أردنا أن نكسب الرأى المستنير، بين الشماليين ، الى جانب سياستنا المقررة في الجنوب ، فلابد من السير بخطى أسرع في التعليم وفي التنمية المالية على السواء)(١).

وفي نفس السنة أي عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م تمت موافقة الحاكم العام على مقترحات اللجنة الاقتصادية بانشاء هيئة المشروعات الزراعية بالمديرية الاستوائية والقسم التجارى الذى يتبع لها (٢).

وبالرغم من أن تلك المشروعات في منطقة الزاندى قد ضمت أول مصنع للنسيج في السودان ، ومصنع لانتاج الصابون والزيوت النباتية ، ومصنع لانتاج السكر بالاضافة الى انتاج الأخشاب (*) ، فان الجنوب يعتبر محروما من مشروعات التقدم والتعمير ، لأن هذه المشروعات أنشئت في وقت متأخر جدا وفي منطقة محدودة قياسا بالرقعة الشاسعة للجنوب ، وبالتالي فانه حرمان مقصود ليس للشماليين يد فيه ، مع العلم بأن هنالك مناطق أخرى في السودان أشد حرمانا ، ولعل الجنوب في ذلك كان أسعد حظا منها (٣)

---

(١) بشير،محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١٠٤ ،عبد الله ،على حسن ،الحكم والادارة فى السودان ، ص ٢٨٧ ، دار المستقبل العربى ، القاهرة ١٩٨٦م.

(٢) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١٠٤ .

(٣) البدوى ، محمد خير ، " آثار السياسات الاستعمارية البريطانية "ص ٥ الشرق الاوسط العدد ٣٩٤٣ ، جدة ، ١٩٨٩/٩/٤م .

(*) لقد دُمرت هذه المصانع وتوقف العمل فيها منذ فترة طويلة بسبب الحرب الدائرة حتى الآن.

الا آن الفجوة بين الشمال والجنوب ككل كانت أكثر اتساعا ، في مجال التنمية بشكل عام ، وكان من الممكن تطوير الجنوب والارتقاء به لولا السياسة البريطانية التي حاولت ان تستغل عنصر التخلف الاقتصادى امعانا منها في تعميق الفجوة بين الشمال والجنوب ، بعد آن أغلقت نوافذ الجنوب المطلة على الشمال ولم تتح لهم فرصة تلقي التأثيرات الناتجة عن التنمية الزراعية في السودان الشمالي ، خاصة بعد انشاء المشروعات الزراعية الحديثة في الشمال (الجزيرة ، القاش ،طوكر) (*) وهي مشروعات تهدف لخدمة المصالح البريطانية في المقام الاول آكثر من هدفها لخدمة التطور والتنمية في الشمال ، وكان من سياسة بريطانيا زراعة القطن في معظم مستعمراتها ، ومع ذلك فقد أهملت الجنوب وتركته متخلفا بحجة أن هذه المشاريع باهظة التكاليف (١) . في الوقت الذى تنفق فيه الأموال المرصودة للجنوب على الحملات التأديبية المسلحة التي يقوم بها جيش الاحتلال ضد الأهالي في الجنوب (٢).

وبجانب ذلك فان السياسة البريطانية قد أهملت عمدا جانب مهم من جوانب الرقي والتقدم الحضارى للجنوب ، لكي تدعم سياستها الرامية الى فصله عن الشمال وهي عدم الاهتمام بالنقل والمواصلات بين الشمال والجنوب رغم حاجة الجنوب والشمال معا الى ذلك . ولم تعمل على مد خطوط السكك الحديدية

---

(١) سعودى ،عبد الغنى ،وآخرون ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٤١ .

(٢) آلير ، أبيل ،" جنوب السودان الامعان فى نقض العهود " ترجمة بشير محمد سعيد ، الحياة ، العدد ١٠٥٣٩، ١٤١٢/٦/٨هـ - ١٩٩١/١٢/١٤م .

(*) القاش ، طوكر ، فروع موسمية لنهر النيل تنحدر من مرتفعات الحبشة الى شرق السودان عبر مقاطعة سهلية حيث تم انشاء المشاريع الزراعية فيها.

لتربط الجنوب بالشمال واقتصرت على أداة اتصال قوامها باخرة نيلية واحدة تصل الى منطقة الرجاف مرة واحدة في الأسبوع ، مع وجود مجموعة من الطرق غير المعبدة لاتصلح للاستعمال سوى ثلاثة أشهر فقط في السنة لان موسم الأمطار يستمر في الجنوب لأكثر من تسعة أشهر في السنة فتعوق الأوحال الحركة والتنقل (١) .

وقد ساهمت هذه السياسة من جهة أخرى في عزلة الجنوب بشكل كبير، ولذلك عمدت الادارة الاستعمارية الى عدم تشجيع الاتصال بين القبائل العربية والقبائل الجنوبية المجاورة لها ، بل جرى ترحيل بعض القبائل الزنجية مثل الباندا ، كريش ، وفورقي ، من مقاطعتها الى مناطق بعيدة عن تلك القبائل نتيجة لتأثرها كثيرا بالاسلام (٢)، الذى استطاع أن يكفل نوعا من الانسجام بين القبائل العربية والزنجية على الرغم من اختلافها.

ولم يقتصر تخلف الجنوب على ذلك بل شمل الجانب الاجتماعي أيضا حيث كانت النتائج التي ترتبت عن التخلف في المجال الاجتماعي أبعد أثرا في نفوس الجنوبيين خاصة وضع التعليم في الجنوب ، وكانت الارساليات التنصيرية قد أخفقت في أداء المهام التعليمية بأمانة وفضلت خدمة أهدافها التنصيرية من خلال القيام بهذا العمل . ويبدو أنه لايكاد يوجد لدى أى من العاملين

---

(١) رياض ، زاهر ، استعمار افريقيا ،ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ، راضى ، نوال عبد العزيز مهدى ، سقوط حكومة الازهرى ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) Basic Facts About The Southern Provinces of the Sudan, Published by the Central office of the Information-Khartoum, 1964, p.11.

في هذه الارساليات آية مؤهلات تربوية بل ان مستواهم العلمي ، وكذلك مستواهم كباحثين منخفض الى حد كبير وأكثر من هذا فانهم في هذه الناحية على درجة كبيرة من الضعف ، وهم ليسوا حريصين على التعليم لذاته فبعضهم قد اتخذ التنصير قبل التعليم هدفا له (١).

والواضح أن التخلف الذى نتج عن اهمال الادارة البريطانية للتعليم وعدم مراقبة الارساليات مراقبة دقيقة في هذا المجال جعل هذه الارساليات تقتصر في اهدافها على نشر النصرانية واللغة الانجليزية لمنافسة الاسلام واللغة العربية وابعادهما عن الجنوب ، مما يساعد على زيادة الفوارق بين الشمال والجنوب ويؤدى بالتالي الى وجود شعور بالكيان المنفصل لدى الجنوبيين .

ولقد ظلت الادارة البريطانية تدفع المساعدات المالية السخية لهذه الارساليات نظير الخدمات الاجتماعية التي كانت تقوم بها في مجال التعليم والصحة وان كانت لم تقدم الكثير أيضا فيما يتعلق بالرعاية الطبية ، لأنها لم تكن أهلا لتحقيق التقدم الذى ينشده الاقليم في هذا المجال ولذلك ظل التقدم بطيئا بل متعثرا في مجال التعليم والصحة كما اشار السكرتير الادارى روبرتسون (٢)، الأمر الذىيؤخذ عليها بسبب حاجة الجنوبيين الى الخدمات الطبية بقدر حاجتهم الى التعليم أيضا ، ولكن الارساليات انفقت كل جهودها على التعليم لأنه بلا شك يساعدها في تنشأة الجنوبيين نشأة انفصالية ومخالفة للشماليين المسلمين .

---

(١) مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٢) سعيد ، بشير محمد ، الزعيم الازهرى وعصره ،ص ١٤١ ، القاهرة الحديثة للطباعة ، المكان بدون ، ١٩٩٠م .

وقد ساهم في هذا التخلف أيضا رغبة الادارة البريطانية في المحافظة على القبلية والبدائية بين الاهالي في الجنوب ولم يكن يزعجها ذلك التوجيه الخطير للتعليم بيد الارساليات التنصيرية بقدر ماكان يزعجها في سياسة الارساليات التعليمية عملية التغيير في جذور الحياة القبلية لسكان الجنوب اذ بينما كانت الحكومة تشجعهم على الاحتفاظ بعاداتهم واسمائهم والتخلي عن عادات واسماء الشماليين كانت الارساليات تشجعهم على اتخاذ اسماء وعادات أوروبية (١) . وقد أستنكر الحاكم العام جون مفي في عام ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧م سياسة الارساليات والمنصرين نتيجة لتحيزها ضد العادات والتقاليد الاجتماعية للجنوبيين واعتبر ان ذلك ناجم من نظرتها الضيقة للامور يقصد تركيزها على تنصير الاهالي فقط على الرغم من الفرصة الجيدة التى أتيحت لها (٢) .

وقد ظهرت آثار التخلف الاجتماعي فى فترة حكم ستيوارت سايمز بجلاء وهى الفترة التى بدأ فيها السودانيون أكثر تطلعا للمشاركة فى الحكم عن طريق الادارات المحلية والمجالس الاستشارية كما ظهر فيها العجز الواضح للكوادر الجنوبية فى هذا المجال .

ويبدو أن المسؤولون فى الحكومة البريطانية قد شعروا بحجم المأساه التى خلفتها هذه السياسة ، ولذلك حاولت وزارة الخارجية البريطانية

---

(١) تمام ، تمام همام السياسة المصرية في السودان ، ص ١٠٣ ، رسالة ماجستير معهد الدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٩م .

(٢) Said, Bashir M., The Sudan Across Road Of Africa, P. 12 London, 1965 .

اقناع سايمز بكل السبل للتخلي عن الاعتماد على الارساليات في مجال التعليم بالجنوب . وأشارت في رسالة موجهة الى الحاكم العام بهذا الصدد عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م (بأن حكومة السودان ستدفع الثمن غاليا يوما ما لتركها التعليم كلية للمنصرين ، فضلا عن أن هذه السياسة أضحت موضع تساؤل الى حد ما من قبل الحكومة المصرية ، واذا ماتجاهلنا هذا ،فلا ننسى أن تلك السياسة كانت في حقيقة الأمر موجهة عن قصد ضد ديانة الشريك الآخر في حكم السودان)(١). وهي اشارة الى الحكم الثنائي .

وهكذا بدت آثار التخلف في المجال الاقتصادى والاجتماعي تبرز الى السطح بالرغم من ان الادارة البريطانية حاولت تغيير سياستها تجاه الجنوب ، ولكن الاثار التي تركتها السياسة البريطانية والارساليات التنصيرية طيلة السنوات الماضية ، كانت اعمق من ان تزيلها رياح التغيير في بضع سنوات ـ فضلا عن ان التغيير الذى حدث لم يكن يقصد ازالتها بقدرماكان يريد اظهار وجه آخر لسياسته في نهاية حكمه ، خاصة ان تلك السياسة البريطانية كانت كافية لتحقيق أهدافها كما يتضح مما يحدث اليوم في السودان ، وأقلها معارضة بعض الجنوبيين للتوجه الاسلامي في البلاد . ومن الممكن أن نلخص الاثار التي نجمت عن التخلف الاقتصادى والاجتماعي في النقاط التالية :

---

(١) عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصراني ، ص ٢٧٩

(أ) اثارة الشكوك والكراهية بين الجنوبيين ضد اخوانهم في الشمال .

لقد جعل التخلف الاقتصادى والاجتماعي للجنوب في اطار السياسة المتبعة ضد الاسلام واللغة العربية وكل مايرتبط بهما ، من جانب الادارة البريطانية و الارساليات التنصيرية ، جعلت المواطن في الجنوب ينظر الى نظيره الشمالي كعدو تقليدى له ، وذلك نتيجة للتباين في التطور والنمو الحضارى بين الشقين مع انهما يجتمعان في السودان الموحد ، الامر الذى جعل الشق المتخلف في الجنوب يختزن شعورا بان الشق الشمالي يمارس ضده نوعا من الخداع والاستغلال بغرض السيطرة عليه ، خاصة اذا كانت هناك جهات تلمح بذلك ، حيث لايجدى في مثل هذا الحال اذا كان الشعور يستند الى حقيقة أم لا. وبالتالي فان غريزة الشعور بالانتماء الى السودان الموحد تظل مفقودة لدى المواطن في الجنوب ، فيظل ولاؤه منحصرا في نطاق القبيلة التي نشأ فيها ، وقد يتطور هذا الشعور مع الايام ليأخذ طابعا اقليميا في احسن الاحوال تحت ظل المؤثرات السابقة ، ومنها الفقر الذى يعانيه الجنوب نتيجة للتخلف الاقتصادى والاجتماعي [1] .

ولاشك أن بذرة الحقد والكراهية التي غرست منذ ادارة بيكر وغردون نتيجة للممارسات العدوانية العنيفة ضد الاهالي ، قد نمت وترعرعت بشكل واضح في ظل السياسة الخرقاء للادارة البريطانية والتي حاولت فرض سيطرتها على الاهالي في الجنوب بنفس الطريقة ، وذلك بعد ان اجتاحت جيوش كتشنر السودان

---

(١) سلفتر ، انتوني ، السودان في عهد نميري ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤

من الشمال عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م وكانت السلطات البريطانية قد شرعت في اخضاع القبائل الجنوبية عن طريق الحملات التأديبية المسلحة والمتتابعة [(١)] ولم تكن هذه القبائل تألف النظام بعد ، الأمر الذى ترك اثاره المريرة ورواسبه الدفينة في نفوس الأهالي ازاء تلك الممارسات القادمة من الشمال حيث يوجد مقر الادارة البريطانية في الخرطوم كما أن بعض افراد هذه القوات من الشمال وان كان بينهم أيضا بعض الجنود السود الذين عرفوا بالجهادية [(*)].

ومن جهة أخرى فقد كان للنشاط التنصيرى اثره العميق في بث الروح العصبية والكراهية ضد الوجود العربي الاسلامي ، وكانت الارساليات قد قامت باستخدام جميع المؤثرات النفسية خاصة في المنهج التعليمي الذى وضعته لمدارسها في الجنوب واستمرت حتى عام ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩م والذى كان يصور للتلاميذ في الجنوب ان الشماليين المسلمين هم تجار الرقيق الذين باعوا آباءهم وتشهد بذلك الكتيبات والمنشورات التي كانت متداولة في ذلك الوقت[(٢)] ومما يذكر استمرار تلك الممارسات حتى بعد التغيير الذى طرأ على السياسة في الجنوب عام ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦م الرسالة التي استدلت بها لجنة التحقيق في حوادث الجنوب بعد التمرد الذى وقع في عام ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م وكانت هذه الرسالة موجهة من أحد رجال الارساليات الكاثوليكية في نيروبي الى طالب سوداني جنوبي وكان نصها كالآتي : (ان السكان الافريقيين المجاورين يكاد يكون جميعهم مسلمين من أصل عربي وكلما اراهم يرجع بي تفكيرى الى قصة تجارة

---

(١) Warburg G., The Sudan Under Wingate, P. 124

* مجموعة من الجنود السود غير النظاميين والذين شاركوا جيش الزبير وجيوش المهدية ثم انضمت الى قوة دفاع السودان تحت الادارة البريطانية.

(٢) Said, Bashir M, ,The Sudan Across Road ofAfrica, P.90.

محجوب ،محمد احمد ، الديمقراطية فى الميزان ، ص ٢٠٩ .

الرقيق العربية البشعة في جنوب السودان ،لقد كان جميع أولئك التجار المغيرين مسلمين ،ان قصة تجارة الرقيق تؤكد المقت التام لتلك الديانة الشريرة التي ليس لها رادع خلقي ،والتي تشمل بين معتنقيها تجار الرقيق والتي توجه عداوتها الخاصة للدين المسيحي الذى نادى به من هو بشر واله في نفس الوقت الذى وضع حياته لينجي البشرية من الآثام التي لا يهتم بها الاسلام ثم نزع حياته مرة ثانية وهو الآن حي يعطينا القوة التي نتغلب بها على الآثام).(١)

واضح من الافتراءات التي وردت في الرسالة مدى الحقد والتعصب ضد الاسلام والعرب في جنوب السودان ،والتي سكت كاتبها عن ممارسات الأوربيين ومؤسساتهم الضخمة لتجارة الرقيق في السابق ، ومباركة الكنيسة والرهبان النصارى لهـا ، وتعمد الاساءة الى الاسلام مع أن القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة قد حثت على حسن معاملة الرقيق والسعي الى عتقهم ،وقد اعترف بذلك كتاب أوربا ومفكروها .(٢)

تلك الممارسات قصد منها تكريس الفرقة والانقسام بين الجنوب والشمال ، ساهم في ذلك العزلة التي فرضتها الادارة البريطانية وحرمان الدعوة الاسلامية من ممارسة أى نشاط لها في الجنوب ، الامر الذى جعل الجنوبيين يكونون فكرة خاطئة عن الاسلام ،واكتفى المنصرون من اخلاص المواطن في الجنوب للكنيسة بالحقد والتعصب والكراهية للمسلمين في الشمال نتيجة لتلك الحملات الخفية.(٣)

وأما مشروع سودنة الوظائف التي يشغلها الاجانب في السودان عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م في قطاعات الادارة والشرطة وقوة دفاع السودان ، فقد أدت النتائج التي توصلت اليها اللجنة المكلفة باتفاق الحكومة البريطانية والحكومة المصرية الى اثارة موجة من الغضب والتذمر بين صفوف الجنوبيين

---

(١) Sudan Goverment, Report of the Comission of the Enquiry on the Southern Sudan Disturbances, P.7 Khartoum 1956 .

سعودى عبد الغني وآخرون . مشكلة جنوب السودان ،ص ٣٨، ٣٩

(٢) بركهات ،جون لويس ،رحلات في بلاد النوبة والسودان ،ص ٢٥٧ ،راجع ايضا من هذه الدراسة ص ٤٤/ ٦٦.

(٣) مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية ،ص ١٠٩ .

نتيجة لقلة الوظائف التي حصلوا عليها بعد تطبيق نظام الاقدمية ، الخبرة ، والمؤهل وفقا للتقاليد البريطانية (١). وكان نصيب الجنوبيين ست وظائف من مجموع ثمانمائة وظيفة حصل عليها السودانيون في هذا المشروع (٢). ويعود ذلك الى افتقار الجنوبيين الى الشروط التي طبقتها اللجنة اكثر من أى شيء آخر وهو أمر يعود الى سياسة الادارة البريطانية والارساليات التعليمية والادارية نتيجة لفشلها في تخريج جنوبيين آكفاء لملء الوظائف وتدريبهم بل اعدآدهم لهذا الامر كما كان يحدث في الشمال ، الا ان الارساليات صرفت في استغلال المسؤولية التي القيت على عاتقها في اعداد الجنوبيين لمعاداة المسلمين في الشمال لخدمة اهدافها وتركتهم بعد ذلك يواجهون هذا المصير .

(ب) تمرد عام ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م في جنوب السودان :

يعتبر التمرد الذى حدث في منطقة توريت (*) في جنوب السودان ، هو ثمرة لسياسة الادارة البريطانية والارساليات التنصيرية وهو في الحقيقة تعبير دموى لمشاعر البغضاء والكراهية التي غرستها تلك السياسة في نفوس الجنوبيين (٣) ، وهو بداية للصراع المسلح في هذه المشكلة منذ تلك الفترة وحتى اليوم واذا توقف يعود اكثر ضراوة وعنفا مما كان .

---

(١) راضى ،نوال عبدالعزيز مهدى ، سقوط حكومة الازهرى ص ٥٤ – ٥٥ .

(٢) التقرير الختامى لمؤتمر الحوار الوطنى بالخرطوم ١٩٨٩م ،ص ١٤ .

(٣) مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية ، ص ١٠٩ .

(*) توريت مدينة في المديرية الاستوائية توجد بها اكبر الحاميات العسكرية من قوة دفاع السودان . راجع الخريطة رقم (٤).

وكانت الجهات الرسمية قد رصدت وقوع بعض الحوادث قبل التمرد وكانت تحمل طابع الكراهية للشماليين وقد تمثلت تلك الحوادث في الاعتداء على بعض الشماليين وممتلكاتهم ،والتظاهر وتوزيع المنشورات وعقد التجمعات السياسية المعادية للحكومة في الشمال ، وكان ابرزها الاجتماع الذىعقد في يامبيو بمنطقة الزاندى في ٧ يوليو ١٩٥٥م الموافق (١٣٧٥هـ) والذى آعربوا فيه عن رفضهم لحكم الشماليين واعتراضهم على تقلد الشماليين للمناصب العليا في الجمعية التاسيسية كما اعلنوا اعتراضهم على وجود القسم الثاني للفرقة الاستوائية في منطقة يامبيو ، بالاضافة الى ذلك اوضحوا رغبتهم في الانفصال وانتظارهم من هيئة الامم المتحدة المساعدة في ذلك (١).

وفي تطور آخر في ١٨ آغسطس ١٩٥٥م الموافق ١٣٧٥ هـ هاجمت مجموعة من جنود الفرقة الاستوائية من الجنوبيين في حامية توريتا الضباط الشماليين، وقتلتهم ثم انتقلوا لمهاجمة المدنيين وأسرهم من النساء والاطفال مما آسفر عن اشتباك مسلح أدى الى مصرع ٢٦١ شماليا و ٧٥ من الجنوب في مجزرة بشرية على درجة قاسية من البشاعة (٢)،ولم يتم اخماد التمرد الا بعد آن تدخلت الحكومة وارسلت تعزيزات عسكرية من الخرطوم كما قطع الحاكم العام نوكس هيلم Knox Helm اجازته وعاد الى الخرطوم من لندن ليصدر أوامره الى المتمردين بتسليم انفسهم واسلحتهم الى السلطات ، وكانوا قد طالبوا بان يسلموا الى قوات بريطانية الا ان الحاكم العام اعترض على ذلك

---

(١) جريدة النيل ، العدد ١٧٥ ، الخرطوم ١٩٥٥/٩/٢٥م •

(٢) من بيان رئيس الوزراء ووزير الدفاع اسماعيل الازهرى فى البرلمان ، راجع سعيد ، بشير محمد " الزعيم الازهرى وعصره ، ص ٢٦١ •

ووجه لهم انذارا شدد فيه بالامتثال للاوامر الصادرة حيث قاموا بالاستسلام في نهاية الأمر (١)، وكانت مجموعات من المتمردين قد دخلت الغابة ، بينما انتقلت مجموعات اخرى الى دولة اوغندا المجاورة وكونوا حزبا سياسيا في المنفى هو الاتحاد القومي الأفريقي المعروف بحزب سانو (٢) .

وكانت من بين الاسباب التي ساعدت على حدوث التمرد وتفجر الموقف العام في الجنوب كما يلي :

١ - الاتهامات المتبادلة بين الاحزاب السياسية في الشمال (حزب الأمة ، الحزب الاتحادى) لبعضها باستغلال الجنوبيين وبذل الوعود الكاذبة ابان الحملة الانتخابية في ذلك الوقت (٣)

٢ - خيبة الأمل التي انتابت الجنوبيين من مشروع السودنة لوظائف الحكومة .

٣ - مساندة المنصرين والكنائس وتحريضهم للجنوبيين (٤)، نتيجة للقلق والخوف الذى بدأ ينتابهم بعد استقلال البلاد وازدياد النفوذ الاسلامي في الجنوب ، وبلغ بهم التشاؤم الى الدرجة التي ظنوا معها انه لن يسمح لهم بممارسة النشاط التنصيرى بعد الاستقلال مما يودى الى اختفاء النصرانية في الجنوب كما اختفت من قبل في الشمال (٥).

---

(١) جريدة النيل ، العدد ١٤٦ ، الخرطوم ١٩٥٥/٨/٢٧م .

(٢) سلفستر ، أنتونى ، السودان فى عهد نميرى ، ص ٢٢٢ .

(٣) بشير ، محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ١٢٩ .

(٤) احمد ، حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية ، ص ٢٨ .

(٥) نصر ، أحمد عبد الرحيم ، الادارة البريطانية والتبشير الاسلامى والمسيحى فى السودان ، ٤٧ - ٤٩ ، وزارة الشئون الدينية ، الخرطوم ، ١٩٧٩م .

٤ ـ البرقيـة المنسوبة الى رئيس وزراء السودان اسماعيل الازهرى ولم يتم التوصل الى الجهة التي أرسلتها الى الاداريين في المديريـات الجنوبية الثلاث وكان نصها كالآتي : " لقد وقعت الآن على وثيقـة تقرير المصير ، لاتستمعوا الى شكاوى الجنوبيين الصبيانية ، ضايقوهـم واضطهدوهم ، وعاملوهم معاملة سيئة بناء على تعليماتي وكـل ادارى يفشل في تنفيذ أوامرى سيكون عرضة للمحاكمة"(١) .

في حقيقة الأمر أن تلك الأسباب لم تكن أكثر من عوامل ثانويـة ساعدت على انفجار الموقف في الجنوب نتيجة لسياسة الادارة البريطانيـة والارساليات التي استمرت تغذى الجنوبيين بمشاعر الكره والحقد تجاه اخوانهـم في الشمال طيلة سنوات الاحتلال فضلا عن الفقر والجهل والتخلف الذى يعم الجنوب

(١) أحمد ،حسن مكى محمد، السياسة التعليمية فى جنوب السودان ،ص ٢٨، سعيد بشير محمد ، الزعيم الازهرى وعصره ، ص ٢٥٧ .
Sudan Goverment, Report of the Commission of Enquiry on The Southern Sudan Disurbances , P. 11 .

المبحث الثالث

تعثر حركة انتشار الاسلام في الجنوب :

ومن أهم النتائج التي ترتبت على سياسة بريطانيا في الجنوب تعثر حركة انتشار الاسلام نتيجة لموقف الادارة البريطانية والارساليات التنصيرية المعادى للوجود العربي الاسلامي في الجنوب .

لاسيما وأنه لم تكن هنالك اية جهة رسمية تولت نشر الدعوة الاسلامية في منطقة جنوب السودان حتى عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م حيث اعتمد انتشار الاسلام طيلة هذه الفترة على الجهود الشعبية المتفرقة [(١)]، وبما يعكسه الأفراد من قدوة ونموذج للمسلم ، فقد كان ذلك في ظل السياسة التي قصد بها تحجيم الوجود الاسلامي والحد من استخدام اللغة العربية ، الأمر الذى أدى الى تضاؤل صلة الجنوبيين بالاسلام وحرمانهم مشاركة المسلمين الشعائر والمناسبات الدينية المختلفة [(٢)] . فضلا عن آن الجنوبيين خريجي مدارس الارساليات لم يكن لهم سوى المام ضئيل باللغة العربية قراءة وكتابة وتحدثا بالقدر الذى لايستطيع معه المواطن في الجنوب اتخاذ اللغة العربية كوسيلة للتعبير عن أفكاره وخواطره ، وذلك[(٣)] بالرغم من أن اللغة العربية الركيكة كانت هي السائدة في الجنوب .

---

(١) راجع من هذه الدراسة ، الفصل الاول ، ص ١٥٨ .

(٢) أحمد ، حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية ، ص ٥٥ .

(٣) البيلى ، احمد ، " الاسلام فى جنوب السودان " ص ١٥ — ٢١ ، مجلة البيان العدد ١ ، الخرطوم ١٩٧٤م .

ولما كانت الادارة البريطانية لاتشجع أي عمل من شأنه آن يؤدى الى تقدم الاسلام في الجنوب في مقابل دعمها وتشجيعها للنشاط التنصيرى هناك فقد اضطرت كتيبة الجنود المصريين الى انشاء مسجد لها في منطقة واو عام ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٩م والذى أصبح فيما بعد مسجد واو الكبير بعد أن قام التجار بتوسعته وتحسينه . أما فيما يتعلق بمسجد جوبا فقد رفض المستر بار Bar مدير الاستوائية عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م التصريح الى اللجنة التي كونها مجموعة من التجار والموظفين الشماليين في جوبا الاشراف على قيام ذلك المسجد الأمر الذى اضطر اللجنة الى ارسال وفد الى الخرطوم لمناقشة الامر هناك وقام الشيخ عبدالرحمن أحمد رئيس تحرير جريدة السودان بكتابة مقال تحت عنوان (حرية الأديان) كما فعلت جريدة المصرى نفس الأمر ، مع اضافة تعليق بقلم الأمير عمر طوسون* وقام الطلاب السودانيون بمظاهرات في القاهرة ضد السلطات البريطانية ، كما ارسل مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة في مصر برقية استنكر فيها هذا الأمر . ونتيجة لهذه الحملة اضطرت السلطات البريطانية في نهاية الامر الى التصديق بقيام المسجد الذى اكتمل بعد عدة سنوات حيث جاء أحد العلماء من الأزهر كأول امام لهذا المسجد . ونتيجة للظروف التي آعاقت انشاء مسجد جوبا فقد تأخر بالتالي انشاء مسجد منطقة ملكال في أعالي النيل حتى عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م وقد تم بناء المسجد تحت اشراف مصلحة المباني بالقاهرة (١) .

---

(١) أحمد ، حسن مكي محمد . ، السياسة التعليمية ، ص ١٩- ٢٠.

* أحد آمراء الاسرة المالكة في مصر .

ومن ناحية أخرى فان الادارة البريطانية لم تكن راغبة في السماح للدعوة الاسلامية ممارسة أي نشاط لها في الجنوب تضامنا منها مع الهيئات والجمعيات الكنسية التنصيرية حيث صرح سكرتير المنظمات التنصيرية في لندن بانه (من الضروري اتخاذ كل الخطوات اللازمة لوقف انتشار الاسلام في جنوب السودان) . وبناء عليه فقد تقدم مؤتمر الخريجين العام في عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م بمذكرة طالب فيها بالسماح بقيام نشاط للدعوة الاسلامية في الجنوب ولكن السكرتير الاداري المستر روبرتسون رفض هذا الطلب وقرر عرض الامر على الجمعيات والارساليات التنصيرية في الجنوب (١).

وكانت الادارة البريطانية قد تلقت العديد من الطلبات من بعض الجمعيات والهيئات الشعبية للقيام بالدعوة الاسلامية في الجنوب الا أنها أهملت الرد عليها ، ويبدو انها لم تكن ترى في الجهود الفردية التي قد تؤدي الى تحويل الوثنيين الى الاسلام خطرا كبيرا بالقياس الى الجهد الذي تقوم به الجمعيات والهيئات الشعبية في مجال الدعوة الى الاسلام بدليل أنها اضطرت تحت ضغط والحاح تلك الجهات الى وضع شروط تعجيزية تمكنها من رفض تلك الطلبات دون الشعور بأي حرج ودون أن تترتب على هذا الرفض أية نتائج سياسية (٢) . وكانت من بين تلك الشروط :

---

(١) البيلي ،أحمد ، " الاسلام فى جنوب السودان " ، ص ١٥ - ٢١ ، مجلة البيان ، العدد ١ ، الخرطوم ١٩٧٤م .

(٢) نصر ، أحمد عبد الرحيم ، الادارة البريطانية والتبشير الاسلامي والمسيحي فى السودان ، ص ٦٢ - ٦٣ .

أولا: لابد أن تكون هذه الهيئة أو الجمعية ذات تنظيم يناسب العمل الذى ستقوم به .

ثانيا: أن يكون لها من الامكانيات المادية والبشرية والمؤهلات المطلوبة مايجعلها قادرة على مثل هذا العمل .

ثالثا: آن يتوفر لدى الهيئة أو الجمعية رئاسة وقيادة مسؤولة

وبالطبع فان تلك الجمعيات لم تكن تتوافر فيها هذه الشروط باعتبار أنها هيئات وجمعيات تقوم على الجهد الشعبي المحلي حيث يتولى الأمر فيها بعض الخيرين واخيرا فان الشرط الرابع والاخير يحول بينها وبين القيام باى نشاط في مجال الدعوة الاسلامية بالجنوب بقدراتها المحدودة قياسا بالامكانيات التي تتمتع بها الهيئات التنصيرية . وذلك الشرط هو :

رابعا: الحصول على اذن من الحاكم العام (١) .

ولاشك أن الادارة البريطانية قد شعرت بخطأ سياستها في هذا الاتجاه خاصة بعد الوعي بأهمية نشاط الدعوة الى الاسلام في الجنوب من بعض الجهات في الشمال الأمر الذى اجبر السكرتير الادارى روبرتسون الى ابداء وجهة نظره في هذا الامر وقد ذكر إبراهيم عكاشة أنه قال : (ان الارساليات التنصيرية من الوسائل المعترف بها في الحياة المتمدينة وينبغي لتقدم المدنية في السودان ان نعلم الدينيين (مسلمي الشمال) والوثنيين قبول المسيحية طواعية ،ولاينبغي التمادى في الاعتقاد بان الدولة تملى الدين على الأفراد) .

---

(١) نصر ، أحمد عبد الرحيم ،الادارة البريطانية والتبشير الاسلامي والمسيحي في السودان ،ص ٥٧ - ٥٩ .

وهذا القول يعني بالطبع اعتراف ضمني بخطأ سياسة الادارة البريطانية في السماح للارساليات التنصيرية فرض التنصير على الوطنيين في الجنوب . وقد استكمل حديثه قائلا : (واذا استمرت الحكومة في صمتها واظهرت تأييدها الى جانب واحد للتبشير فاننا نرتمي في أحضان مستقبل مليء بالعداوة ضد المسيحية والمسيحيين والارساليات في الشمال وضد الاسلام في الجنوب ، ووقتها سوف تكون الحكومة في موقف لايسهل علاجه ، هذا كما أن ذلك ليس قانونيا ولا أخلاقيا ولا يتمشى مع مواثيق الأمم المتحدة)(١) .

ولاشك أن السكرتير الادارى كان مسؤولا وصادقا مع نفسه ومع زملائه فضلا عن أنه قد سجل بذلك ادانة قوية لسياسة الادارة البريطانية وموقفها من الدعوة الاسلامية في الجنوب بكل صدق .

وكان في ذلك الوقت قد ظهر نشاط لبعض الجمعيات الشعبية حيث أسس الشيخ على عبدالرحمن ، وكان يشغل وظيفة القاضي الشرعي في ملكال بمديرية أعالي النيل ،جمعية (المؤلفة قلوبهم) في عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م . كما قام الشيخ محمد الامين القرشي في مجال الدعوة الاسلامية بتاسيس هيئة (التبشير الديني والاصلاح) وكان من ابرز اعضائها ايضا عبدالمجيد ابوقصيصة وذلك في عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م وقد مارست هذه الهيئة نشاطها بعد الاستقلال تحت اسم (الهيئة القومية للتبشير الاسلامي) وكان مقرها في الخرطوم (٢) .

---

(١) Robertson to Gov. 2 Dec. 1947 S.C.R. /46
نقلا عن عكاشة ابراهيم ، التبشير النصرانى ، ص ٢٨٨ .

(٢) احمد ، حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية ، ص ٣٥ .

وقد آدت تلك التحركات الى قيام نشاط شعبي في هذا المجال شمل قبائل النوير والمورلي في مركز البيبور والفرجاك حيث اسلم بعض النظار والزعماء مما سهل اقامة بعض المساجد وخلاوى القرآن في مركز الناصر بين قبائل الفرجاك والنوير، كما احرزت تلك الجهود نجاحا في مديرية بحر الغزال ، الا انه بالرغم من الحماس الذى تحركت به تلك الجهود فانها كانت تفتقر الى التنظيم والتخطيط في مقابل النشاط التنصيرى للارساليات النصرانية ، هذا فضلا عن ان تلك الجهود كانت تعتمد على العمل التطوعي بجانب حاجتها الى الدعم المالي والاهداف المرسومة (١).

وفي عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م تم تعيين أول وزير سوداني للمعارف وهو عبد الرحمن علي طه في الحكومة حيث سعى الى وضع مقررات مؤتمر جوبا موضع التنفيذ بتبني توحيد السياسة التعليمية بين الشمال والجنوب ، واهتم في ذلك بادخال تدريس اللغة العربية في كل مدارس الجنوب بجانب انشاء بعض المدارس الابتدائية والمتوسطة التي ستشرف عليها وزارة المعارف(٢) وأعلن الوزير بأن التعليم الدنيي سيوفر في المدارس الحكومية لمختلف الطوائف المسيحية اما الوثنيون فلن يمنعوا من تلقي العلم في مدارس الحكومة وستكون لهم حرية عدم حضور حصص الدين وبذلك أتيح للوثنيين في جنوب السودان لأول مرة دخول المدارس دون آن يفرض عليهم التنصير كشرط لدخول المدرسة (٣) .

---

(١) أحمد ، حسن مكى محمد، السياسة التعليمية ، ص ٣٥ .

(٢) عبد الله ، على حسن ، الحكم والادارة فى السودان ، ص ١٨١ .

(٣) راضى ، نوال عبد العزيز مهدى ، سقوط حكومة الازهرى ، ص ٧٥ .

ويبدو أن الارساليات التنصيرية لم تقبل هذه الاتجاهات في أول الأمر الا أنها التزمت الصمت ، عندما وصلها الدعم السنوي كالمعتاد بل ارتفع في العام الدراسي ٦٨-١٣٦٩/ ٤٨-١٩٤٩م من ٨٩ الف جنيه الى ١٠٩ الف جنيه سوداني .

وكانت اللوائح قد نصت في عام ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢م على عدم تدريس النصرانية او التربية الاسلامية في مدارس الجنوب الا لمعتنقيها ، بينما اقتصر التدريس باللغة العربية على مدارس الحكومة فقط وذلك حتى عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م وأدخلت اللغة العربية في مدارس الارساليات التنصيرية على درجات متفاوتة بحيث حدث بعض التأثير في بعضها بينما بقي التأثير شكليا في البعض الآخر . أما فيما يختص بالتربية الاسلامية فانها لم تجد الاهتمام الكافي وترك الأمر حسب اهتمام المسؤولين في تلك المدارس الحكومية وميولهم (١) .

وفي عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م تم استدعاء لجنة دولية من الخبراء في شئون التعليم ضمت اربعة بريطانيين واثنين من المصريين ورئيسا محايدا من الهند وكان غرض اللجنة وضع أسس جديدة للتعليم تتفق مع التطور السياسي والاقتصادى في البلاد وكانت من اهم توصياتها فيما يتعلق بالجنوب هي آن تكون اللغة العربية هي اللغة التي يتم التدريس بها في مدارس الجنوب وهو آمر يتوافق مع سياسة الوحدة التي كانت من اهداف السياسة التعليمية

---

(١) أحمد ، حسن مكي ، السياسة التعليمية ، ص ٢١ - ٢٣ .

في الجنوب [١] . وكان من آبرز اعضاء هذه اللجنة السير تشارلس موريس Charles Moris مدير جامعة ليدز والعالم المصرى محمد فريد آبوحديد ، كما استعانت وزارة المعارف بالخبير المصرى اللغوى الدكتور محمود خليل عساكر لاتمام فكرة التعريب في مدارس الاقليم الجنوبي ولكتابة بعض لغات الجنوب بالحرف العربي بدلا من الحرف اللاتيني .

وعقب الفترة التي حدث فيها التمرد في اغسطس عام ١٩٥٥م (١٣٧٥هـ) تم منع الارساليات التنصيرية من اى توسع جديد في مجال التعليم ،كما طالب المؤتمر الذى نظمه طلبة الجنوب بجامعة الخطوم في مدينة واو عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م بتطبيق مناهج وزارة المعارف في الجنوب ، وقد آبدت الارساليات البروتستانتيمة شعورا بعدم الرضي من هذه السياسة [٢] .

وبالرغم من ذلك فقد استمرت الارساليات الكاثوليكية والبروتستانتية تمارس نشاطها التنصيرى في الجنوب بكل حرص حتى لاتفسح مجالا لانتشار الاسلام خاصة بعد التطورات الاخيرة التي شهدتها الساحة في الجنوب نتيجة لازدياد النفوذ الاسلامي بعد الاستقلال في عام ١٣٧٦هـ /١٩٥٦م.

وبذلك يتضح آن الجنوب قد تآثر كثيرا بممارسات السياسة البريطانية بغرض عزله عن الشمال بتطبيق قانون المناطق المقفولة ثم السياسة الجنوبية . واتاحة الفرصة للارساليات للقيام بسياستها التنصيرية المعادية

---

(١) بشير ، محمد عمر ، تطور التعليم فى السودان ، ص ٣٣١ ، احمد ، حسن مكى محمد ، السياسة التعليمية ، ص ٣٧ .

(٢) احمد،حسن مكى محمد ، السياسة التعليميه ، ص ١١٢/٢٧ .

للاسلام والمسلمين وعدم اتاحة الفرصة لاى نشاط في مجال الدعوة الاسلامية وأماكن العبادة الى غير ذلك من الاجراءات التي أدت في نهاية الامر الى تاخر مسيرة الاسلام في الجنوب بل والى الشعور بالعداء نحو كل ماهو اسلامي ، وذلك قياسا ببقية أقاليم السودان الأخرى .

المبحث الرابع

العقبات التي واجهت الاستقلال حتى عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م :

واجهت عملية استقلال الجنوب في اطار السودان الموحد صعوبات كثيرة أثناء المفاوضات التي جرت بين الاطراف التي تمثل ادارة الحكم الثنائي وبين فئات الوطنيين السودانيين . وكانت سياسة الادارة البريطانية في جنوب السودان من بين أهم الاسباب التي آدت الى تعطيل سير اجراءات الحكم الذاتي وتقرير المصير . وقد تمثلت تلك العقبات في الآتي :

١ - اثارة الشكوك بين الجنوبيين واخوانهم في الشمال باثارة قضية الضمانات من حين الى آخر ، بدعوى المحافظة على حقوق الجنوبيين من تعدى اخوانهم في الشمال. وكانت تلك الضمانات في رأى الساسة والاداريين البريطانيين قد تجلت في رأي أوين حاكم مديرية منقلا حول السياسة الجديدة للادارة البريطانية التي أعلنها السكرتير الاداري جيمس روبرتسون عام ١٣٦٦ هـ/١٩٤٦م حيث طالب بالضمانات التالية كتمهيد لاشراك الوطنيين السودانيين في حكم بلادهم :

(أ) أن نضمن نحن الانجليز اننا سوف نبقى في موقع الحراسة هنا حتى يصبح الجنوب في غير حاجة الى حراس .

(ب) وأن نضمن بان الجنوب لن تسيطر عليه الحضارة العربية (يقصد الاسلامية) القائمة في الخرطوم ، وهي حضارة أبعد عن الجنوب اذا قيست بحضارتنا !!!

(ج) ان نوفر للجنوب قدرا كبيرا من الاستقلال الذاتي [1].

---

(١) بشير محمد عمر ، جنوب السودان ، ص ٢٠٤ .

٢ ـ تمسك الادارة البريطانية بادارة شئون الجنوب عندما ظهرت الدعوة الى الحكم الذاتي في الجمعية التشريعية كخطوة لتقرير المصير مما يؤكد ان فكرة الضمانات لم تكن من طرف أوين حاكم مديرية منقلا وحده وانما هي مخطط تبنته الادارة البريطانية وعلى رأسها الحاكم العام البريطاني في السودان ، بدليل ان مشروع مسودة الدستور الذى تقدم به روبرتسون السكرتير الادارى في عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م الى الجمعية التشريعية تضمن مشروعا للحكم الذاتي يظل بموجبه الحاكم العام البريطاني في السودان رئيسا ومسؤولا عن جنوب السودان اضافة الى مهام اخرى تتعلق بسياسة السودان الخارجية والمحافظة على الأمن والنظام وقد أجازته الجمعية التشريعية (١).

وبما ان مشروع روبرتسون للحكم الذاتي لم تكن غايته رفاهية وسعادة السودانيين وانما جاء بعد ان وجدت بريطانيا نفسها مضطرة لابعاد السودان عن مصر وقطع الطريق على مشروع وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى الذى كان قد أعلنه فاروق ملك مصر في السابق ، فقد تجددت امانيها نحو تحقيق خططها في الجنوب عندما وقع انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢م/ ١٣٧٢هـ في مصر بقيادة اللواء محمد نجيب حيث تم الغاء النظام الملكي . وباتت الادارة البريطانية تعتقد بان زوال فاروق من عرش مصر قد يمهد السبيل في التوصل الى اتفاق فيما يتعلق بمستقبل السودان . وأهم من ذلك بالنسبة للسياسة

---

(١) الزبيدى ، عبد اللطيف كريم ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٧٧

البريطانية ، هو الحصول على موافقة مصر على مشروع مسودة الدستور الخاص بالحكم الذاتي الذى تم تشريعه من الحاكم البريطاني عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م (١).

وفي تلك الآونة جرت مفاوضات مكثفة بين حكومة الثورة المصرية وبين قادة الاحزاب السياسية في الشمال ظهرت خلالها جدية الحكومة المصرية في المفاوضات التي جرت بينها وبين القيادات السياسية السودانية حول تقرير المصير والاستقلال ، وانتهت الى ان السيادة السودانية بيد السودانيين أنفسهم (٢) . وعلى ضوء تلك المفاوضات نشرت الصحف المصرية اعلانا مفاده "أن السودان كيان غيرقابل للتجزئة بحدوده الجغرافية الحالية وترحب الحكومة المصرية بمنح السودانيين الحكم الذاتي الكامل قبل نهاية عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ، وقد أثار هذا الامر حفيظة الحكومة البريطانية ، وعاتب سفيرها في لقاهرة رالف ستيفنس R.Stevenson اللواء نجيب بحجة ان الاعلان لم يعرض عليها (٣) . ولكن الحقيقة ان ذلك الاعلان أفسد على السياسة البريطانية خططها الرامية الى احتفاظ الحاكم العام البريطاني في السودان بسلطاته الادارية على الجنوب . وكان سفير بريطانيا رالف ستيفنس قد التقى باللواء نجيب من قبل وأكد على عزم الحكومة البريطانية احتفاظ الحاكم العام البريطاني في السودان بمسؤولياته

---

(١) قضايا عربية في وثائق الخارجية البريطانية ـ وثيقة رقم F.O.,371/96908 , 96909
مجلة الدستور العدد ٣١٥ لندن ١٩٨٣م.

(٢) قضايا عربية في وثائق الخارجية البريطانية ،وثيقة رقم F.O., 371/96911.
مجلة الدستور العدد ٣٢٠ لندن ،١٩٨٣م.

(٣) الزبيرى ، عبداللطيف كريم ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٨٤

الخاصة تجاه جنوب السودان (١) . والخطوة السابقة تؤكد من جهة أخرى معارضة الحكومة المصرية لهذا الاتجاه .

وعلى الرغم من أن الأمور سارت على مايرام فيما يتعلق باعلان أول حكومة وطنية وتأسيس (برلمان) في اطار السودان ككل فان الادارة البريطانية لم تكن راضية عن تلك الخطوات . وقد اشار السكرتير الادارى روبرتسون الى ذلك فقال : " قابلت اللواء نجيب ... واعربت له عن مخاوفي من متاعب جسيمة في جنوب السودان ، اذا ما اخضع الجنوبيون لحكم اهل الشمال دون ضمانات ... ولكني مع الاسف لم أوفق في اقناعه باحتمال الصعوبات التي كنت أخشاها في الجنوب اذا ما اقص كل الاداريين الانجليز عنه ... وكانت الاحزاب السودانية قد وقعت على اتفاق عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م مع الصاغ صلاح سالم مندوب اللواء نجيب في الخرطوم بالغاء تلك الضمانات واحداث تغييرات أخرى ... كيف نوافق نحن الموظفين البريطانيين على هذا ، اذ كنا نعترض على كثير مما اشتملت عليه الاتفاقية لاسباب وجيهة ومنطقية بالنسبة لنا ، ولكني شعرت بانه يلزم علينا ان نتجاوب مع الاغلبية العظمي من السودانيين في بهجتها وان نتظاهر بقبول الاتفاقية بشيء من الغبطة والرضا مما يسهل أمر التسليم والتسلم خلال العامين القادمين " (٢) .

---

(١) قضايا عربية في وثائق الخارجية البريطانية ، وثيقة رقم :
F.O. 371/96913 , 96914 , 96915.
مجلة الدستور ، العدد ٣٢٤ لندن ، ١٩٨٣م .

(٢) سعيد ، بشير محمد ، الزعيم الأزهرى وعصره ، ص ١٧٢ .

والأمر الذى تجدر الاشارة اليه هنا هو أن تمسك الادارة البريطانية بادارة شئون الجنوب من خلال مشروع روبرتسون للحكم الذاتي تنفيذا لفكرة الضمانات قد استمر الى مايقارب العامين ، أدت الى المزيد من التعقيد والشكوك بين الشمال والجنوب ، ووضعت عقبات جديدة في طريق الاستقلال .

٣- ومن تلك العقبات التي واجهت الاستقلال نتيجة لسياسة بريطانيا في الجنوب هي تحريض الجنوبيين بتصعيد الخلافات بينهم وبين الشمال حتى وصلت مرحلة الاثارة والعنف . وكانت الادارة البريطانية قد استغلت الخطأ الذى ارتكبته الاحزاب في الشمال بعدم اشراكها الجنوبيين في المفاوضات التي جرت في القاهرة والتي أسفرت عن اتفاق عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م بينها وبين الحكومة المصرية ، واعتبر الجنوبيون عدم دعوتهم لتلك المفاوضات نوعا من التجاهل لحقوق أبناء الجنوب يجب أن ينالوها أسوة باخوانهم في الشمال .

ويبدو ان المرحلة الدقيقة التيكانت تمر بها البلاد قد ساهمت في الأمر اذ أن المفاوضات التي كانت تجرى في القاهرة والخرطوم كانت جهود جماعات سياسية متفرقة حيث لم تكن للسودان هيئة (برلمانية) تمثله في ذلك الوقت ، وكان العمر الشرعي للجمعية التشريعية قد انقضى ، ثم أن (البرلمان) المقترح فيمشروع دستور الحكم الذاتي لم يكن قد تم تكوينه بعد ، وبالتالي فانه لم يتوفر للجنوبيين او حتى لاهل الريف في مختلف أرجاء السودان فرصة للتأثير على الاحداثالمتعلقة بتقرير المصير والتي كانت تدور في كل من الخرطوم والقاهرة ولندن . كما أشار السكرتير

الاداری زوبرتسون [١].

والامر الذی زاد من حدة التوتر ، آن الاتفاق الذی تم بین الحکومة المصرية وأحزاب الشمال بشأن الحكم الذاتي عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م قد وضع موضع التنفيذ ، ووجدت الحكومة البريطانية نفسها امام الامر الواقع على الرغم من تشبثها بموضوع الضمانات وحقوق الجنوبيين فوافقت مجبرة على اعلانها في بداية عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م فور توقيعها [٢].

وكان أهم ماتضمنته الاتفاقية تصفية الادارة الثنائية خلال فترة انتقالية ، الاحتفاظ بوحدة السودان بوصفه اقليما واحدا كمبدأ أساسي انشاء برلمان سوداني دائم ، وجلاء القوات البريطانية والمصرية ،وأن تتعهد الحكومات البريطانية والمصرية باحترام رغبة الجمعية التأسيسية (البرلمان) حول وضع السودان في المستقبل اما بالاستقلال أو بالاتحاد مع مصر [٣]. ويقول الزبيدي أنه (قد استفاد الجانب البريطاني من تلك الثغرة وأخذ يحرض الجنوبيين ضد الشماليين ويؤكد على حقوق الجنوبيين في أي لقاء مع الحكومة المصرية بحجة تمكينهم على حد زعم الانجليز من النهوض والمساواة مع اقرانهم الشماليين ، وكأن الخمسين عاما الماضية لم تكن تسمح لهم بأداء هذا الواجب المهم الذى اكتشفه المفاوض البريطاني أخيرا) [٤].

---

(١) سعيد ، بشير محمد ، الزعيم الازهرى وعصره ، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(٢) الزبيدى ، عبد اللطيف كريم ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٨٧ .

(٣) راجع نص الاتفاقية فى بشير ، محمد عامر ، الجلاء والاستقلال ، ص ١٠٧ – ١١٢ ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، ١٩٧٥م ، طبه ، عبدالرحمن على ، السودان للسودانيين ، ص ١١٣ – ١١٥ .

(٤) الزبيدى ، عبد اللطيف كريم ، مشكلة جنوب السودان ، ص ١٨٥ .

وبرزت على الساحة السياسية في السودان هيئة سياسية جنوبية عرفت بلجنة جوبا السياسية ضمت ممثلين من منطقة جوبا وتوريت والزاندى وأعالي النيل ، وقامت بطبع منشورات احتجت فيها على زعماء الاحزاب السياسية في الشمال بعقد اتفاق من جانب واحد مع اللواء نجيب دون أستشارة الجنوب . وجاء في المنشور الذى تم توزيعه في مناطق الجنوب مايأتي : (ان الجنوبيين يرغبون بالتعاون مع أشقائهم في الشمال في حكومة الحكم الذاتي للسودان . وأنهم يختلفون في الرأي بشدة مع الشمال بصدد موضوع تقرير المصير الذى يحتم اجراء تقرير المصير خلال ثلاث سنوات (الفترة الانتقالية) . ويعتقد الجنوب بأنه ليس في وضع يؤهله في الدخول في وحدة تامة وديمقراطية وبحرية مع الشمال . اذ آن الجنوب متخلف عن الشمال في الوقت الحاضر من ناحية الثقافة وفي كافة المجالات الاخرى ... ويتطلع سكان الجنوب لليوم الذى يتمكنون فيه من الانضمام الى الشمال في سودان حر ومتحد ومستقل) (١)

وعلى الرغم من تدهور الأوضاع في الجنوب على النحو الذى ذكرت (٢) ، الا أن الحكومة الوطنية استطاعت السيطرة على الأوضاع في الجنوب حتى تم الاستقلال في عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .

---

(١) قضايا عربية في وثائق الخارجية البريطانية ، وثيقة رقم :
F.O. 371/96915 , 96917
مجلة الدستور العدد ٣٢٤ لندن ١٩٨٤م.

(٢) راجع في هذه الدراسة ص ٤٥٧.

الخاتمـــــــــة

من خلال هذه الدراسة يمكن أن نستخلص مايأتي :

ان السياسة البريطانية المرتبطة بمنطقة جنوب السودان تمتد جذورها التاريخية الى فترة ماقبل الحكم الثنائي في السودان ، وأن القضايا الأساسية التي تتعلق بمشكلة الجنوب وهي التمرد على سلطة الحكومة والنظام الذى يحكم البلاد ، ثم فكرة فصل الجنوب بالاضافة الى النشاط التنصيرى في هذه المنطقة قد وضعت بذورها في تلك الفترة التي برز فيها نفوذ بريطانيا السياسي فيمنطقة وادىالنيل بشكل عام .

ان السياسة البريطانية في منطقة جنوب السودان لم تكن تأخذ خطا سياسيا واداريا واضحا في معظم الأحيان ، تجاه القضايا الأساسية التي ترتبط بتلك المشكلة عدا الفترة التي تلت عام ١٣٤٠هـ /١٩٢١م ومع ذلك فان جميع تلك السياسات كانت تعمل في اتجاه واحد وهو معاداة الوجود العربي الاسلامي في المنطقة ، فالاصطدام بأفراد القبائل شبه العزل من السلاح وأسلوب العنف المتعمد ضد الأهالي والذى كانت قد ارتكبته ادارة بيكر وغردون في بعض الأحيان قد تركت صورة سيئة لدى الأهالي عن الادارة الاسلامية التي أوفدتهم الى المنطقة لادارتها ، فضلا عن أن تلك السياسة قد أدتالى نفور القبائل وتمردهم على السلطات وهي نفس الأخطاء التي ارتكبتها الادارة البريطانية في بداية الفترة التي يشار اليها بالحكم الثنائي عندما حاولت اخضاع القبائل لسيطرتها . وذلك باعتبار أن التمرد هو أبرز وجوه هذه المشكلة حتى هذه اللحظة .

ويلاحظ أن تطور فكرة فصل الجنوب قد ارتبطت في فترة النفوذ البريطاني بوصول غردون الى منطقة الجنوب كادارى لأول مرة ، ثم غدت سياسة ، يفضلها

معظم الاداريين والحكام الأوربيين ، مثل آمين باشا (دكتور شنيتزر) والملك ليوبولد الثاني على سبيل المثال لا الحصر حتى آصبحت فيما بعد هي السياسة المعلنة بوضوح في خطط الادارة البريطانية في السنوات الأخيرة وتشهد الوثائق الرسمية الصادرة على ذلك .

ويتضح أن نشاط المنصرين قد تمتع بنفوذ واضح في الجنوب في ظل الادارة والاداريين البريطانيين ، فضلا عن الدعم السخي الذى كانت تجود به تلك الادارة على الارساليات التنصيرية ، مما أدى الى استغلال ذلك النفوذ لتحقيق آهداف المنصرين من جهة ثم المصالح الاستعمارية من جهة أخرى ، وقد آدت هذه السياسة الى طمس هوية الأهالي في الجنوب ، على الرغم من أن ذلك كان منافيا لكافة القيم والقوانين ، وكانت نتيجة ذلك أنها جعلت منهم عناصر معادية للاسلام والعرب في الشمال ، في الوقت الذى كان ينبغي أن يكونوا فيه أعضاء ينتفع بهم المجتمع المحلي الذى كان في أشد الحاجة لطاقتهم وجهدهم .

ان عدول الادارة البريطانية في عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م عن سياستها في الجنوب لم يكن نابعا عن قناعتها بالأخطاء الفادحة التي أدت اليها تلك السياسة فحسب ، وانما لأن العناصر الوطنية في شمال وادى النيل قد مارست ضغطا على الاداريين البريطانيين وكشفت عن مساوئ الادارة الاستعمارية للرآي العام ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد شعرت الادارة البريطانية بأن السياسة التي اتبعتها طيلة الحقبة الماضية كانت كافية لتعميق الاختلافات التي وصلت مرحلة الكراهية والبغضاء بين الفريقين ولرعايتها . وهذا بالتالي يؤدى لتحقيق ذات الهدف وهو التقليل قدر الامكان من احتمال تنامى الحضور العربي الاسلامي

في الجنوب وتقدمه نحو العمق الأفريقي .

وقد ثبت من خلال التحقيقات التي أجرتها سلطات الحكومة في السودان أن التمرد المسلح الاول عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م كان تحت رعاية المنصرين ،وعلى الرغم من ذلك فان الصراع الذى حدث في الجنوب لم يكن صراعا بين المسيحية والاسلام كما أشيع ، ولكن بعض الجهات التي تسعى لاستغلال الظروف في الجنوب تريد أن يكون الأمر كذلك ليكون الدين عنصرا يغذى الصراع بهدف اعطاء المسيحية في الجنوب حجما أكبر من حجمها الحقيقي (١)، مع العلم بأن المسلمين قد حرموا حتى من ممارسة حقهم في اقامة الشعائر الاسلامية وهدمت مساجدهم ، وحالت الحكومة بينهم وبين الدعوة الى الاسلام بطريقة منظمة كما هو الحال بالنسبة للارساليات التنصيرية التي مارست نشاطها في منطقة الجنوب بعد أن أغلقت لصالحها لأكثر من خمسة وعشرين عاما ، وان كان هنالك صراع فهو من طرف واحد ، لأن المسلمين الشماليين لم يتعمدوا الدخول في ذلك طيلة الفترة الماضية .

وهكذا يتضح أن الهدف الاستعماري هو أن يجعل من منطقة جنوب السودان حاجزا يمنع تقدم الاسلام نحو العمق الافريقي ، فالذى يحدث الآن هو محاصرة المد العربي الاسلامي في الجنوب ، وقد نجح في استغلال بعض العناصر من أبناء الجنوب

---

(١) في احصائية وردت ضمن تقرير مجلس الكنائس العالمي ـ المنحاز أساسا ـ في عام ١٩٨١م آن نسبة المسلمين في الجنوب تساوى ١٨٪ والمسيحيين ١٧٪ من مجموع سكان الجنوب ، وأن ٦٥٪ منهم لادينيين .
(١٧) فهمي هويدى ، مقال " جنوب السودان السهم المهدور " مجلة المجلة ، العدد ٤٦٩ ،بتاريخ ٧ فبراير ١٩٨٩م ، ١ رجب ١٤٠٩ هـ ، ص ١٨-١٩.

للقيام بهذا الدور نيابة عنه على حساب أمنهم وتنمية بلادهم ورفاهيتها ولن يتكلف الأمر أكثر من آن يبعث بدفعات من الآسلحة الفتاكة ،دون أى حساب لانسانية هؤلاء البسطاء وحقهم في الحياة بصورة أفضل ، ويكفي آنهم يقومون بتنفيذ الخطة المطلوبة دون وعي أو ادراك منهم بحقيقة مايجرى .

والشيء الذى بات معلوما هو أن علاقة الحكم الاستعمارى الادارى بأفريقيا لايمكن مقارنته بالعلاقة العربية الاسلامية لأفريقيا ، والتي سبقت غزو الاوربيين لأفريقيا ،فالعالم العربي الاسلامي لم يكن عالما صناعيا أو رأسماليا كماهو الحال بالنسبة للأوربيين الذين قادتهم اهداف محددة الى أفريقيا ، كما أن دخول العرب المسلمين الى القارة لم يكن بأساليب تشبه أساليب الأوربيين من قريب أو بعيد حينما تاجروا في شعوب وموارد هذه القارة دون آن يردعهم رادع من خلق أو وازع من ضمير ، ويكفي آن طريقة انصهار العرب المسلمين مع الأفارقة تختلف تماما عن طريقة الأوربيين (١) .

وعليه فان مايدور في السودان الجنوبي لايخص السودانيين وحدهم وانما العرب المسلمين جميعا، وذلك لأن الاستعمار يعلم آهمية موقع السودان والذى يعد البوابة الجنوبية للأمة العربية الاسلامية (٢) .

---

(١) بشير ،محمد عمر ،العلاقات العربية الافريقية ، ص ٦٠ ، معهد الدراسات العربية والافريقية ، جامعة الخرطوم ، ١٩٨٤م.

(٢) طاش ،عبد القادر،" قلبى على السودان " المسلمون ،العدد٣٠٨ السنة السادسة ١١ جمادى الآخرة ١٤١١هـ ،٢٨ ديسمبر ١٩٩٠م ،هويدى فهمى ، " جنوب السودان الهم المهدور " المجلة ، العدد ٤٦٩،جدة رجب ١٤٠٩هـ، فبراير ١٩٨٩م .

ثبت المصادر والمراجع

أولا : مصادر باللغة العربية :

= القرآن الكريم

= وثائق دار الوثائق القومية فى الخرطوم

الارقام بالانجليزية ومحتواها باللغة العربية -

N.R.O.,Cairint,1/3/8
N.R.O.,Cairint,1/11/65
N.R.O.,Cairint,i/14/134
N.R.O.,Int.Dep.2/31/252

= المصادر المطبوعة :

- ابن حنبل ، الامام أحمد ، المسند، ج٥ دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ.

- ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن على ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ، ج١ نشر ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض، بدون تاريخ .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبد الواحد وافى ، ج ١ ، لجنة البيان العربى ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٧٥م .

- ابن جرير ، أبى جعفر محمد الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٨

- ابن ميسر ، أبو عبد الله محمد بن على ، أخبار مصر نشر هنرى ماسيه ، القاهرة ، ١٩١٩م .

- أبو على ، أحمد بن الحاج ، مخطوطة كاتب الشونة ، تحقيق الشاطر بصيلى عبد الجليل ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

- آرنولد ، توماس ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

- استودارد ، لوثروب ، حاضر العالم الاسلامى ، ترجمة عجاج نويهض ، تعليق الامير شكيب أرسلان ، ج ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

- بركهارد ، جون لويس ، رحلات بركهارت فى بلاد النوبة والسودان ،ترجمة فؤاد اندراوس ، تحقيق الشاطر بصيلى عبد الجليل ، المكان بدون ، بدون تاريخ .

- الجبرتى ، عبد الرحمن ، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج٣، دار الجيل ، القاهرة ١٩٧٣م .

- الجمل ، شوقى ، الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الاحمر ، دار المعارف بمصر ، المكان بدون ، ١٩٨٠م .

- سلاطين ، السيف والنار فى السودان ، تعريب جريدة البلاغ ، المكان بدون ، بدون تاريخ .

- شقير ، نعوم ، تاريخ السودان ، تحقيق محمد ابراهيم ابو سليم ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١م .

- طه ، عبد الرحمن على ، السودان للسودانيين ، مطابع شركة الطبع والنشر ، أم درمان ، ١٩٥٥م .

- طوسون ، الأمير عمر ، تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية ١٨٦٩ م - ١٨٨٩م ، ج ١ ،مطبعة العدل ، الاسكندرية ، ١٩٣٧م .

- غير معروف ، رحلة محمد على باشا الى السودان ١٨٣٨م - ١٨٣٩ م ،معهد الدراسات الافريقية والأسيوية ، جامعة الخرطوم ، الخرطوم، ١٩٨٠م .

- فوزى ، ابراهيم ، السودان بين يدى غردون وكتشنر ، طبع جريدة المؤيد ،القاهرة ١٣١٩م .

- القلقشندى ، أبو العباس أحمد بن على ، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ط ، القاهرة ١٩١٩م .

- كرومر ، اللورد ، بريطانيا فى السودان ، ترجمة عبد العزيز احمد عرابى ،الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة،١٩٦٠م.

- لانقر ، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، الترجمة محمد مصطفى زيادة ، ج ٦ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٨م .

- مجهول ، على تخوم العالم الاسلامى (حقبة من تاريخ السودان الحديث ١٨٢٢ - ١٨٤١) نقله من الايطالية للانجليزية ريتشارد هل ، ترجمة عبد العظيم محمد أحمد عكاشة ، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة ، الخرطوم ، ١٩٧١م .

- المحامى ، أحمد خير ، مآسى الانجليز فى السودان ،الخرطوم ،١٣٦٥/ ١٩٤٦م .

- ________ ، كفاح جيل ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط ٣ ، الخرطوم ١٩٩١م .

- محجوب ، محمد أحمد ،الحكومة المحلية فى السودان ، شركة مطبعة البابى الحلبى وأولاده ،المكان بدون ، ١٩٤٥م .

- ـــــــــــــ ، الديمقراطية فى الميزان ، دار النهار للنشر ، بيروت ، بدون تاريخ ٠

- المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على ، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٦١م ٠

ثانيا - مصادر باللغة الانجليزية :

- وثائق وزارة الخارجية البريطانية : (P.R.O.)

F.O.407/217 Enc.1,in No.136
F.O.407/217 Enc. inNo.148
F,O.407/219 Enc.1,in No.177
F.O.407/210 Enc. in No.187
F.O.407/209 Enc. in No.246

- وثائق دار الوثائق القومية بالخرطوم : (N.R.O.)

N.R.O. Cairint ,2/31/245
N.R.O. South 1/18/164
N.R.o. South 1/18/167
N.R.O. South 1/18/168
N.R.O. South 1/18/169
N.R.O. South 1/18/177
N.R.O. South 1/18/181
N.R.O. South 1/18/188
N.R.O. South 1/18/198

N.R.O. Int. Dep. 1/5/31 , 19.12.1910
N.R.O. Int. Dep. 1/5/31 , 21.10.1910
N.R.O. Int. Dep. 1/5/31 , 29.3.1911
N.R.O. Int. Dep. 1/5/31 , 21.12.1910
N.R.O. Int. Dep. 1/5/31 , 5.12. 1920
N.R.O. Int. Dep. 1/5/31 , 3.1.1918
N.R.O. Int. Dep. 1/5/31 , 10.1.1918
N.R.O. Int. Dep. 1/9/31 , 3.1. 1922

= المصادر المطبوعة :

Burce, James, Travels To Discover The Source of the Nile in Years 1768-1778, Second Edition, Vol.II London 1805 .

Gessi Romolo, Seven Yearsiin the Sudan , Marston Company , London, 1969 .

Lugard, F.D. , Tre Rise of Our East African Empire, Vol. 1 London , 1932 .

Sudan Goverment , Laws of the Sudan , Khartoum , 1941 .

Trimingham J. Spencer, Islam in THe Sudan F. Cass , Third Edition, London , 1965 .

______________, The Christian Approach to Islam in The Sudan , Oxford 1948 .

ثالثا ـ مراجع باللغة العربية :

ـ ابراهيم ، محمد قطب ، شبهات حول الاسلام ، دار الشروق ، ط ١٥ ، بيروت ، ١٩٨٢م .

- ابراهيم ، محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مؤسسة المدينة للصحافة ، ط ، جدة ١٤٠٨ هـ ٠

- أحمد ، عبد الغفار محمد ، قضايا للنقاش ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ١٩٨٨م ٠

- أحمد ،حسن مكى محمد ، جذور وأبعاد التبشير المسيحى فى العاصمة المثلثة ، المركز الاسلامى الافريقى ، الخرطوم ، بدون تاريخ ٠

- ــــــــ ، السياسة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب السودان المركز الاسلامى الافريقى ، الخرطوم ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ٠

- اسحق ، محمد عبد العزيز ، نهضة أفريقية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،المكان بدون ، ١٩٧١م ٠

- أليفر ، رولاند وجون فيج ، موجز تاريخ أفريقيا ، ترجمة دولت أحمد صادق ، المكان بدون ، بدون تاريخ ٠

- بخيت ، جعفر محمد على ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان ، ترجمة هنرى رياض ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٢م ٠

- تدير ، صلاح الدين ، التفرقة العنصرية فى أفريقيا ، الدارالقومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ٠

- بركات ، على محمد ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م ٠

- بشيـــر ، محمد عامر ، الجلاء والاستقلال ، الدار السودانية للكتـــب الخرطـوم ، ١٩٧٥م ٠

- بشيـــر ، محمد عمر ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ١٩٠٠م – ١٩٦٩م ، ترجمة هنرى رياض وآخرون ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، بدون تاريخ ٠

- ــــــــــ ، تطور التعليم فى السودان ١٨٩٨ – ١٩٥٦م ، ترجمة هنـــرى رياض وآخرون ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠م ٠

- ــــــــــ ، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع ، ترجمة أسعـــد حليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاة ، ١٩٧١م ٠

- البعلبكى ، منير ، قاموس المورد ، دار العلم للملايين ، بيـــروت ١٩٨٤م ٠

- الترمانينى ، عبد السلام ، الرق ، ماضيه وحاضره ، عالم المعرفـة ، الكويت ١٩٧٩م ٠

- الجمـــل ، شوقى ، تاريخ سودان وادى النيل ، مكتبة الانجلـــو المصرية ، القاهرة ١٩٦٩م ٠

- الجاردلو ، ابراهيم ، الرباط الثقافى بين مصر والسودان ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٧٧م ٠

- حســـن ، يوسف فضل ، مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فـــى السودان الشرقى ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط ٣ ، الخرطوم ، ١٩٨٩م ٠

- الخالدى ، مصطفى وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، بدون ، دار نشر ، ط ٤ ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
- خليل ، عماد الدين ، مأساتنا فى أفريقيا ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- دافدسون ، بازل ، أفريقيا تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد أحمد ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، الخرطوم ، بدون تاريخ .
- راضى ، نوال عبد العزيز مهدى ، رياح الشمال (دراسة فى العلاقات المصرية السودانية فى التاريخ الحديث والمعاصر) المطبعة التجارية الحديثة ، المكان بدون ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ـــــــ ، سقوط حكومة الازهرى ، دار الانصار ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .
- الرافعى ، عبد الرحمن ، عصر اسماعيل ، دار المعارف ، ط ٣،القاهرة ١٩٨٢م .
- ـــــــ ، عصر محمد على ،مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٤٧م .
- ـــــــ ، مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ، دار المعارف ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٨٣م .
- زلفو ، عصمت حسن ، كَررى ، مطبعة التمدن المحدودة ، ط ٢ ، الخرطوم ، ١٩٧٨م .

- سعودى ، عبد الغنى ، يونان لبيب ، محمد التابعى ، مشكلة جنوب السودان ، مركز بحوث الشرق الاوسط ، جامعة عين شمس ، المكان بدون ، بدون تاريخ .

- سعيد ، بشير محمد ، اسماعيل الأزهرى وعصره ، القاهرة الحديثة للطباعة ، المكان بدون ، ١٩٩٠م .

- سلفستر ، أنتونى ، السودان فى عهد نميرى ، ترجمة مبارك بابكر الريح ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ،١٩٧٩م.

- الشامى ، صلاح الدين ، السودان دراسة جغرافية ، منشأة المعارف ط ٢ ، الاسكندرية ، ١٩٧٣م .

- شبيكة ، مكى ، تاريخ شعوب وادى النيل ، مصر والسودان ، دار الثقافة ، ط ٢ ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

- ــــــــ ، مقاومة السودان للغزو والتسلط ، معهد البحوث والدراسات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المكان بدون ، ١٩٧٢م .

- ــــــــ ، السودان عبر القرون ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ.

- شكرى ، محمد فؤاد ، مصر والسودان (تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر) ١٨٢٠ - ١٨٩٩م - دار المعارف بمصر ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

- شلبى ، عبد الودود ابراهيم ، الأصول الفكرية لحركة المهدى السودانى ودعوته ، دار المعارف ، المكان بدون ،١٩٧٢م.

- الشيـخ ، رأفت غنيمى ، مصر والسودان فى العلاقات الدولية ، عالـم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩م ٠
- ضـرار ،ضرار صالح ، تاريخ السودان الحديث ، الدار السودانيـة للكتب ، ط ٣ ، الخرطوم ، ١٩٧٣م ٠
- عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلـو المصرية ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٨٢م ٠
- عبد الله ، على حسن ، الحكم والادارة فى السودان ، دار المستقبـل العربى ، القاهرة ، ١٩٨٦م ٠
- عبد الرحيم ، مدثر ، الامبريالية والقومية فى السودان ، ١٨٩٩ – ١٩٥٦م دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧١م ٠
- ــــــــ ، مشكلة جنوب السودان ، الدار السودانية ، الخرطوم ١٣٩٠هـ ٠
- عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، معالم تاريخ سودان وادى النيل ، مـن القرن العاشر الى القرن التاسع عشر ، مكتبة العـرب ، القاهرة ١٩٦٦/١٩٦٧م ٠
- ــــــــ ، تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكان بدون ، ١٩٧٢م ٠
- عبيـد ، جميل ، المديرية الاستوائية ، دار الكتاب العربـى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ٠
- عطيـة ، أحمد ، دفاع عن الزنوج ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ، بدون تاريخ ٠

- عكاشة ، ابراهيم ، التبشير النصرانى فى جنوب سودان وادى النيل ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م.
- علوان ، عبد الله ناصح ، نظام الرق فى الاسلام ، دار السلام للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- غير معروف ، المنجد فى اللغة والاعلام ، دار الشروق ، بيروت ١٩٨٦م.
- فهمى ، مصطفى وعبد اللطيف فؤاد ابراهيم ، دراسات اجتماعية تربوية نفسية فى جنوب السودان ، دار مصر للطباعة ، المكان بدون ، بدون تاريخ .
- القوصى ، عطية ، دولة الكنوز الاسلامية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- متولى ، عبد الحميد ، تطور نظام الحكم فى السودان منذ أقدم العصور ، مطبوعات جامعة أم درمان الاسلامية ، المكان بدون ، ١٩٦٩م .
- محمد ، محمد عوض ، السودان الشمالى سكانه وقبائله ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- مرقص ، يواقيم ، تطور نظام الادارة فى السودان ، ١٨٩٩ - ١٩٢٤م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكان بدون ، ١٩٨٤م .
- مسعد ، مصطفى محمد ، الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٠م .
- مصطفى ، محمد فوزى ، الثقافة العربية وأثرها فى تماسك الوحدة القومية فى السودان المعاصر ، الدار السودانية ، الخرطوم ١٩٧٢م .

- مورهيد ، آلان ، النيل الازرق ، ترجمة نظمى لوقا ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

- ______ ، النيل الابيض ، ترجمة محمد بدر الدين خليل ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

- نصر ، السيد يوسف ، الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أفريقيا ، دار المعارف القاهرة ١٩٨١ .

- نصر ، أحمد عبد الرحيم ، الادارة البريطانية والتبشير الاسلامى والمسيحى فى السودان ، وزارة الشئون الدينية ، المكان بدون ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

- هولت ، ب . م . المهدية فى السودان ، ترجمة جميل عبيد ، وآخرون دار الفكر العربى ، المكان بدون ، بدون تاريخ .

رابعا – مراجع باللغة الانجليزية :

Awad, Karamalla , The Administration of the Sudan Since 1898 ,Typewritten, University of Khartoum , 1957 .

Abd El Rahim ,Muddathir,The Development of the British Policy in the Southern Sudan , 1895-1947 Kha Khartoum University Press, 1968 .

Bashir ,Mohammad Omar ,The Southern Sudan , from Conflict to Peace , London 1975 .

Balance, Edgar ,The Secret War ,in the Sudan, Faber and Faber ,London 1977 , .

Collins, Robert, The Sudan Link to The North, Typewritten ,N.R.O., Khartoum .

Davidson, Basil , *Guide to African History* , London , 1971 .

Gray , Richard, *Ahistory of the Southern Sudan* , Oxford University Press , 1961 .

Makki , Hassan , *Sudan , The Christian Design* , Ea Esaca Press London . 1989 .

Morison, Godfery , *The Southern Sudan and Eritria "Aspects of the Wider African Proplems"* London, 1975 .

Said , Bashir Mohammad , *The Sudan Across Road of Africa* , London , 1965 .

خامسا ـ الدوريـــات :

- أبو عباءة ، ابراهيم ، " لغتنا العربية والضرب فى العمق " ، المسلمون العدد ٣٥٣ السنة ٧ ، جدة ، ١٤١٢/٥/٢ هـ ـ ١٩٩١/١١/٨م .

- أحمـد ، عبد الغفار محمد ، " السودان وديناميكية التنوع " ،مجلة المستقبل العربى ، العدد ٨٣ ، بيروت ١٩٨٦م .

- آلير ، أبيل ،"جنوب السودان والامعان فى نقض العهود " ترجمة بشير محمد سعيد ، الحياة العدد ١٠٠٣٩ جدة ، ٨ جمادى الثانى ١٤١٢هـ .

- البدوى ، محمد خير ، " آثار السياسات الاستعمارية البريطانية " الشرق الاوسط ، العدد ٤٩٤٣ جدة ، ١٩٨٩/٩/٤م .

- البيلى ، أحمد ، " الاسلام فى جنوب السودان " ، مجلة البيـــان ، العدد ١ ، الخرطوم ، يناير ١٩٧٤م .

- حسن ، يوسف فضل ،" الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية " ندوة العرب وأفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م .

- ديـاب ، أحمد ابراهيم ، " دور الوحدات العسكرية السودانية فى ثورة عام ١٩٢٤ م" ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١٧ ، القاهرة ، ١٩م .

- دينج ، فرنسيس ، " الوشائج العربية الافريقية " مجلة الثقافة السودانية ، الـ دد ٢ ، الخرطوم ، ١٩٧٧/٢/٢م ·
- زكى ، عبد الرحمن ، " حكمدارو السودان " المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١ ، القاهرة ،مايو ١٩٨٤م ·
- طاش ، عبد القادر ، " قلبى على السودان " ، المسلمون ، العدد ٣٠٨ ، السنة ٦ ، جدة ١٤١١/٦/١١هـ – ١٩٩٠/١٢/٢٨م ·
- عجوبة ، مختار ، " مشكلة جنوب السودان وأثرها على مستقبل العلاقات العربية والافريقية " ، المستقبل العربى ، العدد ٨٨ ، بيروت ،١٩٨٦م ·
- عبد الرحيم ، مدثر ، " نظرة أفريقيا للصراع العربى الاسرائيلى " ندوة العرب وأفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م ·
- غير معروف ، " قضايا عربية فى وثائق الخارجية البريطانية " مجلة الدستور ، العدد ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، لندن ١٩٨٤م ·
- غير معروف ، " الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة " الندوة العالمية للشباب الاسلامى ، ط ٢ ، الرياض ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ·
- غير معروف ، " قراءة حول جذور مشكلة الجنوب " ، السودان الحديث ، العدد ٦١٤ ، الخرطوم ، ١٩٨٩/٩/١٤م ·
- غير معروف ،جريدة النيل ،العدد ١٤٦ ،الخرطوم ،١٩٥٥/٨/٢٧م·
- غير معروف ،جريدة النيل ،العدد ١٧٥ ،الخرطوم ،١٩٥٥/٩/٢٥م·

- محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الاسلامية بين الانجليز والالمان "، مجلة جامعة الملك عبد العزيز العدد ٢ ، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ ٠

- ـــــــــ ، " المديرية الاستوائية " ، مجلة البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، العدد ٧ ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ / ١٤٠٤هـ ٠

- ـــــــــ ، " أزمة فشودة ، " مجلة البحث العلمي ، جامعة أم القرى العدد ٥ ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ ٠

- مصطفى ، أحمد عبد الرحيم ، " انجلترا وأوربا وأعالي النيل ١٨٨٢ — ١٨٩٢م المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ١٣، القاهرة ١٩٦٧م ٠

- موسى ، فيصل محمد ، " الكنيسة ودورها فى السياسة التعليمية فى جنوب السودان تحت الادارة البريطانية " مجلة دراسات أفريقية ، المركز الاسلامى الأفريقى ، العدد ١ ، الخرطوم ١٤٠٥هـ ٠

- هويدى ، فهمى ، " جنوب السودان السهم المهدور " مجلة المجلة ، العدد ٤٦٩ ، جدة ، رجب ١٤٠٩/ فبراير ١٩٨٩م ٠

سادسا : رسائل جامعية :

- تمام ،تمام همام ، السياسة المصرية في السودان ،رسالة ماجستير ، معهد الدراسات الافريقية ، القاهرة ، ١٩٦٩م٠

- الخضر عبدالرحيم ،النشاط الكنسي في السودان ، رسالة دكتوراه ، جامعة ام القرى ، قسم العقيدة ، ١٤٠٨هـ٠

- عبداللطيف كريم الزبيدى ، مشكلة جنوب السودان ، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية ،بغداد ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م٠

- سابعا: تقاريــــــر :

- التقرير الختامي للجنة دراسة الاسباب الجذرية ،والخلفية التاريخيــــة للنزاع ، في مؤتمر الحوار الوطني الذىعقـــــد بالخرطوم في سبتمبر واكتوبر عام ١٩٨٩م.

- Basic Facts About The Southern Provinces of the Sudan, Published by the Central Office of Information - Khartoum , 1964.

-Sudan Goverment ,Report of the Commission of Enquiry , on the Southern Sudan Disurbances . Khartoum in 1955 .

الملاحق

(ملحق رقم/١)

Enclosure in No. 187.

Sir J. Maffey to Sir P. Loraine.

Sir, *Khartum, December 17, 1929.*

I HAVE the honour to refer to Foreign Office despatch No. 971 of the 2nd October, forwarded by the first secretary through the Sudan Agent on the 15th October, and to the conversations which recently took place in Alexandria between your Excellency and myself upon the subject of the educational policy of this Government in the Southern Sudan.

2. It is a matter of great relief to me that the general principle advocated by this Government, namely, the imposition of such checks as may be feasible and warrantable upon the spread of Islam in the south, rather than its encouragement, and the fostering of native institutions, should have received the support both of your predecessor and His Majesty's Government.

3. Effect can be given to this policy in a variety of directions, such as, for instance, the provision of non-Mahometan staff (administrative, clerical and technical), insistence upon the British staff familiarising themselves with the beliefs, the customs and the language of the tribes whom they administer, and the control of immigrant traders from the north, but it is clearly in the field of education that the most difficult problems arise, and that the most important decisions require to be taken.

4. It is indeed upon the educational aspect of the question that recent correspondence has been concentrated and, in accordance with the wish expressed by your Excellency at our recent meeting, I propose in the following paragraphs briefly to restate the present position and our policy in this respect, and to suggest criteria by which we should measure both the degree of erosion which has resulted to date from the infiltration of Mahometan influences, and such progress as may be gradually achieved.

5. Until 1924, our educational policy for the south, with which that of language is closely bound up, had not been fully considered. During the years 1924 to 1927, the attention of the Central Government was directed to this question, and a system of educational grants to the four missionary societies, which had been working in the Southern Sudan for many years, was gradually developed as the best means of improving the standard of the mission schools and obtaining more effective control and co-operation. These grants were subject to certain conditions of efficiency, and with the same end in view, Government education officers were posted to the southern provinces.

6. In pursuing this policy, the Government was influenced by the following considerations: A system of Government schools would have entailed either the engagement of a large staff of British masters, whose recruitment—if the right type were to be obtained—presented almost insuperable difficulties and involved expenditure out of all proportion to the needs of the situation, or the utilisation of Sudanese teachers trained in the Mahometan areas of the Northern Sudan. The latter method would, of course, have been contrary to the general policy in that it would have introduced Islam at a most vulnerable point.

7. The Rejaf Language Conference held in April 1928, though convened primarily to discuss the problems of orthography and languages, marks a definite stage in the progress of our educational policy for the south. The adoption of the recommendation of that conference for a uniform orthography and the development of certain group languages for use in schools really postulated a continuation of the system of recognition of the mission schools, for without the co-operation of those in charge of these schools the attainment of these objects would have been almost impossible. It may, therefore, be said that the conference set the seal on the experimental policy of the preceding years. In the two years subsequent to the conference, educational grants to missions were substantially increased, and the preparation of school text books in the new orthography for the various group languages taken in hand. A linguistic expert was engaged in 1929 to advise on the production of grammars and vocabularies for the use of officials and missionaries.

8. Our main purpose in the south is to spread education of an elementary type by means of vernacular schools and to make the young men useful members of the society to which they belong, fitting them to compete with the changing conditions of a life which, as trade develops and communications improve, must be constantly subject to novel impacts.

(ب)

There are also some intermediate schools, in which English is the language of instruction, and which are primarily designed to meet the demands for Government employment and to train teachers for the elementary schools.

9. The Government is not precluded from opening schools at any time or at any place if necessity is shown. We have always intended to set up a Government institution, when the need arises for a secondary school in the south, and at any time it may be necessary for us to open a school for the training of teachers and to develop technical education if the mission schools of this type fail to fulfil the need.

10. Arabic, of a debased type, is widely spread in the southern provinces. This is due to early Egyptian infiltration, its use in Government offices for many years and the need for some means of communication which the multiplicity of languages and dialects has rendered difficult, but it has deteriorated to such an extent that it could not serve as a satisfactory means of communication as the country develops. It would have to be unlearned and retaught. Our general policy of imposing checks on the spread of Islam puts this out of the question.

11. The adoption of group languages should gradually ensure the spread of these languages in various areas, thereby stimulating the indigenous institutions and organisations, to which reference is made in my second paragraph above. The use of Arabic among the inhabitants themselves should tend to die out, while at the same time the policy which, theoretically, at least, has been in force for some years, and which aims at making English the language of Government offices as educated local boys are forthcoming from the intermediate schools should work to produce the same result.

12. Where Government officials do not know the local vernacular, where groups of natives speak different languages, as in the equatorial corps and police forces, and, generally speaking, when communication in the local vernacular is impracticable, English should gradually be substituted for Arabic as the language to be used. The fact that English words of command are already in use in the police forces and have recently been introduced in the equatorial corps should facilitate this process.

13. Your Excellency has suggested the need for criteria by which the progress of the general policy may be measured. You will appreciate the difficulties of assessing the degree of erosion caused by Islam and Arabic in the past, and I think that all one can do is to tabulate various important features of our policy and to set down the progress made at stated intervals. As regards the past and immediate future, I should propose to take the years 1924, 1927 and 1930 as those for which statistics should be given. In future, the statistics could be brought up-to-date annually.

The matters to be included in this table would be the following:—

(*a.*) The number of non-Mahometans in relation to the total Government staff under headings of administrative, clerical and technical.

(*b.*) The number of British officials who have qualified in the local languages.

(*c.*) Number of immigrant traders of various nationalities from the north.

(*d.*) Number of mission schools, elementary, intermediate and technical respectively.

(*e.*) Number of Government schools.

(*f.*) The amount spent on education, including—

Subsidies to mission schools.
Cost of Government schools.
Cost of supervisory educational staff.

(*g.*) Introduction of English words of command in military or police forces, with a report as to the extent to which Arabic is disappearing as the language in use among the men of these forces.

(*h.*) Notes on the progress of the use of English instead of Arabic where communication in the local vernacular is impossible.

(*i.*) Progress made in the production of text books in the group languages for use in the schools, and grammars and vocabularies for use of missionaries and officials.

If your Excellency considers this a suitable means of measuring the progress of our policy, I will arrange that the first statement should be submitted early in 1930.

I have, &c.

J. L. MAFFEY,

Governor-General of the Sudan.

(ترجمة ملحق رقم ١/)

(ج)

مرفق رقم ١٨٧٠

السير ج٠ مافي الى السير ب ٠ لورين

الخرطوم في ١٧ ديسمبر ١٩٢٩٠

سيدى

١ - يشرفني أن أشير الى مذكرةوزارة الخارجية رقم ٩٧١ الصادرة بتاريخ ٢ أكتوبر التي نقلها السكرتير الاول بواسطة مندوب السودان في ١٥ أكتوبر كما يسعدني أن اشير الى المحادثات التي جرت لاحقا في الاسكندرية بين سعادتكم (معاليكم) ، فخامتكم وشخصي وذلك حول موضوع السياسة لتتعليمية لهذه الحكومة (يعني حكومةبريطانيا) في جنوب السودان ٠

٢ - انه مما يبعث علىالارتياح في نفسي اذ آن المبدأ العام لسياسة هذه الحكومة ،وبالتحديد فرض قيود ربما تكون عملية ومبررة ضد انتشار الاسلام في الجنوب ، وذلك بدلا عن تشجيعه وقيام المؤسسات الوطنية ، اذ ينبغي آن يلقى هذا المبدأ تأييدا من كل من خلفكم وحكومة جلالته ٠

٣ - يمكن أن يكون لهذه السياسة تآثير فيعدة اتجاهات ، وعلى سبيل المثال ،استيعاب موظفين من غير المسلمين (في الجهاز الادارى والكتابي والفني) ، الاصرار على الموظفينالبريطانيين بأن يأقلموا انفسهم مع معتقدات وعادات ولغة القبائل التي يديرونها والتحكم في حركة التجار (المهاجرين) القادمين من الشمال ، ولكن منالواضح أن أعقد المشاكل هي التي تحدث في مجال التعليم وأن ذلك يتطلب اتخاذ أهم القرارات أو الاجراءات ٠

٤ – في الواقع ، لقد تركزت مراسلاتنا الاخيرة حول الجانب (التربوى) التعليمي للمسألة ، وبناءً على رغبة معاليكم او فخامتكم في اجتماعنا الاخير فانني أعرض عليكم باختصار في الفقرات التالية باعادة تقرير الوضع الحالي وسياستنا في هذا المجال ، واقتراح المعايير التي ينبغي أن تقاس بها كل من درجة التاثير التي تبحث من جراء تسلسل الافكار الاسلامية ، والتقدم الذى ربما يتحقق تدريجيا.

٥ – لم يتم دراسة سياستنا التعليمية في الجنوب ، التي ترتبط بها اللغة ارتباطا وثيقا – لم يتم دراستها دراسة تامة حتى عام ١٩٢٤. كان اهتمام الحكومة المركزية خلال الاعوام من ١٩٢٤ الى ١٩٢٧منصبا حول هذه المشكلة كما طور تدريجيا نظام للمنح التعليمية للارساليات الاربعة التي كانت تعمل في جنوب السودان لعدة سنوات ، وذلك ليكون هذا النظام بمثابة أفضل الوسائل لتحسين مستوى مدارس الارساليات وللحصول على مزيد من التحكم والتعاون الفعالين ، خضعت تلك المنح لشروط كفاءة معينة ، وبوضع ذات الهدف في الاعتبار ، فقد تم تعيين مديرى التعليم التابعين لحكومة بريطانيا في المديريات الجنوبية .

٦ – بتبني هذه السياسة تأثرت حكومة بريطانيا بالاعتبارات التالية : قد يترتب على نظام مدارس الحكومة احد امرين ،فاما ان يكون هناك التزام بتوفير كم ضخم من الاداريين النظاميين الذين يسبب تشغيلهم اواستيعابهم – اذا اريد الحصول على الكفاءات الممتازة – صعوبات تكاد تكون عويصة وتقتضي نفقات لاتتناسب مع متطلبات الوضع الراهن أو اللجوء الى استيعاب المعلمين السودانيين الذين تدربوا في مناطق الشمال المسلم. بالطبع أن الوسيلة او الخيار الاخير قد يكون

منافيا للسياسة العامة اذ انه يعمل على ادخال الاسلام بصورة علنية .

٧ - على الرغم من انه عقد بصفة اساسية لمناقشة مشاكل الهجاء واللغات ، فان مؤتمر اللغة بالرجاف الذى عقد في ابريل ١٩٢٨ يعتبر مؤشرا واضحا لمرحلة التقدم في سياستنا التعليمية في الجنوب ،حيث سلم تبني توصيات ذلك المؤتمر فيما يتعلق بالهجاء الموحدوتطوير مجموعة معينة من اللغات ، سلم ذلك باستمرارية نظام الاعتراف بمدارس الارساليات، اذ لولا تعاون القائمين على تلك المدارس لما كان تحقيق تلك الاهداف امرا ميسورا . وبالتالي يمكننا القول بان المؤتمر قد عمل على احكام الخطة لتجريبية للاعوام السابقة . ازداد حجم المنح التعليمية للارساليات خلال العامين الذين تليا انعقاد المؤتمر كماجرى اعداد كتيب النصوص المدرسية بالهجاء الجديد للغات المتعددة انتدب خبير لغوى في عام ١٩٢٩ للاستعانة به في وضع قواعد اللغة ومفرداتها بالنسبة للموظفين (المسئولين) والارساليات .

٨ - ان هدفنا الرئيسي في الجنوب هو نشر التعليم الابتدائي عن طريق فتح مدارس باللغة العامية المحلية وجعل الشباب أعضاء صالحين في المجتمع الذى ينتمون اليه وذلك لمواكبة الظروف المتغيرة مثل تطور التجارة وتحسن وسائل الاتصال في حياة ينبغي ان تكون خاضعة للتغييرات الضخمة بشكل مستمر .

هناك بعض المدارس المتوسطة حيث لغة التدريس فيها الانجليزية وقداعدت بصفة اساسية لمقابلة طلبات التوظيف الحكومي ولتدريب معلمي المراحل الابتدائية .

٩ – ليست هناك ما يمنع الحكومة من افتتاح مدارس في اى وقت او اى مكان حسب الضرورة . لقد كنا دائما نسعى لقيام المؤسسة التعليمية الحكومية وذلك عندما تكون هناك حاجة الى افتتاح مدرسة ثانوية في الجنوب . كذلك يمكننا ايضا متى ما اقتضت الضرورة ان تفتح مدرسة لتعليم المعلمين ولتطوير التعليم الفني اذا اخفقت مدارس الارساليات في سد الحاجة المطلوبة .

١٠ – تنتشر اللغة العربية الركيكة انتشارا واسعا في المحافظات الجنوبية . هذا يعود الى انتشار العنصر المصرى واستخدامه في الدواوين الحكومية لعدة سنوات هذا الى جانب الحاجة الى بعض وسائل الاتصال التي يصعب سدها عن طريق اللهجات المتعددة . ولكن فقد تدهورت اللغة العربية هناك الى حد يصعب معه استخدامها كوسيلة اتصال ملائمة في بلد يسعى نحو التقدم بحيث اصبحت صعبة الفهم مما يدعو الى اعادة تدريسها . ان السياسة العامة لفرض قيود على انتشار الاسلام تستبعد هذه المسألة .

١١ – ينبغي ان يضمن تبني مجموعة لغات تدريجيا انتشار هذه اللغات في عدة اماكن وبالتالي يساعد على قيام المؤسسات التعليمية الخاصة والمنظمات التي اشرت اليها في الفقرة السابقة . ينبغي ان ينقرض استخدام اللغة العربية في اوساط المواطنين انفسهم فيما ينبغي في ذات الوقت ان تعمل السياسة العامة التي فرضت بشكل نظرى لعدة سنوات والتي تهدف الى جعل اللغة الانجليزية لغة الدواوين الحكومية مادام المثقفون من ابناء الاقاليم يتخرجون في المدارس المتوسطة ينبغي ان تعمل هذه السياسة على تحقيق ذات النتائج المرجوة .

١٢- وحيث ان موظفي الحكومة لايعرفون او لايفهمون اللغة العامية ، وان الوطنيين يتحدثون لغات مختلفة كما هو الحال بالنسبة لفيلق الاستوائية وقوات الشرطة وبصفة عامة ، مادام ان الاتصال باللغة العامية غير عملي ،فينبغي ان تحل اللغة الانجليزية مكان اللغة العربية بشكل تدريجي بحيث تصبح اللغة المستخدمة • ينبغي أن يعمل استخدام الكلمات الانجليزية المستخدمة لدى قوات الشرطة والتي أدخلت في قاموس الفيلق العسكرى في الاستوائية ،ينبغي آن تساعد كل ذلك على تسهيل مهمة هيمنة اللغة الانجليزية •

١٣- لقد اقترحتم سيادتكم الحاجة الى ايجاد معايير لقياس مدى تقدم السياسة العامة• لاشك انكم ستقدرون الصعوبات المتعلقة بتقييم درجة التاثير الذى احدثه الاسلام واللغة العربية في الماض • وأعتقد أن كل مايمكن ان يفعله المرء هو ان يجدول السمات البارزة والمتعددة لهذه السياسة وان يدون التقدم الذى تحقق على فترات زمنية محددة • فيما يتعلق بالماضي والمستقبل الحالي فاني اقترح عمل دراسات احصائية عن الاعوام ١٩٢٤ ، ١٩٢٧ ،١٩٣٠ كما يمكن عمل الاحصاءات المستقبلية اول باول كل عام •

فيما يلي الموضوعات التي ستضمن هذه القائمة (الجدول):

(أ) عدد الموظفين من غير المسلمين بالنسبة لاجمالى موظفي الحكومة في القطاعات الادارية والكتابية والفنية •

(ب) عدد الموظفين البريطانيين المؤهلين في فهم اللغات المحلية •

(ج) عدد التجار المتجولين من عدة جنسيات من الشمال •

(د) عدد مدارس الارساليات الابتدائية منها والمتوسطة والفنية •

(هـ) عدد المدارس الحكومية •

(و) المبالغ التي انفقت على التعليم بما في ذلك :

- دعم مدارس الارساليات .

- تكلفة المدارس الحكومية .

- تكاليف الصرف على جهاز الاشراف التعليمي .

(ز) ادخال الكلمات الانجليزية في تعليمات القوات العسكرية وقوات الشرطة مع عمل تقرير يوضح الى اى مدى تضاءلت اللغة العربية كلغة مستخدمة في اوساط رجال تلك القوات .

(ح) ملاحظات عن تقدم استخدام اللغة الانجليزية بدلا عن اللغة العربية في الاماكن التي يصعب فيها التعامل والاتصال باللغات العامية .

(ط) التقدم الذى تحقق من جراء اعداد كتب نصوص منهجية بعدة لغات للمدارس بالاضافة الى القواعد والمفردات التي تستخدمها الارساليات وموظفيها .

فاذا اعتبرتم سعادتكم بان هذه هي الوسيلة المناسبة لقياس التقدم في سياستنا فسوف اقوم باعداد المذكرة الاولى التي ينبغي ان ترفع في أوائل عام ١٩٣٠م .

ج.ل. مافي

حاكم عام السودان

صورة امر عالي صادر الى الكولونيل غوردون مامور جهة خط الاستواء بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٩١ نمرة ٩١ سائر صار تحريرها بناء على ما ورد من نظارة المالية بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٩ نمرة ٥٦ حسابات

انه بحسب المشهود فيكم من اللياقة والاهلية قد عيناكم مامورا على جهات خط الاستواء التابعة للحكومة وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمدارية السودان وصارت ادارتها بنفسها غير تابعة للحكمدارية انما كافة لوازماتها التي يقتضي الحال لتداركها من طرف الحكمدارية هذه يجري تداركها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها من طرفه مقابلة محاسبة المالية بذلك كما امرنا الحكمدار الموما اليه بامرنا الصادر له في تاريخه ويرسل لكم طي هذا لتوصيله اليه عن يدكم وبما ان مور التجارة في ذاك الطرف هي بيد واحد يقتضي ان الذي تحصلوا عليه من تلك الجهات من انواع التجارة بمعرفة كفاية مرتبات العساكر والتعيينات يرسلوه الى حكمدار السودان لقبوله من اصل ما يصرفه في اثمان اللوازمات التي تطلبوها منه وعند وصولكم الان لتلك الجهات واختباركم احوالها تجروا ترتيبها بحسبما يتراءى لكم مستحسنه سوى كان باجعال مديريتين او اجعال اقسام او نحو ذلك مما يتوصل به انتظام الجهات المذكورة واستعدادها مع معاملة اهاليها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عماريتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارية ودخولهم في سلك الانسانية شيئا فشيئا وهكذا مما يلزم اجراءه على حسب التعليمات التي اعطيت لكم بالفرنساوي وحيث هو موجود هناك رؤف بيك قومندان سابق الموجود بذاك الطرف تحرر له امر من طرفنا ويرسل طيه لتوصيله له بمعرفتكم وامرناه به ان يكون هو والعساكر تحت امركم فيما يجب اجراءه في صالح المصلحة ولو ان الموما اليه ومن معه من العساكر صار لهم مدة زائدة في تلك الجهات ولذلك منظور في ارسال خلافهم من هنا الطرف لتبديلهم لاكنه في مسافة ارسال البدل يكون الموما اليه والعساكر منقادين لاوامركم حسب اصول وقوانين الجارية وعلى هذا وبما هو منظور لنا فيكم من حسن العزم والاهلية مؤملين الاهتمام على ما فيه عمارية جهات خط الاستواء المحكي عنها وراحة اهاليها وحسن تسليتهم وتأليفهم على الدخول في سلك الانسانية شيئا فشيئا كما هو مطلوبنا (حاشية) انه بعد توجهكم ووصولكم ذلك الطرف تعملوا الترتيب اللازم عن مصاريف تلك الجهة بحسبما يلزم لها من الخدمة والعساكر وكلما يلزم تداركه وارساله من جهات الحكمدارية على حسب الترتيب المذكور تطلبوه من الحكمدارية وتعينوا له الاوقات والمواعيد اللازم تداركه وارسال اللوازمات المذكورة فيها بحيث اذا كانت الايرادات على فرض لا تكفي للمصروفات فالحكمدار يرسل لكم كلما تطلبوه ويحاسب ديوان المالية بذلك يكون معلوم

هذه الصورة مطابق الاصل الوارد بصحيفة نمرة ٤٧ من دفتر قيد الاوامر العلية السنية عن سنة ٩١ تركي

هذه الصورة صار تحريرها على ما ورد من المالية رقم ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٩ نمرة ٥٦ حسابات في ٢١ فبراير سنة ١٨٩٩

دفترخانة اميرية مصر

ملحق رقم /٣)

صورة الامر العالى الصادر الى محمد امين باشا مدير خط الاستواء فى اول فبراير سنة ٨٧ نمرة ٢ سايره

ولافتخاركم على ذلك بتوجيه رتبة اللوا

يسرنا انا شكرناكم على ما بذلتم وثباتكم انتم والضباط الذين معكم وتسليم على المصاعب ٢٦ نوفمبر سنة ٨٦ نمرة ٢ سايره

اليكم الدعوة لكم وصرفا عن جميع الرتب والمكافآت التى منحتموها للضابطين كما اطلعنا ايضا امرنا العالى الصادر فى ٢٦ نوفمبر سنة ٨٦ نمرة ٢ سايره

رغبة الى عودتكم وصرفا عن جميع الرتب والمكافآت التى منحتموها للضابطين كما اطلعنا على امرنا العالى ... وبما ارسلنا لمعاونة حضرة المسائل

ليدبرانه وحل ليدكم ارسلنا المشار اليه من الوسطة المرسلة وطرف دوكتور يونكر باشا رئيس مجلس نظار حكومتنا فقد تقررت حكومتنا فى الكبير

بالاحمية من اعمال الخطيرة التى تمتم وبلغت قد استوجب زيادة مخطوطة منكم انتم والضباط والعساكر الذين معكم

ومساعدة نبيلة لكم تحت رياسة جناب المستر استانلى العالم الشهير والسائح الخبير

تصميمه وبلغ انجادكم وتخليصكم مما انتم فيه من المشقات والاحزان قد شكلت نجدة تحت رياسة ... والذهاب بقصد

ولائم صيته بين الممالك بما له فضل على اقرانه واستعدت هذه الرسالة للذهاب اليكم وبمعيتها ما انتم فى حاجة اليه من المؤونة والذخاير

وتوصله الى مصر على الطريق الذى يراه للمستر استانلى المومى اليه انه الاكثر موافقة واسهل عبورا وبناء عليه

نذكركم انتم والضباط والعساكر الذين معكم بان المستر استانلى المومى اليه بالكيفية فحصوله تبلغونه الى الضباط والعساكر المومى اليهم وتعرفونهم ما رسمنا

عند امرنا هذا لكم وبرفقته بين المستر استانلى المومى اليه اعلاما بالكيفية فوصوله تبلغونه الى الضباط والعساكر المومى اليهم الجديد العام فى الاقامة او انفصال افقام فرصة

الى ليحيطوا علما بما ذكر وانا مع ذلك نترك لكم وللضباط والعساكر المومى اليهم الحرية التامة فى الاقامة او انفصال اقسام فرصة والمكمل باقيا

لقصد من هذه النجدة المرسلة اليكم وقد قررت حكومتنا بان تصرف لكم ولجميع المستخدمين والضباط والعساكر ماهياتهم ... مسئولية واراده

يرتبانهم المستحقة اما من يريد البقاء فى تلك الجهات من الضابطان والعساكر فله الخيار انما يكون ذلك تحت مسئوليته وارادته

لطلبه ولا ينتظر بعد ذلك اى مساعدة من الحكومة فافهموا ذلك جيدا وبلغوه بتمامه لسائر الضابطان والعساكر المذكورين

ليكون كلا منهم على بينة من امره وهذا ما اقتضته ارادتنا

سردار الجيش المصرى سعادتلو افندم حضرتلرى

قد صار نسخ صورة الامر العالى الصادر لسعادة امين باشا مدير خط الاستواء فى ٢٧ نوفمبر سنة ٩٠ المرسلة على حسب طلب سعادتكم بالمذكرة الواردة بمعية السردار نمرة ٢٧ نوفمبر سنة ٩٠

على حسب طلب سعادتكم بالمذكرة الواردة بمعية ... نمرة ٢٧ نوفمبر سنة ٩٠ افندم فى ٢٨ جماد آخر سنة ٣٠٧ و ٢٩ سبتمبر سنة ٩٠

صورة اول فبراير سنة ٨٧ نمرة ٢ سايره لاجل التوضيح بعاليه ولزم نرفعه لسعادتكم بذلك افندم

٨

N.R.O. ... Intelligent 1/11/65

Scouth 1/18/168

(١١)

(ملحق رقم /٤)

CS/1.c.1.

CIVIL SECRETARY'S OFFICE.

Khartoum, 25th. January, 1930.

The Governor, Upper Nile Province, Malakal.
" " Mongalla Province, Mongalla.
" " Bahr el Ghazal Province, Wau.

His Excellency the Governor General directs that the main features of the approved policy of the Government for the administration of the Southern Provinces should be re-stated in simple terms.

In the strictly confidential memorandum which accompanies this letter an attempt has been made to do this, though it will of course be seen that innumerable points of detail arising are not dealt with seriatim.

2. Your attention is directed to Part II of the memorandum, and I should be obliged if you would forward, as soon as possible, your comments on the criteria suggested and any suggestions you may wish to make for additions to the list.

3. The carrying out of the policy as described may lead from time to time to various financial implications or commitments though it is hoped that these will not be great. It will be convenient that any such foreseen should be notified to the relevant authority without delay for consideration.

4 Application of the policy will obviously vary in detail and in intensity according to locality. It is essential however, that the ultimate aim should be made clear to all who are responsible for the execution of the policy, and the memorandum should therefore be circulated to and studied by all your District Commissioners. Sufficient copies for this purpose are sent herewith. Copies are also being sent to such Heads of Departments in Khartoum as are concerned.

CIVIL SECRETARY.

Copies to:- Director of Agriculture & Forests.
" " Works.
" Sudan Medical Service.
" of Education.
" Veterinary Department.
" of Surveys.
" " Posts & Telegraphs.
General Manager, S.G.R.& S.
Financial Secretary.
Legal Secretary.

For information and with special reference to paragraph 3 above. A separate letter on this point, addressed to Heads of Departments, follows from Secretary for Education, Health Etc.

CS/1.C.1.

(J)

STRICTLY CONFIDENTIAL.

MEMORANDUM.

PART I.

The policy of the Government in the Southern Sudan is to build up a series of self contained racial or tribal units with structure and organisation based, to whatever extent the requirements of equity and good government permit, upon indigenuous customs, traditional usage and beliefs.

The measures already taken or to be taken to promote the above policy are re-stated below.

A. PROVISION OF NON-ARABIC-SPEAKING STAFF (ADMINISTRATIVE, CLERICAL AND TECHNICAL).

a) ADMINISTRATIVE STAFF.

The gradual elimination of the Mamur, whether Arab or black. This has already begun, and it is intended that the process of reduction shall continue as opportunity offers.

b) CLERICAL.

It has been the recognised policy for some years that locally recruited staff should take the place of clerks and accountants drawn from the North and that the language of Government offices should be English.

In the Bahr El Ghazal Province the change to English has already been made and a large number of local boys are employed.

The process has to be gradual. It is recognised that local boys are not fit at present to fill the higher posts in Government offices, and the supply of educated English-speaking boys depends on the speed with which the two missionary Intermediate schools in Mongalla Province and the Intermediate and Stack Schools at Wau can produce them. The missions must retain a certain number of these boys as teachers for their Elementary schools (which are an integral part of the educational system) but since the employment of local boys in Government offices is a vital feature of the

/general......

ملحق (١)

مذكرة عام ١٩٣٠ بشأن السياسة تجاه الجنوب

مكتب وزير الداخلية
الخرطوم فى ٢٥ يناير ١٩٣٠

السيد حاكم مديرية أعالى النيل ، الملكال
السيد حاكم مديرية مونجالا ، مونجالا
السيد حاكم مديرية بحر الغزال ، واو

بناء على تعليمات صاحب الفخامة الحاكم العـــام نرجو أن نوضح الخطوط الرئيسية للسياسة المقررة بشأن العمل فى مديريات الجنوب ، فى أوضح عبارة وأبسطها ٠

١ ـ وقد حاولنا ذلك فى المذكرة السرية المرفقة بهذا الخطاب ، وان كان من الطبيعى أننا لم نتناول بالتفصيل كثيرا من النقط التى يثيرها التطبيق ٠

٢ ـ ونود أن نلفت نظركم الى القسم الثانى من المذكرة ، ويسعدنا أن نتلقى فى أقرب وقت ممكن رأيكم بشأن العوامل التى تتضمنها هذه الفقرة واقتراحاتكم بأى اضافات اليها ٠

٣ ـ قد يتطلب تطبيق هذه السياسة بعض الاعتمادات المالية من حين الى آخر ، وان كان المرجو ألا تكون هذه الاعتمادات كبيرة ٠ ويحسن أن تبلغ الجهات المسئولة بشأن أى مبالغ كهذه مقدما حتى تتمكن من دراسة الطلب ٠

٤ ـ ستكون هناك بعض الفوارق فى تطبيق هذه السياسة فى تفصيلاتها وفى مداها تبعا لكل منطقة ، لكن لابد أن يكون الهدف النهائى واضحا أمام جميع المشتغلين بتنفيذ هذه السياسة ٠ ولذا ينبغى توزيع المذكرة على كافة مفتشى المناطق لديكم وتكليفهم بدراستها ٠ ونحن نرسل لكم مع هذه الرسالة نسخا كافية من المذكرة ٠ كما أننا نرسل نسخا الى رؤساء المصالح فى الخرطوم ٠

وزير الداخلية

سرى جدا

المذكرة

القسم الأول

تقوم سياسة الحكومة فى جنوب السودان على انشاء مجموعة من الوحدات القبلية أو العنصرية يكون لكل منها اكتفاؤه الذاتى ، ويقوم كيان كل منها وتنظيمه على أساس المحافظة على العادات والتقاليد الموروثة والعرف والمعتقدات السائدة ، بقدر ماتسمح ضرورات التكافؤ والحكم الصالح .

ونوضح فيما يلى الاجراءات التى اتخذت والتى ستتخذ لتطبيق هذه السياسة .

(أ) توفير العاملين من غير المتكلمين بالعربية (فى المجالات الادارية والكتابية والفنية) :

١ ــ الاداريون :

العمل بالتدريج على الغـــاء المآمير ، سواء كانوا من العرب أم من الزنوج . وقد بدأ ذلك بالفعل ، ومن المقرر الاســتمرار فى انقاص عددهم بقدر ماتسمح به الظروف .

٢ ــ الموظفون الكتابيون :

اتبعت منذ بضع سنوات سياسة احلال الموظفين من أبناء المنطقة محل الموظفين الكتابيين والحسابيين القادمين من الشمال ، واستخدام اللغة الانجليزية فى المعاملات الحكومية .

وقد تم فى مديرية بحر الغزال التحول الى استخدام اللغة الانجليزية، كما عين عدد كبير من الموظفين من الشبان المحليين .

ولابد أن تتم هذه الخطوة بالتدريج ، فمن المســلم به أن الشبان المحليين لم يبلغوا درجة تؤهلهم فى الوقت الحالى لشغل المناصب العليا فى الحكومة ، وستكون القدرة على توفير الشبان المتعلمين الذين يتكلمون الانجليزية متوقفة على سرعة المدرستين الثــانويتين اللتين يديرهما المبشرون فى مديرية مونجالا وكذلك المدرسة الثانوية ومدرسة سبتاك فى مدينة واو فى تخريج هؤلاء الشبان . وستكون الارساليات فى حاجة الى الاحتفاظ ببعض هؤلاء الشبان للعمل مدرسين فى مدارسها الابتدائية (وهى المدارس التى تعد العصب الرئيسى لنظام التعليم) ولكن لما كان استخدام الشبان المحليين فى الوظائف الحكومية سمة جوهرية من سمات السياسة العامة فلابد من العمل بكل وسيلة ممكنة لتشجيع المسئولين عن مدارس الارساليات للاسهام فى هذه الســياسة ، وذلك بارسال الخريجين للعمل فى خدمة الحكومة . وعلى العاملين فى المديريات أن يضمنوا امداد المدارس الابتدائية بحاجتها المستمرة من التلاميذ حتى تتمكن بدورها من امداد المدارس الثانوية بخريجيها .

٣ ــ الفنيون :

ان ما سبق ينطبق بوجه عام على توفير الطلبة اللازمين للاقسام الفنية : الزراعية والطبية والأشغال العامة الخ ... وقد يمكن التجاوز فى بعض الحالات عن شرط أن يكون الطلبة المقبولون فى هذه الأقسام ممن أتموا دراستهم الثانوية .

(ب) الحد من هجرة التجار الشماليين

تعمل الحــكومة بكل الوســائل لتشــجيع التجـــار اليونانيين والسوريين على الحلول محل التجار من « الجلابة » . وينبغى انقاص عدد التصاريح التى تمنح لهذه الفئة الأخيرة ، بهــدوء ولكن باســـتمرار ، ولا يجــوز منح هــذه التصــاريح الا للجلابة الذين لا يشــتغلون بغير الشئون التجارية ، والذين يؤدون عملهم بطريقة مشروعة ، ولا بد من الحد من تجارة الجلابة فى المدن والطرق الممهدة .

(ج) ضرورة تعرف الموظفين الانجليز على عقائد وعادات ولغات القبائل التى يعملون بينها

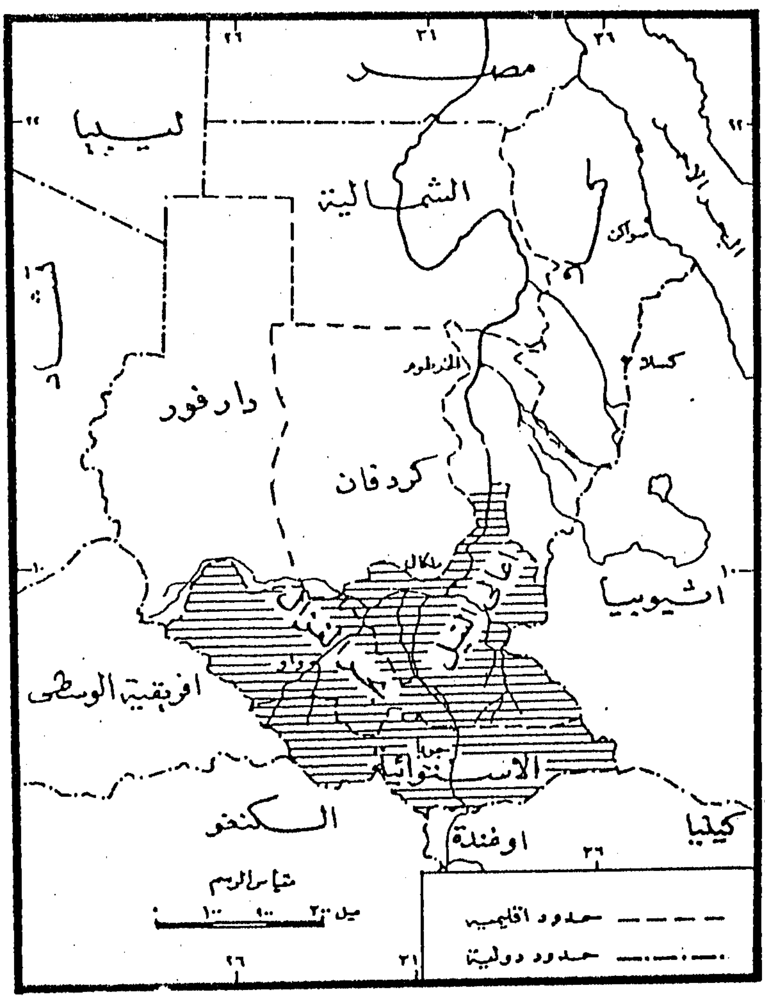
١ ــ المعتقدات والعادات

تتطلب سياسة الحكومة ان يكون موظفوها فى الجنوب ، وخاصــة

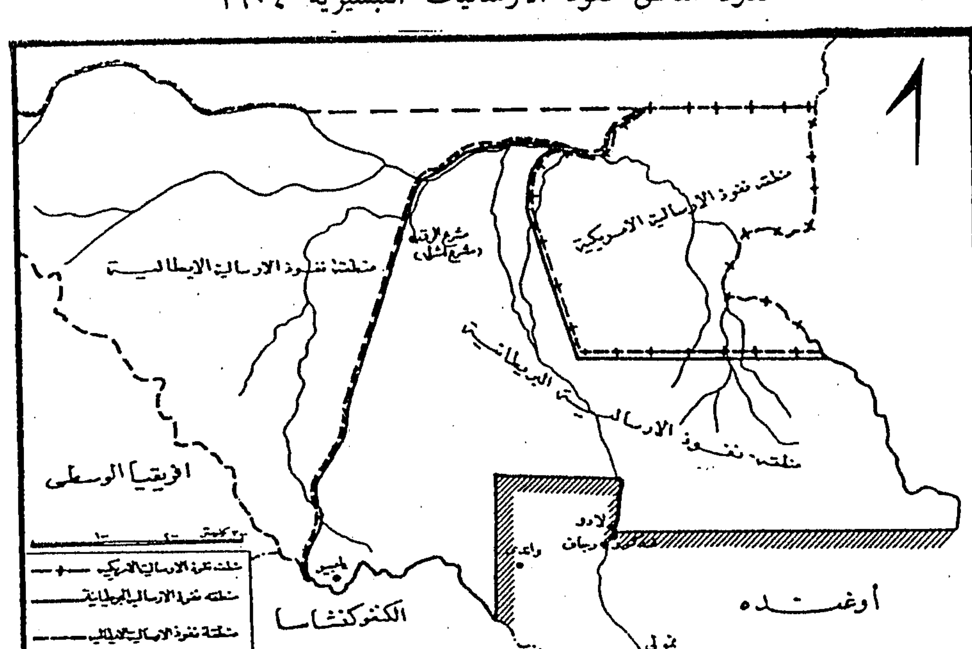
(رقم/١)

(ص.)

خريطة توضح جنوب السودان.



(رقم/٢) حدود مناطق نفوذ الارساليات التبشيرية ١٩٠٤

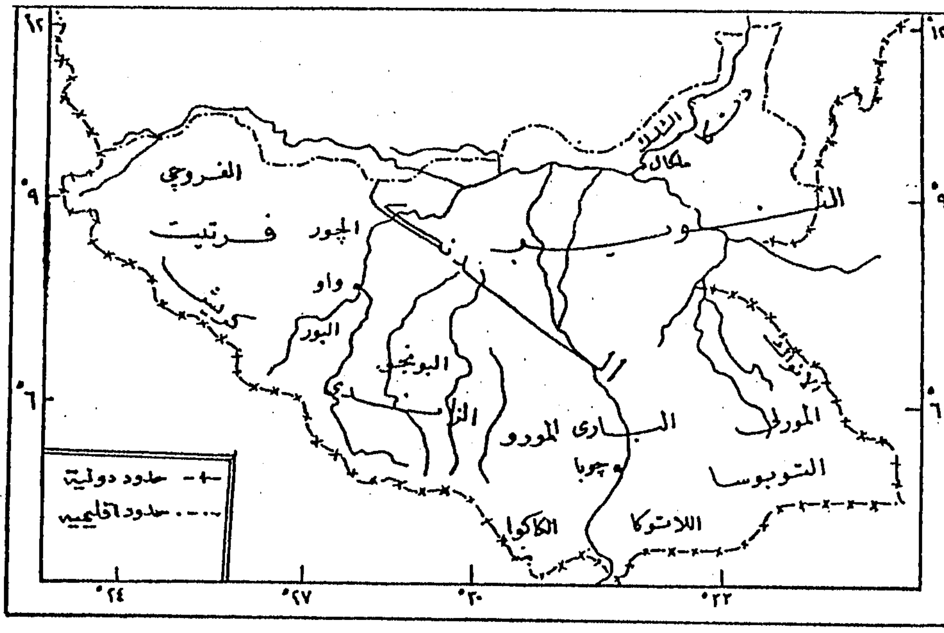


المصدر : (في ابراهيم عكاشة ،مرجع سابق ص ١٥،١٠)

CMS. Intelligencer, 1905, p.85.

رقم /٣ (٤)

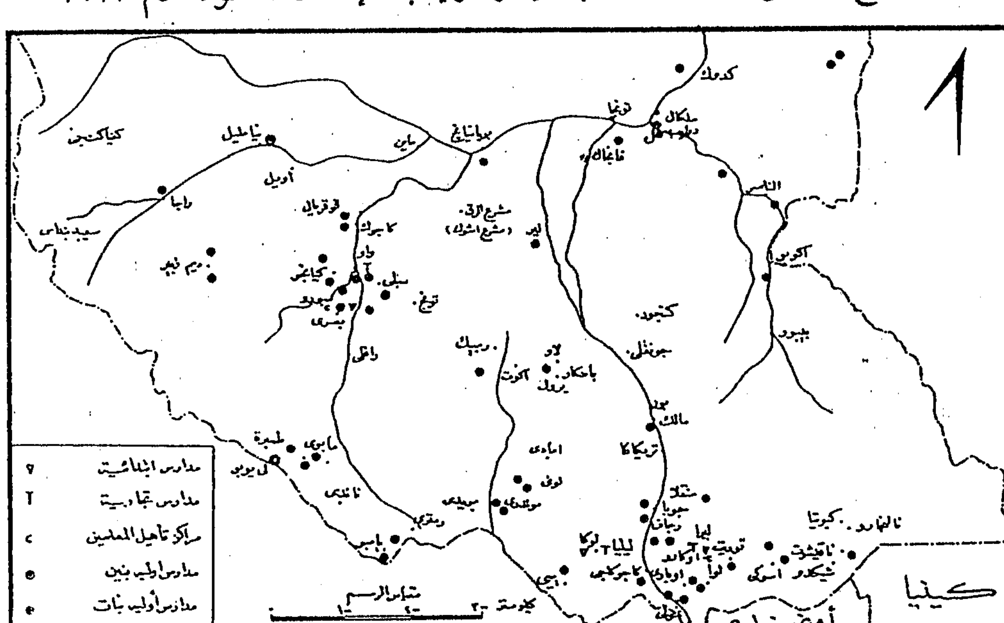
خريطة تبين توزيع القبائل في جنوب السودان



المصادر : Sudan Survey Dept., KH., Jan., 1951 (TOPO. No. S 870-51)
Sudan Survey Dept., KH., Oct., 1984 (TOPO. No. S. 741-48)

رقم /٤

خريطة توضح مدارس الارساليات الابتدائية والأولية بعد إعانات الحكومة عام ١٩٢٧



المصدر : Sudan Survey Dept., Khartoum, 1951.

في ابراهيم عنانشة ،مرجلا سابق ص ١٦ ، ٢١٤

فهرس الموضوعــات

الموضوع	الصفحة

الموضــــــوع	الصفحــــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الفصل الرابـــع

الموضوع	الصفحة

الفصل الخامس